PISA

~~748~~ 100

الحمد لله حبس هذا الكتب عبد القادر
بن افضل على ابيه بلقاسم والصالح حبسا
مؤبدا وما يزداد له من صلبه بحق بدل
وغير فلله حسبه ورقبة لا ربح
محرم سنة ١٢٨٢ عبد القادر بن افضل

BULAC

...رحيم ٥ صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

تفسير سورة الاعراف وهي نزلت بمكة

روي ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروي عن ابن عباس ايضا انها مكية الا خمس
ايات اولها وسئلهم عن القرية وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان ايات في سورة الاعراف مدنية اولها وسئلهم عن القرية الى قوله
واذ اخذ ربك وهي مائتان وست ايات وثلاثة الاف وثلثماية وخمس وعشرون كلمة واربعة وعشرون الف حرف بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل المص قال ابن عباس معناه انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه المص قسم اقسم
الله به وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من اسماء القران وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي هو
بعض اسمه تعالى في السور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد
مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف مقطعة استاثر الله تعالى بعلمها وهي سره في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه
الاعظم وقيل هي حروف تحوي معاني دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام في معاني الحروف المقطعة في اوايل السور
في اول سورة البقرة وقوله تعالى كتاب انزلناه اليك يعني هذا الكتاب انزله الله اليك يا محمد وهو القران فلا يكن في صدرك حرج
منه يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس لتنذر به يعني انزلنا اليك الكتب يا محمد لتنذر به من امرتك
بانذاره وذكرى للمومنين يعني ولتذكر وتيقظ به المومنين وهذا من الموخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك
لتنذر به وذكرى للمومنين فلا يكن في صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه ان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر
وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له قوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اي قل يا محمد لقومك اتبعوا ايها الناس ما انزل
اليكم من ربكم من القران الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن ادم امرت كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم
والله ما انزلت اية الا ويجب ان تعلم فيما انزلت وما معناها وبنحو هذا قال الزجاجي اي اتبعوا القران وما اتى به النبي صلى الله
عليه وسلم فانه مما انزل لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الاية ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم
بالانذار بقوله لتنذر به فكان معنى الكلام وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك وقيل
معناه لتنذر به وتذكر به المومنين الذين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار اي اتبعوا ايها المشركون ما انزل
اليكم من ربكم ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبعوا من دونه اولياء اي ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الشرك يعني والمعنى ولا تتركوا
من دونه شياطين الجن والانس فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع الفاسدة قليلا ما تذكرون يعني ما تتعظون الا قليلا قوله
عز وجل وكم من قرية امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وامر امته باتباع ما انزله اليهم وباسه ان لم يتبعوا
ما امر به فذكر في هذه الاية ما في ترك المتابعة والاعراض عن امره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية اهلكناها قيل فيه حذف
تقديره وكم من اهل قرية لان المقصود بالهلاك اهل القرية لا القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها
فجاءها باسنا يعني عذابنا فان قلت فجي الباس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءها باسنا
قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها باسنا وقال الفرا الهلاك والباس قد يقعان معا كما يقال اعطيتني
فاحسنت الي فلم يكن الاحسان قبل العطاء ولا بعده وانما وقعا معا وقال غيره لا فرق بين قولك اعطيتني فاحسنت الي فاعطيتني
فيكون احدهما بدلا من الاخر بياتا يعني فجاءها عذابنا ليلا قبل ان يصبحها او هم قايلون عن القيلولة وهي نوم نصف النهار واستراحة
نصف النهار وان لم يكن معها نوم يعني فجاءها باسنا غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نايمون او نهارا وهم قايلون وقت
الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الاية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على وقت نزول العذاب

وفيه وعيد

وفيه وعيد وتعويض للكفار كانه قيل لهم لا تغتروا بالشباب الماضي والراحة فان عذاب الله اذا نزل بغتة واحدة
كان قد عوا بهم يعني فما كان دعاء اهل الغرة التي جاءهم بالتسا والدعوى الكرنبعض الدعاء. ومعنى الدعاء قال سيبويه
تقول العرب اللهم انتي كذا يملح دعوى المسلمين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم اذ جاءهم بأسنا يعني
عذابنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين يعني انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك
حين لا ينفع الاعتراف فلنسئلن الذين ارسل اليهم يعني اسئل الذين ارسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءكم
به الرسل ولنسئلن المرسلين يعني ولنسئلن الرسل الذين ارسلتهم الى الامم هل بلغتم رسالتي واديتم الامم كما امرتكم بتبليغه
اليهم ام قصرتم في ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية يسئل الله يوم القيامة الناس عما اجابوا المرسلين ويسئل
المرسلين عما بلغوا عنه وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة بين يدي الله فيما كانوا يعملون وقال الشيخ تتعلق الامم عما عملت
فيما جاءت به الرسل ويسئل الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به فان قلت قد اخبر عنهم في الاية الاولى بانهم اعترفوا
انفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فايدة هذا السؤال مع اعترافهم على انفسهم بذلك قلت لقد اعترفوا بانهم
كانوا ظالمين بعد ذلك عن سبب هذا الظلم المقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار فان قلت ما الفايدة
في سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم قلت اذا كان يوم القيامة انكروا
انهم تبلغ الرسل فاذا جاءوا بالمبلغين الذين يشهدون بالتبليغ كان معضلة الرسل على وجه الاستشهاد لهم على ما ارسلوا اليه من الامم
فيكون هذه المسئلة كالتفريع والتوبيخ للكفار ايضا كما انهم انكروا تبليغ الرسل يزداد بذلك خزيهم وتعوانهم وقوله تعالى
فلنقصن عليهم بعلم يعني فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا اليهم بعلم يقين عما عملوا في الدنيا وما كنا غائبين يعني عنهم وعن
افعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا فان قلت ما الجمع بين قوله تعالى ولنسئلن الذين ارسل اليهم
ولنسئلن المرسلين وبين قوله تعالى فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين واذا كان عالما بما اجابته هذه السؤال فلت
سؤال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى جميع المعلوم لانهم اذا افردوا على انفسهم كان ابلغ في المقصود فاما سؤال
الرسل فاستشهادا واستثباتا بهم وتنبيها عن الله عز وجل انه عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها وهو العالم بالكليات
والجزئيات وحكمته بالغة في الاشياء كلها ومنها قوله تعالى والوزن يومئذ الحق يعني الوزن يوم سؤال الامم والرسل
وهو يوم القيامة العدل في هذا المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان الموازين
بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك بان الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان لكفة فذر ما بين المشرق والمغرب قال ابن
الجوزي جاء في الحديث ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه اغمي عليه فلما افاق قال الهي من يقدر ان يملأ كفتيه حسنات
فقال اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فقال خذيعة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن
بينهم وردد من بعضهم لبعض وليس شيء مذهب ولا بقية يبقى على المظلوم من الكلام ما وجدله من حسنة فان لم يكن له حسنة
اخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيئات الكلام فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال
العباد في الحكمة بوزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل يكلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك
في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها علامة اظهار على
السعادة وتطهيره انه تقابل اثبات اعمال العباد في اللوح المحفوظ في صحايف الحفظة الموكلين بني ادم من غير جواز النسيان
عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحايف الاعمال الكتوبة فيها الحسنات والسيئات ويدل على حديث
البطاقة ونحو ما روي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلايق
يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول
افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له الله بطاقة فيقال اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا تظلم
عليك لكتبة بتوضع السجلات في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي واحمد

لابن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى
قول ابن عباس ان الاعمال تاتي صورا صورا وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله تعالى في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل
البغوي عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل بذلك بما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يوزن عند الله جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل
على ما ذكر من وزن الاشخاص في الحديث بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه والصحيح
قيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهون واللسان ولا يتم الوزن الا
باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني من رجحت اعماله بالحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر فاولئك هم المفلحون
يعني هم الناجون غدا والفائزون بثواب الله وجزائه ومن خفت موازينه يعني موازين اعماله وهم الكفار بدليل قوله
تعالى فاولئك الذين خسروا انفسهم يعني عتبوا انفسهم ومنعوها من جزيل ثواب الله تعالى وكرامته بما كانوا بآياتنا
يظلمون يعني سبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وادلة توحيده يجحدون ولا يقرون بها روي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم
القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت
موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله
عز وجل ولقد مكناكم في الارض يعني ولقد مكناكم ايها الناس في الارض والمراد بالتمكين التمليك وقيل جعلناكم فيها مكانا وقرارا
واقررناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي يحصل بها الارزاق
وتعيشون بها ايام حياتكم وهي على قسمين احدهما ما انعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وانواع المآكل
والمشارب والثاني ما يتحصل منه المكاسب والارباح في انواع التجارة والصنائع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل
بفضل الله وانعامه واقراره وتمكينه لعباده من ذلك ان جميع معايش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام
توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذه الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره
كما ينبغي فقال تعالى قليلا ما تذكرون يعني ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يذكرون لان الانسان
قد يذكر نعمة الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر ظهور النعمة واظهارها
وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني ولقد خلقناكم ايها الناس المخاطبون
بهذا الخطاب وقت نزولكم في ظهر ابيكم آدم ثم صورناكم في ارحام النساء صورا مخلوقة فان قلت على هذا التفسير يكون
قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي ان الامر بالسجود لآدم وقع قبل خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة
ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه السلام قبل خلق ذريته قلت يحتمل ان يكون
المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون ثم اخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر
على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر على خبر وقيل في معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس
ولقد مجاهد ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القولين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم او لانه
ابو البشر فكان في خلقه خلقين خرج من صلبه وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى آدم عليه السلام وحده والمعنى ولقد خلقناكم
يعني آدم حكمنا بخلقه ثم صورناكم يعني آدم صوره من طين ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يعني بعد خلقه وقد تقدم الكلام في
سورة البقرة في معنى هذا السجود وانه كان عليه السلام والتعظيم لآدم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان
المسجود له هو الله تعالى وانما كان آدم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وقيل كان هذا
الامر بالسجود لجميع الملائكة ولبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره وقوله تعالى فسجدوا يعني الملائكة الا ابليس يعني فسجد
الملائكة لآدم الا ابليس لم يكن من الساجدين له وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم
وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مامورا

بالسجود

على الاثرة فتريد هي بقاء العصمة فبعث التي اباح الله بينهما الصلح ورفع الجناح فيه واختلف في
سبب نزول الاية فقال ابن عباس وجماعة نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة
وفي المصنفات ان سودة لما كبرت وهبت يومها لعايشة وقال ابن المسيب وغيره نزلت بسبب نشوز
ابن خديج وامراته خولة وقال مجاهد نزلت بسبب خوف ابي السنابل وامراته وقال ابن العربي في احكامه
قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الاية قالت عايشة رضي الله عنها هي المراة
تكون عند الرجل فيريد ان يستكثر منها فيريد ان يفارقها فتقول لا تطلقني وامسكني وانت في حل فنزلت الاية قال الفقيه ابو بكر بن العربي رضي الله عن الصديقة المطهرة لقد اجملها وبها من العصمة واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة انتهى وقوله تعالى والصلح خير لفظ عام مطلق يقتضي ان الصلح الحقيقي الذي تسكن اليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الاطلاق ويندرج تحت هذا العموم ان صلح الزوجين على ما ذكرنا خير من الفرقة وقوله تعالى واحضرت الانفس الشح مقدرة عن عبيده تعالى اي لابد للانسان من حكم خلقته وجبلته من ان يشح على اراداته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره وخصص المفسرون هذه اللفظة فقال ابن جبير هو شح المراة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها ايامها وقال ابن زيد الشح هنا منه ومنها قال ع وهذا احسن والشح الضبط المتقدات وفي النهم والاموال ونحو ذلك مما البرء منه وفيه بعض الذمة وهو الذي قال فيه ومن يوق شح نفسه وما صار الى حيز منع الحقوق الشرعية والتي تقتضيها المروءة فهو البخل وهي رذيلة لا كنهاء قد تكون في المومن ومنه الحديث قيل يا رسول الله ايكون المومن بخيلا قال نعم واما الشح فلا يكون في كل احد وينبغي الا يبرء احد الا على الخير ويدل على ان الشح في كل احد قوله تعالى واحضرت الانفس الشح وقوله ومن يوق شح نفسه فقد اثبت ان لكل نفس شحا وقول النبي صلى الله عليه وسلم وان تصدق وانت صحيح شحيح وهذا لم يرد به واحدا بعينه وليس بحكم ان يقال لهذا ان تصدق وانت صحيح بخيل وقوله تعالى وان تحسنوا ندب الى الاحسان في تحسين العشرة والصبر على خلق الزوجة وتتفقوا معناه تتقوا الله في وصيته بهن اذا هن عرفن عندكم وقوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا معناه في المحبة والعمل التام على الاطلاق المستوي في الافعال والاقوال والجماع وغير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسايه ثم يقول اللهم هذا فعلي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك بوجه الله سبحانه حالة البشر انهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم الى بعض الزواج دون بعض ثم نهى سبحانه عن الميل وهو ان يفعل فعلا يقصد من التفضيل وهو يقدر ان لا يفعله فهذا هو الميل المحرم وان كان في امر خفيف وقوله سبحانه فتذروها كالمعلقة اي لا هي ايم ولا ذات زوج وجاء في النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان تستوفي فيه حده وان تصلحوا الاول مندوب اليه وفي هذا الحديث ما يلزم العمل به وقوله تعالى وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته الاية اي ان شح كل احد من الزوجين لم ينتظم لا كنهما تفرقا بحكم الخلاف وان الله تعالى يغني كل واحد منهما عن صاحبه بفضله ولطايف منه وان الله واسع اي ذو الفضل والنعم والعشر والسعة وجوه المراد والتمكن منها والواسع معناه الذي عنده خزائن كل شيء وقوله سبحانه ولله ما في السموت وما في الارض تنبيها على موضع الرجاء لعفو بعض

BULAC

عن

المفتقرين ثم جاء بعد ذلك قوله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض تنبيها على استغنائه
عن العباد ومقدمة للخبر بكونه غنيا حميدا ثم جاء بعد ذلك قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى
بالله وكيلا مقدمة للوعيد فهذه وجوه تكرار هذا الخبر الواحد ثلاث مرات متقاربة ت وفي نسخ
تمشيته هذه عندي نظر والاحسن بقاء الكلام على نسقه فقوله رحمه الله تنبيه على موضع الرجاء
لهذين المفترقين حسن وانما الذي فيه قلق ما بعده من توجيهه وقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم الاية لفظ عام لكل من اوتي كتابا فان وصيته سبحانه لعباده لم تزل
من ذا وجدهم ت قال الاستاذ ابو بكر الطرطوشي في سراج الملوك ولما ضرب ابن ملجم عليا رضي
الله عنه اذ دخل منزله فاعترته غشية ثم افاق فدعا اولاده الحسن والحسين ومحمدا فقال اوصيكم
اوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنا والفقر
والعدل على الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخا يا بني ما شر
بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار ولا خير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية من
ابصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف
بغي قتل به ومن حفر لاخيه بيرا وقع فيها ومن هتك حجاب اخيه كشف عورات بنيه ومن نسي خطة
خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن اعجب برايه
ضل ومن جالس العلماء وقر ومن خالط الارذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن مزح استخف به
ومن اكثر من شيء عرف به ومن اكثر كلامه كثر خطاؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل
ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الادب خير ميراث وحسن خلق خير قرين يا بني
العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله وواحد في ترك مجالسة السفهاء يا بني
زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بني لا شرف اعز من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى يا
بني الحرص مفتاح البغي ومطية النصب طوبى لمن اخلص لله عمله وعلمه وحبه وبغضه
واخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله انتهى والوكيل القائم بالامور المنفذ فيها ما رآه
وقوله يا ايها الناس مخاطبة للحاضرين من العرب وتوقيف للسامعين لتحضر اذهانهم
وقوله ياخرين يريدون من نوعكم وتحتمل الاية ان تكون وعيدا لجميع بني ادم ويكون الاخرون من
غير نوعهم كالملائكة وقول الطبري هذا الوعيد والتوبيخ للشافعين والمخاصمين في قصة
بني ابيرق بعيد واللفظ انما يظهر حسن وصفه بعمومه وانسحابه على العالم جملة والعالم
الحاضر وقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا او الاخرة الاية اي من كان لا مراد له الا في ثواب الدنيا
ولا يعتقد ان سواه فليس كما ظن بل عند الله سبحانه ثواب الدارين فمن قصد الاخرة اعطاه الله
من ثواب الدنيا واعطاه قصده ومن قصد الدنيا فقط اعطاه من الدنيا ما قدر له وكان له في الاخرة
العذاب والله تعالى سميع الاقوال بصير بالاعمال والنيات وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انما الاعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى الحديث قال النووي بلغنا عن ابن عباس انه قال انما يحفظ الرجل
على قدر نيته وقال غيره انما يعطى الناس على قدر نياتهم انتهى ثم خاطب سبحانه المومنين بقوله كونوا

قف
على وصية علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاولاده الحسن والحسين ومحمد رضي الله عنهم

ولا خير

ومن خالط

ومن كثر خطاؤه

ما رآه

فعند الله ثواب الدنيا والاخرة

ثم

واعطاه

قوامين بالقسط وهو العدل

بالسجود لادم مع الملائكة فلما لم يسجد أخبر الله تعالى عنه انه لم يكن من الساجدين لادم بهذا الاستثناء ومنهم قوله تعالى ما منعك الا
تسجد اذ امرتك يعني قال الله عز وجل لابليس اي شيء منعك من السجود اذ امرتك فعلى هذا التأويل تكون كلمة لا في قوله الا تسجد صلة
زايدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك ان تسجد وهو كقوله ما افسمي افسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي
يرجعون وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاخفش وقيل ان كلمة لا هنا على اصلها
مجيدة وليست بزايدة لانه لا يجوز ان يقال ان كلمة من كتاب الله زايدة او لا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدي عن احمد بن يحيى ان ما في
هذه الاية ليست زايدة والتوكيد الا ان معنى قوله ما منعك الا تسجد مثل قول القائل ما لكم تكلمون على معناه وهذا القول حكاه ابو
بكر عن الفراء وقال الكسائي والفراء يجوز في الكلام مخرج وتقدير ما منعك من السجود ما حوجك الا تسجد لترك ذلك احوجك
استفهاما على جهة التوبيخ وقال الامام فخر الدين الرازي عن القاضي قال اذكر الله تعالى المنع وارد الداعي فكانه قال ما داعاك الى ان لا تسجد
لان مخالفة الله تعالى حالة عظيمة يتعجب منها ويسئل عن الداعي اليها فان قلت لم سأله عن المانع للسجود وهو اعلم به قلت
للتوبيخ والتنفير له والاظهار معاندته وجهره وافتخاره باصله وجنسه على ادم عليه السلام ولذلك لم يجب منه قال يعني ابليس مجيبا
لله تعالى عما استفهمه انا خير منه وان قلت انا خير منه ليس جوابا عما سأله في قوله تعالى ما منعك الا تسجد فما وجه مجيئه قلت
من السجود بانه كان ينبغي ان يقول منعني كذا وكذا ولكنه قال انا خير منه قلت استانف فقال انا خير منه عن تعليله بالفضل
على ادم ويجوز ان يكون ليدل على موضع الجواب وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين لانها نور وانما قال انا خير لانه رأى
انه اشد منه قوة وافضل منه تفضلا وذلك لان جنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه ادم عليه السلام يجمل بالنار
ابليس وجه الخطأ واخطأ الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل الخبيث
ابليس مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لادم عليه السلام والاستخفاف بامر ربه فاورده
ذلك الحسب والهلاك ومن المعلوم انه من جواهي الكمين الرزانة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا فان الداعي لادم عليه السلام مع
السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسئلته لي به العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن
وابن يسير يقولان اول من قاس ابليس واخطأ قياسه ابن سيرين ايضا ما عبدت الشمس والقمر الا بالقياس وراس هذه القياس الذي قاسه
ابليس لعنه الله تعالى لعلمه ان النار افضل من الكمين وقوى في ظنه ان انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من كمين ولم يدر ان الفضل من جعله الله فاضلا
وان الافضلية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وانما تحصل بسبب الكماعة وقبول الامر والتسليم لحكم الحكيم
حتى من الكلب الى شيء بالله تعالى خص صفيه ادم عليه السلام باشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وامر الملائكة له
بالسجود وعلمه الاسماء كلها واورث الاجتباء والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله تعالى به ادم عليه السلام العظيمة التي سبقت
له في القدم واورث ابليس كثرة اللعنة والطرد للشقاوة التي سبقت له في القدم قوله تعالى قال فاهبط منها يعني قال الله تعالى لابليس
لعنه الله اهبط من الجنة وقيل من السماء الى الارض والهبوط الانتزال والانحدار من علو الى اسفل التوان والقصور والاستخفاف بالمكان
لك ان تتكبر فيها يعني ليس لك ان تستكبر في الجنة عن امري وهي عبادتي لانه لا ينبغي ان يتكبر في السماء او في الجنة متكبر فخالف امر الله
عز وجل واما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبي عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون في الارض فاخرج انك من الصاغرين يعني انك في
الذلة والهوان والصغار الذل والهوان قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله تعالى بالصغار والمذلة وقيل ان له ملك
الارض فاخرجه الله تعالى منها الى جزاير البحر الاخضر وعرشه على الماء فلا يدخل الارض الا خايفا كهيئة السارق مثل شيء على اصطرار ثم يروع
حتى يخرج منها قال يعني قال ابليس عند ذلك انظرني يعني اخرني وامهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون يعني من قبورهم وهي النفخة الاخيرة
عند قيام الساعة وانما سأل ابليس لعنه الله ذلك لانه سار ايقن الامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد من خلق الله تعالى الى التقلب في الدنيا
كره ان يكون ذايقا للموت بكاس البغض والخلود قبل يوم الوقت المعلوم قال الله تعالى انك من المنظرين يعني من الموخرين المملين وقد بين
الله تعالى مدة النظرة المعلومة في سورة الحجر فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين تموت
الخلايق كلهم وان قلت ما وجه قوله انك من المنظرين وليس احد يظن سواه قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرون
الى ذلك الوقت بالامهال وهو منهم فان قيل ابليس يعلم انه غوايتني يعني فيما اغويتني بعلى هذا تكون ما استفهاما مبتدأ تم الكلام عند قوله

اغوينني ثم ابتدأ فقال لأقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل هي باء القسم تقديره فبما اغويتني لأقعدن
في قلبي الغي الذي كان سبب هبوطي الى الارض فاضللتني عن القعود لأقعدن لهم صراطك المستقيم يعني لأجلسن
على صراطك الغويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذي يسلكونه الى الجنة وذلك بان اوسوس
لهم واريّن الباطل وما يحسبهم المكاره وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا مكة يعني يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول
الاول اولى لانه يعم الجميع ومعنى الاية لاصدن بني ادم عن عبادتك وطاعتك ولاغوينهم ولاضلنهم كما اضللتني عن سيرة بزايد
الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن ادم باكمل قوله في طريق الاسلام فقال تسلم وتذر دينك
وابائك وامهاتك واسلم فعصاه واسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر ارضك وسمائك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول
فعصاه وهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم مالك فجاهد فقال
من فعل ذلك فان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله ان يدخله الجنة او وقصته دابته كان حقا عليه ان يدخله
الجنة اخرجه النسائي وقوله تعالى اخبارا عن ابليس ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال ابن عباس
من بين ايديهم يعني من قبل الاخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم يلبس عليهم امر دينهم وعن
شمائلهم اشهي لهم المعاصي وانما جعل الاخرة من بين ايديهم في هذا القول انهم مقبلون اليها وصائرون اليها فهي امامهم هذا الاعتبار
بالدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين ايديهم من قبل دنياهم يعني ازينها في قلوبهم ومن
خلفهم من قبل الاخرة لا قول لا بعثوا ولا نشروا ولا جنة ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وانما جعل
الدنيا من بين ايديهم في هذا القول لان الانسان يسعى لها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والاخرة غائبة عليه فهي خلفه وقال
الحكم بن عتيبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم من الاخرة فاثبطهم عنها وعن ايمانهم من قبل الحق فاشككهم عنه
وعن شمائلهم من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة ذكر لنا ان من بين ايديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من امر الدنيا
فازينها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها وعن شمائلهم فزين لهم الشبهات والضلالة ودعاهم اليها
اتاك يا بن ادم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك ولم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله وقال مجاهد يأتيهم من ايديهم وعن
ايمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا انهم يحظون ويعلمون انهم يحظون ومن حيث لا
يبصرون انهم يحظون ولا يعلمون انهم يحظون وقيل من بين ايديهم يعني فيما بقي من اعمارهم فلا يفيد من فيه كاعة ومن خلفهم
يعني ما مضى من اعمارهم فلا يتعزبون عما اسلفوا فيه من معصية وعن ايمانهم يعني من قبل الغنى فلا يتعفون ولا يتكرمون ومن
خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور فاعلوه وقال الشعبي فلاتين الباطل ما من صباح الا وابليس الشيطان من الجهات
الاربع من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله اما من بين يديه فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقترفوا ان شئتم فاعمل لمغفرة
تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفه فينهوه في من وقوع الذي في القبر فانزوا وما من دابة الا الله يرزقها فلم يزل
من قبل يمينه فيما تيسر من الشبهات فاخذوا والفاحشة المستفيض واما من شماله فيما تيسر من قبل الشهوة فاقترفوا وامر جبل بينهم
وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما يراد به التاكيد والمبالغة في الغواية والوسوسة في قلب ابن ادم
وانه لا يفهم بذلك ومعنى الاية على هذا القول ثم لآتينهم من جميع الاوجه الممكنة لجمع الاعتبارات وقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين
يعني ولا تجد يا محمد اكثر بني ادم شاكرا لك على نعمك التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين يا زلت
به على الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين فاتبعه فيه فاجابه كما اجاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل
كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بني ادم الى ذلك بقول الملائكة وقيل انه رآه مكتوبا في اللوح
المحفوظ فقال الله تعالى اخسأ فيها مذؤما مدحورا اللعن والطرد والله اعلم اراد به قوله عز وجل قال اخرج منها اي قال الله تعالى لابليس حين كفر وعتى
بابه وابعد عن جنانه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة بانه لا ينبغي ان يكون في الجنة عاص ولا يجاورها
مذؤما يعني معيبا
والذأم اشد الذم مدحورا يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس صغيرا مدفورا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مغضبا من
الجنة ومن كل خير لمن تبعك منهم يعني من بني ادم لاملان جهنم منكم اجمعين اللام لام القسم اقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بني ادم واطاعه

منهم

منهم ان يحلا جميعا منه ومعنى تبعه من يتبعه من ذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة بفتح حوا وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وكرره من الجنة بعد ان كان يدخل ويخرج منها كما يشاء يعني بكلا من ثمارها رغدا اي واسعا هنيئا من اي مكان شئتما فان قلت فاين في سورة البقرة وقلنا بالواو وهنا بحذفها بالعطف بما بالفرق قلت قال الكاملي من الدين الواو وتقييد الجمع المخلف والبقرة تقييد الجمع على سبيل التعقيب بالجمع من البعض نوع داخل تحت المجموع من العلو والمتغايرات بين النوع والجنس في سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع ولا تقربا هذه الشجرة من الكاملين تقدم في سورة البقرة الكلام على هذه الآية فليرجع اليه فوسوس اليه الشيطان يعني فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان بغير الوسوسة اذا تكلم كلاما مصورا واصله من صوت الخفي ومعنى وسوس لهما بعمل الوسوسة والقائها اليهما وان قلت كيف وسوس اليهما وادم وحواء في الجنة وابليس قد خرج منها قلت ذكر الكاملي في الجزء الثاني في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن انه قال انه كان يوسوس من الارض الى السماء الى الجنة بالغوة الغوية التي جعلها الله تعالى له وقال ابو مسلم الاصبهاني بل كان ادم وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنان الارض الذي يقوله بعض الناس من ان ابليس دخل في جوف الحية حتى ادخلت به الحية الى الجنة فضعيف مشهورة رجيحة وقال اخرون انه ادم وحواء ربما فر بهما من الجنة وكان ابليس خارج الجنة على بابها يقرب احدهما الكاف محققات الوسوسة هناك فان قلت ان ادم تعليب الاشكال فدعوى ما بينه وبين ابليس من العداوة قبل قوله قلت يحتمل ان يقال ان ابليس لعنه ادم مرارا كثيرة ورغبه في اكل هذه الشجرة بكرة وكثيرة منها ترجيل نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما اي اقسم لهما من القاصين قبل هذه المواضبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس في ادم حتى اكل من الشجرة ليبدي لهما ما ووري عنهما من عوراتهما اي ليظهر لهما ما غطي وستر من عوراتهما وقوله ما ووري ما اخوذ من المواراة وهو الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوءة فرج الرجل والمرأة سميت بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الآية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات في قوله ليبدي لهما لام العاقبة وذلك ان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما وانما كان حملهما على المعصية فكان عاقبة امرهما ان بدت عوراتهما وقال يعني ابليس لادم وحواء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة يعني عن الاكل من هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين يعني انما نهاكما عن هذه الشجرة لئلا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر او تكونا من الباقين الذين لا يموتون ولا يهرمون فجمع ابليس ادم بهذه الآية على ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من الله تعالى فاستشرف لذلك ادم واحبه او انه يعيش مع الملائكة لكون اعمارهم او يكون مع الخالدين الذين لا يموتون ابدا وان قلت كيف ابهم في هذه الآية ولم يعين ادخل من الشيء كان ادم عليه السلام طلب ان يكون من الملائكة وعليه دل فعل عليه قلت ليس في هذه الآية ما يدل على ذلك لان ادم عليه السلام لما طلب ان يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل ان يتشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة ادم عليه السلام فطلب ان يكون من الملائكة او من الخالدين وعلى تقدير ان تكون تلك الواقعة في زمن النبوة بعد ان تشرف بها ادم وانما طلب ان يكون من الملائكة لكمال اعمارهم لما كانوا فيه من الخير فلا يمنع ان يكون طلب اما ان يكون من الملائكة لكمال اعمارهم او من الخالدين الذين لا يموتون ابدا وقوله تعالى وقاسمهما اي وحلف لهما بالمعاملة التي تختص بالواحد اي لهما من الناصحين فان قيل كيف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع الصوم من الله تعالى قال ابن خلفت فبلهما وانا لكما من الناصحين فدلاهما بغرور يعني خدعهما بغرور وقيل ما زال يدلي احدهما بعد الآخر من خدعنا بالله خدعناه يخدعه ويخلبه بتزيين من القول الباطل وقيل الدهن واصله ان الرجل العقل يتدلى في البير ليأخذ العلق فلا يجد فيها ماء فرفعت التدلية موضع الطمع فيها كالبايدة فيه والغرور الاطمار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس خلصهما من منزلة الطاعة الى منزلة المعصية لان التدلي لا يكون الا من علو الى اسفل ومعنى الآية ان ابليس لعنه الله تعالى غر ادم بالله تعالى الكاذبة وكان ادم يظن ان احدا لا يحلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن ادم انه صادق فاغتر به فلما ذاقا الشجرة يعني لما اكلا من ثمرة الشجرة وعبر دليل انهما تناولا اليسير من ذلك فعدا الرمق بدت لهما سوءاتهما يعني ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلما ان ازدرد احدهما الغصة والغصة ان بدت وظهر لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما ورقا الجنة فانتثر عنهما كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه

وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباس آدم من النور الذي يرى هذا عورة هذا وكانا لا يريان عورة هذا جلما أعارا الخطيئة بدت لهما سوآتهما
وقد قيل كان لباس آدم في الجنة كظفر اكله فلما وقع في الذنب كشف عنه وبدت له سوآته وطفقا يعني واقبلا وجعلا يخصفان
عليهما من ورق الجنة يعني انهما لما بدت لهما سوآتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى
صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا ورقه بعضه على بعض وفي الآية دليل على ان كشف العورة من بني آدم قبيح لا ترى انهما بادرا الى
ستر العورة لما تقرر في عقلهما من قبح كشفها وروى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم رجلا طويلا كانه نخلة
سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع في الخطيئة بدت له سوآته وكان لا يراها في الجنة فلما انطلق هاربا فرأت له شجرة من شجر الجنة
فحبسته الشجرة بقرنها فنادى ربه يا آدم أفرارا مني قال لا ولكني استحييتك قال يا آدم ارجع فان لي اليك حاجة ثم قال يا آدم
غير مسند والسند موقوف ومرفوعا وقوله تعالى وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة يعني ان الله تعالى نادى آدم وحواء
وخاطبهما بقوله ألم أنهكما عن أكل ثمر هذه الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين يعني ألم أنهكما ان الشيطان قد بانت
عداوته لكما بترك السجود حسدا وقيل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما أكل آدم من الشجرة قيل له أكلت من الشجرة التي نهيتك
عنها قال حواء امرتني فقال يا حواء امرتك ان تحملي الآخر قالت بل بنيت حواجبين فقيل لها لتزيدن عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس نادى
ربه يا آدم لم أكلت من الشجرة وقد نهيتك قال أمرتني حواء فقال لحواء لم أمرتيه قالت أمرتني الحية قال للحية لم أمرتيها
قالت أمرني ابليس قال الله تعالى أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فأنقص رجليك بحملك على وجهك
وتجشد رأسك من لقيك وأما أنت يا ابليس فملعون مطرود من الرحمة وقال ربه يا آدم أما خلقتك بيدي أما نفخت فيك من روحي أما
أسجدت لك ملائكتي أما أسكنتك جنتي فبمعصية واحدة عصيتني قال بل أسألك بعزتك لا أضلهم أجمعين وهو أخبر من الله عز وجل عن آدم عليه
الصلاة والسلام وحواء عليها السلام واعترافهما عن أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والعفو قال يا رب أنبأنا أنفسنا ان فعلنا بأنفسنا من الاستدراج
إليك بخلة الجنة أمرك وكاعة عدونا ابليس وعزتك ما كنا نظن ان أحدا يحلف بك كاذبا فغررتنا بعزتك وان لم تغفر لنا
يعني وان انك يا ربنا ان لم تستر علينا ذنبنا وترحمنا يعني وتتفضل علينا برحمتك لنكونن من الخاسرين يعني من الهالكين
قال قتادة قال آدم يا رب ارأيت ان تبت اليك واستغفرتك قال إذا أدخلك الجنة وأما بليس فلم يبتغ التوبة وسأله النظرة كما فعل
كل واحد منهما ما سأله وقال الضحاك في قولهما ربنا ظلمنا أنفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه عز وجل فصل
وقد استدل قوم بورود الذنب من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية والجواب عنه بان درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل صارفة لهم عن الوقوع في الذنوب وان الشيطان من المحال ان يأخذ بها أحدا ويؤاخذه بها غيرهم وانهم ربما وقعوا في امور
صدرت عنهم على سبيل التأويل والسهو فهم بسبب ذلك قد يعرون وجلون وهي ذنوب بالإضافة الى علو منصبهم وبقاس بالنسبة الى حال
كمال كما عتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصي غيرهم بكبائر ومعاصيهم مع كثرتها بالنسبة الى صغائر معاصي غيرهم وكبائرهم بالنسبة الى
السهو والذكر القدسي وعبارة ظنونهم بالعمل الصالح والمخشية لله عز وجل ذنوب وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات
الابرار سيئات المقربين يعني انهم يرونها بالنسبة الى كمالهم كانها ذنوب او بعدهم والخطاب فيه بالغ عن العادة قال الامام فخر الدين
ان الذنب تقدم ذكره بعد آدم وحواء وابليس اهبطوا أي من السماء الى الارض فان الشيء اهبطوا يعني الى الارض آدم وحواء وابليس والحية
بعضكم لبعض عدو يعني ان القداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية وذرية كل واحد من آدم وابليس والحية ولكم في الارض مستقر
يعني موضع قرار تستقرون فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ولكم في الارض مستقر يعني مستقر القبور ومتاع الى حين يعني ولكم
فيها متاع تستمتعون به الى انقضاء آجالكم وقيل الى انقضاء الدنيا وقيل معنى الآية ان الله عز وجل اخبر آدم وحواء وابليس والحية انا ذا
اهبطهم الى الارض وان بعضهم لبعض عدو وان لهم موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقضاء الدنيا
قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ومتاع الى حين يعني الى يوم القيامة والى انقضاء الدنيا قال فيها تحيون يعني في الدنيا وفيها تموتون
وابليس والحية ميتون يعني في الارض تعيشون أيام حياتكم وفيها تموتون يعني في الارض تكونون وأنتم موضع قبوركم
ومنها تخرجون يعني من الارض تخرجون يوم القيامة وقيل يعيشكم للمساءلة يوم القيامة قوله عز وجل يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا
يواري سوآتكم اعلم ان الله عز وجل لما أمر آدم وحواء بالهبوط الى الارض وجعلها مستقر لهما ونزل عليهم كلما يجوز الحياة

من عمل

من مصالح الدين والدنيا وكان مما انزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا واما منفعته في الدين فانه تستتر العورة به وتستر هاتركه في صحة الصلاة واما منفعته في الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فلما منن الله على عباده بانزال هذين اللباسين اتبعهما بانزال ما يتجمل به فقال قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني لباسا تستترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله قد انزلنا عليكم لباسا فالمذكور انزال الملهاء فيه وجوها احدها انه بمعنى خلق اي خلقنا لكم لباسا او بمعنى قدرنا لكم لباسا الوجه الثاني ان الله تعالى انزل لكم من السماء وهو يستلزم نبات اللباس بكل انزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنتسب الى السماء والى الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد وريشا الريش للطاير معروف وهو لباس فيه وزينة كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان التزين عرض رفيع كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور في الاية فقال ابن عباس رضي الله عنهما نعما وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي لان المال مما يتزين به وقيل الريش الجمال اذا عرفت هذا فنقول ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة ايضا وقيل ان الريش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس ويفرش والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر القسام فقال انه لحسن الريش يعني لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل ايضا في الخصب وريا هيئة العيش ولباس التقوى اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمله على نعت الملبوس واختلفوا ايضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك فيما اعاده ليخبر عنه بانه خير لان القوم في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري ويخلع الثياب ويطوفون بالبيت فاخبران ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي لباس التقوى الكلات الحرب التي يتقوى بها في الحرب كالدرع والمغفر ونحو ذلك ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يكفي به يوم القيامة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن رضي الله عنه هو الحياء لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لباس التقوى هو السمة الحسن وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق له من لباس الجمال وزينة الدنيا وهو قوله تعالى ذلك خير يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة والتنوع في المعنى اذا اتقى الله تعالى ربنا من التقى عرياتا وان توارى الفسيق فسيقا وقوله تعالى ذلك من ايات الله يعني انزال اللباس عليكم يا بني ادم من ايات الله تعالى الدالة على سعة فضله وتوحيده لعلهم يذكرون يعني لعلهم يذكرون نعمة عليهم فيشكرونها قوله تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا تدعنكم بغروره ولا يغرنكم بتزيينه كما كشف عورة ابويكم في الكوا وانما ذكر فتنة اي فتنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاده فقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة يعني ادم وحوا عليهما السلام من الجنة والمعنى ان فتن على اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فانه يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله عز وجل بني ادم واحترز بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبايح وتحسينه المعاصي الردية في قلوب بني ادم وبعده بفتنته التي نهى الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها وقوله ينزع عنهما لباسهما انما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان لسبب التحيل وسوسة الشيطان وغروره واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان لباسهما الكمي فلما اصاب الخطيئة نزع عنهما وبقيت لهما اظفارهما تذكيرا وزينة ومتاعا وقال وهب بن منبه كان لباس ادم وحوا نورا وقال ابي هذا كان لباسهما التقوى وفي رواية عنه التقوى وقيل كان ثيابا من ثياب الجنة وهذا اقرب لان اكل اللباس يحلف عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللباس ليريهما سوآتهما يعني ليريهما عوراتهما قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله يعني ان ابليس يراكم يا بني ادم هو وقبيله انما اعاد الكناية في قوله هو لحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقيل الكتيب كل جيل من الجن والانس فسيار وهي تيار الم هو وقبيله اي من هو من نسله وحكى ابو عبيد عن ابي زيد القبيل كل شيء ما خلا الانس من ذوي الروح واحد وقال الاصمعي قبيلة يعني جنة وجيلة الذي هو منهم وهو واحد يجمع قبايل وتم الجزء وقال في اول بعد الجزء الشياطين وقال ابن زيد قبيلة نسله وقال ابن

عنهما رضي الله تعالى عنهما هو ولده وقوله من حيث لا ترونهم يعني أنتم يا بني آدم قال العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى خلق في عيون الجن ادراكا يرون به ذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن لغرفة اجسامهم والوجه في رؤية الجن للانس كثافة اجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى فرق شعاع ابصار الجن فرزاد فيها فيروا بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا هذه الغرة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان الشياطين يجرون من بني آدم مجرى الدم وجعل صدورهم بني آدم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس قيل يرونهم في وقت ويتوارون منهم في وقت آخر قال البيضاوي جعل الله تعالى الجن بحيث يرى ولا يرى وخرج من تحت الثرى ويعود شيخا شابا وقال مالك بن دينار رحمه الله ان عدو الله يراك ولا تراه لشديد الخلقة اما من آمنا جعلنا انبياء اولياء يعني اعوانا وقرناء للذين يوعدون قال الزواجر يعني تسلكنا نهم عليهم يزيدون في اعيننا قوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس رضي الله عنه وما بعده في ملوك بني آدم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وقال ابن عباس في الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح يدخل فيه جميع المعاصي والكبائر فيحمل عليه على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد في حق من عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها كرامات وهي في نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها واحتجوا على هذه الافعال بما اخبر الله تعالى عنهم وهو قوله تعالى قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها يذكروا لانفسهم عذرين احدهما ضعيف والثاني قوي اما الضعيف فقولهم وجدنا عليها آباءنا وهذا التقليد بالباطل لانه لا اصل له والعذر الثاني قولهم والله امرنا بها وهذا العذر باطل ايضا فاجاب الله تعالى عنه بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء والمعنى ان هذه الافعال التي كانت اهل الجاهلية يفعلونها هي في نفسها قبيحة منكرة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى على الله ما لا تعلمون يعني انكم ما سمعتم من الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبياء الذين بعثهم الله تعالى وبين عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون قوله تعالى قل امر ربي بالقسط اي قل يا محمد لهؤلاء الذين يقولون على الله ما لا يعلمون امر ربي بالقسط يعني بالعدل وبه قال مجاهد والسدي وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلا اله الا الله الامر بالقسط في هذه الآية مشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وانه واحد لا شريك له وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد اذا قلت قد امر ربي بالقسط خبر وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط وقال اقيموا وجوهكم عند كل مسجد بذلك قال الله تعالى الكل عليه ومعنى الآية فرض بالمساجد والسجود وقيل وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم عند المسجد يصلوا فيه ولا يقولن احد اصلي في مسجدي او مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه مخلصين له الدين واعبدوه مخلصين له العبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره كما بدأكم تعودون قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله عز وجل بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا وحجة هذا القول قوله ليستوفوا الآية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وبه قال المفسرون له مريدا على صحة ذلك ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه اخرجه مسلم وزاد البغوي في رواية المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه في الشقاوة صار الى ما ابتدأ عليه خلقه ومن ابتدأ خلقه في السعادة صار الى السعادة ثم صار الى الشقاء ومن ابتدأ خلقه في الشقاوة صار الى السعادة كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل اهل الشقاوة ثم صاروا الى السعادة ويصح هذا القول ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة اخرجه مسلما وقال الحسن وقتادة في معنى الآية كما بدأكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا واحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون احياء يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم وقوله

تعالى فريقا هدى يعني هداكم الله الى الايمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته وفريقا حق عليهم الضلالة يعني واضل فريقا
حتى وجبت عليهم الضلالة السابقة التي سبقت لهم في الازل فانهم اشقياء وفيه دليل على ان الهدى والضلالة من الله عز وجل ولما روي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك
النور اهتدى ومن اخطاه ضل اخرجه الترمذي قوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله يعني ان الفريق الذي حق عليهم
الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله لا ان الشياطين يقدرون على اضلال احد وقوله ويحسبون انهم مهتدون يعني
انهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون انهم على هداية وحق وفيه دليل ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد
والمعاند في الكفر سواء قوله تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت المراة تطوف
بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني طرفا تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو بعضه او كله فما بدا منه فلا احله فنزلت
فنزلت هذه الاية خذوا زينتكم عند كل مسجد وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال كانوا يطوفون بالبيت عراة
الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر بقية الحديث زاد في رواية اخرى عنه فامرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال
مجاهد كان حي من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني
ميزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله تعالى فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت
تطوف بالبيت عراة الا الحميس وهم قريش واحلافهم فمن جاء من غير الحميس وضع ثيابه وطاف في ثوب احمس فانه لا يحل
له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه الهاها اذا قضى
طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر
العورة قال مجاهد ما يواري عوراتكم ولو عباءة وقال الكلبي الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف وصلاة وقوله تعالى
خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب وفيه دليل على ان ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال قوله تعالى وكلوا واشربوا
قال الكلبي كانت بنو عامر لا ياكلون في ايام حجهم الا قوتا ولا ياكلون دسما ويعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق
ان نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني اللحوم ولا تسرفوا يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم
والدسم قال ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما اخطاك خصلتان سرف بخيلة وقال
علي بن الحسن بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف اية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا في الاية دليل على ان جميع المطعومات
والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه
بدليل متصل انه لا يحب المسرفين يعني ان الله تعالى لا يحب من اسرف في الماكول والمشروب والملبوس وفي هذه الاشياء
لان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحب على انه تعالى ليس هو راض عنه فدلت الاية على الوعيد الشديد
في الاسراف قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده يعني قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت
عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تاكلوا وتشربوا وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان
احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي
انه يتناول جميع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال
دون النساء والطيبات من الرزق يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي اخرجها الله تعالى لعباده وخلقها لهم ثم
ذكروا في معنى الطيبات في هذه الاية اقوال احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على انفسهم
ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني
وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة ان المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن
عباس رضي الله عنه ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل ارايتم ما انزل الله
لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول
الثالث ان الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه قل هي للذين
امنوا يعني قل يا محمد ان الطيبات التي اخرج الله من رزقه للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة لانهم يشركهم فيها المشركون

BULAC

لنهم يوم القيامة يعني لا يشركهم فيها احد لانه لا حق للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التنغيص والتكدير والغم لانهم في الدنيا قد يشاركهم الكفار في تناول الطيبات من الرزق وقد يتغيص بها عليهم اما خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون يعني كذلك نبين الحلال مما حللت والحرام مما حرمت من قوم يعلمون انني انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي قوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش جمع فاحشة وهي ما فحش قبحه من قول او فعل والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل الطيبات سفاهة احل الله لهم ان الله تعالى حرم ما تأتون عليه بل احله الله لعباده وكتبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره وفي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش وما احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه ما ظهر منها وما بطن مدح نفسه امثل الغيرة تزدان القلب وكمال الحنيفة بسبب المشاركة فيها يختص به الانسان ومنه غيرة احد الزوجين على الاخر لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره وامّا الغيرة فهو ضعف يعتري صاحبه من ذلك ولحق به فلا يوصف الله تعالى بذلك فقوله ومن غيرته حرم الفواحش وقوله عز وجل والاثم يعني وحرم الاثم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش الكبائر لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغائر من الذنوب على هذا يكون معنى الآية قل انما حرم ربي الفواحش الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد وهذا القول هو قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان الاثم في اصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لكل الذنوب سواء كان كبيرا او صغيرا والعبارة فيه ان يقال انما حرم الله الكبيرة بقوله قل انما حرم ربي الفواحش اردف به بتحريم كل الذنب ليدل بتحريم ما هو اعظم على تحريم ما دونه من الاثم

الجمع وان كان المراد به واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء ومرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل
التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني آدم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني آدم
عام في كل بني آدم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان اقطع لعذرهم واثبت للحجة
عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا اتاهم بما لا يليق بقدرة امثاله علم ان ذلك الذي اتى به معجزة له وحجة على من خالفه
يقصون عليكم آياتي يعني يقرؤون عليكم كتابي وادلة احكامي وشرائعي التي شرعت لعبادي فمن اتقى يعني فمن اتقى الشرك ومخالفة رسلي
واصلح يعني العمل الذي امرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معاصي وما نهيته عنه فلا خوف عليهم يعني حين يخاف غيرهم يوم القيامة
من العذاب ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها والذين كذبوا بآياتنا يعني ومن جحد آياتنا وكذب رسلنا
واستكبروا عنها يعني واستكبر عن الايمان بها وما جاءت به رسلنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها
ابدا قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فمن اظلم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله او يجعل له شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك
والولد او كذب بآياته يعني او كذب بالقرآن الذي انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب المعني لهم
في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضي عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية
عنه كتب فمن افترى على الله الكذب ان وجهه يسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتكم نارا تلظى وفي قوله اذ الاغلال في اعناقهم
فهذه الاشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب
ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية اخرى عنه من عمل خيرا جزي به وقال قتادة جزاء اعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك
ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير او شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنه ايضا وقال الربيع بن انس
ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال
والارزاق والاعمار فاذا هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري هذا القول الاخير وقال الله اتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم ما قدر لهم في الدنيا فاذا فني توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين رحمه الله تعالى وانما حصل الاختلاف
لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى بين انهم اذا بلغوا في الكفر ذلك
المبلغ العظيم فانه ليس بمانع ان ينالهم ما كتب لهم من الرزق والعمر تفضيلا من الله سبحانه لكي يصلحوا ويكونوا قوله تعالى حتى
اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت واعوانه لقبض
ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى قالوا يعني قال الرسل وهم الملائكة للكفار اين ما
كنتم تدعون من دون الله وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال استعلام والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم من دون
الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما انزل بكم وقيل ان هذا يكون في الآخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا يعني ملائكة العذاب يتوفونهم
يعني يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا اين ما كنتم تدعون يعني شركاء اولياء تعبدونهم من دون الله ليدفعوا عنكم ما
جاءكم من امر الله قالوا يعني الكفار مجيبين للرسل ضلوا عنا يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين يقول الله تعالى وشهدوا اي هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا
جاحدين وحدانية الله واعترفوا على انفسهم بذلك قوله عز وجل قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس
يقول الله عز وجل يوم القيامة من افترى على الله الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في امم يعني في جملة امم قد خلت يعني
قد مضت وسلفت وانما قال قد خلت ولم يقل قد ضلوا لانه اطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعة قد خلت
من قبلكم من الجن والانس في النار اي ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقركم ومأواكم وانما عنى بالامم الجماعات والاحزاب واهل
الملل الكافرة من الجن والانس كلما دخلت امة يعني دخلت جماعات النار لعنت اختها يعني كلما دخلت امة لعنت
النار لعنت اختها من اهل ملتها في الدين لا في النسب قال السدي كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين
فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الاخرى حتى اذا اداركوا
يعني تداركوا وتلاحقوا فيها جميعا يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وادرك بعضهم بعضا واستقروا في النار قالت اخراهم

BULAC

قال ابن عباس رضي الله عنه يعني قال آخر كلامه لأولاهم وقال الضحاك قالت أخراهم أي كانوا يقولون هذا الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال آخرهم دخولا النار وهم الأتباع لأولاهم دخولا وهم القادة لأن القادة يدخلون النار قبل أتباعهم ربنا هؤلاء أضلونا يعني أن تقول الأتباع ربنا هؤلاء القادة والرؤساء أضلونا عن الهدى وزينوا لنا معاصيك فآتهم عذابا ضعفا من النار قال المستأخرون لأنهم كانوا يعتقدون تعظيمهم لعتقدهم من منابهم بسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا كفرهم بمثل ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار أي أضعف عليهم العذاب قال أبو عبيدة هو ما يستحمله الناس في واحدة قال الأزهري والذي قاله أبو عبيدة هو ما يستحمله الناس في مجاز كلامهم وإنما الكتاب الله بهذا في مبين ويرد تعليمه الى موضوع كلام العرب والضعف في كلامهم ما زاد وليس يقصر على مثلين وجاء في كلام العرب هذا ضعفه أي مثله وثلاثة أمثاله كان الضعف في الأصل زيادة غير محصورة وأول من أبان هذا بأن جعل عدده أمثاله قبل الضعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الآية فآتهم عذابا ضعفا أي مضاعفا لأن الضعف في كلام العرب على أحد هذين العدل والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيء أي زيادته قال أبو إسحاق قال الله تعالى لكل ضعف ولكن لا تعلمون أحد ضعف ولآخر ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لأنهم قد ضلوا في الكبر جميعا ولكن لا تعلمون يعني ما أعد الله لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما أعد الله تعالى من العذاب للفريق الآخر الأتباع بما كان لهم عليهم من فضل يعني في ضللتم كما ضللنا وكونتم كما كونا وقيل في معنى الآية وقال الله كل أمة سلفت في الدنيا لأخراتها الذين جاءوا من بعدهم فيسلكوا سبيلهم فضلهم بما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة بسبب كفرنا ومعصيتنا إياه وجاءكم بزيادة الرشاد والنذر فما رجعتم عن ضلالكم وكفركم فذوقوا العذاب وهذا يحتمل أن يكون من قول الله تعالى للأتباع والأمة الأولى للأخرى التي بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى يعني تقول الله للجميع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يعني بسببه ما كنتم تكسبون من الكفر والأعمال الخبيثة قوله عز وجل إن الذين كذبوا بآياتنا يعني كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بقولنا ولم يتبعوا رسلنا وآياته واستكبروا عنها أي تكبروا عن الإيمان بها والتصديق لها وأبوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها لكبر لا يصعد لهم إلى الله عز وجل عمل ولا توفق حياتهم فوا بأن يعملوا لأن أرواحهم وأفعالهم وأعمالهم كلها خبيثة وإنما يصعد إلى السماء الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضي الله عنه لا تفتح السماء لأرواح الكفار ولا تفتح للأرواح المؤمنين وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح أبواب السماء لأعمالهم ولا لأرواحهم روى الطبري بسنده عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر في خروج الفاجر وما يصعد به إلى السماء فلا يمر بملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء الآية وقيل في معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخير لأن ذلك لا ينزل من السماء فإذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا ينزل من البركة والخير والرحمة شيء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الإبل وسم الخياط ثقب الإبرة قال الفراء والخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الإبرة في هذه الآية وإنما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لأنه أكبر من سائر الحيوانات حتى عند العرب قال الشاعر يشتم الجمال واحتمال العمالير وهذا وصف من هجاء بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل أعظم الأجسام وثقب الإبرة من أضيق الثقوب فكيف يلج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الإبرة الضيق هذا لا يثبت أن الوقوع على المحال فيجب بهذا الاعتبار أن دخول الكفار الجنة ما يوصف منه فكيف وقال بعض أهل المعاني لما علق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط كان ذلك تأبيدا لدخولهم الجنة على التأبيد وذلك لأن العرب إذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا أراك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر

إذا الغراب الأبقع اتيت أهلي ... وصار القار كاللبن الحليب

وقوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين أي ومثل ذلك الجزاء نجزي المجرمين يعني الكافرين لأنه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا بآياته واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار يوجب لهذا المجرمين على أنهم الأكبار ولما بين الله عز وجل أن الكفار لا يدخلون الجنة أبدا بين أنهم من أهل النار ووصف ما أعد الله لهم من العذاب فقال لهم من جهنم مهاد يعني لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد المتمهد الذي يفعد عليه ويضجع عليه كالفراش والبساط ومن فوقهم غواش جمع

غاشية

عائشة وهو الغطاء كالحجاب ونحوه ومعنى الاية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب الغرفي والغمام
والشدة المهاد الفراش والغواشي اللحاف وكذلك نجزي الظالمين يعني وكفرهم نظائره وتشيب الملكيين الذين وضعوا العبادة في
غير محلها قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات كانت نفسا الا وسعها لما ذكر الوعيد والوعد الكافرين وما اعد
لهم في الاخرة اتبعه بذكر وعد المومنين وما اعد لهم في الاخرة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله
ورسوله وادوا فرايضه اخبر انه من وحد الله اليه وتنزيله عليه من شرايع دينه وعمل بما امرهم به وانما عرف ذلك وتجنبوا ما نهاهم
عنه لا تكلف نفسا الا وسعها يعني لا تكلف نفسا الا ما يتسع من الاعمال وما استطاعت عليها وذلك ان فرايض الله وقدرتك وما لا
حرج فيه عليك والضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال غيره معناه الا ما افترض عليك يعني الذي افترض عليك فرضه وسعها
الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود وقال اكثر اصحاب المعاني ان قوله تعالى لا تكلف نفسا الا وسعها
اعتراض وقع بين المبتدا والخبر والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام
بين المبتدا والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى اذا ذكر عمل الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعه ولم يكن غير خارج عن قدر تسعه
وفيه تنبيه للخلق على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يوصل اليها بالعمل اليسير من غير تحمل كلفة ولا مشقة شديدة وقال الزجاج
من اصحاب المعاني موضعه من تمام الخبر والقايد فحذف كما انه قال لا تكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف القايد للعلم به وقوله
تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني قلعنا واخرجنا ما في صدور المومنين من بغض وحقد وعداوة وكانت بينهم في الدنيا
ومعنى الاية ازلنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا
على شيء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الكباء واسقاط الوساوس من ان تزعج القلب روي عن علي
قال اني انا والله اهل هذه الاية ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين روي عنه انه قال اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم وقيل ان الحسد والغل يزولان اذا دخلوا الجنة ح عن ابي سعيد الخدري رفعه الى النبي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلس المومنون من النار بحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت
بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم بدخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا
وقال السدي في هذه الاية انا اهل الجنة اذا استوفوا الى الجنة فيلقوا وجدوا عندها نهرين في اصل ساق فيهما عينان فيشربون من احدهما
فينزع ما في صدورهم من غل فيغتسلون من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشعثوا بعدها ابدا وقيل
ان درجات الجنة متفاوتة في العلو والنزل فيعلم اهل الجنة اعلا من بعض فاخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم واذا لم يعلم ونزع
من قلوبهم بل يجتمع صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية وارد على هذا القول كيف يعتمد بان الانسان يرى الدرجات العالية والنعيم
العظيم وهو محبوس عنها ولا يصل اليها وكيف لا يميل بكليته اليها ولا يفتر بسببه عن طلبها وان كان في نعيم ولذة واجيب
عن هذا بان الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى يكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه الا في كمال
وزيادة من النعيم الذي هو فيه ليس فوقها نعيم ولا يحسد احدا ابدا وبهذا تم نعيمه ولذته وكمل سروره وقوله تعالى تجري من تحتهم
الانهار لما اخبر الله تعالى بما انعم على اهل الجنة من ازالة الغل والحقد والحسد من صدورهم اخبر بما انعم عليهم من اللذات والخيرات
والمسرات وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا يعني ان المومنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وارشدنا للعمل
الذي هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة منه واحسانا فله الحمد على ذلك وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله يعني وما كنا لنرشد لذلك العمل الذي هذا ثوابه لولا ان ارشدنا الله ووفقنا بفضله ورحمته وقوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق
من الهدى الله ومن لم يهده الله فليس له هاد لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انا اهل النعيم اذا دخلوها ورأوا ما اعد الله فيها من
النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انهم رأوا ما وعدتهم الرسل عيانا ونودوا ان تلكم الجنة يعني ونادى منادي اهل الجنة ان
هذه تلكم الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادي فقيل هو الله عز وجل وقيل هو ابتداء الكون ح عن ابي سعيد
الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى منادٍ ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان
لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة الاية قوله عز وجل اورثتموها بما كنتم تعملون روي ابو هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا له منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فيرث اهل الجنة منزله من النار والمومن يرث منزله من النار والمومن يورث

لعله اهل الجنة
بالواو

الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فيلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون قال يضعهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله امواتا غير احياء وسمى
المومن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحياء يورثون الاموات فقال اورثتموها يعني ان المومن هو الوارث الكافر منزله من الجنة
لم يدخلها الميت وقيل معناه ان امرهم يؤول الى الجنة لان الصبيان يئول الى الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحات التي عملوها لان
الجنة جعلت ثوابا وجزاء لهم على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله ونحن
ندخلها برحمة الله تعالى وتوفيقه واذا كان العمل الصالح الذي عملوها بسبب الرحمة كان دخول الجنة برحمة الله تعالى وجعلها له ثوابا
وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والدليل على قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار الى قوله ينادي
اهل الجنة اهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار يقول اهل النار ان فيما
جدنا ما وعدنا ربنا حقا اي ما وعدنا ربنا في الدنيا على السن رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقا فهل وجدتم ما
وعدربكم حقا اي من العذاب على الكفر قالوا نعم قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء
من اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض للبعض قلت كما في قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يعبد القصور والجمع اذا قابل
الجمع يوزع البرد على العدد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء
والنار في الارض كيف يمكن ان يبلغ هذا النداء او كيف يسمع ان يبلغ قلت ان الله تعالى قادر على ان يقوي الاصوات والاسماع
فيسمع البعيد كالقريب وقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ناداي منادا اسمع الفريقين وهذا الصادع من الملائكة وقيل انه
اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدي ان لعنة الله على الظالمين يقول العون ان لعنة الله على الظالمين ثم بشر الظالمين منهم
فقال تعالى الذين يصدون اي يصدون عن سبيل الله يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام ويبغونها عوجا يعني
ويريدون ان يغيروا دين الله وكل بغية الى شر لغير الله وبيد لرفتها وقيل معناه انهم يصفون لغير الله تعالى ويظهرون ما لا يعلمه
الله وذلك انهم كانوا يسيبوا سيبة الى الملائكة ليغيروا الله وتعظيم ما لم يعظمه الله فاخطوا الكفر وفلوا على السبيل وهم بالاخرة كافرون
يعني وهم بكون بالاخرة وافقة جاحدون منكرون لها قوله تعالى وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعني وبين الجنة والنار وفيما بين اهل الجنة
واهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب
بين الجنة والنار وقال السدي انما سمي الاعراف لان اصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الاعراف الصراط وعنه قال
الاعراف عرف كعرف الديك وعنه ان الاعراف باب بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة
الرجال الذين اخبر الله عنهم انهم على الاعراف ما الذنب الذي من اجله صاروا هناك فروى عن حذيفة انه سئل عن اصحاب الاعراف فقال
هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وخلفت بهم سيئاتهم عن النار فوقفوا هناك على الصور حتى يقضي
الله تعالى فيهم فقال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانهم درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم امنون من اهل الجنة وهم من اهل النار وهم الى الله تعالى
يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس في الاخرة دار الا الجنة او النار وقال ابن مسعود رضي الله عنه يجاء بالعبد يوم القيامة فمن
كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر بواحدة دخل النار وان الصبيان يلعب بهم ويشغل بعضهم بعضا حتى اذا اراد الله تعالى ان يعاقب
الخلق بعث الريح فيقول الله تعالى ما حبسكم فيقولون ربنا فضيت الرجل بالمر فيقول ما حبسكم بذلك فيقولون حتى اذا اراد الله تعالى ان يعاقب

امتعانهم او امعانهم دون ابائهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن ابي صالح مولى التوءمة عن ابن عباس رضي الله عنه انهم اولاد الزنى كبني الذين
ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه فبعده الاقوال الثلاثة ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة
في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال في هذا اصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء يعلمون هذا القول
انما كان ليقع على الاعراف على سبيل النزهة او ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم انبياء حكاه ابن الانباري وانما اجلسهم الله
على ذلك المكان العالي ليميز بهم على سائر اهل القيامة من اظهار الفضل وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار
ومطلعين على احوال من دخلها من ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم
يعني بسيما اهل الجنة واهل النار وقيل لابن مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملائكة فقال ان الملائكة ذكور
ليسوا باناث وضعف الكسائي قول ابن مجلز فقال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بني آدم دون اناثهم ودون
سائر الملل وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهما علا منهم منزلة واعظم وقيل انما اجلسهم الله في ذلك
المكان العالي ليميز بهم بين اهل الجنة واهل النار والله اعلم بمراده واسرار كتابه فقوله عز وجل يعرفون كلا بسيماهم يعني ان اصحاب
الاعراف يعرفون اهل الجنة بسيماهم وذلك ببياض وجوههم ونضرة نعيمهم والسيما العلامة الدالة على الشيء واصله من
قول ابن عباس رضي الله عنهما اصحاب الاعراف اذا راوا اصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلت ان اصحاب الاعراف من المتوسطين
حسناتهم وسيئاتهم وهم دون اهل الجنة في الدرجة فلم رفعهم للاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار واذا راوا اهل
الجنة عرفوهم ببياض وجوههم نادوهم بسلام عليكم وهو قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني نادى اصحاب
الاعراف اصحاب الجنة ان تسلام عليكم يعني سلمتم من الافات وحصل لكم الامن والسلامة واذا راوا اهل النار عرفوهم بسواد
وجوههم فالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من اهل الجنة واهل النار
ثم ينقلهم عز وجل الى الدرجات العلية في الجنة وقوله تعالى يدخلونها وهم يطمعون يعني في دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله
ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريد بها بهم وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار يعني واذا صرفت ابصار اهل
الاعراف تلقاء اصحاب النار يعني وجاهم وما هم فيه من العذاب فالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين يعني الذين يظلمون انفسهم بالشرك
وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا نظر اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار عرفوهم فالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين المعنى ان اصحاب
الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسالوا ان لا يجعل منهم في قوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا عرفوا كلا منهم في الدنيا وهم من اهل النار بسيماهم يعني بسيما اهل النار فالوا
يعني اصحاب الاعراف لصنوف الكفار وهم في النار ما اغنى عنكم جمعكم يعني ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد في الدنيا وما كنتم
تستكبرون يعني ما اغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيئا قال الكلبي ينادونهم وهم على السور بارز بين الجنة والنار بالجملة بن هشام
بالوليد بن المغيرة بالاجمل بن هشام
بالوليد بن عتبة ثم ينظرون الى الجنة يرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستضعفونهم مثل سلمان وصهيب وخباب
وبلال واشباههم فيقول اصحاب الاعراف لهؤلاء الجبارة الغواة اهؤلاء الضعفاء الذين اقسمتم
بالله لا ينالهم الله برحمة يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة برحمة الله تعالى لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا من الماء او مما رزقكم الله قال ابن عباس رضي الله عنه لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج
فقالوا يا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فياذن لهم فينظرون الى قصورهم فيقولون يا فلان في الجنة وما
هم فيه من النعيم فيعرفهم ويدعوهم ويذكرهم ما كانوا فيه في الدنيا فيقول اصحاب النار لهم يعني لاصحاب الجنة ان الله حرم هذا النعيم على الكافرين ولهذا الجواب يعيد

في تحيير نفيه مما ذكره وقد انكره بعض العلماء لما فيه من المخالفة للاية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة ايام بدل على ان جميع الخلق تم وكمل في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا التشبيب انكره من انكره من العلماء وقد ذكر الازهري في كتابه تهذيب اللغة ما يقوي الحديث فقال وقال ابن الانباري التشبيب الفكع وسمي يوم السبت لان الله تعالى ابتدا الخلق يوم السبت وفكع فيه بعض خلق السموات والارض وقيل ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري وقال الكلبي خلق السموات والارض في ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتعوذت اليهود في السبت من الستة الايام كما للستة بما تقدم ذكرت وهذا كالعدة ستة معاقدون وبعضهم هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمي سابع الاسبوع سبت لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال اصحاب السير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التي هي الارض يوم الاحد والاثنين ودحاها يوم الاثنين وبسطها في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السماء فسوى بهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها ودحاها واخرج ماءها ومرعاها وخلق فيها وابقى ورسخها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم في يوم الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقهن وجميع ما فيهن يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق آدم يوم الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجه حواء ثم اهبطهما الى الارض في اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اول ما خلق الله القلم ثم القى فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من زبرجدة بيضاء ثم خلق السموات وما فيهن من نجوم وما فيهن من شمس وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق اي اخر الخلقة في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيها بعد الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا فان قلت ان الشعر وجل فاء رعلى ان يخلق جميع المخلوقات من لحظة واحدة ومنه قوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ما الحكمة في خلق السموات والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا انه جعل لكل شيء حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في ذلك الوقت الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأني في الامور قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لحظة فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبت والتأني في الامور كما في الحديث التأني من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان التي اذا حدث دفعة واحدة فلعله ان يخفى بعارض يقتضي ان ذلك التي انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا حدث شيئا بعد شيء على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك ابلغ في القدرة واقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى اراد ان يوقع في كل يوم امرا من امره حتى تستعلم الملائكة ويخبرهم من شاهده وقيل ان التعجيل في الخلق ابلغ في القدرة والتثبت ابلغ في الحكمة فلما اراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتثبت كما هو في قدرته في خلق الاشياء بغير تثبت وقوله تعالى ثم استوى على العرش العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا واظل وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على سبيل الاستعارة المجاز فيقال ولان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلم الا بالاسم على الخصوص وليس هو كما تذهب اليه اوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى عن ذلك وليس كما قال فوق ان الله تعالى هو الذي سمى ملك الكواكب واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها فقال اما الاستوى بالمعنى المتعارف منه فالمعلوم انا لا نعني به شيئا ولا نتكلم فيه كما نص عليه مالك وغيره من ائمة السلف وقد روي بالسند عن عبد العزيز وهب قال كنا عند مالك بن انس فجاء رجل فقال يا ابا عبد الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال فما رأيت مالكا وجد من شيء كوجده من ذلك السؤال فاطرق رأسه وعلاه الرحضاء ثم قال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل سوء صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل وقد رواه يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن انس فجاء رجل فقال يا ابا عبد الرحمن الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه كما قال في مالك بن انس حتى علاه الرحضاء ثم قال الاستوى غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة

وما اراد الا مبتدعا فامر به ان يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابي عبيدة قال كلما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته
والسكوت عنه قال البيهقي والاوزاعي عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن
حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتاخرين ابو سليمان الخطابي قال البغوي اهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله
تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي ساله عن الاستواء وقد
تقدم وروي عن سفيان والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه
الايات التي جاءت في الصفات المشابهة امورها كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ذكره الدلايل العقلية والسمعية
انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين
مذهبان الاول يقطع بكونه تعالى متعال عن المكان والجهة ولا نخوض في تاويل الاية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهو
الذي قررنا في تفسير قوله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به
ونعتمد عليه والمذهب الثاني نخوض في تاويله على التفصيل وفيه قولان الملخصان الاول ما ذكره القفال العرش في كلامهم هو السرير
الذي يجلس عليه الملك ثم جعل العرش كناية عن نقص الملك يقال ثل عرشه اي انتقص ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره
وحكمه وما قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي القوه من ملوكهم
واستقر في قلوبهم عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية
قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر وقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى
على العرش واورد على هذا القول بان الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه عن ذلك واجيب
عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك
صح ان يقال انه تعالى انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني ان يقول استوى بمعنى استولى وهذا مذهب
المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق وعلى
هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى
بمعنى استولى وانما يقال استوى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه وانه تعالى لم يزل مالكا للاشياء ومستوليا
عليها فاي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل في العرش فعلا
سماه رزقا ونعمة وغيرهما من افعاله ثم لم يكيف الاستواء الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم
للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وافعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاذ ابو بكر بن بورك عن بعض
اصحابنا انه قال ان استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن يريد
معنى نفي الحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق ويحوط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي
وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء قال وقد اشار ابو الحسن الاشعري
الى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق
الاشياء فاين منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يسميها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول
والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا ان الاستواء صفة الله تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروي ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا ابا
عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى اي استولى فقال
له ابن الاعرابي ما يدريك العرب لا تقول استولى على الشيء فلان حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى
لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر والله اعلم وقول الله تعالى يغشي الليل النهار يعني انه تعالى ياتي بالليل على النهار فيغطيه
ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشي النهار الليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه يطلبه حثيثا يعني
سريعا وذلك انه اذا كان يعقب احدهما الاخر ويخلفه فكانه يطلبه حكى الامام فخر الدين عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده
باستوائه على العرش اخبر عن استقرار امور المخلوقات على وفق مشيئته واراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان
الى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب

الليل والنهار

الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة انشد الحركات سرعة بان الانسان اذا كان في اشد عدوه يعدو ربع فرسخ
ووقتها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل وهي الف وتسع مائة فلا تعلق بكلمة حيث السرعة حركته والتشمير والقيام والنهوض
مستعار لتاثير معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جاريات في تاثيرهن بامره وقال المفسرون يعني تسخير
تسخير قدرة لما يراد منها من ملوع وغروب ورجوع اذ ليس هن فاعلات بانفسهن وانما هن تبع فيما ينتظم فيه منتظمات على ارادة
المدبر لهن المحكم في تدبيرهن وتصريفهن على ما اراد منهن والمراد بالامر في قوله بامره ارادته لان الغرض من هذه الاية تبيين عظمة
قدرته ومنهم من حمل الامر على الامر الذي هو الكلام وقال انه تعالى امر هذه الاجرام بالتسخير الدايم والحركة المستمرة الى ان تقوم الدنيا
وخراب هذا العالم فان قلت ان التشمير والقهر من النجوم بل ابدئها بالذكر ثم عطف عليه ذكر النجوم قلت
انما ابدئها بالذكر ليبان شرفها على سايرالكواكب لما فيها من الاشراف والنور وتعليق لها في المنازل وترتيب الاوقات
فهو كقوله من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكايل فان عطف جبريل وميكايل على ذكر الملايكة وان كانا من الملايكة
ليبان شرفهما على غيرهما وقوله تعالى الا له الخلق والامر يعني له الخلق كله وله ان يامر فيهم بما اراد وله ان يحكم
فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي تفيض النبي والمخرج سليمان بن عيينة من هذا الامر ان كل امر عزوجل ليس بمخلوق
فقال ابقاه ان الله فرق بين الخلق والامر فجمع بينهما فقد كفر يعني ان من جعل الامر الذي هو كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق
لا يقوم بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع ما في العالم له عزوجل والخلق له لانه خالقهم وجميع الامور تجري بقضايه وقدره يفعل فيهم
ومنهم ما يفعل بواسطة فما يحدث شيء وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الاية تعظيم القدرة وفي الاية دليل على انه لا خالق
الا الله عزوجل وفيه رد على من يقول ان التشمير والقهر والكواكب وله الامر المخلوق وليس لاحد امر غيره بل الامر والنهي
الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معترض لاحد من خلقه عليه تبارك الله يعني تمجد وتعاظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل
من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تقدس وتعالى رب العالمين يعني انه هو الذي يستحق التعظيم وذلك ان الله
تعالى افتتح هذه الاية بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموت والارض وذكر اشياء من عظيم خلقه وان له الخلق والامر والقهر
والقدرة عليهم ختم الاية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضي الله عنه معناه
جاء بكل بركة تبارك باسم كل شيء وقال المفسرون معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال تبارك
ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به الترغيب وقوله تعالى ادعوا ربكم قيل معناه ادعوا ربكم لان الدعاء هلب الشيء من الله تعالى
وهذا صفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل
المراد بحقيقة الدعاء وهو الصحيح لان الدعاء هو العزل والطلب وهو نوع من انواع العبادة لان الداعي لا يقوم على الدعاء
الا اذا عزم من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو
قادر على ايصال الخير الداعي لعند ذلك يعزم العبد نفسه بالعجز والنقص ويعترف بالفقر والحاجة والكمال وهو المراد من قوله فقضى عما
يعني ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع فيما الضرع للان لغلان اذا ذل له وخشع وقال الزجاج
تضرعا يعني متلفا وحقيقته ان تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى وخفية يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية
والادب في الدعاء ان يكون خفيا لهذه الاية قال الحسن بن ابي الحسن ذكر الله تعالى السر وذكر العلانية سبعين موضعا وقد كان المسلمون
يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك انهم تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله
تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا في قراءة ابي عبد الرحمن السلمي وعاصم الشعبي قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس
يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا بصيرا
وهو معكم والذي تدعون اقرب الى احدكم من عنق راحلته قال ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال
يا عبد الله الا ادلك على كنز من كنوز الجنة فقلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا
على انفسكم يعني ارفقوا بها واخفوا عن الصياح في الدعاء وقوله تعالى انه لا يحب المعتدين يعني في الدعاء وقال ابو مجلز هم الذين يسئلون منازل
الانبياء عبد العزيز مقبلا انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسئلك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به
من النار واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء اخرجه ابو داود وقال

ابن عرفة الاعتداء ربع الصوت والنداء والصياح في الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء فيدخل فيه مخالفة امر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحته قوله تعالى انه لا يحب المعتدين ويدرج بعض ارباب الكلية على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هذا الافضل الاظهار العبادات اي اذا قد ذهب بعضهم الى ان اخفاء العبادات والكلمات افضل من اظهارها لعدة الاية ولكونها ابعد عن الرياء وذهب بعضهم الى ان الاظهار هو الافضل ليقتدي به الغير فيعمل مثل عمله وترشد الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان فاعلها على نفسه من الرياء فالاولى اخفاء العبادة صونا للعمل عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفاء درجة اليقين الى التمكين حيث صار مبنيا عن نهاية الرياء كان الاولى في حقه الاظهار لتحصل غاية الاقتداء به وقد ذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات افضل من اخفائها بخلاف المكتوبة في المسجد افضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت افضل من صلاتها في المسجد وكذا اظهار الزكاة افضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع افضل من اظهارها وبقي الكلام على هذا سائر العبادات فوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها يعني ولا تفسدوا ايها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان الشرائع والدعاء الى غير طاعة الله تعالى وبعد اقحمني قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال ابن عطية لا تعصوا في الارض بتمسك الله الملك ويهلك الحرث بسبب معاصيكم بعد اهذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها بالملك والخصب وقيل معنى الاية ولا تفسدوا في الارض شيئا بعد ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه النهي عن اتلاف النفس بالقتل او افساد ما يضر بعض الاعضاء وافساد الاموال بالغصب والسرقة واخذه من الغير بوجوه الحيل وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلة وافساد الانساب بالكفران في الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة في الدنيا في هذه الخمسة بضم التمر من ادخال الفساد في ماهيتها وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا اصل الخوف انزعاج في القلب من لمحة ما يضر وقيل هو توقع مكروه يحصل بقرينة بعده والطمع توقع محبوب يحصل به سرور والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن قتيبة معناه خوف القدر وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الرياء في الدعاء وطمعا في الاجابة بان فلت فان في اول الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه خوفا وطمعا وكذا عكف الشيء على نفسه بما البداية في ذلك فلت البداية فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم اي ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان في اية الدعاء احد هذين الامرين بكانت الاولى في بيان تمام صحة الدعاء والاية الثانية في بداية بيان الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين في انفسكم بين الخوف والرجاء في امركم كلكم ولا تكمعوا انكم وبينتم حوالله في العبادة والدعاء وان اجتهدتم فيها ان رحمت الله اهل الرحمة رفة تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها الباري جل وعز فليس مرادها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هي ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الذات وعلى القول الثاني تكون من صفات الافعال قريب من المحسنين قال سعيد بن جبير الرحمة هاهنا الثواب فيرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحم ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التانيث والتذكير عند اهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين هو ان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا واقبال على الاخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين رحمة الله التي هي الثواب في الاخرة الا الموت وهو قريب من الانسان قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح هذا عجب على ما قبله والمعنى ان ربكم الذي خلق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح نشرا قرئ نشرا بالنون واذا جمع النشور وهي الريح الكثيبة الهبوب التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال انشر الله الريح بمعنى احياها وقال النشر المتفرقة الواسعة الهبوب وقيل النشر ظلاب الذي يجتمل انها كانت بالنكاعدما المعلوبة بالنشرت بمعنى رسلت وقرئ بشرا بالباء جمع بشيرة وهي تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك بمشة وبسرة والرياح اربع وهي الشمالية والدبور وهي الغربية والشمال وهي التي تهب من فحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر رضي الله عنه ان الرياح تمان اربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والقشيم واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات بين يدي رحمته يعني امام المطر الذي هو رحمته وانما سماه رحمة لانه سبب لحياة الارض المجدبة قال ابو بكر بن الانباري رحمة الله تعالى اليدان تستعملهما العرب

بالمجاز

في المجاز على معنى التقدمة تقول العنق تكون بين يدي الساعة يريدون قبل أن تقوم الساعة تشبيها وتشبيها إذا كانت بين الشيء تتقدمه كتقدم الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن أبي هريرة رضي الله عنه أخذت الناس ريح بكوفة ومرة رضي الله عنه حاج فاشتدت فقال عمر رضي الله عنه لمن حوله ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا إليه شيئا وبلغني الذي سأل عمر عنه عن أمر الريح فاستقبلته راحلتي حوالي ركبتي وكنت في ناحي الناس فقلت يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تعالى تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي بهذا اللفظ وأخرج أبو داود المستدمغ وقال كعب الأحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لأنتن أكثر أهل الأرض وقوله تعالى حتى إذا أقلت سحابا ثقالا يقال أقل البعير الشيء إذا احتمله واستقل فالإقلال عن القلة وإن من يرفع شيئا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وتعوا الغيم فيه ماء وإن لم يكن فيه ماء تسمى سحابا لانتسحابه في الهواء والمعنى حتى إذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بالماء فيها من الماء قال الله تعالى أنا الله تبارك وتعالى يرسل الرياح مبشرات بالمطر بين أيدي رحمته وهو كرم السحاب عن يمين الخافقين وهو كرم السماء والأرض حيث يلتقيان فتجرجه من ثم فتثيره فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم يفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وفيه أن الله تعالى أخبر بحكمته أن الرياح تهب فتحرك بخار البحار فتنشئ السحاب ثم يضم بعضه إلى بعض فيثيرها ويبعثه ويجعل الماء ثم تعرفه إلى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى فسقناه لبلد ميت يعني إلى بلد فتكون اللام بمعنى إلى وقيل معناه لأجل حياة بلد وإقامة فإن قيل لم ذكر السحاب مذكرا وإن كان جمع سحابة فجوابه ورود الكناية عنه على تأنيث كثير جائز تذكيره إلى الكثرة قال الأزهري قال الليث البلد كل موضع من الأرض عامرا وغير عامر خال أو مسكون والكلمة منه بلدة والجمع بلاد وأما غيره والمعاورة تسمى بلدة أيضا سكن والجمع بلاد وأما غيره للوحش والجن فالأعشى وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حالاتها زجل ومعنى الآية أن سقنا السحاب إلى بلد ميت يحتاج إلى الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت خضرة فأنزلنا به الماء فاختلفوا في الضمير في قوله به إلى ماذا يعود فقال الزجاج وابن الأنباري جائز أن يكون المعنى وأنزلنا بالسحاب الماء فأخرجنا به يعني بذلك الماء لأن أنزال الماء كان سببا لإخراج الثمرات وقيل يجوز أن يكون المعنى وأخرجنا بذلك البلد من كل الثمرات يعني فأخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدوبه من أصناف الثمار والزرع كذلك نخرج الموتى يعني كما أحيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتى أحياء من قبورهم بعد فنائهم وهو رد على من أنكر البعث واختلفوا في وجه التشبيه فقيل أراد الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة إنزال الماء المكي كذلك يحيي الموتى بواسطة إنزال الماء المكي أيضا قال أبو هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن الله تعالى إذا أراد إحياء الموتى في النفخة الأولى أمطر على وجه الأرض ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين صباحا فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية أربعين يوما فينبتون في قبورهم فإذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يقوم على النوم فينامون في قبورهم فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رءوسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه بعد ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ينادي بهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فإذا هم جاهدة إذا أراد الله تعالى أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تنشق الأرض ثم يرسل الأرواح فتعود كل روح إلى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالماء الذي يحيا به الأرض وقيل أنها وقع التشبيه بإحياء الجبال والمعنى أنها كما أحيا هذه البلد الميت بعد خرابه وموته بأنبت فيه الزرع والثمر وجعل فيه المنافع كذلك يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم إلى حشرهم ونشرهم أفلم تذكرون الخطاب لمنكري البعث يقول أنكم تشاهدون الأشجار وهي من جنس معرفة مقررة في أيام الربيع والصيف ثم أنكم تشاهدون بعد أيام يسيرة عارية من تلك الأزهار والأوراق والثمار ثم أن الله تعالى أحياها وأخرجها والقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأجساد بعد موتها والمعنى أنها وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكي تعتبروا وتعلموا أن من يعلم ذلك كان هو الذي يعيد ويبتدئ قوله تعالى والبلد الطيب يعني والأرض الكريمة التربة المشعلة الشجرة يخرج نباته بإذن ربه يعني أنه إذا أصابه المكي خرج نباته بإذن الله عز وجل والذي خبث لا يخرج يعني والبلد الذي خبث أرضه فهي سبخة لا يخرج نباته إلا نكدا عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعري يذم إنسانا لا تنجز الوعد إن وعدت وإن أعطيت أعطيت تارين نكدا يعني بالتأني القليل وبالنكد العسير ومعناه إذا أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالأرض الطيبة والكافر بالأرض الخبيثة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الأرض الكريمة فإذا أنزل المطر عليها أخرجت أنواع الأزهار والثمار وكذلك المؤمن إذا سمع القرآن آمن به وانتفع به وكذلك هذه الكلمات والعبادات وأنواع الأخلاق الحميدة وشبه الكافر بالأرض الرديئة الغليظة السبخة التي لا ينتفع

وان اصابها المطر وكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا
كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب
كما البلدة السبخة المالحة التي خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله تعالى لآدم وذريته
كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله
به من الهدى والعلم كالغيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها
اجادب امسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا ورعوا واصاب طائفة منها اخرى الين تعالى قيعان لا تمسك
الماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في الدين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعمل ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولا
يقبل هدى الله تعالى الذي ارسلت به اخرجه في الصحيحين قوله تعالى كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون يعني لما ضربنا هذا المثل
كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والايمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله تعالى على انعامه عليهم بالهداية
وجنبهم سبل الضلالة وانما خص الشاكرين لانهم هم الذين ينتفعون بسماع القرآن قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه
اعلم ان الله تبارك وتعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنعه الدالة على توحيده وربوبيته
واقام الدلائل القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع اممهم
وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون
الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة اولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسران والهلاك في الدنيا وفي الآخرة العذاب العظيم
فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل اولئك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص
دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يلقى احدا من علماء زمانه وقد اتى بمثل هذه القصص
والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية بما لم ينكره عليه احد علم بذلك انه لما اتى به من عند الله عز وجل وانه اوحي اليه ذلك
فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا وهو نوح ابن ملك بن متوشلخ
ابن اخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة والسلام ومعنى ارسلنا بعثنا وهو اول نبي بعثه الله تعالى بعد ادريس وكان نوح عليه الصلاة والسلام
نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة لوديها الى قومه فعلى هذا التقدير بالرسالة تكون مضمنة للبعث ايضا ويكون البعث
كالتابع لا انه اصل قال ابن عباس رضي الله عنه بعثه الله تعالى وهو ابن اربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة
وقيل وهو ابن مائة سنة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه
بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فاوحى الله تعالى اليه عبتني ام عبت الكلب
فقال يعني نوحا لقومه يقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني اعبدوا الله تعالى فانه يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله
معبود سواه فانه هو الذي يستوجب ان يعبد اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يعني ان لم تقبلوا ما امركم به من عبادة الله تعالى واتباع امره
وطاعته واليوم الذي خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيامة وانما قال اخاف على الشك وان كان على يقين من حلول
العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لو لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم او يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة قال الملأ وهم الجماعة
الاشراف من قومه انا لنراك يعني يا نوح في ضلال مبين يعني في خطأ وزور عن الحق بين قال يعني نوح يا قوم ليس بي ضلالة يعني ما بي تظنون
من الضلال ولكني رسول من رب العالمين يعني ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله تعالى ابلغكم رسالات ربي تحذيري
اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد لنفسه
وقيل النصح تحري قول او فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال
ابلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وارشدكم الى الوجه الاصلح والاصوب والاصلح لكم وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي
قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع اوامر الله تعالى عليهم واما النصيحة فهو ان يرغبهم
في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه واعلم من الله ما لا تعلمون يعني واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم
بالطوفان والاغراق في الدنيا ويعذبكم في الآخرة عذابا عظيما وقيل اعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته لمن صبر على الكفر وقيل لعل الله
اطلعه على سر من اسراره فقال واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم الف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا

الاستفهام

استبعاد انكار معناه الذي بتم وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم يعني وحيا من ربكم على رجل منكم تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزيد التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي انزله الله تعالى على نوح عليه السلام وعلى هذا تكون على بمعنى مع اي مع رجل منكم قال البراء على هنا بمعنى مع لينذركم يعني جاءكم لاجل ان ينذركم ولتتقوا اي ولاجل ان تتقوا ولعلكم ترحمون لان المقصود من ارسال الرسل الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الاخرة فكذبوه يعني بكذبوا نوحا بالجنة يعني من الكوفان والغرق والذين معه يعني من امن من قومه معه في الفلك يعني في السفينة واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس رضي الله عنه عميت قلوبهم عن رؤية الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر وانتصب قولا تعيين واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكني عن علم ما في غد عمم والى عاد اخاهم هودا اي وارسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى واخاهم هودا يعني اخاهم في النسب لا في الدين وهو هود ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن اسحاق هو هود بن عبد الله بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وانفقوا كلهم على ان عادا لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من اين حصلت قيل انه كان واحدا من القبيلة فينتوجه قوله اخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة على وجهين الاول قال الزجاج انه كان من جنس ارم ومن جنسه كما من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون اليهم والانس بكلامه اتم واكمل ولم يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والثاني ان اخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمي صاحب القوم اخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي فيه ترخيم عند عمان وحضرموت قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي اعبدوا الله وحدوه ولا تجعلوا معه الها اخر فبين انه ليس لكم اله غيره فالا بين والعرف بين فوله فضة وتعنا قال ابن نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الباء تدخل على التعقيب واما الهود فلم يكن كذلك بل كان يدعو نوحا في المبالغة في الدعاء جاء الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه لعبادتكم غيره ولما كانت لهذه الفضة مستوفية على فضة نوح وقد علمنا ما حل بهم من الغرق حسن قوله تعالى افلا تتقون يعني ايلا تخافون ما نزل بكم من العذاب ولما لم تكن فضة نوح قبل واقعة قوم حسن تحويهم من العذاب فقال الملأ اي اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة يعني انا لنراك يا هود في جهل وضلالة وعن الجهل والصواب اخبر الله تعالى عن قوم نوح انهم قالوا انا لنراك في ضلال مبين واخبر عن قوم هود انهم قالوا انا لنراك في سفاهة والعرف بينهما ان نوحا لما دعا قومه بالطوفان وانطلق في عمل السفينة بعد ذلك قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين حيث تتعب واصلاح السفينة في ارض لا بحر فيها من القلة شيء واما هود عليه السلام فانه كان لم يعبد الاصنام وتسب من عبدها الى السفه وخفة العقل فلهذا قالوا بعضهم انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين يعني في دعواك انك رسول من عند الله قال يا قوم ليس بي سفاهة هذا هو الجواب عن قولهم انا لنراك في سفاهة يعني ليس الامر كما تظنون ان بي سفاهة بل ليس الامر الا ولكني رسول من رب العالمين يعني اليكم ابلغكم رسالات ربي يعني اوحي اليكم ما ارسلني به من اوامره ونواهيه ونشر ايعه وتكاليفه وانا لكم ناصح يعني فيما امركم به من عبادة الله عز وجل وترك ما سواه امين يعني في تبليغ سد الرسالة واداء النصح والامين الثقة على ما اؤتمن عليه حكى الله عن نوح عليه السلام وانصح لكم وحكى عن هود عليه السلام وانا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما اخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل بقوله ان نصح لكم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا بعد وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين والمدح المنبعث بصفات المدح غير ما ينبغي بالغفلة وانما يحمد ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم بقولهم وانا لنظنك من الكاذبين بوصف نفسه بالامانة وانه امين في تبليغ ما ارسل به من عند الله فيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم يعني اعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم باس ربكم ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يعني واذكروا نعمة الله عليكم اذ اهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض وزادكم في الخلق بسطة يعني طولا

وقوة قال الكلبي والسدي كانت قامة الكوبل منهم مائتي ذراع وقامة الفصيل ستون ذراعا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان ذراعا
وقال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال وهب كان رأس احدهم مثل القبة العظيمة فاذكروا آلاء الله بفتح نعم الله وفيه اضمار تقديره
واذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تؤمنوا به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام لعلكم تفلحون يعني
لكي تفوزوا بالبقاء وهو البقاء في الآخرة قال الواحدي قال الزجاج هود مجيبين له اجئتنا يا هود لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
آباؤنا يعني من الاصنام فاتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني في قولك انك رسول قال يعني قال هود مجيبا لهم
قد وقع يعني قد وجب عليكم من ربكم رجس وغضب اي عذاب وسخط اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
يعني وضعتم لها اسماء من عند انفسكم والمراد منه الاستهزاء على سبيل الانكار عليهم اتسموا الاصنام بالالهة وذلك
معجزة فيهم ما انزل الله بها من سلطان يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وانما سميتموها انتم من عند انفسكم بغير دليل
بالتفكروا يعني العذاب اني معكم من المنتظرين يعني نزول العذاب فانجيناه يعني هودا عند نزول العذاب بقومه والذين
معه برحمة منا يعني وانجيناهم اتبعناه الذين امنوا معه وصدقوه لانهم كانوا مستعدين للرحمة وقطعنا دابر الذين كذبوا
بآياتنا يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه واراد بالآيات معجزات هود الدالة على صدقه وهذا على استيصال بقلهم
جميعا ولم يبق منهم احد وما كانوا مؤمنين يعني انهم لم يكونوا مصدقين بالتوحيد ولا برسوله هودا عليه السلام وكذا نفت

قصة هود عليه السلام ذكر محمد بن اسحاق واصحاب السير والاخبار قالوا لما هلكت امم كانت منازل عاد وجماعتهم حيث يعبد الله تعالى بعث الله فيهم هودا
عليه السلام الاحقاف: والاحقاف الرمال بين عمان وحضرموت من ارض اليمن وكان قد بسط لهم في الاعمار وفضلهم والهلهم بشدة
قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدون من دون الله عز وجل صنما يقال له صمود وصنم يقال له الهنا
بعث الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام وهو من اوسطهم نسبا واصلحهم موضعا امرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره
وان يكفوا عن ظلم الناس ففعل اكثر امرهم بغير ذلك فيما ذكر فكذبوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة وانبعه منهم ناس قليل ممن امنوا به وهم لا
يكتمون ايمانهم وكان ممن صدق وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعيد بن عفير وكان يكتم ايمانه فيما بلغنا بعد اذا استد الدهر على المكذبين
ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الله سبحانه اذا انزل بهم بلاء وجهد يكلبون البرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام وكانت ثمود
وعاش بعد هود من عاش من قومه فيما ذكر ستمائة سنة وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة ادیانهم وكلهم معظمون مكة معتقدون حرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه
من الحرم وكانت سكان مكة يومئذ العمالقة وكان ابوهم كان عملیق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العمالیق يومئذ اسمه معاوية فلما هلكت عاد وقل
عنهم المكي فالوا اجتمعوا امركم وابدأوا بمكة لعلكم ان تستسقوا لكم بالكم قد هلكتم فبعثوا معاوية سيد العمالیق فنزل بن عنزة ونفيل بن
عبد العزى نفيل وعمرو بن عامر الاكبر ومرثد بن سعيد بن عفير وكان مسلما يكتم ايمانه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر سيد
العمالیق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء النفر ومعه جماعة من قومه يبلغ عدة وفد عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية
ابن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتا معاوية بن بكر فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم
قد امنوا بالبقاء من العطش الشديد فليت شعري ما الذي يمنع وفد عاد عندنا مما هم فيه من البلاء الذي اصابهم يشق عليه ذلك ويقال
لهلك اصحابه واخواله وهؤلاء مقيمون عندي وهم امنون يتلذذون علي والله ما ادري كيف اصنع بوفد عاد استحيي ان اامرهم بالخروج لما يشق
عليهم انه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فاروني كما ذاك من امرهم الرفيقتيه الجرادتين فقالتا قولا اسقي
تقنيانهم به والا يرون من قبله لعل ذلك ان يحركهم فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم بعيني لعل الله ان يحبنا غمامات فيسقي ارض عاد وعادا
قد امسوا لا يبصرون الكلاما من العطش الشديد فليت شعري عنه الشيخ الكبير ولا غلاما وقد كانت نساؤهم يخبئن فقد امست نساؤهم ايامى
وان الوحش يأتيهم جهارا ولا تخشى لعاد سهاما وانتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التمام فبيح وبدكم وبد قوم
ولا لقوا التحية والسلاما فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وسمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انه
يهلك قومكم لتتفقوا به من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأ عليهم بلادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا
تسقون بدعائكم ولكن اذا اطعتم نبيكم وانتم الى ربكم فسقيتم وانتم اسلمتم عند ذلك وقالوا عمدتم لرشدكم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم بما سقوا
عطشا فتيلهم المسعل اللهم صم فيقال له صمود فيقابله صدا والغيطل ابيض يا ربنا فاسقنا الرسل سيل رشد فابعثنا الهدى وجلا العماء
وان الله هود لهود الهي على الله التوكل والرجاء فازداد في رواية لقد ضل الاله ولبس جورا وحكم الله اذ غلب الهوى على عاد وعاث فيهم فرد
بعد هلكوا وانتهم بغيا

لعله اتباعه من الخبر
كما في نقلة هود

فقد هلكوا ولم يبق بقاء، وإني لم أفارق دين هود، طوال الدهر وبقاء البقاء، فقال جعفلة بن الحنيبي فجيأ لمزيد بن سعد حين خرج من عنده
وعرف أنه قد اتبع دين هود وآمن به، ألا يا سعد أنك من فيال مذكور وآمك من ثمود، جزاك الله بكيدك ما بقينا ولسنا بأعلين لما نرتئي،
تأمرنا لنترك دين ود، ورماه الصمود والعمود، ونترك دين إياصر وذوار سر ونتبع دين هود، ثم قال جعفلة لمعاوية بن بكر احبس
عنا مزيد بما يفد، معنا مكة جائنا فد اتبع دين هود ونترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد فلما وافوا إلى مكة خرج مزيد بن سعد
من عند معاوية بن بكر حتى أدركهم بمكة فبدأ ان يدعوا الله بشيء مما خرجوا إليه فلما انتهى إليهم قام يدعو الله ويقول وهو يدعو اللهم
اعطني سؤلي ومرادي، وما تدخلني فيما يدعوك به وهو يدعو وقام فيال بن عنتر راسر وقد دعا يدعوا اللهم يقول أعطه فيالما سألك وقال الويد
معه واجعل شر الطامع سؤاله وكان قد تخلف عن وبد بعاد وكان يسبد عاد حتى إذا فرغوا من دعوتهم قام لقمان فقال اللهم إني قد جئتك وهي
بلدة حاجتي فاعطني سؤلي وسؤال قومي فقد علمت قبل عمر سبعة النسي وقال فيال بن عنتر حين دعا بطلعا أنك لتعود عادا وثمودا وإنا قد هلكنا
فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من السماء يا فيال اختر لقومك ولنفسك من هذه السحابات فقال فيال قد
اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحابات ماء، اخترت رمادا ورمادا لا يبقى من عاد أحدا وسأل الله السحابة السوداء التي اختارها
فيال بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا
فبعث الله عز وجل عليهم ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها أي كل شيء مرت به بأمر ربها وكان أول من أبصر ما
فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عاينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها ما
رأيت قالت رأيت الريح فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها يستحثون عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من عاد أحدا
إلا أهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلذه إلا نعمها وإنها
فوقهم كأعجاز نخل منقعر بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه
فبينما هم عنده إذا قبل رجل إليهم على ناقة فلما كانت ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد بأخبرهم الخبر من أين فارقت هودا والحادية
فقال يا رفقتي بساحل البحر كأنهم تشكوا إيعاد ثم به فقالت لقينة بنت بكر حدق فرد الكعبة وقال الشديد بعث الله عز وجل على عاد
الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تكمن بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها تبادروا إلى البيوت ودخلوها وأغلقوا
عليهم أبوابهم وجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم بيوتهم فأهلكتهم بها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيور السود
فنقلتهم إلى البحر فألقتهم وقيل إن الله تعالى أمر الريح فأمالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمال
ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمال ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم
فلم يعلموا أين مكيال الريح في الخبر أنها خرجت على مثل حلق الخاتم وقيل إن مزيد بن سعد ولقمان بن عاد وقيال بن عنتر حين
حجوا مكة قيل لهم قد أعطيتم منائي فاختاروا لأنفسكم غير أنه لا سبيل إلى الخلود ولا بد من الموت فقال مزيد اللهم أعطني بقاء واحدا
طاعة في ذلك وقال لقمان اللهم أعطني عمر نسر قد اختار عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذي
لقومه يربيه حتى يموت وإذا مات أخذ غيره فلم يزل يعمل ذلك حتى أتى على السابع وكان النسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور
اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه وإنما قيل بقاء لنفسه ما يصيب قومه فقيل إنه الهلاك فقد أتى على الأجل الذي أجل البقاء
بعد قومه وإنما هو الذي أهلك قومه عاد فأهلك ومن معه من المؤمنين فأرسل الله عز وجل عليهم الريح العقيم فلما رأوها تبادروا إلى البيوت ودخلوها وأغلقوا
عليهم أبوابهم ف

يعني قال لهم صالح حين ارسله الله تعالى اليهم ادعوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئا فما لكم من اله يستحق ان يعبد سواه قد
جاءتكم بينة من ربكم يعني جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وادعوا اليكم عبادة الله تعالى وعلى تصديقي بما ارسلت
اليكم ثم بشر تلك البينة فقال هذه ناقة لكم اية يعني انها علامة على صدقي قال العلماء رحمهم الله تعالى ووجه كون هذه
الناقة اية على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة خرجت من صخرة في الجبل وكونها انثى وكمال خلقها من غير حمل ولا
تدريج كما خلقت من العادة وخرجت من الصخرة وقيل كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجز ايضا كانها
ناقة تشرب ما تشربه قبيلة معجزة وكانوا يجلبون يوم شربها ما يكفيهم جميعهم ويفضل لهم مقدار الماء ولهذا ايضا معجز
وقيل ان الوحوش والحيوانات كانت تمنع من شرب الماء يوم تشرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء غير يوم الناقة ولهذا
ايضا معجز وانما اضافها الى الله تعالى في قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله تعالى خلقها
بقدرته والسكينة ذكر وانثى وقيل انه لم يملكها احد قال الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح بذروها تاكل في ارض
الله يعني بذروا الناقة تاكل العشب من ارض الله فان الارض لله والناقة ايضا كذلك وليس لكم في ارض الله شيء لانه هو الذي انبت
العشب فيها ولا تمسوها بسوء يعني ولا تنحروها ولا تعقروها بشيء من انواع الاذى ولا تعقروها فياخذكم عذاب
اليم يعني يستاصلكم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد يعني ان الله تعالى اهلك عادا وجعلكم
تخلفونهم في الارض وتعمرونها وبوأكم يعني وانزلكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا يعني تبنون القصور
من سهول الارض فكان القصور انما تبنى من اللبن والاجر المتخذ من الطين المحترق وتنحتون الجبال بيوتا يعني وتنقرون
بيوتا من الجبال وقيل كانوا يبنون الشتاء في الصيف والجبال في الشتاء وقيل كانوا ينتجعون منتجعين وقيل كانوا منتقلين
فاذكروا آلاء الله اي بالذكر والشكر نعمة الله عليكم واشكروه عليها ولا تعثوا في الارض مفسدين قال قتادة معناه ولا تسيروا في الارض
مفسدين والعثو اشد الفساد وقيل ارادوا بالعثو النهي عن عقر الناقة وقيل هو على ظاهره يدخل فيه النهي عن جميع انواع الفساد
قال الذين استكبروا اي تكبروا من قومه يعني قال الاشراف الذين تكبروا من الايمان بصالح للذين استضعفوا يعني العامة
لمن امن منهم يعني قال الاشراف المتكبرون في انفسهم لاتباعهم الذين امنوا بصالح ولهم الضعفاء من قومهم
اتعلمون انصالحا مرسل من ربه يعني ان الله ارسله اليكم والينا قالوا انا بما ارسل به مؤمنون يعني قال الضعفاء
انا بما ارسل به صالح من الدين والهدى والامر مصدقون قال الذين استكبروا يعني عن امر الله والايمان به وبرسوله
صالح انا بالذي امنتم به كافرون اي جاحدون منكرون يعقروا الناقة يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر فيها
عقر قوائمها بالسيف ثم جعل العقر عقرا لان اكثر ما يعقر البعير يعقره ثم يتركه وعتوا عن امر ربهم اي تكبروا عن امر ربهم وعصوه
والعتو الغلو في الفساد والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا نبيه صالحا عليه الصلاة والسلام
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا يعني العذاب ان كنت من المرسلين يعني ان كنت كما تزعم انت رسول الله فان الله تعالى ينجي
رسله على اعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين بكل ما اخبرهم به من العذاب يعجل الله لهم فقال تعالى فاخذتهم الرجفة
قال العزاء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال ابن عباس والسدي هي الصيحة يحتمل انهم اخذتهم الزلزلة ثم اتتهم
الصيحة من بعد فماتوا جميعا وهو قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين يعني باركين على ركبهم في ديارهم وبلدهم جاثمين كذلك
وحد الدار كما يقال دار الحرب اي بلد الحرب ودار بني فلان بمعنى موضعهم وجمعهم وجمع في رواية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد اهل
كل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني باركين والجثوم للناس والكبير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير وقوعها
كالحيا بالارض في حال نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين موتى على وجوههم لا يتحركون فتولى عنهم يعني بلغ
عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا وبدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى
عنهم والمراد بالتعقيب ابدا على انه جعل التولي بعد تبوئهم وتعمرتهم والقول الثاني انه تولى وهم احياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل
عليه انه خاطبهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولهذا الخطاب لا يليق الا
بالاحياء فعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الآية تقديم وتاخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم

الملأ

اموتهم

وقومهم تعريضا وتقريعا كما ذاهب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القوا في القليب فجعل ينادي بهم باسمائهم الحديث والصحيح
وليه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك
وكانت قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره من اهل السير والاخبار فالوا جميعا ان عاد القا
هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض بعدها وكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبني المسكن
من المدر فينهدم والرجل حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا بسعة من العيش والرخاء فعتوا وافسدوا في الارض
وعبثوا غير الله فبعث الله تعالى اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا واصلحهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى
اليهم ودعاهم الى ان يوحدوه الى الله تعالى والى عبادته حتى تسمك وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم صالح
بالدعاء والتبكيت واكثر لهم التحذير والتخويف سألوه ان يريهم اية تكون معجزا على ما يقول فقال لهم صالح اية تريدون فقالوا
تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم وذلك يوم معلوم من السنة فقالوا ان دعوا الهتنا فاتبعناك وان
استجيبت لك اتبعناك وان استجيب لنا تبعتنا قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا وتابعهم
ونسألون فلم يستجب لهم شيء مما كانوا يعبدون فقام رأس جندع بن عمرو بن جواس جميد بن سعيد ليؤدي باصنامهم الى احرج لنا من
هذه الصخرة وكانت الصخرة منبرة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من
الابل عن يقلت امنابه وهذا فناك باخذ عليهم صالح مواثيقهم ليؤمنن به ويتصدقن ولتومنن به فلما رأى صالح ركعتين ودعا ربه
عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج لولدها ثم تحركت الصخرة عن ناقة جوفاء عشراء وبراء كما سألوا وصفوا عيانا لهم
ما بين جنبيها الا اسعد وهم لينظرون اليها ثم انتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه واراد بقية
الكبراء ثمود ان يرتدوا عن دينهم ويصدقوه فمنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا حاجبي اوثانهم ورداب بن صعير وكانا كاهنا وكانوا من الكبراء
ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكانت الناقة ومعها سقبها ترعى في ارض
ثمود ترد الشرب وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم وردها وضعت راسها في بير في الحجر فلا تدع في البير قطرة الا رفعت
راسها حتى تشرب كل ما فيها فلما تدع فيها ثم ترفع راسها فتتبعها لبنا فيحلبون ما شاءوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى ملئوا
اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير البير التي منه والفقر ان تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شاءوا
الا من العلا ويدخرون ما شاءوا ويحبسون الناقة يومها ذلك بسعة ودعة وكانت الناقة تهيب اذا كان الحي بكهف الوادي فتطلب منفذا والمنافذ
بالبل والتعر والقرد فتعجب الى بطن الوادي فتكون في حرة وجدة واذا كان الشتاء فتستقبل الناقة في بطن الوادي فتطلع الوانس الى
كهف في البرد والجدب فامن ذلك كله الشيخ للامر الذي يريده الله والبلاء والاختبار ليبتلي ذلك عليه وعتوا عن امر ربهم وحملوا ذلك
عقر الناقة واجمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال لاحداهما عنيزة بنت غنم بن مجلد وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة
وهي امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة
غنية ذات مواشي كثيرة وكانت من اشد النساء عداوة لصالح على الشاه وكانتا جميعا تحتملان
على الناقة جميعا مزود على هذه الحالة تدبر امر هذا فريق رجل يقال له المحلب وكان مولها بالنقل فلما نكرت اليه قالت
له يا حباب الا تحب ان يكون لك شيء فقال لها وكيف لي بذلك فقالت اريد ان تعقر الناقة وانا لك زوجة وخلد فامتنع من ذلك وابى
عليها فدعت ابن عم لها يقال له مدرع بن منفوخ بن الحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس وجها
واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق العينين قصيرا ويزعمون انه ابن زانية
ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار اراك يا بني شيئا اعكيتك على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه
وفي عز عبد المطلب زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب ويذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث
اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة فوصفه انبعث له قوم بسعة والعز والحديث الذي يروى العزيمة بدل
والقوة والشراسة والمانع المتمنع مقزاز ذو الخبر والاخبار ما تكلم قدار بن سالف ومصدع والحباب فرمت الناقة فصدرت
عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة وكمن لها مصدع في اصل صخرة اخرى فلما رمت عاجلها مصدع برماحهما فانتظم بها
عضلة ساقها وخرجت عنيزة وامرتا بنتها فبرزت عن وجهها فكانت من احسن الناس وجها فاراها قدار بن سالف ثم رماها فاصابت

واغرته بشدة فدار على الناقة بالسيف يكشف عن عرقوبها فخرت ورغت رغبة واحدة فتحدر لسقبها من الجبل ثم طعن فدار في لبتها فنحرها فخرج اهل البلدة واقتسموا لحمها فلما رأى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى اتى جبلا منيعا يقال له صبور فدخل غارة وتبعه صالح عليه السلام فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فانبعث هاربا نحوها وخرج اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انا عقرناها بلاذنب ولاذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فرأوا عالما الجبل وارجى الله تعالى الجبل ان تكلما وانطبق عليهما وكانت له الكبير وجاء صالح عليه السلام فلما رأى العصيل بكا بكاء شديدا حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا ثم انفجت الصخرة فدخل فيها فقال صالح لكل رغوة اجل ثم تصنعوا فيها وتمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحاق تبع العقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة ورهم مصدع بن مهراج واخوه دواب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جدب فانزله والقوا لحمه مع لحم امه وقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بالعذاب الى تسعة فلما رأوهم يعقرون وقربه ومتى ذلك يا صالح وما ايته ذلك وكانوا يعتمرون الليل به فذلك الوقت الاحد والاثنين الهوز والثلاثاء ديار والاربعاء جبار والخميس مونس والجمعة عروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مونس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة وجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب اول يوم فلما اتاهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله وقد مغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطوا على اصحابهم انوا منزل صالح عليه السلام بوجوههم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا الصالح انت فتلتنا بعقرك ابه فامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلوه ايدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاثة فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس وجوههم مصفرة كانما كتبت بالخلوق في وجوههم ونساؤهم في بيوتهم ينظرون اليهم ويرقبون العذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فكمنوا ليقتلوه فبعث ربك عليهم ملكا فضربهم بصخرة فاتت على جميعهم فلما رأى بنو عمهم ما نزل بهم من العذاب ولم يعلموا ما كان من امر صالح فقال بعضهم لبعض ما يدرون ما اصاب اصحابكم الا فعل صالح فاتوا منزله فاحاطوا به فقالوا له انك قد علمت ما نزل بقومك فهلم معنا فلنقتله فان كان صادقا عجلناه بقومه وان كان كاذبا الحقناه بهم فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطوا على اصحابهم انوا منزل صالح عليه السلام بوجوههم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت فتلتنا بعقرك ابه فامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلوه ايدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاثة فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس وجوههم مصفرة كانما كتبت بالخلوق في وجوههم ونساؤهم في بيوتهم ينظرون اليهم ويرقبون العذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فكمنوا ليقتلوه فبعث ربك عليهم ملكا فضربهم بصخرة فاتت على جميعهم فلما رأى بنو عمهم ما نزل بهم من العذاب ولم يعلموا ما كان من امر صالح فقال بعضهم لبعض ما يدريكم

وقال محمد بن اسحاق كان التسعة قد تفاسموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للفاشي ولد سماه مذارا وكان يشب شبابا لم يعهد لمولود مثله في كل يوم شبر شبابا لم يعهد لمولود مثله في كل يوم شبر وكان ذلك البيت يوم تشرب الناقة يوجدون الماء فيه فلما شربته الناقة قالوا اشتد ذلك عليهم وقالوا ما نضع تحت بطن هذه الناقة ولو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه لأنعامنا ونزرعنا كان خيرا لنا فقال العاشر هل لكم أن تعقروها فقالوا نعم فعقروها وعن محمد رضي الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أمرهم أن يستقوا من آبارها التي كانت تردها الناقة وأن يعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقوا ما استقوه وليعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت ترد الناقة وفي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر بوادي تبوك أمرهم أن لا يشربوا من آبارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يكبوا ذلك العجين ويريقوا ذلك الماء وفي بعض الأحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا رسولكم الآيات فهؤلاء سألوا رسولهم فبعث الله الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتشرب ماءه يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل من الهضبة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك من تحت أديم السماء منهم فما شارف الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدا كيفما أتى الله أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في قرية الله فمنعته حرم الله تعالى من عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه بالطريق فدفن معه غصن من ذهب وأراهم قبل أن يرتحل من الفج وانتدروه بأسيافهم وحفروا عنه فأخرجوا ذلك الغصن وكانت الرقعة المؤمنة من قومه صالح الأربعة الآلاف خرجوا مع صالح إلى حضرموت فبلغها فمات صالح بيشمي حضرموت فمن ثم بنى أربعة آلاف مدينة وسموها حاضورا وقال قوم من أهل العلم تولى صالح عليه السلام مكة وهو ابن ثمانية وخمسين سنة وأقام بها قومه عشرين سنة فولد لها ولدها يعني وارتسلا ولدها وقيل معناه واذكر يا محمد لقومك وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي إبراهيم وابراهيم عمه إذ قال لقومه يعني أهل سدوم واليم كان قد أرسل وذلك أن لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام فنزل ابراهيم أرض فلسطين وأنزل لوطا الأردن فأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم يدعوهم إلى الله تعالى وينهاهم عن فعل الفحش وهو قوله أتأتون الفاحشة يعني أتفعلون الفعلة الخسيسة التي هي غاية في القبح وكانت فاحشتهم إتيان الذكور في أدبارهم ما سبقكم بها من أحد من العالمين من الأولى زيادة لتوكيد النفي وإفادة الاستغراق الكائنة للتبعيض والمعنى ما سبقكم أيها القوم بهذه الفعلة أحد من العالمين فعلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع عن فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما أتى ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان من قوم لوط أتأتون الرجال يعني في أدبارهم شهوة من دون النساء يعني أن إدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء بل أنتم يعني أيها القوم قوم مسرفون أي تجاوزون الحلال إلى الحرام وأتباعهم وغيرهم ونحن هذا الفعل الخبيث لأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل الفرج محلا للشهوة وموضع النسل وإذا تركهن الإنسان وعدا عنهن إلى غيرهن من الرجال فقد تعاطى شيئا وجاوز ما أحله الله وضع الشيء في غير محله الذي خلق له لأن أدبار الرجال ليس محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة في الإنسان وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره من أهل الأخبار والتفسير أنه كانت قرى قوم لوط مخصبة وزروع لم يكن في الأرض مثلها فقدم عليهم النازل فأضافوه وضيفوا عليه بعض أهل البيت فصرخ يشيء فقال إن بعلتهم هم كذا وكذا فأخبرتهم من بلغ الخبر النازل عليهم وقصدوهم بأصابعهم علما أنه إن صاح أصابوا واستعملوا ذلك فيهم فقال الخمسة كانوا لا يتكونون الا في بطون الأمهات وقيل استعملوا ذلك الفعل فيهم حتى تكمح بعضهم بعضا فقال الكلبي أول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك أنه أتى بلدا فتمثل لهم بصورة شاب أمرد فدعا إلى نفسه فكان أول من نكح وقيل بأمر الله تعالى الملائكة أن تخسف بهم والأول أن تخسف قوله عز وجل وما كان جواب قومه يعني وما كان جواب قوم لوط إذ دعاهم إلى فعل الفيء وتركوهم ما حرم الله تعالى عليهم من الفعل الخبيث إلا أن قالوا يعني قال بعضهم لبعض أخرجوهم من قريتكم يعني أخرجوا لوطا وأتباعه واطردوه من بلدكم أنهم أناس يتنطهرون يعني أنهم يتنزهون عن فعلكم وعن إدبار الرجال لأنه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر وقيل إن البعد عن المعاصي فإنجيناه وأهله يعني بالنجاة لوطا ومن آمن به واتبعه على دينه وقيل المراد بأهله المتصلون به بسبب النكاح والقرابة فأهله ابنتاه لأن امرأته يعني زوجته كانت من الغابرين يعني كانت

من الباقين بالعذاب لانها كانت كافرة وقيل كانت من الباقين المعمرين فداتى عليها دهر كما ويل ثم هلكت مع من هلك من قومها
وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال وغلب ذكر الرجال فقال في الغابرين ٥ وامطرنا عليهم مطرا يعني
حجارة من سجيل قد عجنت بالبرمية والنار يقال لها مكرنة السماء وامكرت ٥ قال ابو عبيدة يقال في العذاب امكرت وفي الرحمة
مكرت جاءتكم بينة كيف كان عاقبة المجرمين يعني انكم يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا العواحش
كيف اهلكناهم قال ابن عباس هذا تهديد لاهل مكة اي احذروا ان يحل بكم ما حل بهؤلاء ثم ذكر قصة شعيب فقال عز وجل
واما مدين اخاهم شعيبا يعني وارسلنا الى مدين اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مدين بن ابراهيم
الخليل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو اسد
وقيل مدين اسم للماء الذي كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى هاذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين ويدل على صحة
هذا القول الاول قوله اخاهم شعيبا يعني في النسب كما مر في الدين وشعيب هو ابن نويب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام فان قيل
لم قال اخاهم ولم يقل اخاكم وقال في قصة ثمود اخاهم صالحا قيل لان شعيبا اعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه
وكان قومه اهل كفر ونقص في المكيال والميزان قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
يعني قد جاءتكم حجة وبرهان تحقيقا لما قلت او صدقا لما ادعيه من النبوة والرسالة اليكم كانه لا بد لكل نبي من معجزة تدل على صدقه فلما بين
من عند الله غيبا ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن وليست كل ايات الانبياء مذكورة في القرآن وقيل اراد
بالبينة الموعظة وبين قوله فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم يعني لما تكلم الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها
ينقصون الكيل والوزن يقال البخس والبرن في الكيل والوزن اذا نقصه وطففه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بعد ما خلق الله
تعالى بعثة الرسل واقامة العدل وكل شيء يبعث الى قوم فهو صلاحهم ذلكم يعني الذي ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان بالتوحيد والكيل
والميزان وترك المكاس والبخس خير لكم يعني مما انتم عليه من الكفر وكل الناس ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين بما قلت لكم ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به يعني ان شعيبا قال لقومه الحجارة لا تقعدوا على كل طريق من الطرق والحق
تخوفون الناس من المتاجر فيه وتقعدون لهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى عليه انه شعيب الذي تريدون
كذاب فلا يغتر بقوله عن دينكم وتبغونها عوجا يعني وترتدون اعوجاج الطريق وعدوله عن القصد وقيل معناه وتلتمسون له الزيغ
والهلاك ولا تستقيمون على طريق الهدى والرشاد واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يعني ان شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله تعالى عليهم
قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم كانوا في ضعف بهم
بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعني من الامم الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والنكال
واقرب الامم اليكم قوم لوط بالكفر وايكة اصحاب الرس الذين بعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فعصوه وكذبوا رسله وان كان طائفة منكم امنوا
بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا يعني ان تظاهرتم على رسالتي فلم تؤمنوا وصدقت بها طائفة وجحدت
رسالتي فاصبروا فيه وعيد وتهديد حتى يحكم الله بيننا يعني حتى يقضي الله بيننا ويفصل بيننا فيدخل المؤمنين المصدقين ويدخل
ويهلك الكذبين الجاحدين ويعذبهم وهو خير الحاكمين يعني انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه وانما قال خير الحاكمين
يعني انه حاكم لانه يسمى بعض الاشخاص حاكما على وجه المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين قال الملا
الذين استكبروا من قومه يعني قال الجماعة من اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب لنخرجنك
يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا يعني ان قوم شعيب اجابوه بان قالوا لا بد من احد امرين اما اخراجك
ومن تبعك على دينك من بلدنا او لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه ولعل ابا هذا الكلام وجدوا ان شعيبا عليه السلام لم يكن قط على ملتهم
وقيل معناه انصيروا الى ملتنا بوقوع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد علي من فلان مكروه بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن
قد سبق منه مكروه مثله قال الشاعر بان الشباب حسن في الشباب وقد عادت لهن ثيابا اراد فقد صارت لهن ثيابا ولم يرد ان

ثم توبا كانت

تدنوياك انت لهنّ قبل الاحسان وقوله تعالى قال اولو كنا كارهين اى لا نعود فى ملتكم واذا كرهتمونا واخرتمونا على الدخول فيها فلا نعود ولا ندخل قد افترينا على الله كذبا اى عدنا فى ملتكم بعد اذ نجينا الله منها يعنى ان شعيبا عليه السلام اجاب قومه اذ دعوه ومن امرهم العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا اى قد اختلقنا على الله كذبا وتحرصنا عليه من الفور بانا كلما ارجعنا الى ملتكم وقد علمنا فيما تقدم ما انتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله منها وابعدنا اخطاءها وهذا ايضا جواب من الاشكال مثل ما فى الاول والاولى ان شعيبا عليه السلام ما كان فى ملتهم قط حتى يقال ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما اجيب عن الاشكال الاول وقوله تعالى ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها اى ان عدنا فى ملتكم بعد اذ علمنا بطلان ملتكم وفساد ما انتم عليه من الملة الجاهلية الا ان يشاء الله ربنا اى الا ان يكون الله قد سبق لنا فى علم الله ان نعود فيها فحينئذ يمضى قضاء الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدى معنى العود هنا الابتداء والذى عليه اهل العلم والسنة بهذا الآية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كان لنا ان نرجع الى ملتكم بعد اذ وفقنا الله لملة تكتسب دخول النار الا ان يريد الله ضلالنا بامر ونار راجعة الى الله غير خارجة من قبضته تبعد من يشاء بالكلية ويشقى من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشيئة ولم تزل الانبياء والاكابر يجرون القاعدة الاتية الى قول الخليل عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قال الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق فى علم الله ومشيئته ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله تعالى وسع ربنا كل شئ علما يعنى انه تعالى علم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما به ازلا بجميع الاشياء والسعيد من سعد فى علم الله تعالى والشقى من شقى فى علم الله تعالى على الله توكلنا اى على الله نعتمد والى الله نستند فى امورنا كلها بانه الكافى لمن توكل عليه والصحيح على الله توكلنا لا على غيره قبل انه ترك الاسباب وتظر الى مسبب الاسباب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق لقد ايس شعيب من ايمان قومه دعا عليهم بعد اليأس فقال ربنا افتح اى افصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعنى بالعدل الذى لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف وانت خير الفاتحين يعنى خير الحاكمين قال ابن عباس ان اهل عمان يسمون القاضى الفاتح والفتاح وقال غيره من اهل اللغة هو لغة مراد وانشد بعضهم

الا ابلغ بنى عصم رسولا ... بان عز بنى حكم غنى

اراد انه غنى عز الحكم وقاضيهم وقال ابن عباس رضى الله عنه ما كنت ادرى ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لاتحك اى تعال يعنى افاضيك وهذا من افتراء ته والشدة والتبرج وجمهور المفسرين ان الفاتح هو القاضى والحاكم يسمى بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال بين الخصوم ويصلحه وقال الزجاج ويجوز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى تفتح بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه على الوجه والطريق يراد به الكشف والتعيين وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون يعنى وقال الجماعة من اشراف قوم شعيب ممن كفر به لاخرين منهم لئن اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون يعنى ان اتباعكم اياه مفض بكم الى الخسران فى العاقبة والمآل فاخذتهم الرجفة يعنى الزلزلة الشديدة واصل الرجف الاضطراب قال ابن عباس رضى الله عنه فتح السعر وجاء على بابا من جهنم فبعث الله عليهم حر شديدا فاخذ بانفاسهم فهلكوا منه فى منازلهم وقال ابن الانباري ليس يجب اذا دخلوا فى الاضطراب ليس يجب وجود الصيحة والاشد من الظاهر فى جواهى يا الى البرية بعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاخلتهم تجد والها بردا ونعيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم اصبحها الله عليهم نارا فرجفت بهم الارض فاحترقوا كما احترق الجراد فى المقلى وقال وهب ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا قال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاخذتهم الظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا جميعا قال ابو عبيدة الايكة الاجماد والغياض واحدها ايك وكل شجر ملتف فهو ايك ومنه قيل للرجل الايكى اذا كان ضخما والايكة كل شجرة تنبت السدر والاثل وقال ابن عباس رضى الله عنه كانت ايكة شجر تنبت الدوم والسدر

الذي يعرض البقر الذين كذبوا شعيبا فرأيتم الخسران بي خسروا الجنة بعدكم يتولى عنهم يعني فارق قومه شعيب شاخصا
من بينهم لما ظهر هم حتى اتاهم العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم يعني انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب
بقومه واختلفوا هل كان هذا القول قبل نزول العذاب او بعده على قولين سبق ذكرهما وقوله تعالى فكيف اسى يعني احزن على
قوم كافرين والاسى اشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل
من العذاب عزى نفسه فقال كيف احزن على قوم كافرين لانهم لم يزالوا على الكفر وفيه دليل على معنى الاية ان تشعيبا قال لقد
اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف احزن عليكم يعني انكم لستم مستحقين بان يحزن عليكم
وعلى القول الاول انه حصل الشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله اعلم قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نبي. فيه اضمار وحذف
تقديره بعذبوه الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء. قال ابن مسعود البأساء الجوع والضراء المرض وهذا معنى قول الزجاج وانه قال
البأساء كل ما نالهم من الشدة في اموالهم والضراء كل ما نالهم من الامراض وقيل البأساء الشدة وضيق العيش والضراء الضنى وتعسر الحال
لعلهم يضرعون يعني انما فعلنا بهم ذلك ليتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الاية ان الله عز وجل
لما بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى جميع الانبياء مع امم مختلفة وقص عليهم من اخبارهم وعرف نبيه صلى الله عليه وسلم الامم الذين خلوا من قبله وما قابلوا
انبياءهم من الاهلاك والعذاب عرفه في هذه الاية انه قد ارسل رسله الى امم اخرى يكذبوا رسلهم فاخذهم بالبأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله
وفيه تحويف وتحذير لكفار قريش وتعييرهم من الكفار ليتزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين لهم انه يجب تدبيره في اهل القرى على نمط
واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة الاية ورود النعمة على البدن
والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر فلهذا قال اهل التفسير السيئة كلما يسوء صاحبها والحسنة
كلما يستحسنه الطبع والعقل بالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى بدل اما كان بالبأساء والضراء النعمة والسعة
والخصب والصحة في الابدان فاخبر الله تعالى في هذه الاية انه يأخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج
وهو قوله حتى عفوا يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وكمل قال مجاهد حتى كثرت اموالهم واولادهم
وقالوا قد مس آباءنا ضراء وسراء يعني من غير تمام وخصة عقلية بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة فذمستهم بالضراء والسراء يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر
قديما وحديثا لنا ولآبائنا وليكن ما مسنا من الشدة والضراء عفوا لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فجوزوا على ما انهم عليه كما كان آباؤهم من قبل
ولم يعلم بتركوا ذلك بل لما اصابهم ما اصابهم من الضراء والشدة قال الله تعالى فاخذناهم بغتة يعني اخذناهم فجأة ليكون ذلك اعظم لحسرتهم وهم
لا يشعرون يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه الغفلة اعتبار من سمعها ليتزجر عما هم عليه من الذنوب سواء قوله تعالى ولو ان
اهل القرى آمنوا واتقوا يعني لما بين السر في هذه الاية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا واخذهم بعذابه بين في هذه الاية انهم لو امنوا
بالله وبرسوله واطاعوه فيما امرهم به واتقوا يعني ما نهاهم الله تعالى عنه وحث عليهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
بجميع بركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار جميع ما فيها من الخيرات والارتفاق والارزاق والامن والسلامة من الافات وكذلك
من فضل الله تعالى واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء وسمي المطر بركة لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة
في الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي اصل البركة المواظبة على الشيء اي تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض
ورفعنا عنهم القحط والجدب ولكن كذبوا يعني بما ذكر فلم يؤمنوا بها امنوا والكفر كذبوا يعني الرسل فاخذناهم يعني بانواع العذاب
بما كانوا يكسبون يعني اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله تعالى افأمن اهل القرى هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد
وتهديد ووزجر والمراد باهل القرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل اهل القرى الذين كفروا وكذبوا انبياءهم بأسنا يعني عذابنا بيانا
يعني ليلا وهم نائمون او امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى يعني نهارا الى الضحى صدر النهار وهم يلعبون يعني وهم ساهون
لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار
لان الوقت الذي يغلب على الانسان الاشتغال فيه بامور الدنيا وامور الاخرة حال لعب ويحتمل ان يكون المراد خوفهم في كلا الوقتين وذلك لعبا يضر
انه يضر ولا ينفع افأمنوا مكر الله يعني الاستدراج الذي ذكرناه يعني انعم عليهم من الدنيا وقيل المراد بما ان يأتيهم عذابنا بهم من حيث لا يشعرون وعلى
هذا الوجه يكون بمعنى التهديد وسمى هذا العذاب مكرا لنزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
يعني انه لا ينبغي ان يكون ما انعم الله به عليهم من النعمة مع كونهم مستدرجا الا من هلاك نفسه واخراه وهلاك مع الهالكين او لم يهد يعني اولم يبين

للمزين

الذين يرثون الارض من بعد هلاك اهلها الذين كانوا من قبلهم يورثونها عنهم وخلفوهم فيها أو نشاء اهلكناهم بذنوبهم يعني لم نشاء اخذناهم وعاقبناهم بتكذيبهم ونطبع على قلوبهم بمعنى ونختم على قلوبهم يعني انهم لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان ونطبع منقلب على اصلها ابدلت الهمزة واوا لضمة ما قبلها والمعنى ولو شئنا لطبعنا على قلوبهم تلك القرى التي ذكرنا لك يا محمد امرها واهلها وهي قرى نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك من انبائها يعني نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر تسليم العزيز ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا نصرنا رسلنا والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكنا هم بكفرهم وخالفتهم رسلهم فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير للكفار فربما ان يصيبهم مثل ما اصابهم ولقد جاءتهم يعني اهل تلك القرى رسلهم بالبينات يعني جاءتهم رسلهم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقهم مما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف اهل التفسير في معنى ذلك بقول بعضهم كما كان تعوذ الله من الذين كانوا من اهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم بما كذبوا من قبل ذلك وتعويدوا اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر آدم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنه والسدي وقال السدي امنوا حين رأوا اخذ الميثاق وقال مجاهد بما كانوا لوا جيئناهم بعد اهلاكهم وعاينتم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا قبل هلاكهم وقيل معناه بما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حتى اخرجهم من صلب آدم عليه السلام قال ابي بن كعب كان سبق لهم في علم الله تعالى انهم يكذبون به حتى اخرجهم من صلب آدم عليه السلام قال ابي بن كعب كان سبق لهم في علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون وقال الربيع بن انس يقول للعباد ان يأخذوا من العلم ما ابدى لهم لعلم ربهم وان لا يتباوزوا علم ما اخذ الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كانوا وفيما يكون وبذلك قال يقول ولقد جاء تهم رسلهم بالبينات بما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فان قيل فهذا علمه فيهم ايهم المطبوع من القاصي حيث خلقهم في صلب آدم عليه السلام قال الكلبي واتى الاقوال بالصواب قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يؤمن ابدا وقد كان سبق في علم الله لمن تعلق من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون ابدا اخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل مكذبين بما سبق في علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئه اليهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين يعني كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنون من قومك فما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي وما وجدنا لاكثرهم الا فاسقين خارجين عن طاعتنا وامرنا وقوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى يعني ثم بعثنا من بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم ونبأ نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام بآياتنا يعني بحجتنا وادلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام الى فرعون وملائه فيقال ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون بذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وملك اليمن تبع وكان ملك القبط والعمالقة الريان وكان ملك القبط فرعون وانما خصوا بالذكر لانه اذا امن من الاشراف وامن من الاتباع فلم يؤمنوا بها يعني بجحدوا بها يعني بكلما جاء به موسى من الآيات لان الكلم وضع الشيء في غير محله ولقاء كانت هذه الآيات معجزات كما قلنا فلما ظهرت ثم جحدوا بها فوضعوا الكفر موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يا محمد يعني بالقتل والتبصير كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق السموات وخلق الخلق وهو سيدهم وصانعهم هو الذي ارسلني اليك حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق يعني ان لا اقول على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره قد جئتكم ببينة من ربكم يعني ببرهان على صدقي فيما ادعي من الرسالة والمراد ببينته معجزته وهي العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تبليغ رسالة ربه عاد الى الحجج فقال لموسى وما تلك بيمينك يا موسى ما استفهام ومعناه التقرير يعني انه عالم بما في يمينه ولكنه سأله ليريه ما في يده من الشيء الذي كان فرعون قد استعبده بتلقفه ما يأفكون يعني ما يلقون من الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة فقال فرعون ان كنت جئت بآية وبينة على ما ادعيت من الصدق فات بها ان كنت من الصادقين يعني ان فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك وبلغت بها واحضرتها عندي لننظر فيها فعرفك بها وثبت صدقك فأت بها فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي بين والثعبان الذكر من الحيات وصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه في آية اخرى كأنها جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين ان الرعب لما كان قد غلب عليه لضخم جثته كالثعبان العظيم وفي خفة حركته كالحية الصغيرة وهي الجان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والمعنى انه لما القى العصا صارت

وقال الله تعالى يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون وقال الله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور

حية عظيمة صعبة المشي، فاغرة بلحيين كبيرين ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل ونامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتتناوله بوثبة فرعون عن سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث بذلك اليوم اربعمائة مرة وقيل اخذت قبة فرعون بيديها وحملت على الناس فانهزموا وحطم بعضهم بعضا فمات من ذلك خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى انشدك بالذي ارسلك ان تأخذها وانا امنت بك وارسل معك بني اسرائيل فعاد اليه عصا كما كانت وكون الثعبان مبينا وجه الاول انه تمييز وتبيين بذلك كلما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عن تمويه السحرة وتجهيلهم الوجه الثاني انهم شاهدوا العصا اذا انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال مبينا يبين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كانت معجزة لموسى عليه السلام كانه اتى بالف صدق مع ما انه رسول من رب العالمين وقوله تفعل وتنزع يده النزع في اللغة عبارة عن اخراج الشيء عن مكانه والمعنى انه اخرج يده من جيبه ومن تحت جناحه واذا هي بيضاء للناظرين فان ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه مبرأ اقمر بيضاء من غير سوء يعني من غير مرض وقيل ان موسى عليه السلام ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج يده من تحت ابطه واذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه السلام ادم اللون فرد يده الى جيبه ثم اخرجها واذا هي كما كانت ولما كان البياض المعجز عيبا في الجسد وهو الغرض في الآية تفيد في اية اخرى بيضاء من غير سوء يعني من غير برص والمعنى واذا هي بيضاء للناظرين ولا تكون بيضاء للناظرين الا اذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه فصار بياض المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل اعلم ان الله تبارك وتعالى كما قادرا على خلق المعجزة والايمان في قلوب عباده ابتدا من غير واسطة واذن ارسل اليهم رسلا تقوم بمعالم دينه وجميع تكاليفه وذلك الرسل واسطة بين الله عز وجل وبين عباده ليبلغهم كلامه ويبين لهم احكامه وجايز ان يكون ذلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجايز ان يكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع امتهم ولا مانع لنا من ذلك اذا ثبت هذا فنقول دلالات الرسل عليهم السلام بالمعجزات دلت على وجه فهم يوجب تصديقهم في جميع ما قالوا لان المعجز مع التحدي فعل فعله الله عز وجل تصديقا لعبده واتباعه والله عز وجل صادق فعبده واتباعه ولان المعجز الذي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين بعض منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجز وا عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودال على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون له حجة على صدقه كتلقي الموت في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وما عاصوا بعد تمنيه مع توفر دواعيهم على انه من عند الله ودال على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجمادات والحيوانات ونبع الماء من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التي خارقة للعادة اعلم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذي اظهر تلك المعجزة على يد نبيه ليكون حجة على صدقه فيما يخبره عن الله عز وجل فيما يخبره عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير اصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وهو اخراج الجمادات والله تعالى اعلم قوله عز وجل قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يعنون انه ليأخذ بأعين الناس من تخييل انهم انقلبت حية وليس الشيء بخلاف ما هو عليه كما ارادهم يده بيضاء وهو عدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان غالبا في ذلك الزمان بلغنا ان بعد ما عجز عنه تعبيره قالوا انه لساحر عليم بان فلت فما اخبر الله تعالى به في هذه السورة ان هذا الكلام من قول الملا لفرعون وقال في سورة الشعراء ان قول فرعون للملا قوله ان هذا لساحر عليم فكيف الجمع بينهما فلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون تارة وقالوه هم بعده فاخبر الله تعالى عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة الشعراء وقيل يجتمعان ان فرعون قال لهذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منهم انهم يلقونه الى العامة فاخبر الله عز وجل بما قالوه عنا عن الملا واخبر تعالى عن فرعون وقوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم اي يريد موسى ان يخرجكم الف من ارضكم بعد اذ امرتم اي بايجاب، تشيرون ان تفعلوا به وقيل ان قوله بعد اذ امرتم من قول الملا ان كلا فرعون ثم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم قال الملا مجيبين لفرعون بعد اذ امرتم وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى بعد اذ امرتم ان تفعلوا به والقول الاول هو الاليق بسياق الآية التي بعد هذا وهو قوله تعالى قالوا ارجه واخاه يقال اخر امره ولا تعجل به بنصب عجلتك عليك كالترك والارجاء التأخير في اللغة وقيل معنى ارجه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس ان فرعون ضعيف

لان الارجاء

كان الرجاء في اللغة هو الخاص وكان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد ما رأى من أمر العصا ما رأى وأرسل في المدائن حاشرين جمع
مدينة واستفاضا من مدن بالمكان إذا قام به يعني مدائن صعيد مصر حاشرين يعني رجالا يحشرون إليك السحرة من جميع مدائن الصعيد
والمعنى أنهم قالوا لفرعون أرسل إلى هذه المدائن رجالا من أعوانك وهم الشرط يحشرون إليك من يعلم من السحرة بأفاضل مدائن الصعيد
فإن غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وإن غلبوه علمنا أنه ساحر فذلك قوله تعالى يأتوك يعني الشرط بكل ساحر وفرئ بسحار والفرق بين
الساحر والسحار أن الساحر هو المتعبد في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو العالم الذي يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون
سحره وقتا بعد وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعلم وقرئت عليم يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضي الله عنه وابن
إسحاق والسدي إن فرعون لما رأى من سلطان السر وقدرته في العصا قال إنا لا نغلب موسى إلا بمن هو منه فاتخذ علما من بني إسرائيل وبعثهم
إلى مدينة يقال لها الفرما يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا ووعد فرعون موسى موعدا ثم بعث إلى الشرطة فجاءوه وقدم معلمهم فقال فرعون
للمعلم ماذا صنعت فقال علمتهم سحرا لا يطيقه سحر أهل الأرض لا من يكون سبيله سبيل السماء فإنه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته
فلم يترك ساحرا إلا أتاه به واختلفوا في عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من الفرس وهم رؤساء
الفرس وسبعون من بني أبيهم وقال الكلبي كان الذين يعلمون منهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير ابنيهم وقال كعب الأحبار
كانوا اثني عشر ألفا وقال محمد بن المنكدر كانوا اثنا عشر ألفا وقال السدي كانوا اثني عشر ألفا وقال ابن أبزى كانوا سبعة وقال ابن عباس
وجاء السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا وجاءوا وأرادوا فالوا إنا لأجرا يعني جعلا نثر منا به إن كنا نحن الغالبين يعني لموسى قال الإمام
فخر الدين ولقائل أن يقول كلمة إن يفيد الشك فكيف ذكروها مع أنهم كانوا قاطعين بالغلبة وجوابه لعل تقدير كلامهم أنا نعلم أنا لو غلبنا
لأتيناك بما تريد فقالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال أنعم يعني فرعون نعم لكم الأجر والعطاء وإنكم لمن المقربين يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر والقصد
أن فرعون قال للسحرة إذا اقتضى الحال الأجر بالزيادة أن تجعلكم من المقربين عندي فقال الكليبي تكونون أول من يدخل علي
وآخر من يخرج من عندي قال يعني السحرة يا موسى إما أن تلقي يعني عصاك وإما أن نكون نحن الملقين يعني عصينا وحبالنا وهذا أبلغ في الأدب
لكيفية وهي أن السحرة راعوا مع موسى عليه السلام حسن الأدب حيث فوضوه على أنفسهم بالإلقاء لأجل أن الله عز وجل وضع حيث تأدبوا
مع نبيه موسى عليه السلام أن منّ عليهم بالإيمان والهداية ولما راعوا الأدب أولا وأظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك قال يعني قال لهم موسى
ألقوا يعني أنتم مقدمة منهم على أنفسهم في الإلقاء فإن قلت كيف جاز لموسى أن يأمرهم بالباطل وقد علم أنه سحر وبعمل السحر كفر قلت
ذكر العلماء رحمهم الله تعالى فيه أجوبة أحدها أن معناه إن كنتم محقين في فعلكم فألقوا والثاني فألقوا الجواب الثاني أنه إنما أمرهم بالإلقاء لتظهر
معجزته لأنهم إذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى في عصاه الجواب الثالث أن موسى علم أنهم لا بد أن يلقوا تلك الحبال والعصي
وإن وقع التغيير في التقديم والتأخير فإذن لهم في التقديم فتظهر معجزته أيضا بغلبته لأنه لو ألقى أولا لم يكن لهم غلب وظهور عليهم
بلهذا المعنى أمرهم بالإلقاء أولا فلما ألقوا يعني حبالهم وعصيهم سحروا أعين الناس يعني خيلوا إليهم أن الحبال والعصي
من الهوية والخيال وهذا هو الفرق بين السحر الذي جعل البشر وبين معجزة الذي جعل السلام الذي هو فعل الله وذلك لأن السحر قلب
الأعيان وصرف الشيء عن حقيقته عن ذلك الشيء والمعجزة قلب الشيء نفسه وحقيقته كقلب عصى موسى حية تسعى واسترهبوهم يعني أرعبوهم
وأزعجوهم بما فعلوه من السحر وقيل أرهبوهم وجاءوا في السحر بسحر عظيم وذلك أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي حيات
كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا ويقال إنهم طلوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا وأدخل تلك العصي زيبقا أيضا
والزيبق على الأرض يلمع أشد لمعان الشمس فيبدو كأنها تتحرك والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس أنها حيات ويقال إن الأرض كانت سهلة
مبلطة فصارت كلها حيات وأفاعي فيفزع الناس من ذلك وأوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام
لأجل السحر بل لأنه عليه السلام كان على ثقة ويقين من أمره أنه لا يغلبه ولا يعلوه ولكن عادة الله جارية بأن ما أتوا به على وجه المعارضة لمعجزة نبي هو
من باب السحر والتخييل وذلك باطل وهذا الخوف يمنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه السلام لأجل أن الناس إذا ظهر لهم صدق
ما أتى به موسى عليه السلام أن يتبعوه فلا يظهر معجزته وحجته بل لذلك أوجس في نفسه خيفة فقلنا يعني أوحينا إلى موسى أن ألق
عصاك يعني بالفعل فإذا هي تلقف تبتلع ما يأفكون يعني ما يكذبون به السحر لأن أصل الإفك قلب الشيء عن وجهه ومنه قيل للكذاب
أفاك لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الواقع وحي الله عز وجل لموسى أن ألق عصاك بالفعل فألقاها فصارت حية
حتى سدت الأفق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالإسكندرية يقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثم أقبلت تسعى إذا هي ذراع فإذا هي تلقف

يعني تبتلع كل شيء افترابه من السحر بكانت تبلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وفصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع بعزعوا ووقع الزحام عليهم بمائة من ذلك الزحام خمسة وعشرون الباقي اخذها موسى عليه السلام بعارته بيده عصى كما كانت اذا هي بحبالهم واصحابهم ذلك عرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم بعند ذلك خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين وذلك قوله تعالى فوقع الحق يعني ظهر الحق الذي جاء به موسى وبطل ما كانوا يعملون يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما ابتلعت حبالهم وعصيهم علموا ان ذلك من امر الله تعالى وقدرته فغلبوا هنالك اي عند ذلك غلب فرعون وسحرته وجمعه وانقلبوا اي رجعوا اذلين مقهورين والقي السحرة ساجدين يعني السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى وليس في قدرتهم مقابلة بسحر قدرة الله تعالى بما جرى وذلك ان الله عز وجل لطف بهم فتنة وآمنوا بالله فقالوا امنا برب العالمين فقال فرعون ايا ي تعنون قالوا برب موسى وهارون قال فمن قال لموسى لكبير السحرة نؤمن به ان غلبتك قال لا بل انتم سحرة لا يغلبه سحر ولبئس غلبتم لا وضربهم وقيل ان الحبال التي كانت مع السحرة كانت حملا مائة بعير فلما ابتلعتها عصى موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا امر خارج عن حد السحر وما هو الا من امر السماء فآمنوا وصدقوا وقيل ان قلت كان يجب ان يتوبوا بالايمان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على هذه النعمة التي انعم بها عليهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم ظهروا بعد ذلك ايمانهم وقبل لما رأوا عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه علموا ان العصا والله ليس لاحد ان يقدر على ذلك فهي البشر وزال كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود تعظيما لشانه لما رأوا عظيم قدرته ثم انهم ظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما رأت السحرة ما رأت عرفت ان ذلك من امر السماء وليس بسحر خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون قوله عز وجل قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم يعني قال فرعون للسحرة انا منتم لموسى وصدقتموه قبل ان امركم به وآذن لكم فيه ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة يعني ان هذا الصنع صنعتموه انتم وموسى بمدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون وذلك ان فرعون رأى موسى يبدئ كبير السحرة فعلم فرعون ان موسى وكبير السحرة تواطئا عليه وعلى المعاصي وهو قوله لتخرجوا منها اهلها وتستولوا عليها انتم يسوء تعلمون يعني يسوء وعيد وتهديد يعني بئسما تعلمون ما افعل بكم ثم بين ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف وهو ان تقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف بين عضوين في القطع ثم لاصلبنكم يعني على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضي الله عنه اول من صلب واول من قطع في الايدي والارجل اجمعين فلان يعني فجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل انا الى ربنا منقلبون يعني انا الى ربنا راجعون والبه صائرون في الآخرة وما تنقم منا يعني وما تنكر منا وما تكرهنا عليه وتعذبنا عليه وقال عكرمة ومقاتل معناه وما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه الا ان امنا بآيات ربنا لما جاءتنا ثم يرغبوا الى الله تعالى وسألوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب علينا صبرا املأ قلوبنا به حتى لا نجزع عند القتل يعني صبرا واسعا عظيما وتوفنا مسلمين يعني وانبضا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا اول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال الخليلي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقتلهم غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون قوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه يعني قال جماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى وقومه من بني اسرائيل ليفسدوا في الارض يعني ارض مصر وارادوا بالافساد فيها انهم يأمرون بخلاف دين فرعون وهو قوله ويذرك وآلهتك يعني وتذر ان يذرك ويذر الهتك فلا يعبدك ولا يعبد فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان لفرعون بقرة وكان يعبدها وكان اذا رأى بقرة حسنة امر الناس بعبادتها وقال ان ربكم ورب آبائكم الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى يقال ان فرعون كان له بيوت فيها اصنام وكان يقول لقومه انا ربكم الاعلى وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان يعبد الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول لقومه انه هو الصناع والمخترع للارض وهذا قول ابن اسحاق وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن عباس وابن الشعيب والضحاك ويذرك وآلهتك معناه ويذرك وعبادتك قيل لا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد بالآلهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر تزود منا ضمن الحبا فصرا بما عجلت الآلهان يعني الشمس والقمر وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانت لفرعون آلهة تعبد في الارض وهي النسور من الطير وكان اتخذ لها اصناما وصورها في الارض وقال وهب بن منبه كان فرعون يعبد الزهرة وكان اتخذ لها بيتا سماه بيت العزة وكان يبعث كل يوم على بابها رجلا من عظماء مملكته ومعه مائة وصيف ومائة وصيفة بأيديهم آلات الغناء فيغنيها يوما ويرقصها يوما وكان يقرب لها كل يوم سبعين بقرة سمينة وكان يطأ بابها بالدم والزعفران قال ابن اسحاق كان فرعون يعبد الشمس وكان يقال ملكنا مع الشمس ولا يزول قال سيقول فرعون لقومه حين قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم يعني نتركهن احياء وذلك ان قوم فرعون لما اراد فرعون قتل موسى وقومه وجنوده وانزل العذاب بقومه ولم يقدر فرعون ان يفعل بموسى عليه السلام شيئا سمعا اراد ابوابه

لقوله موسى

لقوة موسى بما معه من المعجزة عدل الى قومه فقال سنقتل ابناءكم و نستحيي نساءهم وقال ابن عباس رضي الله عنه كان قد ترك القتل في بني اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيد وا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون انما يتفوق موسى بقومه فبخس نصيبه بتقليل عدد قومه بالقتل لتنقطع شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله وانا فوقهم قاهرون يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل بنو اسرائيل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل بهم فلما سمع موسى قومه يعني لما شكوا اليه استعينوا بالله واصبروا يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في التمسك وانتظار ان الارض لله يعني ان ارض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى يورثها من يشاء من عباده وهذا اكمال من موسى لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بني اسرائيل الارض ارضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله والعاقبة للمتقين يعني النصر والتمكين على عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين الطائعين في الجنة قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال ابن عباس رضي الله عنهما لما امنت السحرة فتح موسى ستة ابواب من بيت اسرائيل لما سمعوا ما نال فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من قبل ان تاتينا يعني بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة سر وجرى لما جرى بينه وبين فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار فقالوا اوذينا من بعد ما جئتنا يعني بالرسالة وكما هي الكلام توهم ان بني اسرائيل كما لم تؤمن موسى بالرسالة وذلك كما في الجواب عن هذا الايهام ان موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة وظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما راوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا سد تمتي يكون ما وعدتنا من زوال ما نحن فيه فقال موسى مجيبا لهم عسى ربكم ان يهلك عدوكم يعني بفرعون وقومه ويستخلفكم في الارض يعني ويجعلكم تخلفونه في ارضهم بعد هلاكهم فينظر كيف تعملون يعني بعد ما يرى ربكم كيف تعملون من بعده فقال الزجاج لما اخبر ذلك منهما كان الله تعالى قادرا ان يفعله منع وانما يجازيهم على ما يقع منه العمل منهم فوعظهم بقوله عز وجل ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين يعني بالجدب والقحط تفعول الحق مستين السنة جعل معنى اخذهم الجدب في السنة وقيل استنوا كما يقال اجذبوا اذا اصابتهم الجدوبة ورجال مكة مسنون عجاف ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الاية ولقد اخذنا ال فرعون بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة ونقص من الثمرات يعني وقلة الغلات بالعاهات فلا فائدة انما السنون جلها لهذا الجواد واما نقص الثمرات فلعلهم يذكرون يعني لعلهم يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الغي والضلال وذلك لان الشدة تفزع القلوب وترغب فيها عند الدعاء وجاء الخير ثم ذكر تعالى انهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا على ما هم فيه من الكفر فاذا جاءتهم الحسنة يعني الخصب والسعة والعافية والسلامة من الاباد قالوا لنا هذه اي نحن مستحقون لها ونحن اهلها على العادة التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على انعامه وان تصبهم سيئة يعني الغلاء والجدب والمرض والبلاء وراوا ما يكرهون في انفسهم يطيروا يعني يتشاءموا ويتيمنوا والتطير التشاؤم في اصل جميع الكلام يقولوا هذا بسبب موسى ومن معه يعني انهم قالوا ما اصابنا بلاء الا حين رايناهم وما ذاك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون اربع مائة سنة وعاش بعد ذلك اربع مائة سنة وعشرين سنة لم يمكروا فيها بمكروه فيها ولو كان حمال في تلك المدة جوع ليلة او وجع ساعة لما ادعى الربوبية انا انكم كما يزعم عند الله يعني انما يصيبهم من الخصب والجدب والخير والشر كله من الله تعالى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما قص الله علينا من خبر قوم الا احببنا ان نعلم ذلك عندهم الا ما ذكر الله في هذه الاية وقيل الشؤم الذي هو الزاد لهم عند الله تعالى من عذاب النار ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ان ما اصابهم من الله تعالى وانما قال اكثرهم لانهم لا يعلمون لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر فوله تعالى وقالوا يعني قوم فرعون وقيل الفبط لموسى عليه السلام مهما تاتنا به من اية يعني من عند ربك فيما يسمى وهو قولهم لتسحرنا بها يعني لتلبس علينا ما نحن عليه من الدين فما نحن لك بمؤمنين يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا حديد الغيرة مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاءه فقال تعالى فارسلنا عليهم الطوفان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق دخل كلام بعضهم في بعض فقالوا امنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا هو وقومه الى الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عز وجل عليهم بالايات ياخذهم اولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وارهم قبل ذلك من المعجزات الايد والعصا فلم يرعووا فدعا عليهم موسى فقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبغى وعتى وان قومه قد نقضوا العهد ربنا فخذهم بعقوبة اجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بقي بعدهم اية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل شيء وركد الماء في ارضهم

بل يقدروا على التحرك ولا يعلموا شيئا وذلك عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الماء عون بلغة اهل اليمن وقال ابو قلابة الطوفان الجدري وهو اول ما عذبوا به ثم بغى في الارض وقال مقاتل الطوفان الماء صبا فوق رؤسهم وفي رواية ابن عباس رض الله تعالى عنهما ان الطوفان امر من الله عز وجل كما بهم بعذابه فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع عنهم الطوفان فاثبتت السنة عشر فلم ينبتوا شيئا قبل من الحرث والزرع والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ما اكثر هذا الماء لو انا نعمة علينا فلم يؤمنوا وافاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وشرفوب البيوت والخشب والثياب والامتعة حتى اكل مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وامتلئوا من الجراد بطونهم حتى لا يشبع واحد منهم ويمتلئ ويموت من ساعته ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شيء فجمعوا وضجوا وقالوا لموسى ادع لنا ربك ليكشف عنا الرجز لنؤمنن لك ولنعلمن معك ولنرسلن معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه عز وجل بكشف الله عنهم الجراد بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت ثم في الجنى مكتوب عندنا صدر كل جرادة جند الله الاعظم وقيل ان موسى خرج الى الصحراء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما نعيش به فما ترى بقاءنا فلم يؤمنوا ولم يوفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فلما رأوا اشهى ما في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رض الله عنه ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والكلبي القمل الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له وقال ابو عبيدة وهو الحمنان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراساني القمل نفسه وقال الحسن بن الفتح الغاب وتسكن الميم وقال الكعبي الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يمشي الى الكثيب الاعفر بقرية من قرى مصر يسمى عين الشمس يعني الى ذلك الكثيب فيضربه بعصاه فانعال عليهم القمل فتتبع ما بقي من زروعهم وثمارهم فاكلها كلها والحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل احدهم طعاما امتلأ فما قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان عليهم اشد من القمل واخذت اشعارهم وابصارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار وبقي خوا بموسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عليهم القمل بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فمكثوا بعد ذلك ورجعوا الى الخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط احوال نستيقن انه ساحر منا اليوم فيجعل الرمال دواب فدعا موسى عليه السلام عليهم بعدما اقاموا شهرا في عافية وارسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منهم بيوتهم وابنيتهم ومعتهم وانيتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم يثب الضفدع فيدخل فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وشرابهم وكان احدهم اذا اضجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه ركاما فما يستطيع ان ينقلب على شقه الاخر واذا اراد ان ياكل سبقه الضفدع الى فيه ولا يجيء احدهم عجينا الا امتلأ ضفادع فلما رأوا من ذلك بلاء شديدا قالوا يا موسى هذه المرة نتوب فان كشفت عنا فلا نعود فدعا ربه عز وجل فاذا الضفادع بريئة فلقاها الله عز وجل على الفرعون وهي التماسيح تعود واناها الله عز وجل بعسر كما عهدت الماء فلقاها واذلك بكوا وشكوا الى موسى عليه السلام وما يلقونه من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فاخذ موسى عليه السلام على القوم والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعدما اقامت عليهم سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه السلام فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دما عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون فقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا لن نعود ثانية ولن نجد الا عيشا ضيقا من الماء الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويقولان الجرة فيبقى الماء يخرج للقبطي دما وللاسرائيلي ماء حتى ان المرأة من بني اسرائيل حين تعجن العكنش فتقول لها اشفي من ما يك فتنصب لها فرعون فيصير في الاناء دما حتى تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فيي فتجعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة واذا مضغها صارت دما فشكوا على ذلك سبعة ايام الى الله تعالى وقال زيد بن اسلم ان الله الذي سلط الله عز وجل عليهم الرعاف فاتوا موسى عليه السلام وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه السلام ربه فكشف ذلك فلم يؤمنوا فلذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات يعني يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقيم عليهم اسبوعا ويمكث عذابه

نشهد بما استكبروا يعني عن الايمان فلم يوضعوا وكانوا قوما مجرمين يعني الى ان يرجعون قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الاية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب البلية بعد الايات الخمس التي تقدمت فيعزل بهم الطاعون في ساعات من يوم واحد سبعون الفا فلما رأوا ذلك قالوا فزع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجزا ارسل على بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك يعني بما اوصاك وقيل بما نبأك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك ليمنى كشفت عنا الرجز يعني العذاب الذي وقع بنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤوا فلما كشفنا عنهم الرجز يعني بدعوة موسى عليه السلام الى اجل هم بالغوه يعني الى الوقت الذي اجل لهم وقت هلاكهم بالغرق في اليم اذا هم ينكثون يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يوفوا به واعلم ان ما ذكر الله من هذه الايات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه السلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بني اسرائيل في اماكن وعلى صفة وقوع فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتخاذ المتاخم معجزات فان اعترض معترض وقال ان السحرة علموا من فرعون انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات بعد القاية فيتوجه عليهم واظهار الكثير من البراهين على صدق موسى عليه السلام فلم يؤمنوا به فما الحكمة في ذلك قلنا الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل واما على قول المعتزلة فيجوز ان يكون الله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتلك المعجزات وكتصورتها فلهذا السبب والله اعلم عليهم والله اعلم بمراده فانتقمنا منهم يعني كما بينا هم عقوبة لهم على سوء صنيعهم واصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب باغ فناهم في اليم والمعنى انه تعالى انما عذبهم بعد ان مات فلم يرجعوا ولم ينتهوا عن كفرهم فلما بلغوا الحد الذي اجل لهم انتقم منهم بان اهلكهم بالغرق بذلك قول باغ فناهم في اليم يعني البحر واليم الذي لا يدرى قعره وقيل لجة البحر ومعظم مائه قال الازهري اليم معرب ليمة وهي بالعبرانية عين الكبريت وقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب وبدل على ذلك قوله تعالى فاذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب بانهم كذبوا بآياتنا يعني اهلكناهم وانما فعلنا بهم ذلك بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا وكانوا عنها غافلين يعني عن ادلتنا غافلين يعني معرضين وقيل كانوا عن خلول النقمة بهم غافلين لان الفعلة ليست من افعال الانسان قوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون يعني ومكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على الشام يعني وهو ان فرعون وقومه كانوا يستكملون على بني اسرائيل يريد افتلوا ابناءهم واستخدموهم بصاروا مستضعفين تحت ايديهم مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ومصر واراد بمشارقها ومغاربها الارض المقدسة وسميت المقدسة وما يليه من الشرق والغرب وقيل اراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان ملكا من بني اسرائيل ولم يملك الارض قولهم تعالى التي باركنا فيها يعني بالخير الذي اعطينا اهلها من الانهار والاشجار والزروع والخصب والسعة وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل يعني وتمت كلمة الله وهي وعده بالنصر والتمكن على عدوهم والتمكن في الارض من بعدهم وقيل كلمة الله في قوله وتريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض والحسنى صفة للكلمة وهي قوله تعالى الا محسن وانعامها ما وعدهم به من تمكينهم في الارض واهلاك عدوهم بما صبروا يعني انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما انجز الله عليه من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه واذاه فرعون لهم ودمرنا يعني واهلكنا والدمار الهلاك باستيصال ما كان يصنع فرعون وقومه يعني من ارض مصر من العمارات والبنيان وما كانوا يعرشون يعني يبنون من تلك البنيان وقال ابن عباس هو ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن ما كانوا يرفعون من الثمار والكروم والاعناب قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر يعني وقطعنا بهم اليم يقال جزت الموضع اجوزه جوزا وجوازا اذا قطعته وخلفه وراءه وقال الكلبي عبر موسى عليه السلام البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله تعالى فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم يعني يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وقيل اول من اتخذ العجل قبل اتخاذه كان اول الكفر من لخم وكانوا نزولا بالرقة يعني بالرقة ساحل البحر وقيل كان اول من اتخذ العجل من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتلهم قالوا يعني بنو اسرائيل لما راوا ذلك التماثيل يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة يعني صنما نعبده كما لهم اصنام يعبدونها يعكفون بالعين المعجمة ومن ضمها فمعناه يقيمون عليها قال ابن عباس يعبدون قال ابن عباس لم يجز ذلك شيئا وحداثة السن تدل على انهم معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وكفروا ان ذلك لا ينافي الايمان وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على

BULAC

غاية جهلهم وذلك انهم توهموا انه تجوز عبادة غير الله تعالى بعد مارأوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهي الآيات التي توالت على فرعون حتى غاص فرعون في اليم بقضاء الله تعالى فلما جاوزوا البحر ورأوا قوما يعبدون غير الله تعالى جهلهم جهلهم على أن قالوا لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فبرد موسى عليه الصلاة والسلام عليهم بقوله قال إنكم قوم تجهلون يعني تجهلون عظمة الله تعالى وأنه لا يستحق أن يعبد سواه أنه هو الذي أنجاكم من فرعون وقومه وإياهم فيما زعم أهل الكتاب من بني إسرائيل حين انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى غزوة تبوك إلى بني شيحة من المشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم أخرجه الترمذي وقوله تعالى أتعبدون ما تنحتون يعني ما تصنعون بأيديكم من الأصنام والتماثيل وما أشبه ذلك وما أنتم فيه من عبادتها أو بعضها بإرادته وخلقه والمراد من هذا الكلام تجهيلهم لأنه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضر لأنه عمل لغير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه فقال أغير الله أبغيكم إلها ما قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فمن عليهم بالجملة وقال أبغيكم إلها يعني أطلب لكم إلها تعبدونه على سبيل التعجب والإنكار أغير الله أبغيكم إلها يعني أطلب لكم وأبغي لكم إلها وهو يفضلكم على العالمين والمعنى أن الإله ليس هو شيئا يطلب ويلتمس ويتجزأ بل الإله هو الذي يفضل على العالمين لأنه القادر على الأفعال والأفضال فهذا هو الذي يستحق أن يعبد ويطاع ولا عبادة لغيره ومعنى قوله يفضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل يفضلكم بما خصكم به من الآيات الباهرات التي لم تحصل لغيرهم وإن كان غيرهم أفضل منهم قوله عز وجل وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم تقدم الآية تفسيرها في سورة البقرة وبداية ذكرها في هذا الموضع أنه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يعني وواعدنا موسى عليه السلام لما جاءنا ثلاثين ليلة وهي ذو القعدة وأتممناها بعشر يعني بعشر ليال من ذي الحجة وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وهذا قال المفسرون إن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه عز وجل أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد بني إسرائيل بالمجيء به فأوحى الله تعالى إليه أن صم ثلاثين يوما فصام ثلاثين يوما فلما تغيرت أنكر خلوف فمه بتسوك بعود كرفس وقيل بل أكل من ورق الشجر بعد ثلاثين فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فما بعدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشرا من ذي الحجة وقال أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فكانت فتنة بني إسرائيل تلك العشرة التي زادها الله تعالى لموسى عليه السلام وقيل إن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به إلى ربه ثم علمه وأعطاه الألواح في العشرة التي زادها فذلك قوله وأتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكرناه هو تفصيل ما أجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة فذكر هناك على الإجمال وذكرنا هنا على التفصيل وقوله تعالى فتم ميقات ربه أربعين ليلة يعني فتم الوقت الذي قدره الله تعالى بصوم موسى عليه السلام وعبادة ربه أربعين ليلة فذلك الميقات هو الوقت الذي قدر أن يعمل فيه عمل من الأعمال وبعد قبل مواقيت الحج وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي يعني كن أنت خليفتي فيهم من بعدي حتى أرجع إليك وأصلح بمعنى وأصلح بأمور بني إسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الربوبية والإحسان إليهم ولا تتبع سبيل المفسدين يعني ولا تسلك سبيل المفسدين في الأرض بالظلم والمقصود من هذا الأمر التأكيد لئلا يعارضه عليه السلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين بهذا قوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقائد افعد هنا بمعنى دم على قعودك وقوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا يعني للوقت الذي وقتناه له أن يأتي فيه لمناجاتنا وهو قوله وكلمه ربه وفيه دليل على أن الله عز وجل كلم موسى عليه السلام بخلاف النابتة في كلام الله تعالى بقولهم إن الله تعالى خلق كلاما في بعض الأجرام كما يقال خلق فيه نطقا وكلام في الألواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة والشيخ أبي علي وابنه وبهشم لأن الشيء وضد الشيء لا يقوم إلا بالمحل الحي وأما الكلابية فإنهم يقولون إن كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وأنه قديم وذهب جمهور المتكلمين إلى أن كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات وتلك الصفة قديمة أزلية والقائلون بهذا القول قالوا إن موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الأزلية الحقيقية فالواجب أنه لا يبعد رؤية ذاته وليست كلاما فكذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه ليس بحرف ولا صوت ومذهب أهل السنة وجمهور المسلمين من السلف والخلف أن الله تعالى متكلم بكلام قديم واحد هو أمر بكل مأمور ونهي عن كل منهي وخبر عن كل معلوم وهذه الحقيقة قال أهل التفسير والأخبار لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه تكلم وكلمه ربه وعاد ثم

الروح فبعثته وقلب عليه الجبل الذي كان جالسا عليه موسى وصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى عليه السلام وقامت الروح
عليه مثل ما قام موسى فجاء يسبح ويقول آمنت بك صدقت انه لا يراك احد فيحيى ومن ذكر الرؤية انخلع قلبه فيما اعطاك واعلم
ما ليك انت رب الارباب ومالك الملوك والاله العظيم لا يحدك شيء ولا يفوتك شيء رب تبت اليك الحمد لك لا شيء بك لك ما
اعلمك وما اجلك يا رب العالمين قد ذكر نوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تجلى نور
ربه للجبل فصار ترابا وانهم الجبل زبيرو قال الضحاك الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما
تجلى للجبل من عظمة الرب الا مثل سم الخياط حتى صار دكا قال الشيخ ما تجلى الا قدر الخنصر لما روي عن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند واخرجه
الترمذي ايضا عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا واملس شيلمة بكفه ابقامه
على انملة اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة ويروى
عن سهل بن سعد الساعدي انه تلا الآية الى من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا مع الارض وقال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما جعله ترابا وقال سليمان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عكرمة الغوص صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله
دكا يعني كسرا جبالا صغارا وقيل انصدع فصار اربعة اجبل بقيت بمكة وهي ثبير وحرى وثور وثبير وحرى بمنى وثور بالمدينة وهو احد وورقان ورضوى ورفع ثلاثة
بمكة وهي ثبير وثبير وحرى وحرى بمنى خلف ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول اصح فلما افاق
والصعق كالافاقة له ولهذا يقال افاق من غشيته قال الكلبي صعق موسى عليه السلام يوم الخميس ويوم عرفة واعطي التوراة يوم
الجمعة يوم النحر وقال الزاهد لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران يسأل الرؤية في بعض الكتب ان ملائكة
السموات اتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن الفاعلة الحيض الصعف في رؤية رب العزة فلما افاق يعني من غشيته
ورجع عقله اليه وعرف انه بسبب امر اعظم فقال سبحانك يعني تنزيها لك من النقائص كلها تبت اليك يعني من مسئلتي الرؤية يعني ذلك
وقيل من سؤال الرؤية في الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة لمحمد صلى الله عليه وسلم لم تجز لغيره فقال سبحانك تبت اليك يعني من سؤال ما ليس
لي وقيل لعل سؤال الرؤية ومنعها فقال تبت اليك يعني من سؤال ما لم يأذن لي في هذا السؤال وحسنات الابرار سيئات المقربين
يعني لانك لا ترى في الدنيا وقيل وانا اول المؤمنين يعني من بني اسرائيل وقيل في الآية سؤالات الاول الرؤية تمنى النظر وكيف قال ارني انظر اليك
وعلى هذا يكون التقدير ارني حتى اراك والجواب ان معنى قوله ارني اجعلني متمكنا من رؤيتك حتى انظر اليك فاراك السؤال الثاني كيف قال لن
تراني ولم يقل لتنظرني الآن حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية لان المقصود هو الرؤية لا النظر
الذي لا رؤية معه السؤال الثالث كيف انصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود من الرؤية
ان يستقر على الرؤية على رؤيته تعالى لا من قبل انه ثبت معرفته وتأييده الا ترى انه لما تجلى امر التجلي للجبل اندك واندكت فتقول هو المراد
من هذه الآية بدأ على تعظيم امر الرؤية والله اعلم بمراده وقوله تعالى قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
يعني قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى اني اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفاء استخلاص الصفوة والاجتباء والمعنى اني فضلتك
واجتبيتك على الناس وفي هذا تضليل للنبي صلى الله عليه وسلم عن منع الرؤية بين كلامهما لان الله تعالى عدد عليه اني انعم بها عليه وامره
ان يشتغل بشكرها كأنه قال له اني كنت منعتك من الرؤية التي كلفت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيق صدرك
بسبب منع الرؤية واذكر الرسالة بانواع النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفاء على الناس برسالاتي وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيره
من الرسل مع كلام الله بواسطة الملك فان قلت كيف خاطب اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي مع ان كثيرا من الانبياء قد
سواه في الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ذكره البغوي قال العالم تكن الرسالة على العموم في جميع
الناس كافة استغنى قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه غيره فيه كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وان كان قد
شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفي هذا الجواب نظر لما من جملة من اصطفاه الله برسالته محمد
صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثاني ذكره الماوردي في الدر النزاب فقال ان الله تعالى بين
انه انما فعل التخصيص لما لعله لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة الحجاب والجواب انما يسأل المزيد الفضل فيه بناء على القرب الخاص
لان من يسمع كلام الملك العظيم من فيه كان اعلا واشرف ممن يسمعه بواسطة الحجاب والجواب وهذا الجواب فيه نظر ايضا لان احدا

عليه السلام

عليه السلام اصطفاه برسالته وعلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه بما لم يخاطب به احدا قبله فوله فيما اوحى الى عبده ما اوحى وربما اتى حيث تسمع صريره الاقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والقرب على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء فلا تغفل هذا الجواب ايضا والذي يعتمد في الجواب من هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك انه لم يكن في ذلك الوقت اعلم منه ولا افضل منه وهو صاحب التوراة وعليه نزلت التوراة بعد ذلك على انه اصطفاه على الناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون رحمهم الله تعالى يعني على عالمي زمانهم قوله تعالى فخذ ما اتيتك يعني ما فضلتك به وكنت من الشاكرين يعني على انعامي عليك ۞ في القصة ان موسى عليه السلام كان يعلم ما لم يعلمه ربه لا يستطيع احد ان ينظر الى ما تحت عرشي وجهه من النور ولم ير الله وجهه ير تفع في مرات وقال لم ير زوجته انا لم ار منذ كلمك الله لحيتك تشتعل لهيبا عز وجهه باخذها مثل شعاع الشمس يوضع يده على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة فقال ذلك ان لم تتزوجي بعدي فان المرأة لآخر من ازواجها فوله تعالى وكتبنا له في الالواح قال ابن عباس رضي الله عنهما اي يريد الواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى في الواح التوراة قال البغوي ۞ في الحديث كانت من سدر الجنة كول اللوح اثنا عشر ذراعا ۞ جاء في الحديث خلق الله تعالى اربعة وكتب التوراة بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه هي ياقوتة حمراء وقال ابن جريج من زمرد امر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع بن انس كانت الالواح من برد وقال وهب امر الله تعالى الالواح ان تخرج له فخرجت بيضاء تلمع فاخذها بيده ثم نشفها باصبعه وسمع موسى عليه السلام صرير الاقلام بالكلمات العشر وكان ذلك في اول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة واعطاه الله التوراة يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح ۞ اختلفوا في عدد الالواح فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت تسعة الواح وروي عنه انها كانت عشرة الواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن انس نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيرا يقرا الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع ابن نون وعزير وعيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها ويقرأها على ظهر القلب الا اربعة وقال الحسن بعشرة الآية في التوراة بالف اية يعني في قوله وكتبنا له في الالواح من كل شيء يعني يحتاج اليه من امر ونهي موعظة يعني نهيا عن الجهل وحقيقة وتفصيلا لكل شيء يعني وتبيينا لكل شيء من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه في امور الدين روى الكلبي بسنده عن وهب بن منبه قال كتب الله في التوراة كل شيء كان من اهل السماء والارض وان كل ذلك خلق ولم يخلق باسمي كاذبا وان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ووقر والديك ۞ روى البغوي باسناده الشعبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه الصلاة والسلام لما في التوراة فقال اي رب اجد امة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتب الاول والكتاب الاخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال اجعلهم امتي فقال هي امة محمد صلى الله عليه وسلم يا موسى فقال اي رب اجد امة هم الحاملون رعاة الشمس الحكماء اذا راوا امرا فظيعا يعلمون انه لا يكون الا بك اجعلهم امتي فقال هي امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال اي رب اجد في التوراة امة ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار ويهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم اجعلهم امتي فقال هي امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال اي رب اجد امة اذا اشرف احدهم على تل او كبر او اذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة كطهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غفر لهم ما اثر الوضوء اجعلهم امتي فقال هي امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال اي رب اجد امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف اجعلهم امتي فقال هي امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال اي رب اجد امة مصاحفهم في صدورهم يتلبسون ثياب اهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا الا من برء الحسنات مثل ما يرى الحج مبرورا البغي فقال هي امة محمد صلى الله عليه وسلم فلما عجب موسى من الخير الذي اعطاه الله محمدا وامته قال يا ليتني من احباء محمد فاوحى الله اليه ثلاث سنين اياك يرضيه يعني يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي الرقود لسلوريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فقال موسى كم الرضا فوله تعالى فخذها فقوه يعني وقلنا لموسى عليه السلام اذ كتبنا له في الالواح

BULAC

من كل شيء فخذها بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب ولجة عزيمة ونية صادقة لان من اخذ شيئا بضعف نية
اداه الى الفتور وامر قومه ياخذوا باحسنها قال ابن عباس رضي الله عنهما يأمرهم ان يأخذوا بما هو احلها لهم
ويعلموا بحكمها ويفعلوا عند مشتبهها وكان موسى عليه الصلاة والسلام اشد عبادة من قومه يأمرهم بما لم يؤمروا به وقيل كما هي
قوله وامر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان ليس التكليفين فرقا ليكون في هذا الفعل ايجابه وهو ان التكليف كان على موسى
اشد كما انه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه فان قلت كلام قوله ياخذوا باحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن فهل
لك قبل به احد قلت معنى قوله ياخذوا باحسنها قلت ان التكليف كله حسن والعفو احسن والصبر احسن منه فامرهم
ان ياخذوا بالاشد على انفسهم ليكون ذلك اعظم في الثواب ويدل عليه قوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقوله الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه وقال الحسن يدخل تحت الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها
لحسنها وكلها حسن وقوله تعالى سأوريكم دار الفاسقين قال في الدنيا يعني مصيرهم في الآخرة وقال الحسن وعطاء يريد جهنم
تحذر ان يكونوا مثلهم وقال قتادة سأدخلكم النار فأريكم منازل القرون الماضية الذين خلوا من قبلكم لتعتبروا بها وقال عكرمة القرية
يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكوا فكانوا يمرون
عليهم اذا سافروا قوله عز وجل سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الذين يتجبرون
عن عبادتي ويجادلون اولياءي بتأويل عن قبول آياتي والتصديق بها حتى اذا لم يؤمنوا به عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال
سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم الفهم وقيل سأصرفهم عن التفكر في خلق السموت والارض وما فيهن من الآيات والعبر وقيل حكم الآية
اهل مصر خاصة واراد بالآيات التسع التي اعطيها موسى عليه الصلاة والسلام والاكثرون على ان الآية عامة وهي قول
اهل السنة معناه ان التوفيق بيد من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته من يشاء انه القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل
لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر صفة الله عز وجل صفة مدح وهي صفة المخلوق صفة ذم لانه تكبر
بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر كالتعظم غير انه اعم وصفة ذم في جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر كالفرق من الفرق
اي يتعظمون التكبر ويرون انهم افضل من غيرهم فذلك يتكبرون في الارض بغير الحق بالباطل وان يروا سبيل الرشد يعني كل ما فيه
الخير والهدى والسداد والصواب لا يتخذوه سبيلا يعني لا يختارونه لانفسهم كما يفعل المؤمنون وان يروا سبيل الغي
يعني كل ما فيه الضلال يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا يعني ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغي
بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على توحيده وكانوا عنها غافلين يعني التكبر والانفة منعهم ان يتدبروا فيها والذين كذبوا بآياتنا
يعني بالدار الآخرة التي فيها العقاب والعذاب حبطت اعمالهم يعني بطلت فصارت كأن لم تكن قط والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون
بآيات الله من يعمل البر والاحسان والخير فيثاب على ذلك في الدنيا بما يفتح عليه مع كفره وتكذيبه بآيات الله والمراد بهم الدار
الآخرة والبعث هل يجزون الا ما كانوا يعملون يعني هل يجزون في العقبى الا جزاء العمل الذي يعملون في الدنيا قوله تعالى واتخذ قوم موسى
من بعده يعني من بعد انطلاق موسى من الجبل لمناجاة ربه عز وجل من حليهم يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان ذلك كان
لهم عيدا فاستعاروا من آل فرعون حليا يتزينون به في عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه فبقي الحلي الذي لآل فرعون
فذلك قول الله تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فمن نسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكأنهم اجمعوا عليه وكان السامري
رجلا صائغا فصاغ لهم عجلا جسدا من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة والذي صاغ ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل عليه السلام والسامري
يتحير عجلا جسدا له خوار يعني صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة وجمهور اهل التفسير
وقيل كان جسدا له لحم ودم وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان من خلق الريح وذلك انه جعله مجوفا ووضع في جوفه
انابيب على وضع مخصوص فاذا دخلت الريح دخلت في تلك الانابيب يسمع لها صوت كصوت البقرة والقول الاول اصح لانه كان
لحما ودما وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤوسهم قال وهب كان يسمع منه احيانا
ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي الا انه لا يرعى الذين عبدوا العجل وقيل ان يعني اصواتا بل كلم عبدوا العجل العامرون عليه
السلام بدليل قوله واتخذ قوم موسى وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبد العجل وهو الصحيح واجيب عن قوله واتخذ

عنها

لكن

قوم موسى

قوم موسى انه خرج على الاغلب وهكذا قول لم يروا انه يعني العجل الذي عبدوه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يعني ان هذا العجل
لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر احد عاذلك ومن كان كذلك جماد او حيوان ناقص عاجز عن التفكير بريء
يصلح ان يتعبد اتخذوه وكانوا ظالمين يعني الانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله تعالى الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل
الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهدي الى رشد وصواب قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم يعني ولما ندموا على عبادة العجل
تقول العرب لكل نادم على امر قد سقط في يده وذلك لان شان من اشتد ندمه على امر ان يعض يده ثم يفرغ على فخذه فتصير يده ساقطة
كان الشقوط عبارة عن النزول من اعلى الى اسفل ورأوا انهم قد ضلوا اي وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل قالوا لئن
لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا يعني بترك عقابنا على ما فعلنا وتجاوز عنا لنكونن من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم بوضع العبادة في
غير موضعها وهذا الكلام من اعترف بعظم ما افترى عليه من الذنب وندم على ما قدم منه ورغب الى الله تعالى في ازالة عثرته واغفال
على انهم بين بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم وهذا كلام النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لقفا رجع موسى
عليه السلام الى قومه بين الله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا يعني ولقا رجع موسى عليه السلام من مناجاة
ربه الى قومه بني اسرائيل رجع غضبان اسفا كما اخبر الله تعالى انه قبل قومه وانا الله مري فذا فلم قال موسى عليه السلام في
رجوعه غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف الغضب وقال ابن عباس رضي الله عنه والسدي الاسف الحزن قال الواحدي والقولان
متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا اجاك من تكره ممن تعهد وتك غضبت واذا جاءك من هو فوقك حزنت فتتفق
هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا يعني هذا كان موسى عليه السلام غضبانا على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله
تعالى قد اخبره وان الله تعالى قد اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك قال يعني موسى عليه السلام بئسما خلفتموني من بعدي اي بئس الفعل الذي
فعلتم بعد ذهابي اياكم وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه او لهارون والمؤمنين من بني اسرائيل بل يحمل
الاحتمال الاول لانه خطاب لعبدة العجل يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة الله تعالى وقد رأيتم مني الامر به
بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له ونهي الشرك عنه وحملتموني ما لا يليق بحالي وقد خلفني الخلق ان يسيروا بسيرة مستحقة فيهم وقوله
اعجلتم امر ربكم معنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته وذلك صارت مذمومة والشرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشيء في
اول وقته وقد يكون غير العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت اليكم لتترقبوا معنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم
قبل تمضي والله وقال العلماء اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قد رأوا لم يأت على راس الثلاثين فقدمات وقيل
معناه وقيل اعجلتم سخط ربكم لعبادة العجل وقال الكلبي اعجلتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر ربكم ولقاء الله تعالى ازم موسى
عليه السلام رجع الى قومه غضبان اسفا ذكر بعده ما اوجب الغضب فقال تعالى والقى الالواح يعني التي فيها التوراة وكان حاملا
لها بالفاظ من شدة الغضب قال الزجاج واتفقوا جميعا ان الالواح كانت التوراة ملتبسة وفي سبع واحد قوقع منها كما كان من اخبار
الغيب وغير ما فيه المراغ والاحكام والحلال والحرام وروي ان الله تعالى اخبر موسى عليه السلام بفتنة قومه وعرف موسى عليه
السلام ان ما اخبره الله به سبحانه وتعالى حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهد ما
في التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة واخذ برأس اخيه يجره اليه وقيل اخذ بشعر رأسه ولحيته من شدة غضبه
وقال ابن الانباري لما رجع موسى عليه السلام وجد قومه ملجمين عن المعصية اخبرذلك واستعظمه بادر الى اخيه هارون بلومه
ومذيده لشدة الموجدة عليه اذ لم يلحق به فيخبره بما علم هارون عليه السلام انه انما فعل ما فعل بني
اظهر لهم خوفا من القتل وهو قوله تعالى قال يعني هارون ابن ام ان القوم استضعفوني يعني بعبادة العجل وكادوا يقتلونني اي وقاربوا ان يقتلوني فلا
تشمت بي الاعداء اي لا تفعل شماتة الجرح بليغة من تعاديه وتعاديك فلا تشمت فلان بفلان اذا سره مكروه
نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تفعل بي من مكروه ولا تجعلني مع القوم الظالمين يعني الذين عبدوا العجل فلما رأى موسى انهم يعني ان
موسى عليه السلام لما تبين له عذر اخيه هارون فاراد به انهم ما صنعت الى اخي هارون تريد ما ظهر من الموجدة عليه في
وقت الغضب واخي يعني واغفر لاخي هارون ما كان وقع منه من تقصير في الانكار على عبادة العجل وادخلنا يعني جميعا
في رحمتك يعني في سعة رحمتك وانت ارحم الراحمين وهذا ايضا ليدل على الترغيب في العمل لان من هو ارحم الراحمين توصل

صفة الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبه **إن الذين اتخذوا العجل** يعني الهاء عبروا من دون الله **سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا** يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم التمسوا من هذه الآية فوائد أحدها أن المراد بالذين اتخذوا العجل باشروا عبادته وعلى هذا القول في الآية سؤال وهو أن الواو في قوله الذين اتخذوا العجل ما وقعت إلا في جواب الذين فما الجواب **والجواب** أن ذلك الغضب إنما حصل لهم في الدنيا وهو بفعل الفعل فكان ذلك الفعل غضبا عليهم والمراد بالذلة ما أمرهم الله به من أن يقتل بعضهم بعضا وأن يعترفوا على أنفسهم بالضلال والجهل فإن قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف يكون للماضي قلت هذا الكلام إنما هو خبر عما أخبر الله به موسى عليه السلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم أخبره في ذلك الوقت أنهم سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا على قوله وهو الفعل الذي أمرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج في هذه الآية أن هذا الغضب والذلة لم يزالا منهم على عبادة العجل ولم يزل من القتل وهذا الذي قاله ابن جريج وإن كان له وجه لكن جمهور المفسرين على خلافه القول الثاني أن المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد بالغضب والذلة ما أصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول في تقدير الآية وجهان الأول أن الواو تفيد الربط كما يقتضيه الكلام كما تفعل في المناقب يقول للابن بعد ما علم كذا وفعل كذا وأنا أجعل لك من مضى من آبائك بذلك هذا وصف اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم اتخذوا العجل وإن كان آباؤهم فعلوا ذلك ثم حكى عن اليهود الذين كانوا في زمنه بأنهم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا الوجه الثاني أن تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى أن الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينالهم الذي نالهم ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقوله **وكذلك نجزي المفترين** يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل الهة كذلك نجزي كل من افترى على الله كذبا أو عبد غيره وقال أبو قلابة في الآية جزاء كل مفتر الى يوم القيامة أن يذله الله وقال سليمان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة أن يذله الله وقال السديان وقال مالك بن أنس ما من مبتدع إلا وهو يجد في قلبه ذلة ثم قرأ هذه الآية فالمراد والمبتدع مفتر على الله **والذين عملوا السيئات** يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب كبير وصغير حتى الكبائر بعد دونه **ثم تابوا من بعدها** يعني ثم رجعوا الى الله من بعد اعمالهم السيئة **وآمنوا** يعني من بعد توبتهم وعدوا بالله تعالى والله يغفر التوبة التائبين ويغفر الذنوب **إن ربك** يا محمد أو يا أيها الانسان **من بعدها** يعني من بعد توبتهم **لغفور رحيم** يعني أنه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائب وفي الآية دليل على أن السيئات بالشرك يغفرها وكبيرها مشتركة في التوبة وأن الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير الآية أن من أتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله وأخلص التوبة فإن الله يغفرها ويقبل توبته وهذا من أعظم البشائر للمذنبين التائبين قوله تعالى **ولما سكت عن موسى الغضب** يعني سكن السكوت أصله الامساك عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير للسكون الغضب الذي هو ثوران دم القلب لما كان يصورته فالمعنى ما في نفس الغضب كان بمنزلة الناطق فإذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عنه كأن متكلما به وقيل معناه ولما سكت عن موسى الغضب فهو من المقلوب كما تقول أدخلت القلنسوة في رأسي والمعنى أدخلت رأسي في القلنسوة والقول الأول أصح لأنه قول أهل اللغة والتفسير **أخذ الألواح** يعني ألقاها فإن قال قائل الذي يدل على هذا المعنى يدل على أن الألواح لم تنكسر ولم يرتفع من التوراة شيء **وفي نسختها** النسخ عبارة عن النقل والتحويل فإذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف نسخت هذا الكتاب فهو نقل ما في الأصل الى الفرع فعلى هذا قيل إنما نسخت الألواح لأنها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل أراد بالنسخة المكتتبة من الألواح التي أخذها موسى بعدما تكسرت وقال ابن عباس وعمرو بن ميمون الهلالي في موسى الألواح لم تنكسر صام أربعين يوما فرفعت عليه الواحه وبقيت في الألواح التي في يديه فتكون نسختها وعلى قول من قال إن الألواح لم تكسر وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون معنى ونسختها الكتوب فيها **هدى ورحمة** قال ابن عباس رضي الله عنه يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب **للذين هم لربهم يرهبون** يعني للذين هم يعملون بما في التوراة مخافة ربهم عز وجل **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا** الاختيار افتعال من الخير والاختيار يقال اختار الشيء إذا أخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى قومه فحذف كلمة من وذلك سائغ في اللغة لدلالة الكلام عليه قال الخليل الاختيار أن موسى عليه السلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثني عشر وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لهم تعالوا منكم أجمع مثل مزرج فيعد يرشع بن نون وكالب بن يوفنا وقيل إنه لم يجد الا ستين شيخا فأوحى الله إليه أن يختار من الشيوخ عشرة فاختار بهم بأصحاب شيوخا بأمره أن يصوموا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ربه واختلف أهل التفسير في ذلك الميقات فقيل إنه الميقات

الذي كلمه

الذي علم فيه ربه وسأل الرؤية وذلك انه لما خرج الى الطور بسبعين فاخذ معه هارون فاصعدا الجبل ونزل عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى خلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل هذا ولا تفعل هذا فلما انجلى الغمام واقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراة في الرجفة المذكورة في هذه الاية وقال السدي ان الله عز وجل امر موسى ان يأتيه باثني عشر رجلا من بني اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فاخذ قد علمت فاياه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسئلوا التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم وتطهروا وطهروا ثيابكم ثم كونوا على جانب الوادي غدا ففعلوا ثم انطلق بهم لميقات ربه وكان اذا اتاه اتاه منه وعلم فقال التفت فيما ذكر حين علموا ما امرهم به ربهم وجاءوا معه لميقات ربه اخلاء ربنا فقال البعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى غشي الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا يسمعون وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ الله من امره انكشف عنه الغمام فاقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس رضي الله عنه كان الذي امر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار ستة من كل سبط ستة وكانوا نقباء فاوحى الله الى موسى ان مرهم فليصوموا ثلاثة ايام وليتطهروا وليطهروا ثيابهم ثم ليخرج بهم الى الجبل الذي اعطاه فيه التوراة فلما فعلوا ذلك قالوا يا موسى انك اعلم بربك فاسأله ان يسمعنا كلامه فقال افعل فلما صعد الجبل وقع عمود الغمام على الجبل فدنا موسى حتى دخل في الغمام وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجودا وكان يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ الله من امره انكشف عنه الغمام فاقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس رضي الله عنه كان الذي امر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار ستة من كل سبط فكانوا اثنين وسبعين رجلا فقال لهم موسى اصوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا ثم صعد بهم الجبل الذي اعطاه فيه التوراة فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام فغشي الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجودا يسمعون وهو

بل ابتلوا وهديتهم فرقا فمنهم من تبعوا حكم دينك وهو المراد من قوله تقطعناهم من تحتنا وقد يجيء من تحتنا فالواجب هذه الآية من الحمل على الظاهر في الآيات التي لا يبقى لهم معها عذر ان قلت ولم يأتنا ما نراه وحاله كذا وهذا يبعد الحمل على الاولى والاتى وكما قابل الآيات بالغير لنا سأل موسى عليه السلام لنفسه ولقومه الغير ان اما النفس فلقوله ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحرج المقدسة واما القوم فلقولهم ارنا الله جهرة وهذا اقدام على الحج المقدسة فلهذا السبب سأل موسى الغير ان لقومه وارحمنا اي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء وانت خير الغافرين يعني كل من سواك انما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل او لدفع ضرر واما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك الكاملين غير طالب لعوض ولا غرض بل لمحض البخل والكرم فانت خير الغافرين فوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة اي واكتب لنا في الآخرة مغفرة لذنوبنا فلهذا قالوا انا هدنا اليك قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق فلهذا يقال وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل ان يقع على من يقع فلما سمعت بنو يعقوب صار اسم ذم وهو كالاسم لهم قال الله عز وجل لموسى عليه السلام عذابي اصيب به من اشاء يعني من خلقي وليس لاحد علي اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في ملكه بما يشاء ليس لاحد عليه اعتراض ورحمتي وسعت كل شيء يعني ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص يعني رحمة الله عمت البار والفاجر في الدنيا وهي للمومنين خاصة في الآخرة وقيل للمومنين خاصة في الدنيا والآخرة ولان الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المومن لسعة رحمة الله فاذا كانت يوم القيامة وجبت للمومنين خاصة فلما سمع ابليس لعنه الله من العفو يعني لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء تطاول ابليس لعنه الله وقال انا من ذلك الشيء فنزعها الله من ابليس فقال تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الذين هم بآياتنا يؤمنون يا ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونحن من آيات ربنا نؤمن فنزعها الله من اليهود وانتهى هذا الامة فقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتم الصلاة الا عند مرحاض او حمام او قبور واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرون التوراة عن ظهر قلوبكم يقرأها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى يا رب قومي فقالوا نريد ان نصلي الى الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقرأها الا نظرا فقال الله تعالى فسأكتبها للذين يتقون الى قوله المفلحون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال موسى يا رب اجعلني نبيهم فقال انبيهم منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدركهم فقال موسى يا رب اتيتك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون عذر موسى اما التفسير فقوله تعالى الذين يتقون يعني الشرك وسائر ما نهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة في شيئين الاول الترك وهي الاشياء التي يجب على الانسان تركها والاحتراز منها والبعد عنها والاشارة بقوله تعالى ويؤتون الزكاة وهي الاتيان بما امرت به من الصلاة والصوم والحج والاعمال الفاضلة بالابدان والصدقة واليه اشار بقوله والذين هم بآياتنا يؤمنون قوله عز وجل الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ذكرنا الكلام في الدين في معنى هذه التبعية وبينا احد معانيها ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد صحة نبوته من حيث وجدوا التبعية صحيحة في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه في ثاني يوم قبل ان يبعثه الله تعالى الى الخلق قال وهب في قوله في الانجيل ان المراد ويجدونه مكتوبا في الانجيل لا يمكن ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد من الذين في اسرائيل بل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه فان وهذا الفوز انما يحصل للامة ان اتبعوه قبل ان يبعث فبين بهذه الآية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من تفوز اتى الزكاة وامن بآيات الله يعني من كان موسى وسائر انبياء الله عليهم السلام يلازمه ذلك منتهى الى نبينا صلى الله عليه وسلم فيدخل فيه بعض الموجودين بكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بني اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد به جميع امته الذين امنوا به واتبعوه ثم قال لكل من في بني اسرائيل وغيرهم راجع المفسرون على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه ولكل بعض اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا اليضا من اعلى المراتب وانما يدل ذلك على ان رفع الدرجات عند الله انما حصل عنهم ثم وصفه بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامي هو الذي على صفة امة التي اكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال انا امة

امة امية

أمة أمية كما نكتب ولا نحسب فإن أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان أميا كان من أجل معجزاته وأكملها وبيانه أنه صلى الله عليه وسلم
أتى بهذا الكتاب العظيم الذي أعجز الخلائق بفصاحته وبلاغته وكان يقرؤه على الناس بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير
بدل ذلك على معجزته وهو قوله سنقرئك فلا تنسى وقيل إنه لو كان يحسن الكتابة لم يأت بهذا القرآن العظيم لكان منتهما فيه لاحتمال أنه كتبه وتعلم
عن غيره فلما كان أميا وأتى بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وأيضا
فإن الكتابة تعين الإنسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم إنه أتى بهذه الشريعة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة
من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على أحد وذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل بمعنى الأمي الذي هو منسوب إلى أمه لم يخرج بعد
عنها ولا تلمذ وقيل سمي أميا لأنه منسوب إلى أم القرى وهي مكة وقوله تعالى الذين يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يقرؤه على أهل الكتاب
كما يقرؤه على أصحابه وأحبارهم ولكن
كتمان ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فإنه ذلت رقابهم وقعدوا في الذل والهوان
ج عن عطاء بن يسار قال ألفيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل إنه
لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة
العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا شرح غرائب البلاغة البعد الشيء الخلق والغليظ
الجافي العامي في قوله سخاب بالسين والصاد وهو كثير الصياح في الأسواق والاعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء
الكفر والقلب الأغلف الذي لا يصل إليه شيء ينبعه شبه بالأغلف كما أنه وروى البغوي بسنده عن كعب الأحبار قال إنا نجد في
التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أمته الحامدون يحمدون
الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يتزورون على الصلوات هم صفوف في الصلاة وصفوف في القتال يطول مناديهم تنادي في جو
السماء لهم في جوف البيداء دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وقوله يأمرهم بالمعروف أي بالإيمان
وينهاهم عن المنكر أي عن الشرك بالله تعالى وقيل المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما أنكر في الشريعة والسنة وقال
عطاء يأمرهم بالمعروف بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الأوثان وقطع الأرحام وقبل
لهم الطيبات أي بذل ما كان في ملتهم في التوراة من الطيبات وهو لحوم الإبل وشحوم المعز والبقر والضأن وقيل هو ما كانوا يحرمونه
على أنفسهم أهل الجاهلية من البحائر والوصائل والسوائب والحامي وقيل هو المستلذات التي تستطيبها الأنفس ويحرم
عليهم الخبائث قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس مثل الأمعاء
والعذرة والبول ونحوها والإصر الثقل منعمل بالحمل ويضع عنهم أي يعفيهم وأصل الإصر الشغل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحركة
لثقله والمراد بالإصر هنا العهد والميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة من الأحكام وكانت تلك الشدائد
والأغلال التي كانت عليهم يعني وضع الآثام والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة في التوراة
وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقاريض وتعيين الفصل في القتل وكيفية أخذ الدية وترك العمل
في السبت وأن صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس وتتبع الحروف من اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني إسرائيل بشريعة
موسى فالأغلال مجاز الآن التحريم يمنع من الفعل وقيل شبهت بالأغلال التي تجمع اليدين إلى العنق كما أن اليد لا تمتد مع وجود الغل
فكذلك لا تمتد الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الآثام في شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم نسخ
ذلك كله ويدل عليه قول صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة عزروه أي عظموه يعني محمدا وعزروه
يعني وقروه ونصروه أصل التعزير المنع والنصرة تعزير العدو تعزير الشيء تفخيمه وإجلاله ودفع الأعداء عنه وهو
قوله ونصروه يعني على أعدائه واتبعوا النور الذي أنزل معه يعني القرآن سمي القرآن نورا لأن به يستنير قلب
المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة إلى الضياء اليقين والعلم أولئك هم المفلحون يعني هم الناجون الفائزون بما
بالسعادة قوله تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد للناس إني
رسول الله إليكم جميعا لا إلى بعضكم دون بعض ففي الآية دليل على عموم رسالته إلى كافة الخلق لأن قوله يا أيها الناس خطاب
عام يدخل فيه جميع الناس ثم أمره الله عز وجل أن يقول إني رسول الله إليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا إلى جميع الناس

عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وفي الرواية الاولى وبعثت الى كل احمر واسود قيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن وعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن ع عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بستة اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وفي رواية لمسلم الذي بيده ملك السموات والارض لقد امر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم واعلم ان افضل الكل اني رسول الله اليكم جميعا كما قال الا له تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وصف الله نفسه بالالهية فانه كما لا شريك له في ربوبيته وانه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه فامنوا بالله لما امر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله تعالى جميع خلقه بالايمان به وبرسوله بقوله فامنوا بالله ورسوله ثم وصفه بقوله تعالى النبي الامي الذي تقدم معناه الذي يؤمن بالله وكلماته قال قتادة يعني اياته وهي القرآن وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل يعني به من يؤمن بجميع كلمات الله تعالى واتبعوه يعني وافقوا به ايها الناس فيما يامركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على فسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال ان يمتثل التابع جميع ما يامر به المتبوع على كيفية الامر والنهي والترغيب والترهيب واما المتابعة في الافعال ان يقتدي به في جميع افعاله واداب به كما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت الدليل انه مرخص له فيه فلا متابعة فيه وقوله تعالى لعلكم تهتدون يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتحيوا الحق والصواب في متابعته اياه قوله عز وجل ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يعني يهتدون بالحق ويستفيضون عليه ويعملون به ويرشدون اليه وبه يعدلون يعني بالحق يحكمون وبالعدل ياخذون ويعطون ويقضون واختلفوا في هؤلاء من هم فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام واصحابه قالوا انهم امنوا بموسى والتوراة وامنوا بعد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترافهم على هذا بانهم كانوا قليلين ولكن الاية يقتضي الكثرة واجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز لهم الثناء الحسن عليهم كما في قوله امة قائمة وقيل هم قوم وراء الصين يعرفون بالدين الحق الذي جاء به موسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل وهم الذين سار اليهم وفد الاسكندر وابن جريج وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما اقتتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا نبرا سبط منهم ما صنعوا واعتزلوا وسالوا الله تعالى ان يفرق بينهم فانهم الله تعالى فغاصت بهم الارض فساروا فيها تحتها سربا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هناك خلف مسلمون مستقبلون قبلتنا قال ابن جريج فاخبرني عبد الله بن عباس ان بينهم وبيننا كما بين السماء والارض سنة ونصف رواه الضحاك وحكى البغوي عن الخليل والفراء والربيع فالوا هم خلف الصين بابا قصا الشرق على نهر يخرج من الرمل يسمى نهر اراك وان ليس احد منهم الا وزوجته يلدون بالليل ويحبلون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا ولا منهم الينا وذكروا ان ذا القرنين ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى بهم كلهم فيقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون فالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم محمدا صلى الله عليه وسلم فليقرئه مني عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام على موسى عليه السلام واقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه مكة وامرهم بالصلاة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم فجاءوا بليشتون وامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول فوله ان احدا منا لا يصل اليهم واذا كان الامر كذلك فمن اين وصل خبرهم الينا الوجه الثاني قوله ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا راه احد من ائمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والمفسرين في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلامه وقد صح في حديث المعراج انه سلم عليه السلام لانه قولهم انهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة اكثر من ذلك وان كان فرض الزكاة بالمدينة بكيف يامرهم بها فيما مضى فاذا ثبت بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الاية انها انما ان تكون نزلت في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير فقرأوا بهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله واصحابه قوله تعالى وقطعناهم يعني وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة اسباطا يعني

من اولاد يعقوب

من اولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولد امما في جماعات وقبايل واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه يعني في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست يعني فانبجرت وقيل فانشقت وهو الانبعاث من منبع اي من الحجر اثنتا عشرة عينا يعني لكل سبط عين قد علم كل اناس مشربهم يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم وظللنا عليهم الغمام يعني في التيه يقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن هو الترنجبين والسلوى جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون في الكلام حذف تركه كما لا استغنى عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فاجمعوا ذلك وسألوه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوه غيره لان المكلف اذا امر بشيء فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما اخطأوا علينا في ملكنا وسلطاننا فنقصانا بمسئلتهم ما سألوا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني بما لحقهم من ضرر وبه وتدفع بسبب الكلام على هذه الاية في سورة البقرة وقوله تعالى واذ قيل لهم اي واذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل اسكنوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقد مر في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية والمناقبات بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه وكلوا منها حيث شئتم يعني رغدا من ثمار القرية وزروعها وخيرها بقولنا حيث شئتم وابن شئتم خلاف في البقرة فجعلوا الباء بمعنى الواو وهنا بالواو والمعنى بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل عقيب الدخول لحسن دخول الفاء التي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار تحتمل دخول الواو عقب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاء من وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقب الدخول الذي اكمل بما الاكل مع السكنى والاستمرار فلم يحتج لذلك لحسن دخول الفاء هنا هناك بخلاف هنا وقولوا حطة اي حط عنا ذنوبنا وادخلوا الباب سجدا وقال في البقرة عكس هذا الترتيب والمناقبات في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخضوع والخشوع فلم يتفاوت الحال بسبب التقديم والتأخير نغفر لكم خطيئاتكم يعني نتجاوز عن ذنوبكم ولا نؤاخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود بالغفران هناك تكثير المغفور سواء كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا بالدعاء والتضرع سنزيد المحسنين وقال في سورة البقرة وسنزيد بالواو ومعناه انه وعد المسيئين بالغفران وبالزيادة بالمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخرجه عن ذلك المعنى لانه استيناف حرب تقرير فوق الفاء لان ما بعد الفاء قد يفيد ما لا يفيده ما قبلها فقيل لسنزيد المحسنين بدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم يعني فبدل الذين ظلموا التفتح بخلافة امرنا من بني اسرائيل بل بدلوا غير الذي قيل لهم وامروا به وذلك انهم امروا ان يقولوا حنطة فقالوا حنطة في استهزاء فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء يعني بسبب عذابا هو الهلاك والمناقبات بين قوله هنا ارسلنا وبين قوله في البقرة انزلنا لانهما لا يكونان الا بالانزال لا بشيء وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكأنه تعالى بدأ بانزال قليل ثم ارسله عليهم كثيرا بما كانوا يفسقون يعني ان ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم وخالفتهم امر الله تعالى وقال في البقرة بما كانوا يعصون والجمع بينهما انهم لما ظلموا انفسهم بمعصية ربهم تمردوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدم هذه القصة ايضا في سورة البقرة قوله عز وجل واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي اسأل يا محمد هؤلاء الذين هم حيران كعن حال اهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استعلام والمراد صلى الله عليه وسلم قد علم حال هذه القرية بوحي الله عز وجل اليه واخباره بحالهم وانما المقصود من هذا السؤال التقرير عند اليهود واقامة الحجة عليهم في نبوة النبي والقضاء لديهم وان اصرارهم على الكفر والقضاء لديهم وانكارهم نبوته ومعجزاته ليس بشيء فقد حدث الان في زمانه بالاصرار هم على الكفر كان حالها في اسلافهم في قديم الزمان وفي هذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرأ الكتب القديمة ولم يجالس اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم امر الله عز وجل مسخوا قردة وخنازير وتقدم القرية فقال ابن عباس هي بين مصر والمدينة والعرب تسمي المدينة قرية وقال الازهري هي كبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي بين مدين وعين يعني عين القرية التي كانت على ساحل البحر وقرأ ابن مقسم اذ يعدون في السبت يعني يتجاوزون حدود الله وما امرهم به من تعظيمه فيما امر الله به من ترك الصيد واذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تأتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تأتيهم يوم السبت مثل الجبال من كل مكان السيمان السيء وجوه لا يستون لنا تأتيهم يعني الحيتان كذلك نبلوهم يعني مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونخبرهم بما كانوا يفسقون يعني ان ذلك كان ابتلاء واختبارا بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى وما امروا به وقال اهل التفسير ان اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو ان الله امرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان تخرج لهم يوم السبت المقبل بلما ابتلوا به فوسوس لهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم

عن الاصطياد وقيل وسوسة لهم انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وشرعوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد اخذوها فيعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا ليحل لنا فيه ما نصطاد واعلنوا بالعصيان واصطادوا وصار اهل القرية احزابا ثلاثة وكانوا اثنى عشر الفا فثلثة نهوا عن الاصطياد وثلثة سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلثة هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا امر الله واصطادوا وباعوا واكلوا فلما لم ينتهوا عما نهاهم فيه من المعصية قال الله تعالى كونوا قردة خاسئين فصاروا قردة لها اذناب تلزمها الشعور ولا تعقل وكان الناهون يأتون باب القرية فلا يسمعون لها صوتا ولا حركة فقالوا ان لاهل القرية لشانا فتسوروا الحيطان فاذا هم قردة فجعلوا يشمون حيطانهم كما تشم القردة فعرفوا نكرة فدخلوا الباب ودخل اليهم فجاءت القردة تعرف انسابها من الناس ولم تعرف الناس انسابها من القردة فجعلت القردة تأتي انسابها من الناس فتشم ثيابهم فيقولون لهم الم ننهكم فتقول القردة برأسها نعم فجا الناهون وهلكت سائر من كان على ذلك قوله تعالى وإذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واقامت الحكمة وفرقة نهتهم عن ذلك العمل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم يعني انهم لا ينفعهم موعظة فهو يعلمون انهم غير متعظين ولا مزدجرين فقال الفرقة الناهية للفرقة المعتذرة الى ربكم يعني ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فهو عظتنا لهم لعلهم يتقون اذا وجايز عندنا ان يتقبلوا الموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فريقين فرقة نهت وزجرت عن الشر وفرقة عملت بالشر فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنتهوا عما انتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا او المعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا او معذبنا عذابه والقول الاول اصح لانهم لو كانوا فريقين لهلكوا ان قولهم معذرة الى ربكم دليل على ان الفرقة الناهية للمعتدية وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اي لما تركوا ما وعظوا به انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفرقة الناهية واخذنا الذين ظلموا يعني الفرقة المعتدية العاصية بعذاب بئيس من البأس وهو الشدة بما كانوا يفسقون يعني انا اخذناهم بالعذاب بتسببهم وفسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله بقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بلا ذكر ما فعلت الفرقة الثالثة وجعل يقول قال عكرمة فعلت فعلى العباد الا تواني فذكروا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم ولم يقل الله انجينا ولم يقل اهلكنا قال وما عجبه فقد رضي به وامر به يعني تبين بلسانيهم وقال نجت الساكتة وقال نفر يزيان نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة والله اعلم الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال زيد نجت الناهية واهلكت البوفان وهذه شدة في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت واكله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين يعني ما غريب مبعدين عن كل خير فاما فئة لما عتوا عن ما نهوا عنه معتنعهم بصيرهم قردة تتعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله تعالى منهم القردة والخنازير وقرأ ابو عمرو اين شباب الفوه طاروا قردة وان المسخة طارت خنازير فيقال انهم بقوا ثلاثة ايام ثم ماتوا ولم يتناسل قبل ان يمسخ الله تعالى واذ تأذن ربك الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم ومعنى تأذن اذن والاذان الاعلام يعني اعلم ربك وقيل حكم ربك وقيل اقسم ربك بمعنى اقسم ربك لأبعثن قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تأذن ربك جار مجرى القسم لكونه وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير عليهم الى من يرجع فقيل ينبغي ان يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه فلما لم كونوا قردة خاسئين لمن وعدنا ان الذين ما مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان يكون المراد الذين بقوا منهم فلا يلحق الذل بهم وقيل ان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من اهل القرية كانوا صالحين والله يبعث الله على اليهود هو بخت نصر وسنجاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يدل عليه ان الله تعالى قال وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك والذلة والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة وورد في الحديث انه سيأتي الزمان تكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود اتباعه والشباعه ثم اجيب عنه بان ذلك العز الذي يحصل لهم في غاية الذلة لانهم يذعنون للكفيه للدجال فيعزون فحينئذ الى يوم لهم

واذ قالت

فهذا اهلك الدجال تعلكهم المسلمون وفتلوهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب وهذا خبر بان العذاب انما يجعل عليهم في الدنيا مستمرا عليهم الى يوم القيامة ولهذا بقي هذا العذاب بلا ازالة والذلة واخذ الجزية منهم فاذا ابوا الى الاخرة كان عذابهم اشد واعظم وهو قوله تعالى ان ربك لسريع العقاب يعني لمن اقام على الكفر وفيه دليل على انه جمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم في الدنيا ثم في الاخرة ثم ختم الاية بقوله تعالى وانه لغفور رحيم يعني لمن امن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في قوله تعالى وقطعناهم في الارض امما يعني وفرقناهم في اسباط في الارض جماعات متفرقة بلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس في كل ارض تدخلها فرق من اليهود منهم الصالحون يعني من هؤلاء الذين وصف الله نعتهم من يتلى عليهم القرآن ومنهم من امن بالله ورسوله وثبت على دينه فيما بعث عيسى عليه السلام وانقاد لحكمه فبايع محمدا صلى الله عليه وسلم بذلك قبل ان تتغير صفته وقبل ان يبدل غيره ويترك البقية وغيرهم من المتمسكين بالكتاب وقال مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالصالحين الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود فامنوا به والصحيح ما ذكرنا الخبر يدل عليه قوله بعده فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرائيل وقوله تعالى ومنهم دون ذلك يعني الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا وبلوناهم يعني جميع الصالح وغيره وبين يبلوهم اختبرناهم واعتبرناهم بالحسنات يعني الخصب والعافية والسيئات يعني الجدب والشدة لعلهم يرجعون يعني لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال اهل المعاني كل واحد من الحسنات والسيئات اذا بسرنا بالنعم والشدة ندعوا الى طاعة الله تعالى اما النعمة يبتلى عليها شكرا يرغب في الطاعة واما الشدة يبتلى عليها صبرا يرغب فيها فتلخص ان الله تعالى يبتلي عباده بالنعمة والشدة لكي يرجعوا الى طاعته فقال تعالى فخلف من بعدهم خلف يعني من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف وقيل ابدل من بعد هم خلف هو بفتح اللام وخلف سوء بسكونها وأكثر ما يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم بالسكون وقد جرى في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح نحن الخلف الاول لك ولخلفنا ولنا في كل معاشر حسنا وقال ابو عبيدة بالسكون في الذم وبالفتح في المدح وقال الفراء في قوله وتعويد بالفتح والذم ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب بسكون اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقاء ويقال للرديء من القول خلف وخلف الشيء تغيره ومنه خلوف فم الصائم والمعنى جاء من بعدهم خلف والخلف القرن الذي يجيء بعد قرن كان قبله ورثوا الكتاب يعني انتقل اليهم الكتاب من ابائهم والمراد بالكتاب التوراة يأخذون عرض هذا الادنى العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البار والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا يأخذون الرشا في الاحكام وعلى تبديل الكلم وتغييره وذلك الذي يأخذونه من حطام الدنيا هو الشيء التافه الخسيس الحقير لان الدنيا بأسرها بالنسبة حقيرة والراغب فيها أحمق منقوص بالجهل ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوا واخذوا الرشا في الاحكام ويعلمون انه حرام اثر انهم مع اقدامهم على هذا الدين العظيم واصرارهم عليه ويقولون سيغفر لنا ذنوبنا ويتمنون على الله الاماني الباطلة قال الحسن بن عبد العزيز سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الحديث اخرجه الترمذي وقال في قوله دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل ان تحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الاماني قوله تمنى على الله لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى وان يأتهم عرض مثله يأخذوه وهذا اخبار عن اصرارهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم شيء من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله اخذوه قال السدي كانت بنو اسرائيل اذا ارتشوا في الحكم قيل لهم ما بالكم ترتشون فيقولون سيغفر لنا فيهكم عليه الاخرون واذا اعسروا رفع من الحكم وجعل مكانه اخر فمن كان يكفر عليه ارتشى ايضا يقول الله عز وجل وان يات الاخر عرض الدنيا يأخذ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني الم يؤخذ على قولهم الحق في احكامهم العهود والمواثيق في الكتاب وهو التوراة ان لا يقولوا على الله الا الحق يعني انا اخذنا عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فما لهم اليوم لا يأخذون بالحق ودرسوا ما فيه امر الله تعالى وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتنفيع للمتهمين واعلامهم على الله الباطل قال ابن عباس لا يجوز على الله من غير ان الذنب التي لا يزالون يعودون فيها والا يتوبون وهم يعلمون ما فيه يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذكروا ليقاء اخذ عليهم من العهود والمواثيق في الكتاب لانهم قد درسوه فلا يتركونه والحق دار الله وضيعوا العمل به والدار الاخرة خير لهم وما في الدار الاخرة مما اعد الله لاوليائه والعاملين بما امرهم الله

BULAC

بكتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرشوا في الاحكام خير للذين يتقون يعني ليتقون الله ويخافون عقابه افلا تعقلون يعني افلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا الخ خير وابقى لمن اتقى والذين يمسكون بالكتاب يقرأ ويتمسكت بالشيء والمسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه واحلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الاية في الذين اسلموا من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الذي هو القرآن وأقاموا الصلاة يعني وداموا على اقامتها بمواقيتها وانما اوجدها بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من اعظم العبادات بعد الايمان بالله ورسوله انا لا نضيع اجر المصلحين قوله عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة يعني واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل من مقعره فوق بني اسرائيل كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما اظلك قال الاقتران كالسقف ونحوه وظنوا انه واقع بهم يعني الجبل خذوا ما آتيناكم خذوا واعملوا بما في التوراة واذكروا ما فيها لعلكم تتقون قال الكلبي اخبرهم ان بني اسرائيل ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة امر الله عز وجل جبريل عليه السلام فرفع جبلا عظيما حتى صار على رؤوسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل خروا سجدا على حواجبهم ينظر بعين واحد منهم على اليمين الى الجبل خوفا ان يسقط عليهم وكذلك السجود اليوم على شق وجوههم اليسرى فقوله تعالى واذ اخذ ربك من ظهور بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الآية عن مسلم ابن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم الآية قال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار اخرجه مالك والموطأ وابو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا فلت ذكر الكبير في بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن رجل عن عمر عن ابي صلى الله عليه وسلم كذا في نسخة من عمر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال اي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال اي رب من هذا قال داود فقال اي وجعلت عمره قال ستين سنة قال اي رب زده من عمري اربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الا اربعين سنة جاءه ملك الموت فقال آدم الم يبق من عمري اربعين قال اولم تعطها ابنك داود وجعلت ذريته ونسي آدم فجحد ذريته ونسي آدم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واما تعيين الآية وقوله تعالى واذ اخذ ربك يعني واذكر يا محمد اذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم يعني من ظهور بني آدم وانما لم يذكر ظهور آدم وان كان الله اخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية آدم وبعضهم من بعض كالنصر على الخروج من البطن والابناء من الآباء بكذلك قال الله من بني آدم من ظهورهم بالاستغناء عن ذكر ظهر آدم لما علم انهم كلهم بنو آدم واخرجوا من ظهره بترك ذكر ظهر آدم استغناء ثم للمعلوم في تعيين هذه الآية هذه الآية مذهبان احدهما وهو مذهب اهل التعيين والاثر وظاهر ما جاءت به الروايات عند التعليب بما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من طرق كثيرة وروايات مختلفات رواها عنه الكلبي بالاسانيد كثيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي صلى الله عليه وسلم قال لما اخذ الله الميثاق من ظهر آدم ببعمان بعض عرفة باخرج من صلبه كل ذرية ذرأها وبثهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى الآية وعن ابن عباس ايضا هذا مستهم ربك ظهر آدم اخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ببعمان هذا الذي روايته عن عرفة واخذ ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا ان اول ما اعبد الله آدم الى الارض اهبطه الله بدهنا عرفة فمسح ظهره باخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى زاد في رواية عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية عنه قال لما خلق الله آدم اخذ ميثاقه انه ربه وكتب رزقه واجله ومعايشه واستخرج ذريته كالذر وكتب اجالهم وارزاقهم ومعايشهم وفي رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب آدم واستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة باخذ تم اميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادهم في صلبه قبل تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى الميثاق ويرجع بعضهم الى بعض فمن ادرك منهم الاخير فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن ادرك الميثاق فلم يوف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا قبل ان يدرك الميثاق والاخذ مات على الميثاق الاول

وعلى العهد

وعلى العكس ورواه الطبري بسنده عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الله ميثاق
الذر من ظهر آدم كما يؤخذ بالمشط من
الرأس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى فالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وقال ابن عباس اخرج ذرية آدم من ظهره فخلقهم
كالذر فعرفهم نفسه فقال الست بربكم قالوا بلى ثم اعادهم في صلبه فليس احد من الخلق الا وقد تكلم قبل ربنا الله وان يوم القيامة لم تقوم حتى
يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه وقال السدي اخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج
منه كهيئة الذر بيضا، فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سودا، فقال ادخلوا النار
ولا ابالي فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فالملائكة كالياس والكآبة
كالذر بعضهم على وجه الخليقة زاد في رواية وذلك حين يقول وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وقال الحسن بن كعب الغرظي اقرت له بالايمان
والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال قتادة مسح صفحة ظهره اليمين فاخرج منها ذرية بيضا، كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي
كلهم ابيض ثم اخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا النار ولا ابالي فذلك قوله الا اصحاب اليمين وقال السدي اخرج منه كل نسمة
هو خالقها الى يوم القيامة من ذكر وانثى فجعل يمر بعضهم على بعض فقال الهي ما تريد الى بني آدم فقال اني اريد ان اقبض من صلب هذا
ذرية الى الجنة ولا ابالي ومن صلب هذا ذرية الى النار ولا ابالي وقال ابن عباس اخذ الله ميثاق بني آدم ببطن نعمان يعني عرفة
فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ما من قرن من القرون منذ كان آدم الى ان تقوم الساعة
الا وذريته معه فاخذ ميثاقهم على ربوبيته وشهد بعضهم على بعض وقال ابن عباس ايضا اخذ الله ميثاق بني آدم بنعمان يعني عرفة
وقال مجاهد اخذ الله ميثاق بني آدم وهم احياء يوم اخذ الميثاق وقال ابو العالية اخذ الله ميثاقهم بعد ما اسكنهم الجنة
وقال الربيع اخذ الله ميثاقهم حين خلقهم وصورهم وقال السدي اخذ الله ميثاقهم حين اهبطهم الى الارض وقال الحسن بن كعب الغرظي اقرت له بالايمان
والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال قتادة مسح صفحة ظهره اليمين فاخرج منها ذرية بيضا، كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي
كلهم ابيض ثم اخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا النار ولا ابالي فذلك قوله الا اصحاب اليمين وقال السدي اخرج منه كل نسمة
هو خالقها الى يوم القيامة من ذكر وانثى فجعل يمر بعضهم على بعض فقال الهي ما تريد الى بني آدم فقال اني اريد ان اقبض من صلب هذا
ذرية الى الجنة ولا ابالي ومن صلب هذا ذرية الى النار ولا ابالي وقال ابن عباس اخذ الله ميثاق بني آدم ببطن نعمان يعني عرفة
فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ما من قرن من القرون منذ كان آدم الى ان تقوم الساعة
الا وذريته معه فاخذ ميثاقهم على ربوبيته وشهد بعضهم على بعض وقال ابن عباس ايضا اخذ الله ميثاق بني آدم وهم احياء يوم اخذ الميثاق
واعادهم في صلبه فما تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق قال الزجاج وجايز ان يكون الله تعالى جعل لهذه الذرية عقلا وميزا
تفقه به كما قال في النملة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانباري
مذهب اصحاب الحديث وكبراء اهل العلم في هذه الاية ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه واصلاب اولاده وهم على صورة الذر
واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعون واعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا يعرفون بها ما عرض عليهم كما
جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله يا جبال اوبي معه وكما جعل للابل عقلا حتى تعجبت للنبي صلى الله عليه وسلم وترك الشجرة حتى سمعت
كلامه وانقادت ومعنى قوله الست بربكم قالوا بلى يعني قالت الذرية بلى انت ربنا فهذا جواب منهم له واقرار منهم للربوبية واعتراف
بالتوحيد بالعبودية وفي قوله شهدنا قولان احدهما انهم لما اقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا واقالوا
شهدنا على اقرارهم لئلا يقولوا غدا انا كنا عن هذا غافلين والثاني ان كلام الذرية تم وانقطع قال الله عز وجل للملائكة وقوله شهدنا
كلام مستانف والقول الثاني ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى نشهد على انفسنا بهذا الاقرار على هذا لا يحسن الوقف على بلى
لتعلقه بما بعده وقوله تعالى ان تقولوا قرئ بالتاء على خطاب الذرية معناه كيلا تقولوا ايها الذرية انا كنا عن هذا غافلين في الميثاق
غافلين وقرئ ان يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه كيلا يقولوا الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني في معنى هذه الاية
وهو مذهب اهل السنة والحكمة انه تعالى اخرج الذرية وانشأها بعد ان خلق آدم واصلابهم في اصلاب الابا، وهم اولادهم، الى ما اخرج الذرية الى
الدنيا على ترتيبها في الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول وارادهم من عجايب خلقه وصنعه غرايب ودلايل وحدانيته
بعد الاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم انه ربهم وذلك بما نصب لهم من الادلة ايات التي تضطرهم الى ان يعلموا
انه خالقهم وبارئهم ومدبرهم وفاطرهم ثم ان الحق يلهمهم فيما يرى ذلك عاقبة امرهم الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقال الوا بلى نشهد فاعلى انفسنا انك
انت ربنا وخالقنا فجعل هذا القول منهم بلى تشهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة كثير
مشهور في كلام العرب بكل فن بليغ وعقل فهذا الميثاق ثم جعل فيهم من السبب الذي يأخذه الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى
الاية وان ما اخذ ربك من بني آدم واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يلزمهم به العلم والتكليف ويترتب عليه ما صاحبه الثواب
والعقاب يوم القيامة فان قلت بما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الاية قلت المذهب الاول هو المختار
لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه
الاية هو مذهب السلف فما معنى قوله وان الله اخرج الذرية من ظهر آدم اخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث ايضا وكيف يحمل على تفسير
الباقين هذه الاية على هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله تعالى اخرج كل ذرية خلقها من ظهر آدم الى قيام الساعة واخذ عليهم الميثاق وليس في
تلك الاية والحديث كما تقدم ما ينفي تفسير الباقين الاية من ان الله اخرج ذرية من ظهره على سبيل التوالد من بعضهم بعض كما

الخوارج وكلهم يأجمعهم من كلهم اي الذي هو اظلم بهذا الكلي فيه اما من الجمع بين الاية والحديث اذ ليس في معنى العاطف الاية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وكفته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الاية والحديث وحكي الواحدي عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق كل واحد وما خرج منه ذريته وبين الاية اختلاف لان الله تعالى انما اخذ من كل واحد اي جماعة جماعة من ظهور ذريته لان ذرية اي ذرية كذرية بعضهم من بعض قال وحمل العبادة بهذا العقل يدل على ان الله تعالى اثبت الحجة على كل من عقل من بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق والذي اخذ عليهم وزاد على من بلغ الحجة بالايات والدلائل التي نصبها بالرسل المنبئة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره وبالجملة اخذ الميثاق عليهم من الغني ازمن فقير ادخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا اعلى قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا واما من قال لا يحكم بالجنة فانه يقول من كان منهم من اهل الشقاوة كمن الذرية الشقاوة وانما اقروا بالعبودية كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئا حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه ورسله فيصدق رسله ويجاهد به من عنده وانما يعذب من لم يقر ولم يشهد بالعبودية

تذهب الا نرى الملائكة امامي يدوي رجهي هذا ترى ذلك اتذهب الى نبي الله والمؤمنين يتدعوا عليهم بلم يترج فجأل الله سبيل الا تان
بانخلفت به حتى اذا اشرفت به على جبل حسبان ترمقه قومه فجعل يدعوا عليهم بلم يدع عليهم بشيء الامر به الله به لسانه الى قومه وبالدعوا
لقومه بخير الامر به الله به لسانه الى نبي اسرائيل بل يقال له قومه يا بلعام انذر ما تصنع انما تدعوا الغوي وتدعوا علينا فقال هذا ما لا أملكه
هذا شيء غلب الله عليه واقتلع لسانه فوضع على صدره فقال لقومه قد ذهب من الدنيا والاخرة ولم يبق لي الا المكر والخديعة والحيلة
فهل لكم واحتال ثم قال اجمعوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى عسكر بني اسرائيل بل يبيعنها عليهم ففعلوا
ومروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل اراد ذلك فانه ان زنا رجل منهم بواحدة منهن كفيتموهم بعضلوا ذلك فلما دخل النساء العسكر
مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستي بنت صور على رجل من عظماء بني اسرائيل بل يقال له زمري بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن
يعقوب فقال الى المرأة واخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال يا لا هكذا تقول هذه حرام
عليك لا تأتيها قال والله لا انكيفك بهذا ثم دخل بها الى قبته يوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرائيل بل في ذلك الوقت
وكان بنحاص بن العيزار بن هارون وهو صاحب امر موسى كان رجلا بكما حتى اعطي بسكمة في الخلق وقوة البكم وكان غايبا حتى صنع
زمري بن شلوم ما صنع فجاء وانطلق يحوش بني اسرائيل باخبر الخبر واخذ حربته وكانت من حديد فدخل عليهما القبة وهما مضطجعان
بطعنهما في بيتها بالحربة فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد اخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرافقه على خاصرته والعنة الحربة
الى الجبهة وكان بنحاص يعير وجعل ينطر الله هكذا تفعل بمن عصاك وربع الطاعون عن بني اسرائيل بل لحسب من مات منهم في ذلك
الطاعون فيما يزعمون اربعة وعشرون الفا فلما اصاب ذلك الرجل المرأة الى فتله بنحاص بوجده وقد هلك سبعون الفا في ساعة واحدة من النهار فجزع الناس يعظموا
بني اسرائيل بل لولد فنحاص من عاتكة بنت مرة بن هلال الاية والذرع والقمي لاعتماده بالحربة على خاصرتها وأخذه اياها بذراعه واسناده اياهما
الى الجبهة ويعظمونه البكي من كل امر المهم لانه كان بكم العيزار وفي بلعام انزل الله عز وجل اتل عليهم نبأ الذي اتيناه الاية وقال مقاتل
ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من اهل ديني فلا ادعو عليه فيصيبه لي خشية ليجلبه علي فلما راى ذلك
خارج على الناس ليدعو على موسى وعلى عسكره فلما مات به الاتان ووقفت فجعل يضربها فقالت لم تضربني ويلي ما امرك وهذه نار امامي
قد منعتني ان امضي فرجع الى اهله فاخبره بذلك فقال له تدعو علي نبيا وقد اصابك هذا ادع على موسى اللهم الاعظم ان لا يدخل المدينة
فاستجيب له ووقع موسى ومن معه في التيه بدعاء بلعام عليه فقال موسى يا رب بأي ذنب وقعوا التيه فقال بدعاء بلعام فقال ربها سمعت
دعاءه علي فاسمع دعائي فتمثل بدعاء موسى عليهما ان ينزع عن الاسم الاعظم والايمان ينزع الله منه المعرفة وسلخه منها كما خرجت من هذه
كحمامة بيضاء بذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فلت هذه الغصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان
موسى عليه السلام دعا على بلعام ان ينزع من الاسم الاعظم والايمان فلت كيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو
منصبه في النبوة ان يدعو على انسان بالكفر بعد الايمان او يرضى له بذلك فلت الجواب من وجوه احدها منع صحة هذه
الغصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت الى ما يذكره اهل الاخبار اذا خالف الاصول الوجه الثاني ان تسبب وقوع بني اسرائيل
في التيه هو عبادتهم العجل او قولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها فكان ذلك هو تسبب وقوعهم في التيه لا دعاء بلعام عليهم
الوجه الثالث على تقدير صحة هذه الغصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى لم يدع عليه الا بعد ان ثبت عنده
ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وبتكفيره الحياة الدنيا بدعائه عليه والله اعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من
ذلك تنزيه منصب النبوة عما يقوله الجهال الاغبياء كيفما من غير نظر فيه والبحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم نزلت هذه الاية في امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب القديمة
وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه
وكان امية قاطب ثقفي وكان حكيما وله اخت حسنة فخطب بعض الملوك فلما رجع من عنده الى بلده سأل عنهم فقيل له تنكح محمد
فقال لو كان نبيا ما قتل قرابه فلما مات امية اتت اخته بلزعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن وفاة اخيها امية بينما هو يحدثها اذ اتاه اثنتان فجلسا بفناء البيت ونزلا بعد احدهما عند الساق الذي
عند رجليه فقال الذي برأسه وهو قال ارجو فقال ابو طالب فيما انزجر ذلك فقال اخبر اريد به وجعا ثم غشي عليه
فلما افاق من غشيته قال ما علي عيشوان تطاول دهري ما يرمرة الا ان يزرني لبيني كنت قبل ما قد بدا لي في ظلال البيال اربع الوعل

SULAC

انه يوم الحساب يوم عظيم ﴿ شباب فيه الصبي يوما ثقيلا ﴾ ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدني من شعر اخيك فانشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن شعرك ام من شعر غيرك فقال لا بل من شعري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها الآية وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في السموأل وهو رجل من بني اسرائيل بل قد كان اعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منهن اولاد فقالت اجعل لي منهن دعوة فقال لها في اي شيء واحدة فما تريدين فقالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل بل علما علمت انه ليس في نساء بني اسرائيل بل مثلما رغبت عنه وغضب ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت بمعكد عوتان بجاء بنوف الى ابيهم فقال والله ليس لهذا الامر قرار فدعا ربه فصارت امثل كلبة نباحة والناس يعيرونها بولد الله ان يردها الى حالها الاولى فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات جميعا والقول ان الموذكر انه شقي وقال الحسن بن بلعام بن كيسان نزلت في منافي اهل الكتاب الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بعنته وصفته كما يعرفون ابناءهم ثم انكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه لمن عرض عليه العدى فلم يقبله وقوله تعالى اتيناه اياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاعظم وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئا الا اعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الاعظم وفي رواية اخرى عن ابن عباس اوتي ثمانية اسداس وفيل ان الله تعالى اتاه حجبه ولذاته وهي الايات التي اوتيها فانسلخ منها يعني خرج من الايات التي كان الله اتاها كما تسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم فاتبعه الشيطان يعني لحقه وادركه وصيره الشيطان لنفسه تابعا ﴿ معصية الله ومخالفة امره ويقيما الشيطان وهواه وقوله بكلا من الغاوين يعني من الهالكين الضالين بمخالفة ربه واتباع هواه وشيطانه قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها يعني برفعناه درجته ومنزلته بتلك الايات التي اوتيها وقال ابن عباس لو شئنا لعملنا به وقال مجاهد وعطاء معناه ولو شئنا لمنعناه الكبر وعصمناه بالايات ولكنه اخلد الى الارض يعني ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضي بها واصله من الخلود وهو الدوام والبقاء والارض ههنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المعادن والبحار والقفار والاشجار والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدنيا كلها في الارض واتبع هواه يعني انه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات واتبع الهوى فخسس دنياه واخرته ووقع في عاقبة الردى والهلاك وهذه الاية من اشد الايات على العلماء الغير يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك ان الله تعالى خص هذا الرجل بايتائه وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاءه مستجابا ثم انه كما اتبع هواه وركن الى الدنيا وارضى بها وقع منه ما قد ان اعطيه وانسلخ من الدين فخسس الدنيا والاخرة ومن الناس من يشتغل من العمل الى الدنيا واتباع الهوى الذي عصمه الله تعالى بالورع وثبته بالعلم ويشهره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم باسدا هي من حرص المرء على المال والشرف لدينه اخرجه الترمذي ثم ضرب الله مثلا لهذا الرجل الذي اتاه ايانه فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث يقال لهث الكلب يلهث اذا ادلع لسانه من الاعياء والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن اتاه ايانه وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه واثر دنياه وترك اخرته باخس الحيوانات وهو الكلب باخس احواله وهي اللهث لان الكلب في حال اللهث لا يقدر على دفع نفسه والضرر عن ذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على دفع نفسه والضرر في الاخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه او تركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهو مواظبته على اللهث فكذلك من اتاه الله العلم والدين واعرض عن التقرب الى الله بحمل الدنيا الخسيسة ثم مال اليها وطلبها كانت حاله كحال الكلب اللهث وقيل ان العلم اذا نزل بالرجل كالدنيا عند غير اهلها وبدا لسانه في تقرير القول به وبيانها وذلك لاجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بحطوبه الى الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي ادلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي ان تشدد عليه والهجه لهث او تتركه على حاله لهث لان اللهث طبيعة اصلية فيه وكذلك الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص على الفعل الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص ايضا لان الحرص على الدنيا صار طبيعة له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني ان المثل الذي ضربناه للذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني بهذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث انهم ان جاءتهم الرسل

ليصدوهم بلم يعتقدوا وان تركوا قبلم يعتقدوا ايضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال تعالى **فاقصص القصص** وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاقصص يا محمد على قومك اخبار من كفر بآيات الله **لعلهم يتفكرون** يعني يتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يتمنون هلاك آبائهم ويدعون عليهم فلما جاء هم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى كلمة وهم يعوقونه ويعوقون من يقبل منه ثم قال تعالى **ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا** يعني بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا **وانفسهم كانوا يظلمون** يعني بتكذيبهم بآياتنا فوله عز وجل **من يهد الله فهو المهتد** يعني من يرشده الله الى دينه فهو المهتد وقيل معناه من يتولى ارشاده وهدايته فهو المهتد **ومن يضلل** يعني ومن يتولى اضلاله **فاولئك هم الخاسرون** يعني في الآخرة وفي الآية دليل على ان الله تعالى هو الهادي المضل ولقد ذرانا يعني خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اخبر انه خلق كثيرا من الجن والانس وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه للنار فلا حيلة له في الخلاص منها والاستدلال بهذه على صحة هذا التأويل بما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال ابوه او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلابهم ابائهم خرجه مسلم فان الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف بعض من لا يعتد به لحديث عائشة رضي الله تعالى عنها هذا واجاب العلماء عنه بانه صلى الله عليه وسلم انما نهاها عن القطع الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما انكر على سعيد بن ابي وقاص لعنة اخي للاراه مومنا فقال او مسلما الحديث والجمع انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين فجمهور ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون انهم في النار تبعا لابائهم وتوقف كما يأتي والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل بالشيء منها حديث ابراهيم الخليل حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس فقالوا يا رسول الله واولاد المشركين فقال واولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول الرسول حتى يبلغ هذا متفق عليه والسادس وفي الآية دليل وحجة والحق لمن ذهب اهل السنة فان الله خلق اعمال العباد جميعها خيرها وشرها كما ان الله تعالى بين بهذه الآية ان من الجن والانس للنار ولم يرد بذلك ان الله تعالى اجبرهم على ارتكاب ما يدخلهم النار بل علم منهم انهم يختارون لانفسهم اختيار النار فلما علم منهم ما يوجب عليه دخولها علم انه من قضائه ان ذلك العمل الموجب لدخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في جهنم للعاقبة اي عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى **لهم قلوب لا يفقهون بها** يعني لا يفقهون بها ولا يعقلون بها واصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء ثم صار علما على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه بالضم فيه اذا فهم ومعنى الآية انهم قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرون بها ولا يعلمون بها الحق والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله **ولهم اعين لا يبصرون بها** يعني لا يبصرون بها طريق الهدى ولا يتفكرون بها في آيات الله وادلة توحيده وهم **آذان لا يسمعون بها** يعني لا يسمعون بها آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ان العقل انما هو في القلب لا في الدماغ فالمعنى ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالح المستعاة بالدنيا ولهم اعين يبصرون بها الموجودات واذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود تلك الحواس المدركة علم بذلك ان المراد بذلك ان الغرض من هذه الحواس الثلاث انما هو ان يتوصل بها الى ما ينفع في امر الدين والعقبى فتعطيل ذلك لمن ترك استعمال العضو جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر وعود الخلل حمت عندي واذا اشاء بها سميع فبانه اثبت لهم سمعا مع وجود السمع فلم يجاهد لهم فلوب لا يفقهون بها شيئا من امور الآخرة ولهم اعين لا يبصرون الهدى ولهم اذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى **اولئك كالانعام** يعني ان الجن فيهم وانهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية انهم كالانعام وهم البهائم التي لا تعقل ولا تفقه وذلك كان الانسان وسائر الحيوانات مشتركين في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما يفضل على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والعلم الموصوفة الموصل الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يوجد ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيئا ثم قال تعالى بل هم اضل يعني بل ان الكفار اضل من الانعام لان الانعام لم تعطل القوة العقلية والانسان قد عطلها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار

الحيوان احسن حالا منه وقيل ان الانعام مكيفة لله عز وجل والكافر غير مكيف لله عز وجل وصارت الانعام افضل منه ثم قال الله تعالى
اولئك هم الغافلون قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى قال مقاتل ان رجلا دعا الله يا رحمن يا رحيم فقال بعض مشركي مكة
قال ابن الجوزي وهو ابو جهل ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله هذه الآية ولله الاسماء
الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى الآية ان الاسماء التي هي صفة تعلق حسنى وليس المراد بها ما ليس بحسن والمعنى
ان الاسماء الحسنى ليست كالاسماء التي لا تليق بجلال الله تعالى وقيل ان الاسماء الدالة على معان ثلاثة هي انها حسنى بمعانيها
والمعنى الحسنى في الله تبارك وتعالى الذكر لصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين احدهما عدد الاقدار والثاني
اقتدار يحير العقول فيه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة
وتسعين اسما مائة الا واحدا لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخاري احصاها حفظها وفي رواية
الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن
الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق
الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور
العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل
القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر
الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع
الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال الترمذي حدثنا يحيى واحد عن صفوان بن صالح ولا نعلم احدا
من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء التي في هذا الحديث قال ابن العربي وقد روى ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله
تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين
اسما الحديث قال الشيخ محي الدين النووي اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه تعالى وليس معناه انه ليس لله اسماء غير
هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من هذا الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من احصاها دخل الجنة والمراد بالاخبار
عن دخول الجنة بالاحصاء بها الاخبار بحصول الاسماء ولهذا جاء في الحديث الآخر اسالك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في
علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربي العالمي عن بعضهم ان لله الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله من احصاها
دخل الجنة قد فيه قول البخاري معناه حفظها وهو قول بعض المحققين وبعضهم هذه الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد
من الاحصاء العد واحسن الامراعات لها والمحافظة على ما يقتضيه وعد بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى احصاها
احصى بيانه عند ذكرها معناها وتعبد بمدلولها معتبرا اعتبارا هبا معظما لمسماها ومعظما لمسماها ومعظما لذات الله سبحانه
وتعالى وانه يجب بيانه عند كل اسم ذكر الوصف الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى انه الواحد الذي لا شريك
له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر به لان الاعمال ان اكثر الاعمال وتر وفيه دليل على ان لله سبحانه وتعالى اسما هو الله لا اضافة للاسماء اليه فيقال
الرؤوف والكريم والمجيب من اسماء الله تعالى وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم قال ابو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو
المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء اغيارا كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقال الامام فخر الدين دلت الآية على ان الاسم غير المسمى
انها تدل على ان لله اسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان كل واحد
يلزم الغير ان الاسم غير المسمى وايضا قوله ولله الاسماء الحسنى يقتضي اضافة الاسماء الى الله واضافة الشيء الى نفسه محال وقال
غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشيء المسمى به هو غيره وقال اهل اللغة انما حصل الاسم لتتويه على معنى يلزم المعنى تحت الاسم
والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن تغيير اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق
كذلك قال العلماء فكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص يجب كذلك ان يجب تنزيه اسمائه ايضا وقوله تعالى فادعوه بها ادعوا الله باسمائه
التي سمى بها نفسه او سماه بها رسوله فيه دليل على ان اسماء الله توقيفية الاصل فيها حتى ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده انه لا يجوز
ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال يا كيس وللدعاء كما ان يجوز

منها ان يجوز

مشتقا من الجد وهو العظمة والمعنى تعالى ربنا وعظمته ليلا ونهارا من غير ملل ولا فجور وعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله تعالى من الجنون فقال تعالى ان هو الا نذير مبين ثم حثهم على النظر الصحيح الى العلم بالوحدانية فقال تعالى اولم ينظروا يعني نظر اعتبار والسند كما في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية موجود المانع الذي غير منصورة على ملك السموات والارض بل كل شيء خلقه الله ويراه فيه دليل على وحدانية الله تعالى من انكار فترة كما قال الشاعر وكل شيء له اية تدل على انه واحد وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم والعسى ولعل اجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يرعنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك يجب على العاقل العمل لما يرى الشك والاعتبار والنظر المؤدي الى العزوبة النجيم بأي حديث بعده يؤمنون يعني بعد القرآن يؤمنون يعني يصدقون والمعنى بأي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال تعالى من يضلل فلا هادي له يعني اعراض هؤلاء عن الايمان لاضلال الله اياهم ولو نعالجهم بالامنوا وتذرهم في طغيانهم يعمهون يعني ونتركهم فيما التبسوا وتماديهم في الغي يترددون متحيرين لا يهتدون سبيلا قوله تعالى يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قال قتادة ذلت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاخبرنا متى الساعة وانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل يسئلونك يا محمد عن الساعة يعني عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم بساعة غفلة وريقة وان حساب الخلايق يفرغ في ساعة واحدة ايان مرساها سؤال استبعاد عن الوقت الذي يبعث الخلايق فيه واصل الارساء الثبات يقال رسى يرسو اذا ثبت قل انما علمها عند ربي اي لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله تعالى استاثر الله تعالى بعلمها فلم يطلع عليه احدا من خلقه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل وسؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السايل قال المفسرون وانما سبب اخفاء علم الساعة وقتها عن العباد ليكونوا على حذر وتذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت خافوا على كل وقت يرد عليهم ان يكون ذلك الوقت فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو قال ابن عباس لا يبديها الا هو وقال السدي لا يرسلها لوقتها الا هو والجلية الانكشاف الشيء بعد خفايه ومعنى الكلام لا يظهرها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره ثقلت في السموت والارض يعني ثقل امرها وخفي علمها على اهل السموت والارض فلا يتجلى لشيء يخفى عليه قبل شدته وقال المعنى اذا جاءت ثقلت وخفيت على اهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيه فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على الخلق لا تاتيكم الا بغتة يعني مجاءة عاجلين غفلة من الخلق عن عرب لزهرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة حتى ينصرف الرجل باللقحة فلا يطعمه وليقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة بقية اللبن وكسرها الغابة الفاية العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى حوضه يعني يطينه وتصلحه يقال لاط حوضه يليطه ويلوطه اذا طينه واصلحه من اللصوق والكلة بضم الهمزة اللفة وقوله يسئلونك كانك حفي عنها يعني يسئلونك فومك عن الساعة كانك حفي بهم بمعنى بارهم تشفق عليهم بعلمها الغرض فيه تقريب وتاخير تقديره يسئلونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول كانك صديق لهم وبينهم مودة وانك صديق لهم قال ابن عباس لما سال الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سالوه سؤال قوم كانهم يرون ان محمدا على الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله عز وجل اليه انما علمها عنده استاثر بعلمها فلم يطلع عليه ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسئلونك عنها كانك حفي بها اي عالم بها من قولهم حفيت في المسئلة اذا ابالغت في السؤال عنها حتى علمتها قل انما علمها عند الله يعني استاثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل وان قلت قوله يسئلونك عن الساعة ايان مرساها وقوله ثانيا يسئلونك كانك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول وسؤال الثاني وقعا عن امرين مختلفين ثقلها وشدايدها فلم يلزم التكرار فان قلت عين عن الجواب في السؤال الاول بقوله علمها عند ربي وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله علمها عند الله فما الفرق بين الجوابين قلت ليس بين قوله لكنه وهو انه لما كان السؤال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة فاورد فيها علمها عند ربي ولما كان السؤال الثاني واقعا عن احوالها وشدايدها وثقلها عين عن الجواب فيه بقوله علمها عند الله لانه اعلم الاشياء ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استاثر بعلمها حتى لا يسئلوا عنها وقيل

والعن اكثر الناس

ولكن اكثر الناس لا يعلمون المسبب الذي من اجله خفي علم وقت قيامها المعين عن الخلق فقوله تعالى **قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا** قال
ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد اخبرنا ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتري به لنربح فيه عند الغلاء وبالارض التي يريد ان تجدب
فنرتحل عنها الى ما فيه اخصب فانزل الله تعالى قل لا املك لنفسي اي فيما يحمد لا املك والا فقد كان لنفسه نفعا اي اجتلاب نفع بان ارتج فيما
اشتى به ولا ضرا اي دفع عن نفسي ضرا تنزل بها بان ارتحل الى الارض الخصبة واترك الجدبة الا ما شاء الله يعني ان امسكه واقدر
عليه **ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير** يعني ولو كنت اعلم وقت الخصب والجدب لاستكثرت من المال وما **مسني السوء**
يعني الضر والعقر والجزع وقال ابن جريج معناه لا املك لنفسي من الغنى نفعا والصلاة ولو كنت اعلم الغيب يريد وقت الموت لاستكثرت من الخير
يعني من العمل الصالح وقيل ان اهل مكة لما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة انزل الله الاية الاولى ولهذه الاية ومعناها اني لا ادعي
علم الغيب حتى اخبركم عن قيام الساعة وذلك لما علموه بالاخبار عن الغيوب فيذكر فذكر ان فزعته فاما عن علم الغيب فان قلت قد
اخبر صلى الله عليه وسلم عن الغيبيات وقد جاءت احاديث بذلك وهو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو
كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت يحتمل ان يكون قاله على سبيل التواضع والادب والمعنى لو اعلم الغيب الا ان يعلمني
الله عليه ويقدرني ويحتمل ان يكون قاله قبل ان يعلمه الله عز وجل عن الغيب فلما اعلمه الله اخبر به كما قال ولا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول ويكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك اطلعه الله تعالى على اشياء من المغيبات واخبر عنها لكون
ذلك معجزة ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السوء يعني الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل كل الخير واحترزت من الشر حتى امر يحيى لا يمسني السوء وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم
بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني فوالكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة **ان انا الا نذير** يعني ما انا الا رسول
ارسلني الله اليكم انذركم واخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا **وبشير** يعني ابشر بثوابه **لقوم يؤمنون** يعني يصدقون قوله عز وجل **هو الذي**
خلقكم من نفس واحدة يعني ادم **وجعل منها زوجها** يعني وخلق منها زوجها يعني حواء وقد تقدم كيفية خلق حواء من ضلع ادم في اول
سورة النساء **ليسكن اليها** اي ليأنس بها ويطمئن اليها **فلما تغشاها** يعني واقعها وجامعها كنى به عن الجماع احسن كناية
لان الغشيان اتيان الرجل المرأة وقد عشيها وتغشاها اذا علاها وتقلها **حملت حملا خفيفا** يعني النطفة والمني لان اول
الحمل النطفة وهي خفيفة عليها **فمرت به** يعني انها استمرت بذلك الحمل وقامت وقعدت وهو خفيف عليها **فلما اثقلت** اي
صارت ذات ثقل وكبر ذلك الحمل ودنت ولادتها **دعوا الله ربهما** يعني ادم وحواء دعوا الله ربهما **لئن اتيتنا صالحا** يعني لئن اعطيتنا
بشرا سويا مثلنا **لنكونن من الشاكرين** يعني لك على انعامك علينا قال المفسرون لما اهبط ادم وحواء ارض الهند شهوة
نفسه وادم بالصاد حواء فحملت من ساعتها فلما ثقل حملها وكبر الولد اتاهما ابليس لعنه الله فقال ما الذي يكنك فانك ما اردت
اذا خاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا او نحوها فقالت انى اخاف بعض ذلك فما امن ان يخرج
من دبرك او من قبلك او يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته ادم فلم يزالا في غم من ذلك ثم عاد اليهما ابليس فقال لهما
اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه اتسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس في
الملائكة عبد الحارث فذكرت حواء ذلك لادم فقال لعله صاحبنا الذي علمت فعاودهما ابليس فلم يزالا به حتى غرهما فلما ولدته
سمياه عبد الحارث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لادم فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس
ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت فسمياه عبد الحارث وهذا عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما حملت حواء اطاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال لها سميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي
الشيطان وامره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقد روياه بالكلام ولم
يرفعه وقوله وذكر وحي الشيطان يعني من وسوسته وحديثه كما جاء انه قد خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض وقال ابن عباس
لما ولد له اتاه ابليس وقال اسمح لك في شأن ولدي هذا سميه عبد الحرث وكان اسمه في السماء الحارث فقال اعوذ بالله
من طاعتك اذ اطعتك في اخراجي من الجنة فابى ان يطيعه فخرج ثم اتاهما في صورة اخرى فقال لهما ما اسم ولدكما فقالا الحارث
فقال افلا تسميه عبد الحارث فسماه عبد الحارث فذلك قوله تعالى **فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما** قال ابن عباس اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما اشركا ادم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان

لعلمتم

لعله في ذكر لها او سمرا

DULAC

قال ان سمّيتما ان يعيش لكما ولد فسمّياه عبد الحارث بمعنى قوله جعلا له شركا فيما اتاهما فرد شركا بلفظ الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وفرد شركا بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ابليس عبّر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلا للحارث فاسمياه وانهما عبد الحارث فاما الاولاد ولم يجعلا له شركا في العبادة وكان الحارث رب كبيرهما لان ادم عليه الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصد بالتسمية تلك الولد بعبد الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامته وللعلماء هاهنا مقامه وقد يطلق اسم العبد على من كان مراده انه مملوك كما قال الشاعر وانّي لعبد الضيف ما دام ثاويا اخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما اقام عنده مع ان الحر انما يتعلق واما اراد بالعبودية خدمة الضيف والفتيان بواجب حقوقه كما يفعل العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب يعني المولى على غير الله كقولهم ارجع الى ربك يعني سيدك ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار اراد به المتربية ولم يرد به انه رب ومعبود وكذلك هذا وانما اخبر عن ادم بقوله جعلا له شركا فيما اتيهما انه حسنات الابرار سيئات المقربين وكان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا يقدّم الكلام عند قوله فيما اتاهما ثم ابتدأ فقال تعالى عما يشركون عبّر بلفظ الجمع عن الكفار لقوله تعالى عما يشركون عن عبدته شيعا انه ونفى عن اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم واراد اهل وقوا لقوله تعالى عما يشركون عن على التشفية كما على الجمع وقال بعض اهل المعاني واراد به ما سبق من معنى الاية لتستقيم ايضا من حيث كان الاولى ان لا يجعلا ما اتياه من الاولاد شركا في التسمية وكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحارث ومعنى الاية فلما اتاهما اي وجود اولادهما صالحا جعلا اي الولد شركا فيما اتاهما اي فيما اعطاهما من الولد فتعالى الله عما يشركون اي الوالدان من الشرك بعد ان رزقهما الولد الصالح وقيل عنى بالاية جميع ذرية ادم وهو قول المعتزلة عرّفه ومعناه وجعلا اولادهما له شركا فحذف ذكر الاولاد واقام الهاء مقامهم كما اضاف فعل الابناء الى الاباء بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل واذ فلقنا بحرا عبّر به عن الذين كانوا موجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل ابائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد من ابويه وجعل منها زوجها ليجعل من جنسها زوجها وادميّة مثلها وهذا قول حسن الا ان القول الاول اظهر لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله تعالى اولادا فهوّدوهم ونصّروهم وقال ابن كيسان لهم الكفار يعبرون اولادهم لعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى ايشركون فيه بالتاء على خطاب الكفار وفيه بالياء على الغيبة ما لا يخلق شيئا يعني ابليس والاصنام وهم يخلقون يعني وهم مخلوقون قال ابن عباس تنحت كيف وحدّ ثم جمع فقال وهم يخلقون قلت ان العلة ما تقع على الواحد والاثنين وهم في صيغ الجمع الوجه ان يحسب هاهي اللفظ ويجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى قال ابن قتيبة كيف جمع بالواو والنون لما يفعل وهو جمع من يعقل من الناس قلت اعتقد عابدوها وثنا انها تعقل وتميز ورد هذا الجمع بناء على ما يعتقدونه ويصورونه وقوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا اي ان الاصنام لا تقدر على نصر من عبدها ولا على نصر انفسها ولا تقتضي من عبدها والنصر على معونة الاعداء والمعنى ان المعبود الذي يجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك وكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال تعالى ولا انفسهم ينصرون يعني ولا يقدرون ان يدفعوا عن انفسهم مكروها فان اراد كسرها قدر عليه ولا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المومنين فقال تعالى وان تدعوهم الى الهدى يعني وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى لا يتبعوكم لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية سواء عليكم ادعوتموهم يعني الى الدين والهداية ام انتم صامتون اي ساكتون عن دعائهم يعني ان كلا الحالين لا يومنون وقيل ان الله تعالى انما بيّن في الاية المتقدمة عجز الاصنام ليبيّن في هذه الاية انه لا علم لها بالغيب، البتة والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون مخلوقة من حيث انها انها لا تقضي ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوّى هذا المعنى بقوله سواء عليكم الاية وذلك ان المشركين كانوا اذا دعوها بشدة وبلاء تفرّعوا الاصنام ومع ذلك لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم الاصنام وسكوتكم عنها فانها عاجزة في كل حال فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم يعني ان الاصنام التي يعبدها هؤلاء المشركون وانتم يا معشر المسلمين مملوكة لله امثالهم وقيل انهم مسخرة من اليهم مثالكم انتم مسخرون مذللون وقال مقاتل في قوله عبادا امثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول اصح وقيه سؤال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين لما ادّعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة وبالجملة جوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تشكيتا لهم وتوبيخا ولذا قال وادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم

صادقين

ما دفين بكونه الهة وجواب اخر وهو ان هذه الجملة انما وردت في موضع الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام التي تعبدونها ايها المشركون عاجلة على معتقدكم في عباد الله امثالكم والافضل لهم عليكم بل عبد تعولهم وجعلتموهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا وانتم وصفتموه بالعجز فقال تعالى لهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها اي قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها الات يستعين بها في جميع اموره والاصنام ليس فيها من هذه الاعضاء والجوارح شيء بهم معطلون عليهم بهذه الاعضاء ان الرجل المشية افضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع يكفي بهذا البيان ان الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بخير بل الافضل لها البتة لانها جمادات لا نفع ولا ضر واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان يشتغل بعبادة الاخس الادنى الذي لا فضل له البتة ولا يرجى ولا يتبع بامتناع بهذه الحجة كون الاصنام الهة ثم قال تعالى قل ادعوا شركاءكم اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها ثم كيدون يعني انتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم قد عبدوا ما عبدوا من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا فيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبوبي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي فلم تقدروا على ضري لان الله تعالى يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بالمعبود فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون اي لا تمهلون وعجلوا الي كيدكم انتم وشركاؤكم ان وليي الله يعني ان الذي يتولى حفظي وينصرني عليكم هو الله الذي نزل الكتاب يعني القرآن والمعنى كما انني انا نزلت الكتاب علي فكذلك يتولى حفظي وينصرني وهو يتولى الصالحين يعني يتولاهم بنصره وحفظه ولما نفى عنهم عداوته من عاداهم من الوثنيين وغيرهم ممن اراد هلاكهم بشر قال ابن عباس يريد الصالحين الذين لا يعبدون بالله شيئا ولا يعصونه وفي هذا مدح الصالحين لان من تولاه الله يحفظه ولا ينصره شيء قوله عز وجل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون هذه الاية قد تقدم تفسيرها والغرض هاهنا تكرير ما تقدم ذكره ان الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة العرض تبين من تجوز له العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وهذه الاصنام ليست كذلك ولا تكون معبودة قوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا يا محمد المؤمنين المشركين الى الهدى لا يتبعوا دعاءكم لان اذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصائر قلوبهم وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الاية ايضا واردة في صفات الاصنام لانها جماد لا تتبع ولا تنصر ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى خذ العفو العفو هو الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى اقبل اليسير من اخلاق الناس ورضا تستغني عليهم فيستقيموا عليك ينزل منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعني خذ العفو من اخلاق الناس وما تيسر منهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار وصفح وترك البحث عن الاشياء والعفو المسامحة في كل شيء ع عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت خذ العفو وامر بالعرف او اعرض عن الجاهلين امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ العفو من اخلاق الناس كذا في جامع الاصول وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان تأخذ العفو من اموال الناس وكما قال ابن عباس يعني خذ ما عفا لك من اموالهم بما انزل به من شيء فحذه وكان هذا قبل ان تنزل براءة يعني بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتفت اليه وقال السدي خذ العفو اي الفضل من المال يعني الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا من امر اليسر وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة وامر بالعرف يعني وامر بكل ما امر الله به وهو كلمة جامعة يدخل فيه كل ما يعرفه الشرع وقال علماء وامر بقول لا اله الا الله واعرض عن الجاهلين امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا اخبار ان تقويم نفسه الجهال فلما امر بقتالهم صار هذا الامر في حق الاعراض عنه منسوخا بآية القتال قال بعضهم اول هذه الاية واخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ اوله اخذ العفو من الاموال ونسخ اخره بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روي انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بغير تسند وقال جعفر الصادق فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القرآن اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربي بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام

محاسن الامر بالمعروف قوله عز وجل وإما ينزغنك من الشيطان نزغ قال ابن زيد لما نزل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فأنزل الله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وسوسته وخديعته في القلب وقيل النزغ والنغز والنغز لا يكون عند الغضب وأصله الإزعاج بالحركة الى الشر والإفساد يقال نزغت بين القوم إذا أفسدت بينهم وقال الزجاج النزغ أدنى حركة تكون من الشيطان أو وسوسة والمعنى وإما يصيبك يا محمد ويحركك من الشيطان وسوسة أو نخسة فاستعذ بالله يعني فاستغث بالله والجأ اليه يدفعه عنك انه سميع عليم يعني لاستغاثتك عليم بحالك وقيل ان الشيطان لجد مجالا في حمل الانسان فيما لا ينبغي في حالة الغيظ والغضب فأمره الله بالالتجاء اليه والتعوذ به في تلك الحالة التي تجري مجرى العلاج لذلك المرض

فصل واعلم ان الكافر نزغ في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية فقالوا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما لما كان للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وان لم يحصل له ذلك البتة فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والوجه الثاني في تقرير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن انه قد عصم نبينا صلى الله عليه وسلم عن قبولها وتباينها في قلبه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي الا ان الله أعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير قال الغالب عليه ما علمنا ان الله تعالى جبله على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخواطره وللمتأنه والوجه الثالث في الحديث اشارة الى التحذير من فتنة الغضب ووسوسة واغوايها علمنا انه معنا لنتحرز منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ومعناه وإما ينزغنك أيها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله هو كقوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله فقوله تعالى ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف وقرئ كيف من الشيطان وتعلم الكفار ومعناه النبي يلم بالانسان وقيل يتبعهم قرئ بالطائف ما يطوف حول الانسان والكيف الوسوسة وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان والكيف اللمم والمس وقال الازهري الطيف يكون في كل الشر الجنون وقيل الغضب كيف لان الغضبان يشبه المجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة كيف لانه لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال فذكر في الآية الاولى النزغ وهو أخف من الكيف المذكور في هذه الآية لان حالة الشيطان مع الانبياء أضعف من حاله مع غيرهم تذكروا يعني عما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده وقال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقلع ويدع وإذا هم مبصرون يعني انهم يبصرون مواقع الخطاب بالتذكر والتنبه وقال السدي إذا زلوا تابوا وقال مقاتل إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فتابوا ونزع من غلبة الله عز وجل وإخوانهم يعني وإخوان الشياطين من المشركين يمدونهم أي يمد ونهم الشياطين في الغي وقال الكلبي إخوان الشياطين يمدونهم يطيلون لهم في الغواية حتى يستمروا عليه وقيل يمدونهم في الضلالة ثم لا يقصرون يعني لا يكفون عن الضلالة ولا ينزعون وهذا خلاف حال المؤمنين المتقين لان المؤمن إذا أصابه كيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يتقي ولا ينزع وقال ابن عباس الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات والشياطين يمسكون عنهم على هذا القول يحتمل قوله لا يقصرون عائدا الى الانس والشياطين جميعا قوله عز وجل وإذا لم تأتهم بآية يعني وإذا لم تأت المشركين يا محمد بآية معجزة بالقرآن قالوا يعني قال المشركون لولا اجتبيتها يعني افتعلتها وانشأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام إذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبي كان العلة يبطئ النبي صلى الله عليه وسلم الآيات تقترحها وإذا تأخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا أحدثتها وانشأتها من عندك قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوا الآيات اتبع ما يوحى الي من ربي يعني القرآن الذي أنزل علي وليس لي ان اقترح الآيات والمعجزات هذا بصائر من ربكم يعني هذا القرآن فيه حجج وبراهين واصل البصائر الابصار وهو مقعر العين حتى يبصر الانسان ولما كان القرآن سببا لبصائر القلوب في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصيرة فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب وهدى ورحمة يعني وهو هدى ورحمة يعني وهو رحمة من الله لقوم يؤمنون وهنا لطيفة وهي الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات

العلم

العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم المخرج حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والخبر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المومنين وهم اصحاب حق اليقين فالقرآن في حق الاولين وهم السابقون بما يرون وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون بعدي وفي حق القسم الثالث وهم عامة المومنين رحمة فوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا الآية اذكر الله تعالى عظم شان القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة اتبعه منه بما يجب تعظيم شانه عند قراءته فقال تعالى واذا قرئ عليكم ايها المومنون القرآن فاستمعوا له اصغوا اليه بالسماع لتفهموا معانيه وتدبروا مواعظه وانصتوا بعني عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال انصت وانتصت بمعنى واحد واختلف العلماء في الحال التي امر الله بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له اذا قرئ فقال قوم فيه واستمعوا له وانصتوا امر وكل امر امر وجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء في ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر ان يجب هذه الآية على العموم في اي وقت وفي اي موضع قرئ القرآن فيجب على كل احد الاستماع له والسكوت القول الثاني انما نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روي عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فامروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبد الله كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة فسلم علي رجل فلم رد علي فقال اجل انما منعني ان واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث نزلت هذه الآية في ترك الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال امعلمان لكم ان تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وقال الحي كانوا يتكلمون في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انما نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير وجماعة معه وعملا فقال بجب الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت والانتهاء عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وبه قال كان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام يذهب جماعة الى انه يجب على المامومين قراءة الفاتحة سواء جهر الامام بالقراءة او اسر فيروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ وهو قول الاوزاعي والليث وذهب الشافعي وذهب قوم الى انه يجب فيما اسر الامام فيه بالقراءة ولا يجب اذا جهر وروي عن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم ان محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك واحمد واسحاق وذهب قوم الى انه لا يجب سواء اسر الامام او جهر وروي ذلك عن جابر وبه قال ابن عيينة وابن وهب وهو قول اصحاب الرأي وحجة من لم يوجب القراءة خلف الامام في الجهرية ما روي عن ابي موسى ان الامام انما جعل ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرأ فانصتوا وقال اذا قرأ الامام فانصتوا وحجة من اوجب القراءة خلف الامام في السرية والجهرية قال الله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن وحملوا مطلق الآية على المقيد في السنة جمعا بين الدليلين الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية قال الله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن وحملوا مطلق الآية على المقيد في السنة فدلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام يتبع سكناته ولا ينازعه في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال صلى الله عليه وسلم فلا تفعلوا الا بام القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين اقصر منه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تقرؤون وراء امامكم قلنا نعم هذا اكم قال

ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله يا رسول الله وإني أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذي بقوله تعالى بالغدو
يعني غدوة والآصال جمع أصيل وهو ما بين صلاة العصر إلى المغرب والمعنى اذكر ربك بالتكبر والتسبيحات وإنما خص هذين الوقتين
بالذكر لأن الإنسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أخو الموت فيستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة
من موت النوم بالذكر ليكون آخر أعماله ذكر الله عز وجل وأما وقت الأصال وهو أواخر النهار فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو
أخو الموت فيستحب له أن يستقبله بالذكر لأن حالة النوم تشبه الموت ولعله يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل
وهو المراد من قوله تعالى ولا تكن من الغافلين عن عما يقربك إلى الله عز وجل وقيل إن أعمال العباد تصعد أول النهار وآخره فيحب
عمل أوله عند صلاة الحج ويصعد عمل النهار بعد صلاة العصر إلى المغرب فيستحب الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر
وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب لمعبد أن يذكر الله تعالى في هذين الوقتين ليكون
جميع أوقاته مشتغلا بما يقربه إلى الله تعالى من صلاة أو ذكر قوله عز وجل إن الذين عند ربك يعني الملائكة المقربين لما أمر الله عز
وجل رسوله والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف أخبر أن الملائكة الذين عنده مع علو منزلتهم وشرفهم وعصمتهم لا يستكبرون
عن عبادته ولكنهم لأنهم عبيده خاضعين لعظمته عز وجل يسبحونه يعني ينزهونه من جميع النقائص ويقولون سبحان ربنا
وله يسجدون لا لغيره فإن فائدة التسبيح والسجود خلاف قوله لا يستكبرون عن عبادته ثم أخبر عن عبادتهم
وأنهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الأعمال تنقسم إلى قسمين أعمال القلوب وأعمال الجوارح فبأعمال القلوب هي تنزيه الله تبارك
وتعالى عن كل السوء وهو الانفراد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه الحسنة من
أي الجوارح يستحب الفوران يستحب الغاية والمستمع أن يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عبادتهم ثم عن
عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ويسجد معه حتى لا يجد بعضنا موضعا لمكان
جبهته غير وقت الصلاة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان
يبكي يقول يا ويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة والله أعلم يا شرار كتاب
تفسير سورة الأنفال وهي مدنية كلها إلا سبع آيات منها نزلت بمكة وهي قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا إلى
آخر سبع آيات والأصح أنها نزلت بالمدينة وإن كانت الواقعة بمكة وهي ستون وسبعون آية ألف وخمس وسبعون كلمة وخمسة
آلاف وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسألونك عن الأنفال قال سعيد بن جبير قال الحكم بن عتيبة عن ابن عباس من صنع
كذا وكذا فله كذا وكذا ومن أتى مكان كذا فله كذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع الشباب وثبت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله
عليهم جاء الشيوخ يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الشباخ لا تذهبوا به دوننا ولا تستأثروا به علينا فإنا كنا فئة لكم
ولو انهزمتم انحزتم إلينا ونازعوا فأنزل الله عز وجل يسألونك عن الأنفال الآية قال أهل التفسير وقال أبو أسيد بن عبد الرحمن الأنصاري
أخو بني سلمة فقلت يا رسول الله وعدت أن من قتل قتيلا فله كذا وإنه قتل سبعين وأسر سبعين وقال سعد بن معاذ فقال
والله ما منعنا أن نكلب ما كلب هؤلاء زعانة يعني الكراع ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا أن نعدي مصابك فتكلب عليه خيل المشركين
يبصبصون بذنابهم حتى يأخذوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله إن الفاسكيني والغنيمة دون ذلك فإن تعطه هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لسرايانا
شيء فنزلت هذه الآية يسألونك عن الأنفال وقال محمد بن إسحاق أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف
المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ولولا نحن ما
أصبتموه وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نخاف أن تغتال العدو ولولا نحن ما
وقفنا هو بما أنتم بأحق منا فنزلت هذه الآية وروى مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال لما سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال
فقال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول عن سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات بيننا وعن سعيد بن جبير وقاص قال
لقد كان يوم بدر جيء بسيفي فوقفت بين يدي رسول الله إن الله قد شفى صدري من المشركين اليوم فهب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي
ولا لك فوقفت عسى أن يعطى هذا من لا يبلي بلائي فجاء الرسول فقال إنك سألتنيه وليس لي وإنه قد صار لي وهو لك فنزلت يسألونك
عن الأنفال الآية أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح أخرجه مسلم جملة حديث كريب بنقص وفي رواية سعد وأحمد

مسلم فيه

مسلم فيه فاتى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
نفلنى هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده حيث اخذته فانطلقت حتى اذا ردت ان القيه فى القبض لامنى فيه فرجعت له
فقلت اعطنيه فاشتد على فرده من حيث اخذته فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت الغنايم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شئ واصاب المسلمون سرايا من بنى اتوه به فخمس منه اى اخذ منه الخمس ثم اوسلمى بهو قول
واما النفيس بقوله تعالى يسئلونك عن الانفال استفتاء اى يسئلونك اصحابك يا محمد عن الانفال وعلمها وهو سؤال استبناء
وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال الكلب وقوله عن الانفال هى الغنايم قال ابن عباس وعكرمة وقتادة واصل الزيادة سميت
الغنايم انفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين على انها نزلت فى غنايم بدر وقال علماء اى ما شد
عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد او متاع او دابة فهو للنبى صلى الله عليه وسلم يضع فيه ما يشاء فالانفال لله
والرسول اى فاعلم يا محمد ان الانفال حكمها لله والرسول يقسمها كيف شاء واختلف العلماء فى احكام هذه الاية فقال
مجاهد وعكرمة والشعبى هذه الاية منسوخة نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من شئ الاية وان الله جعلها للرسول الاية
كانت الغنايم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل بها كيف شاء ومن شاء لم تخمس المرة الخمس وقال بعضهم هذه الاية ناسخة
من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنايم كانت حراما على الامم التى من قبلنا فتنزل نار فتاكلها فانزل الله هذه الاية اباحها لهذه الامة بهذه
الاية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت باية الخمس وقال عبيد الله بن زيد انها محكمة وهى احدى الروايتين
عن ابن عباس ومعنى الاية على هذا القول قل الانفال لله والرسول يقسمها حيث امره الله وقد بين الله معناها فى قوله تعالى واعلموا
انما غنمتم من شئ فلله وللرسول ولذى القربى وهو من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية فغنمنا
ابلا وبقرا فاصاب كل واحد منا اثنى عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا اخرجاه فى الصحيحين بعد هذا تكون الاية محكمة وللامام
ان يفعل ما شاء من احد الشيئين بما شاء فيقسم بين الغنمين بما اقوا الله فى اتقوا الله بطاعته واتقوا من الغنه وانتهوا عن المنازعة
والمخاصمة والمخالفة فى الغنايم واصلحوا ذات بينكم اى اصلحوا الحال فيما بينكم وانتركوا المنازعة والمخاصمة والمخالفة
وتسليم امر الغنايم الى الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله فيما يامركم به ينهاكم عنه ان كنتم مومنين يعنى ان
كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده فى قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم لما امر الله تعالى بطاعته
وطاعة رسوله فى الاية المتقدمة ثم قال بعده ان كنتم مومنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين فى هذه الاية صفات المومنين
واحوالهم فقال تعالى انما المومنون وكلمة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المومنون الذين يخالفون امر الله ورسوله انما المومنون الخاص ... نون
يا ايها الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى خشعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خافوا الله وانقاده واخوف من عقابه وقال
اهل المعانى الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العقات وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون
عظمة الله عز وجل ويخافون سخطه وهو خوف وامن العقات فيخافون عقابه والمومن اذا ذكر رجل قلبه وخافه على قدر معرفته
بذكر الله عز وجل وبان قلبه تعالى فى هذه الاية وجلت قلوبهم بعض خافت وقال فى اية اخرى وتطمين قلوبهم
بذكر الله وكيف الجمع بينهما قلت اختلفوا فى هاتين الحالتين قال الرجل هو خوف العقاب والاطمينان انما يكون من
شيح اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعهما فى اية واحدة وهى قوله تعالى تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم الى ذكر الله والمعنى انها تقشعر منه جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم وقلوبهم
عند ذكر رحمته ورجاء ثوابه وقد اتى مثل هذا فى قلب المومن ثم قال تعالى واذا تليت عليهم ايات زادتهم ايمانا يعنى واذا قرئت
عليهم ايات القرآن زادتهم تصديقا قال ابن عباس والمعنى انه كلما جاء شئ من عند الله امنوا به فيزداد ون بذلك ايمانا وتصديقا
لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول هو الذى عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت
الدلايل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لان عند حصول الدلايل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين ويحصل مع الله بالله اقوى
فيزداد ايمانه الوجه الثانى وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف منوالية فى زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكلما نزل تكليف من قرائه يزداد ون بذلك اقرارا تصديقا وايمانا ومن المعلوم انه من صدق انسانا فى شيئين كان اكثر مما
يصدقه فى شئ واحد وقوله تعالى واذا تليت عليهم ايته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا اية جديدة اتوا باقرار جديد وتصديق
جديد وكان ذلك زيادة فى ايمانهم واختلف الناس فى الايمان هل يقبل الزيادة والنقصان فالاكثرون قالوا الايمان عبارة عن التصديق
والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع امور ثلاثة وهى التصديق بالقلب والاقرار باللسان

والعمل بالجوارح والايدي كان فقد استدل على ذلك بهذه من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في ان الايمان يقبل الزيادة
فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الاية اوصافا متعددة من احوال المومنين ثم قال بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا
وذلك يدل على ان تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان
اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الايمان اعلا وادنى واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب
وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك
نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرايض وشرايط وشرايع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل
الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وقوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون معناه يفوضون جميع امورهم اليه ولا يرجون
غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المومن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية
ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من اموره الا على الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث
اعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القران والتوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله هذه الصفات الثلاث
اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون يعني يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها
واركانها في اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق في انواع البر والقربات في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك
من الانفاق في انواع البر والقربات ثم قال تعالى اولئك يعني من هذه صفتهم هم المومنون حقا يعني يقينا لا شك في ايمانهم
قال ابن عباس رضي الله عنهما برءوا من الكفر قال قتادة استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف احد
نفسه بكون مومنا حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف
فيه وهذا يتعلق بمسئلة اصولية وهي ان العلماء اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مومن واختلفوا في انه هل يجوز له ان يقول انا
مومن حقا ام لا فقال اصحاب ابي حنيفة الاولى ان يقول انا متحرك ان شاء الله تعالى وكذلك القول في القايم والقاعد على صحة هذا القول
بوجوه الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله تعالى وكذلك القول في القايم والقاعد وكذلك هذه المسئلة يجب فيها ان يكون
المومن مومنا حقا ولا يجوز انا مومن ان شاء الله تعالى الوجه الثاني انه تعالى قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا
وفي قوله انا مومن ان شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول الرجل انا مومن ان شاء الله
واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه الاول ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة
المقبولة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب ان يقول انا مومن ان شاء الله تعالى وان كان اعتقاده
واقراره صحيحا وعند اصحاب ابي حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد يخرج العمل عن مسمى الايمان فلم يزل حصول الشك الوجه الثاني
ان قولنا انا مومن ان شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مومن فقد مدح نفسه باعظم المدائح فربما حصل
له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زال ذلك العجب وحصل له الانكسار وهي ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال قتادة
اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة فهلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي فطلب مزيد الطمانينة الوجه الثالث ان الله تعالى ذكر في اول الاية انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المومنون
الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله وايتاء
الزكاة كذلك ثم قال بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا يعني من اتى بجميع هذه الاوصاف فان مومنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول
هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مومن ان شاء الله تعالى وقال ابن نجيح سال رجل الحسن فقال امومن انت فقال الحسن ان كنت
سالتني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مومن وان كنت سالتني عن قوله
انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا ادري انا منهم ام لا قال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم فقالوا
نحن المومنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال هلا
قلتم لهم من اهل الجنة انتم ان المومنين هم اهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مومن حقا عند الله ثم لم يشهد انه من اهل الجنة
فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الرابع ان قولنا انا مومن ان شاء الله للتبرك لا للشك فهو كقوله وانا ان شاء الله بكم لاحقون
مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه الخامس ان المومن لا يكون مومنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا
لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقال انا مومن ان شاء الله فالمراد صرف هذا الاستثناء الى الخاتمة واجاب

عنهما

انا مومن حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شاء الله واستدلوا على صحته

او يقول انا مومن

في قوله

عن هذا القول

عن هذا القول وهم اصحاب الشافعي عن استدلال اصحاب ابي حنيفة ان المتروك لا يجوز ان يقول ان متروكه هذا الله ان الفرق
بين وصف الانسان بكونه مؤمنا ووصفه بكونه متروكا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة بقول يفيني فحصل الفرق بينهما والجواب
عن الوجه الثاني وهو قولهم ان الله تعالى قال ولئك هم المؤمنون حقا فدخل لم يكونوا مؤمنين حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة وهذا
لا يقدر عليه احد والله اعلم وقوله تعالى لهم درجات عند ربهم يعني لهم مراتب بعضها على بعض لان المؤمنين يتفاوتون احوالهم في الآخرة بتلك
الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال بعضهم درجات الجنة يرتقون فيها بالاعمال
وقال الربيع بن انس سبعون درجة ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم ومغفرة يعني ولهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم يعني ما
اوعدهم في الجنة وصفه بكونه كريما لان منافعه لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله تعالى كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق اختلفوا في الجار لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق وان كرهوا امضه لامر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك في الخروج من بيتك لطلب العير وهم
كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق لكم
وان كرهه بعضكم وقيل تعود راجع الى قوله لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق كما اخرجه الله كما
اخرجك ربك بالحق وانجز الوعد بالصبر والظفر وقيل يعني متعلقة بما بعدها كما اخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم
كذلك يكره هؤلاء القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى اذ امض على الذي اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى القسم
تقديره والذي اخرجك من بيتك بالحق جوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق
وقيل المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحي للطلب
المشركين وان فريقا من المؤمنين لكارهون يعني للقتال وانما كرهوه لقلة عدده وقلة اسلحته وكثرة عدو هم وكثرة سلاحهم
يجادلونك في الحق وذلك ان المؤمنين لما ايقنوا بالقتال وكرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا ان تلقى العير فنستعد لقتالهم
وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم بعدما تبين يعني تبين لهم انك لا تصنع شيئا الا بامر ربك وتبين لهم صدقك بالوعد كأنما
يساقون الى الموت يعني لشدة كراهتهم في القتال وهم ينظرون يعني الى الموت لشبه حالهم في قرب وقوع الموت بهم من يجر
الى الموت ويتساق الى القتل وهو ينظر اليه وقيل انه اتاه قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني احدى العرفتين
يعني قريشا او سفيان مع العير وقريشا ابو جهل مع النفير انها لكم يعني احدى العرفتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن
اسحاق والسدي اقبل ابو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من كبار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة
ابن نوفل الزهري ومعهم تجارة كثيرة وهي اللطيمة يريد الكيمة الجمال التي تحمل العطر والبز غير العير حتى اذا كانوا في بعض من يقرب
بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدد فلما بلغ عيرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدهم استأجروا
ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثوه الى مكة واستنفروا قريشا ليمنعوا عيرهم فخرج ضمضم بن عمرو الغفاري سريعا الى مكة وكان ذلك على رأس ثلاث
ليال من مقدم ابي سفيان المدينة فجدع بعير نفسه وشق قميصه وقام على بطن بعيره وصرخ واعجلاه واعجلاه يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة
اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه لا ارى ان تدركوها الغوث الغوث فلما سمع ابو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وامره ان يأتي قريشا
فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم حتى جاء الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم
ضمضم مكة بثلاث ليال اقلقتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا افزعتني وخشيت
ان يدخل على قومك منها شر ومعصية فاروما رأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته الا يا لغدر
يا ثلاث الغدر الى مصارعكم ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس ابي قبيس ثم خرج منها فأخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت بأسفل
الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا دخلها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا والله لئن بلغ هذا الرجل ولا تذكري لاحد ثم
خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر له رؤيا عاتكة واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة فبقيت الحديث حتى
تحدث بها في بيوت مكة فقال العباس فغدوت الكعبة بالبيت وابو جهل بن هشام في نفر من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة فغدوت الكعبة فلما
رآني ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت من طوافي اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي

ابو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب
اما رضيتم ان يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم لقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فستتربصون بكم هذه الثلاث فان يكن
ما قالت حقا فسيكون وان مضت الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا بانكم اكذب اهل بيت العرب قال العباس والله ما كان
مني اليه من كبير بشيء الا انه جحد ذلك وانكره ان تكون عاتكة رأت شيئا ثم بقينا ما بقينا لم نر نساء من بني عبد المطلب الا تقفي
بقلت افررت لهذا العاسوا الخبيث ان يقع رجالكم حتى يتناول النساء وانت تسمع ولم تكن عندك غيرة لشيء مما سمعت قال فلت
فوالله ما لبثت ما كان هي الينا من شيء والله ما تعرض له وان علا كما كيفية قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة واذا حد يه
مغضبا اري انه فد فاتني شيء احب ان ادركه منه قال فدخلت المسجد فرأيت والله ايا الامر نحوه اتعرض يوما او يومين لبعض ما قال واقع به
وكان ابو جهل رجلا حليما حديد الوجه حديد اللسان حديد اللقاء فلما خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت ما له لعنه
الله اكل هذا ان نشأ تمه فقال ابو اذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على
بعيره وحوار جله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش المكيمة المكيمة هذا امر الكم مع ابي سفيان وقد عرض لمحمد عنه
في اصحابه ولا اري ان تدركوها الغوث الغوث قال فاشتغلني عنه وشغلني عنه ما جاء من الامر فقال الناس سراعا ولم يتخلف
من اشراف قريش احد الا ابا لهب فد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجمعت قريش على السير ذكرت
الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناف من الحرب فقالوا نخشى ان يأتوا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس
في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال انا اجار لكم من ان يأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش
سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه للميعاد لمضت من شهر رمضان حتى بلغ واذيا بفال المدوفوان بلغه الخبر عن مليس
فريش ليمنعوا عن غير لهم فبشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء اخذ عينا للعدو فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى رافعا فاتاه بخبر العدو وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمنزل فجير بارفقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما لكم وتودون اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم لما استشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه في كلب العير وحرب النفير فقال ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قال المقداد بن عمرو
فقال يا رسول الله امض لما امرك ربك فنحن معك والله ما نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون والذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
له خيرا ودعا له بخير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين
بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا من دهمه بالمدينة من عدوه
وان ليس عليهم ان يسير وا معه بلدا فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال فقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا احد وما
نكره ان يلقى بنا عدونا وعدوك ان نصدق في الحرب صدق في اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
وابشر وا فان الله عز وجل وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم عن انس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه
عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر بالامس يقول هذا مصارع فلان غدا ان شاء الله ويضع يده
مصرع فلان غدا ان شاء الله قال فما عمر الذي بعثه بالحق ما اخطأ الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فجعلوا يمر بعضهم على بعض مالك لفلان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى فلان بن فلان فعاينوا وجدتم ما وعدكم الله ورسوله
حقا قالوا نعم فوجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم
غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا بذلك قوله تعالى وانك لا تسمع الموتى يعني كما يئس الذين ماتوا من اصحاب القليب من ان يبعثوا
كما يئس الذين ماتوا من اصحاب القبور من ان يبعثوا يقول الله عز وجل فكذلك يئس الكفار من ان يبعثوا يوم القيامة
الذي لبست فيه فتنا ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ويريد الله ان يحق الحق اي يظهر الحق

ويعليه

ويثبته بالطمأنينة يعني بأمره أياكم بالقتال وقبل بعدادته التي سبقت لهم من إظهار الدين وإعزازه وينصره بالملائكة أي
ويشتمل على حق للإيمان أحد منهم ليحق الحق ويثبته الاشتغال ويبطل الباطل يمحقه ويكبته الكفر ولو كره المجرمون يعني المشركين
وفي الآية سؤال وهو أن قوله تعالى يريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق وهذا تكرير فما معناه والجواب أنه ليس بتكرير لأن
المراد بالأول تثبيته ما وعد به هذه الواقعة من النصرة والظفر بالأعداء والمراد بالثاني تقوية الإيمان والدين وإظهار منار الدين يعني
فإن الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعتزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل
الباطل الذي هو الشرك السؤال الثاني الحق حق إذا أتى به والباطل باطل إذا أتى به فما المراد من تحقيق الحق والمراد من إبطال الباطل والجواب
أن المراد من تحقيق الحق إظهار كون ذلك الحق حقا والمراد بإبطال الباطل إظهار كون ذلك الباطل باطلا والحق وتقويته وقمع رؤساء
الباطل وقمعهم قوله عز وجل إذ تستغيثون ربكم أي واذكر يا محمد إذ تستخيرون ربكم من غيث وكم وتطلبون منه الغوث والنصر وهي
المستغيثين فإن أحدهما أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قال الكلبي والقول الثاني أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده وإنما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف والجماعة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه
جعل يهتف بربه يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إني أنشدك عهدك وعدك اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف
بربه ماداً يديه حتى تساقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال يا نبي الله كفاك منا شدك
ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين فأمده الله بالملائكة
قال السماك حدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس
يقول أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه خر مستلقيا ينظر إليه فإذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء
الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين فاستجاب
لكم يعني فأجاب دعاءكم إني ممدكم أي معينكم بجند من السماء مردفين يعني يردف بعضهم بعضا يتبع بعضهم بعضا روي أنه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض
قد أرخوها بين أكتافها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما شاور أصحابه قال إن الله يعدني إما عيرا وإما نفيرا والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع
القوم فلما كان يوم بدر قال هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله فما عدا واحد منهم عن موضعه الذي أشار إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أشرف على المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا استقبل القبلة
ومد يديه وجعل يهتف بربه يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى
سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال يا نبي الله كفاك منا شدك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين فأمده الله بالملائكة
قال السماك حدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس
يقول أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه خر مستلقيا ينظر إليه فإذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء
الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين فاستجاب
لكم يعني فأجاب دعاءكم إني ممدكم أي معينكم بجند من السماء مردفين أرسل إليهم مدادا وردءا لكم بألف من الملائكة مردفين يعني يردف بعضهم بعضا
يتبع بعضهم بعضا روي أنه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض
قد أرخوها بين أكتافها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما شاور أصحابه قال إن الله يعدني إما عيرا وإما نفيرا والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع
القوم فلما كان يوم بدر قال هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله فما عدا واحد منهم عن موضعه الذي أشار إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي تحت شجرة
ويبكي حتى أصبح وروي أنه لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا
فاستقبل القبلة ومد يديه وجعل يهتف بربه يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف
بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال يا نبي الله كفاك منا شدك
ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين فأمده الله بالملائكة
قال السماك حدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس
يقول أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه خر مستلقيا ينظر إليه فإذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء
الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين فاستجاب
لكم يعني فأجاب دعاءكم إني ممدكم أي معينكم بجند من السماء مردفين أرسل إليهم مدادا وردءا لكم بألف من الملائكة مردفين يعني يردف بعضهم بعضا
يتبع بعضهم بعضا روي أنه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض
قد أرخوها بين أكتافها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما شاور أصحابه قال إن الله يعدني إما عيرا وإما نفيرا والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع
القوم فلما كان يوم بدر قال هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله فما عدا واحد منهم عن موضعه الذي أشار إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما برز وقد رهقه جبريل آخذ بلجام فرسه وعليه أداة الحرب يعني الدرع فلما رآه عباس كان يسمع الملائكة يوم بدر
عمائم يعني يوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة يوم بدر وسوى يوم بدر من الأيام وكانوا يكونون فيها سواه عددا ومددا وروي عن
ابن سيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا أنه قال بعدما ذهب بصره لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه
الملائكة ومذ تقدم الخيل بالشعب أي شعب الملائكة أيام بدر والصحيح أنهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي
رأى رجلا من المشركين خر مستلقيا فجاء وقد حطم أنفه وشق وجهه وكان قد سبي يوم بدر ومدا وعونا وقيل أنهم لم يقاتلوا وإنما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم
ويدل عليه قوله تعالى وما جعله الله إلا بشرى يعني وما جعل الإمداد من الملائكة إلا بشرى لكم تستبشرون به قلوبكم وهذا يحقق أنهم
إنما نزلوا لذلك للقتال والصحيح هو الأول وأنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا في ما سواه من الأيام قوله تعالى وما النصر إلا من عند الله
يعني أن الله ينصركم أيها المؤمنون بشرط بعض كونوا لا تتكلوا على قوتكم وشدتكم بل اعلموا وبه تنبيه على أن الواجب على العبد المشي إلى الله
والتوكل على الله في جميع أحواله والوثوق بفضله ولا يغلبنه غالب بل هو يغلب كل غالب ويغلبه حكيم يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء في
عباده قوله تعالى إذ يغشيكم النعاس أمنة منه اذكروا الذي فيه عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه إياما من العدو لكم
من عدوكم أن يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والمراد منه أن يكون النعاس أمنة في القتال
أن لا يبقى على نفسه لما يأخذه من النوم وقت الخوف الشديد بعد ما لحق الأمن وزالة الخوف وقيل أنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم
وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقى عليهم النوم حتى هدأت لهم الراحة وزال عنهم الكلال
والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم بكرة ذلك النوم ونعمة يحق لله كان خفيفا حتى لو قصدهم العدو لقدروا على قهرهم وقيل كانوا على
ما وصفهم عليهم وقيل كان هذا النوم كان أمنة من الله أنه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة بأسرهم كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم

BIBLIOTECA

مع وجود الحرب الشديد امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حق المعجزة لانه امر خارق للعادة
وقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء يعني المطر ليطهركم به وذلك ان المسلمين نزلوا بوادٍ بدر على كثيب رمل اعفى
تغوص فيه الاقدام وحوالي الوادي وكان المشركون قد سبقوهم الى بدر فنزلوا عليه واصبح المشركون على غير ماء وبعضهم محدث
وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اولياء الله وقد اغلبكم
المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين وكيف ترجوا ان تظهروا عليهم وعلى عدوكم فانزل الله مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون
واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وملئوا الاسقية واكمنوا الغدران وكبد الارض حتى تثبت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة
الشيطان وطابت انفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان المطر على العدو النقم والكفر فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من
السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم يعني بالصبر واليقين
والوثوق في اللغة الشد والحزم صبر على امر قدر يربط نفسه عليه فعال الواحد ويثبت به الاقدام يعني ان يكون بحيث عاملة والمعنى ويربط
قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من اليقين وقيل ان بحيث عالبيت بعلة لانها تفيد الاستعلاء فيكون ان القلوب ابتليت
من ذكر الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها ويثبت به الاقدام يعني انذلك الماء قد قوى الرمل حتى ثبتت
عليها الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت
قدمه بل يفر ويهرب عند القتال وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة انى معكم يعني ان الله تعالى اوحى الى الملائكة
الذين نصرهم النبي صلى الله عليه وسلم والحاية انى معكم بالنصر والمعونة فثبتوا الذين امنوا اي فقووا قلوبهم واخلعوا في قلوبهم
هذه التقوية والتثبيت فقيل كان الملك يتشبه بانسان قوي في القتال فيشير الى المسلمين ويقول لهم اثبتوا فان محمدا صلى الله
عليه وسلم على الحق وانا اقاتل معه فاثبتوا وقيل كان الشيطان يوسوسهم ويقول لهم انكم تطلبون الماء وانتم تصلون محدثين
وتصلون مع من يزعم انه نبي الله وقد غلبكم المشركون على الماء فيلقي الله في قلوبهم الرعب فيناموا فاحتلموا فاغتسلوا
وتوضوا وقيل كان الشيطان يوسوسهم ويقول لهم اتحسبون ان فيكم نبيا وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين
وتصلون مع من يزعم انه نبي الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين وكيف ترجوا ان تظهروا عليهم وعلى عدوكم فانزل الله مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون
واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وملئوا الاسقية واكمنوا الغدران وكبد الارض حتى تثبت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة
الشيطان وطابت انفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان الماء عاد حول النبي والكفر فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من
السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم يعني بالصبر واليقين
والوثوق في اللغة الشد والحزم صبر على امر قدر يربط نفسه عليه فعال الواحد ويثبت به الاقدام يعني ان يكون بحيث عاملة والمعنى ويربط
قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من اليقين وقيل ان بحيث عالبيت بعلة لانها تفيد الاستعلاء فيكون ان القلوب ابتليت
من ذكر الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها ويثبت به الاقدام يعني انذلك الماء قد قوى الرمل حتى ثبتت
عليها الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت
قدمه بل يفر ويهرب عند القتال وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة انى معكم يعني ان الله تعالى اوحى الى الملائكة
الذين نصرهم النبي صلى الله عليه وسلم والحاية انى معكم بالنصر والمعونة فثبتوا الذين امنوا اي فقووا قلوبهم واخلعوا في قلوبهم
هذه التقوية والتثبيت فقيل كان الملك يتشبه بانسان قوي في القتال فيشير الى المسلمين ويقول لهم اثبتوا فان محمدا صلى الله
عليه وسلم على الحق وانا اقاتل معه فاثبتوا وقيل كان الشيطان يوسوسهم ويقول لهم انكم تطلبون

كذب نسبا ولا يقوم لهم شيء. قال ابو رافع فرفعت كفي في الجرة بيدي وقلت تلك والله الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي فدرت وكنت رجلا ضعيفا فقامت البهائم العمل بعمود من عمد الحجرة فضربني ضربة بالقت راسه شجة منكرة وقالت لتستضعم ان غاب عنه سيده فقام مولياذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس فقال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله تعالى ذلك اي الذي وقع من القتل والاسر يومئذ بانهم شاقوا الله ورسوله اي بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصلها المجانبة لانهم صاروا في شق وجانب عن شق المومنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شاقوا واضداد الله وهم المومنون وشاقوا اولياء الله ثم قال تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اي ان الله يعذبه في الآخرة بالنار كما عذب هؤلاء في الدنيا بالقتل والاسر ثم قال تعالى ذلكم فذوقوه اي ذلكم العذاب الذي نزل بكم يوم بدر من القتل والاسر فذوقوه في الدنيا ان ذلك يعني الذي وقع من القتل والاسر يوم بدر بانهم شاقوا الله ورسوله يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة التي فعلوها صارت في شق وجانب عن شق المومنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شاقوا واضداد الله وهم المومنون وشاقوا اولياء الله ثم قال تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اي ان الله يعذبه في الآخرة بالنار كما عذب هؤلاء في الدنيا بالقتل والاسر الذي نزل بهم يوم بد

وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال العلماء بالسير والمغازي لما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس انكشفوا الى نزلوا بدارا وورد ت
عليهم رويدا قريش وبهم اسود بن عبد الاسود بن عبد يغوث الجمحي وابو البختري بن هشام بن الحارث بن اسد بن العزى بن قصي وابو
قيس بن الوليد بن المغيرة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ابو البختري وقد نهيت عن قتله ومن لقي ابا البختري فلا يقتله
وهو الكثيب الرمل وجاء الى العباس فقال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني
فاتاه جبريل عليه السلام وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فاخذ حصباء فرماهم بها وقال شاهت الوجوه وارسل الله صلى الله عليه وسلم عليا من بعضا
على تراب بعضها يجرحه الفرس وقال ابن اسحاق لما التقى الجمعان قال ابو جهل اللهم ايما احب الينا واكرم عندك واوصل للرحم فانصره
بما تعرف فانزل الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يقول ان تستنصروا فقد جاءكم النصر على اهل القطيعة والاثم وقيل معنى
الاية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رسله وقيل وما رميت بالرعب ولكن الله رمى بالرعب فلو يهم
حين انهزموا ولنبلي المؤمنين منه بلاء حسنا اي ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالغنم والغنيمة والاجر والثواب
ونعم اجمع المفسرون ان البلاء هنا بمعنى النعمة ان الله سميع اي لدعائكم عليم بما قلتم وقوله تعالى ذلكم اي الذي ذكرت
من امر القتال والرمي والبلاء الحسن من الكفي بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا وان الله اي واعلموا ان الله مع ذلك موهن اي مضعف
كيد الكافرين يعني مكرهم وكيدهم قوله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح هذا خطاب مع المشركين الكفار فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما نهض الى العدوة القصوى قال اللهم ايّنا كان خيرا عندك واقطع للرحم فانصره اليوم فنزل قال الله تعالى ان تستفتحوا اي تستنصروا
فقد جاءكم الفتح اي النصر على من قطع الرحم وقيل ان تستفتحوا اي تستحكموا الله تعالى فقد جاءكم الحكم بينا وقيل معنى
الفتح هو القضاء يقال افتح بيننا اي اقض بيننا وافصل وقيل ان تستفتحوا ان تستقضوا وقيل ان تستنصروا الله على قطع الرحم وان تنتهوا
عن الكفر والعداوة فهو خير لكم وان تعودوا لقتال محمد نعد لنصره عليكم بالسيف كما فعلنا يوم بدر ولن تغني عنكم فئتكم
شيئا ولو كثرت اي لن تدفع عنكم جماعتكم من عذاب الله شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي عن رسوله وانتم تسمعون اي القرآن ولا تخالفوه ولا تعرضوا عن امره
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي كالمنافقين قالوا سمعنا بآذانهم وقلوبهم غير واعية ان شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون اي لا يعقلون عن الله امره ونهيه ولا يفهمون عنه شيئا ثم وصفهم فقال ولو علم الله فيهم خيرا اي
قبولا لاسمعهم اي لفهمهم ولو اسمعهم اي ولو فهمهم لتولوا وهم معرضون اي عن الايمان وقبول الحق وهم جاحدون
يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم اي لما فيه حياتكم وصلاحكم وهو الحق لان من عرف الحق
ووفقه فقد حيي حياة طيبة وقيل هو الجهاد لانه يؤدي الى العز والنصر والحياة الدائمة في الجنة وقيل هو القرآن لان فيه الحياة الابدية
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اي يحول بين الكافر وبين الايمان الذي يريده منه ان يؤمن به ويحول بين المؤمن وبين الكفر الذي يريده منه ان يكفر به
وقيل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يعزم عليه وقيل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يعقل وقيل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يستطيع
ان يؤمن او يكفر الا باذنه وقيل يحول بين المرء وقلبه حتى يعلم ان الله يعلم ما في قلبه وقيل يحول بين المرء وقلبه حتى يعلم ان الله
يعلم ما في قلبه وقيل يحول بين المرء وقلبه حتى يعلم ان الله يعلم ما في قلبه وقيل يحول بين المرء وقلبه حتى يعلم ان الله يعلم ما في قلبه

البيعتين يوم العقبة محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحاق وحدثني عبد الله بن ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما برز رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عسكره مر بأبي جهل بن هشام ان يلتمس في القتلى وقال اللهم لا يعجزنك فلما سمعته جعلته من شأني فعمدت نحوه
فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه فوالله ما وضربته على عارقة بكم يذب فتعلقت جلدة من جنبي واجهدني القتال عنه فلقد
قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما اذتني جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر به يومئذ معاذ بن عفراء
فضن بعجز اثبته وتركه وبه رمق فمر به عبد الله بن مسعود وجده بأخر رمق وهي بنته فوضع رجله على عنقه ثم قلع احراك السر يا عدو الله
قال وما اغراني اخزاني يا عمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدبرة قلت لله ولرسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال ابو جهل لغلام يوم بدر ثقيف يا رويعي
ان قتلهما فلم اخترزت رؤسهما ثم جئت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله ابي جهل فقال الله الذي لا اله
غيره ثم الثنية بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال الذي وعدت اخذ اخطاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمشاهير
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي النوح عن خباب بن الارث قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا
له الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل
نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء
الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون فلما استدل البغوي بهذا الحديث على ما بوب به ابو يعقب
الاية وبه يكمل المراد بعد الواقعة المذكورة في الحديث كما انتظمت الاية بالمدينة فلا تعلق للحديث بتفسير الاية والله اعلم ولكن النبي
صلى الله عليه وسلم لما دعا الله بنصره ورسوله انجاز ما وعده من احدى الطائفتين والحق في الدعاء والمسئلة فتى يسأله ربه كما قال الله تعالى مجيبا له
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تطلبوا النصر وانجاز ما وعدكم به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم يا اشكروا الله على ما انعم به عليكم
من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدكم وهذا القول الاول ان قول وقد جاءكم الفتح للتبكيت لا بالكم وعلى هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر بالاعداء
اما اذا فسرناه بالقضاء والحكم لما يمتنع ان يراد به الظفر وامثاله قوله تعالى وان تنتهوا فهو خير لكم اي فهو خير لكم الظفر يعني وان تنتهوا
عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين فبان تؤمنوا وتطيعوا عنه فيجعل لكم بذلك الفوز بالثواب
والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر وان تعودوا نعد يعني وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطكم
عليكم ونصره عليكم ولن تغني عنكم فئتكم يعني جماعتكم شيئا ولو كثرت يعني جماعتكم ان الله مع المؤمنين يعني بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله يعني في امر الجهاد لان فيه بذل النفوس والنفوس ولا تولوا عنه يعني عن الرسول صلى الله عليه
وسلم لان التولي لا يليق بحق الرسول صلى الله عليه وسلم والاليق بحق الله تعالى والمعنى لا تعترضوا عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد وانتم تسمعون
يعني القرآن تتلى عليكم ولا تكونوا كالذين قالوا بألسنتهم سمعنا وهم لا يسمعون يعني وهم لا يتعظون ولا يتبعون بما يسمعون من
القرآن والمواعظ وهذه صفة المنافقين ان شر الدواب عند الله يعني ان شر من مشى على وجه الارض من خلق الله الصم عن سماع الحق البكم
عن النطق به بما يقولونه الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن امره ونهيه ولا يعقلونه وانما تسامع ذم ذوات لغلبة انتفاعهم بالقوى لهم قال
ابن عباس ان نفرا من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد فنقطع جميعا بوبر وكانوا اصحاب اللبن ولا يسلم منهم
رجلان مصعب بن عميس وسويبط بن حرملة ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول الحق ومعنى ولو علم الله قال
الامام فخر الدين ان كل ما كان حاصلا يجب ان يعلمه الله بقدر علم الله بوجوده من لوازم عدمه بالاجر وحسن التعبير عن عدمه في نفسه
يعني على الله بوجوده وتقدير الخلو لو حصل فيهم خير اسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تفهم وتفهم ولو اسمعهم يعني بعد ان علم
انه لا خير فيهم لم يتبعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لتولوا وهم معرضون يعني ولتولوا عن استماع الحق وهم معرضون عنه
لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بقصي فانه كان يتحنث مباركا حتى يشهد
لك بالنبوة فنؤمن بك فقال الله تعالى ولو احيى لهم قصيا واسمعهم كلامه لتولوا عنه وهم معرضون فلم يؤمنوا عن جحد يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول يعني اجيبوهم بالطاعة والانقياد لامرهم اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما خص الدعاء من قوله اذا دعاكم
لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما ينكر احدهما مع الاخر للتوكيد والاستدلال الكثير الوقوع بهذه الاية على ان كلا من
الامر الموجب لان كل امر امر رسوله صلى الله عليه وسلم يجعل كأنه دعاء اليه ولهذه الاية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعا
اليه رسوله صلى الله عليه وسلم اخبرنا الشيخ عز الدين ابو سعيد بن العلا قال اخبرنا اصيل ابو المجد قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بن

فقلت يا رسول الله اني كنت أصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي وخلف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني
كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما اوحى الله الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله تعالى وذكر
الحديث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته
لدعاء احد اخر وقيل لو دعاه لامر مهم لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى لما يحييكم يعني اذا دعاكم لما فيه حياتكم قال السدي
هو الايمان لان الكافر ميت فيحيى بالايمان وقال قتادة هو القران لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد
هو الحق وقال محمد بن اسحاق هو الجهاد لان الله اعز به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه اي يحول بين الكافر والايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي
يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن او يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان احوال القلوب
اعتقادات ودواعي وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى
فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد
يصرفه كيف شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله قد امنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم
ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء اخرجه الترمذي وهذا الحديث من احاديث الصفات فيجب على المسلم
ان يمره على ما جاء مع اعتقاد الجزم بتنزيه الله عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الاية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا
يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم
فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراة وقوله تعالى وانه اليه تحشرون يعني في الاخرة
فيجزي كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لما اخبر الله عز وجل
انه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل
الى الصالح والطالح واراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن
نزلت هذه الاية في عمار وعلي وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرانا هذه الاية زمانا وما ارى انا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان
منهم في يوم الجمل وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة هذا في قوم مصرحين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال
ابن عباس امر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي
ابن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بذنوب الخاصة حتى
يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكر ابن الاثير في جامع الاصول
عن عدي بن عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عمت الخطيئة في الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها
فرضيها كمن شهدها اخرجه ابو داود عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي
يقدرون ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا اصابهم الله بعقابه قبل ان يموتوا اخرجه ابو داود وقال ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة
ومخالفة بعضهم بعضا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي
خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجا او معاذا فليعذ به فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا
تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم
يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف شاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
فيحسن ذلك منه على سبيل الملكية او لانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من انواع المصلحة والله اعلم بمراده وقوله تعالى واعلموا ان الله
شديد العقاب تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذر الله تعالى منها قوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في
الارض لما امر الله تعالى المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وحذر من الفتنة ذكرهم عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين

المهاجرين

المهاجرين اذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في ارض مكة في ابتداء الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس يعني
كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال الوهب بن منبه يعني فارس والروم فاواكم يعني الى المدينة وايدكم بنصره يعني قواكم بالانصار
وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة ورزقكم من الطيبات يعني الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم لعلكم تشكرون يعني لتكونوا
الله على انعمه عليكم فوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول قال الزبير والكلبي نزلت هذه الآية في ابي لبابة بشير بن عبد المنذر
الانصاري من بني عمرو بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة احد وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقبضهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان منا محالفهم لان ماله وولده
وعياله كانوا عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقالوا يا ابا لبابة ما ترى انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة الى
حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت انني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه
ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا اشرب حتى اموت او
يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له اما اذ فعل ما فعل واني لا اطلقه حتى يتوب
الله عليه مكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال والله
لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاء فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي
اصبت فيها الذنب وان اخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وتزل فيه يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله
والرسول وقال السدي كانوا يسمعون السر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله
ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان ابا
سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا فكتب رجل من المنافقين الى ابي سفيان ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله لا تخونوا الله
والرسول وتخونوا اماناتكم ومعنى الآية لا تخونوا الله والرسول تخونوا اماناتكم وانتم تعلمون انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون
ان ما فعلتم من الاشارة الى العدو خيانة واصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد انقصه والخيانة ضد الامانة وقيل
معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم اماناتكم قال ابن عباس يعني ما يجب عراعيته الناس من فرايض الله تعالى
والاعمال التي اؤتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا ان فيما تكرهون من اداء الامانة بلاء والى الله ما ائتمنكم عليه من فرايضه وحدوده ومن كانت عليه
امانة فليؤدها الى من اؤتمن عليه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله عز وجل واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة فيه ان هذا ما نزل في ابي
لبابة وذلك انما اموالهم واولادهم كانت التي بها في يديه فلذلك قال ما قال فخوفهما عليها وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه لا يكاد ان الاقدام
على الخيانة في الامانة وهو حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصير صاحبه عاجزا عن خدمة المولى وهذا من اعظم الفتن وروى
البغوي بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي فقبله اما انهم مجلبة مجبنة وانهم لمن ريحان الله واخرجه الترمذي عن
عبد العزيز قال رحمت امرأة الصالحة خولة بنت حكيم فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو مختفل احد ابنيه وهو
يقول انكم لتجبنون وتجهلون وانكم لريحان الله تعالى قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا عن خولة فوله من ريحان الله
اي من رزقه قال السدي والريحان في اللغة الرزق وقوله تعالى وان الله عنده اجر عظيم يعني لمن ادى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة
الآخرة وهو ثواب الله تعالى افضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد فوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يعني بطاعته
وترك معاصيه يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان اصله الفرق بين الشيئين
لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل في التفرق بين الحق والباطل والصحة والشبهة فالمعنى يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال
مقاتل فرجا في الدارين من الشبهات وقال عكرمة نجاة ليوم القيامة وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحاق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله
به حقكم ويطفئ به باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويمحق الكفر ويوهنه ويكفر عنكم سيئاتكم
يعني ويمحو عنكم ما تسلف من ذنوبكم ويغفر لكم اي ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا والآخرة والله ذو الفضل العظيم لانه هو
الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشيء وفى به وقيل انه يتفضل على

العالم يعين بغير الكمالات ويتفضل على العاصين بغير الشيات وقيل معناه ان يبدله الفضل العظيم بدلا يكاد يطلب من عنده غيره فوله تعالى واذ
يمكر بك الذين كفروا لقائل ان يقول المؤمنين نعمة عليهم بقوله واذكروا اذ كنتم قليلا ومستضعفين فكيف ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمة عليه فيما
جرى عليه بمكة من قومه لان نعمة الشورة مدنية ونعمة الواقعة كانت بمكة قيل ان بعد ما رجع الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك
الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكر ابن عباس وغيره من اهل التفسير قالوا لما رأى ان قد بايعه الانصار ان يتعاجم امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفوه ما اجتمع نبي من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو جهل
عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابا جهل وابا سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وابا البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام واعترضهم ابليس في صورة شيخ
جليل فلما رأوه قالوا له من انت قال انا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا وجلدا ونصحا قالوا ادخل فدخل فقال
ابو البختري انا ارى ان تاخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مغلقا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه
وشرابه وتتربصوا ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فقال ابليس وهو الشيخ النجدي وقال ليس
الرأي ما رايتم لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم ويقاتلوكم
ويأخذوه من ايديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال اما انا فأرى ان تحملوه على بعير وتخرجوه
من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واستراح منه فقال ابليس ما لكم براي تعمدون الى رجل قد ابعد
سفيهكم فيخرجوه فيفسد بهم غيرهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه واخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله ان فعلتم ذلك
ليذهب ويستميل قلوب قوم اخرين فيسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم
برأي ما اراكم وقعتم عليه اني ارى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا جميلا ثم تعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربونه جميعا ضربة
رجل واحد واذا فعلتموه تفرق دمه في القبايل كلها ولا اظن بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها واذا رأوا ذلك قبلوا العقل فنؤديه فقال ابليس اللعين صدق فهذا الرأي هو الحق فتفرقوا على قول ابي
جهل وهم يجمعون عليه واتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه
واذن له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان ينام في مضجعه وقال له تسجى ببردي
فانه لن يخلص اليكم منهم شيء تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم عنه فجعل يذر
التراب على رؤوسهم وتلا يس والقرآن انك لمن المرسلين الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي
عنه الودايع التي قبله وكانت الودايع توضع عنده لصدقه وامانته فلما راته قالوا والله ما نرى محمدا الا قد غدر بنا وذهب وعلموا ما كانوا يتآمرون عليه
ويمكرون به وجعلوا يحرسون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه ورأوا عليا فقالوا ابن صاحبك قال لا ادري ما فقصوا اثره
وارتدوا في طلبه فلما بلغوا الغار ورأوا على بابه نسج العنكبوت قالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه ومكث في الغار ثلاثا ثم
خرج الى المدينة فذلك قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا اصل المكر احتيال في خفية **ليثبتوك** اي ليحبسوك ويوثقوك كان من اشتد منهم
واوثقه قد اثبته لانه لا يقدر على الحركة **او يقتلوك** اي كما اشار عليهم ابو جهل **او يخرجوك** اي من مكة ويكون فرحين بخلاصكم
ويدبرون في امرك **ويمكر الله** اي ويجازيهم الله جزاء مكرهم يسمى الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويجازيهم الله معاملة من يمكر
والمكر هو التدبير والمعنى من التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اظهره وقواه ونصره
فضاع بعلمه وتدبيره وتلاشى بعلم الله وتدبيره **والله خير الماكرين** ان قلت كيف قال والله خير الماكرين والخير لا يكون مع
قلت يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين كما يقال الله اكبر مع انه ليس ثم كبير ومع كل ماكر يضاهيه يعلم الله وقيل يحتمل ان يكون
المراد ان مكرهم قبيح جزاؤهم عليه قبيح لان الله تعالى يسمي مقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير من فعلكم فوله عز وجل واذا
تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن عبد الدار وذلك انه كان يختلف
الى الحيرة وسواد العراق فيسمع اخبار ملوك العجم واحاديث الفرس وكان يحدث بها العرب ويقول ان محمدا يحدثكم احاديث عاد وثمود وانا احدثكم
بمثل احاديث فارس والحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن ويقبلون عليه فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد اوحي اليه وهو يتلوها ويصلي فقال النضر
ابن الحارث قد سمعنا ما هذا الذي جاء به محمد لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وايان بحجزهم من ذلك ولو قدروا لما تخلفوا عنه
وهم اهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين جمع اسطورة او اسطارة او اسطيرة او اسطير
قوله تعالى واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم نزلت في النضر

ابن الحارث ايضا قال ابن عباس رضي الله عنه لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم امر القرون الماضية قال النضر بن الحارث لو شئت لقلت مثل هذا قتلت له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق فاذا اقول الحق قال فان محمدا يقول الله الا الله فانا اقول الله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ودعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء، يعني كما امطرت على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وهي النضر بن الحارث تزل السابع بعذاب واقع قال عكرمة لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة اية فجاءه ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر كلاثة من قريش صبرا طعيمة بن عدي وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث وروى انس بن مالك ان الله قال ذلك ابو جهل فعن انس قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية نزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما اخبر نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اختلفوا في معنى هذه الاية فقال عكرمة بن ابي سماك هذه الاية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ولا يعذبنا ونبينا معنا فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يذكرهم نعمه عليهم وعبرته واستنقاذه اياهم على اقبحهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال الله تعالى ردا عليهم وما لهم الا يعذبهم الله وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال اخرون هذا كلام مستانف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه نقمة ونقمة وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تأويله وما كان الله ليعذبهم وانت يا محمد مقيم فيهم بين اظهرهم فلما نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج اولئك المستضعفون من المؤمنين الذين اذن الله في فتح مكة بهو العذاب الذي وعدهم وقال اني عباس لم يعذب الله قوما حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويلحق بحيث امر فقال الله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله وما لهم الا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين كقوله انهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك وقال ابن ابزى وعمار فالتفت الى بيتك اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما امسوا الذموا عما قالوا فقال ابو جهل اللهم غفرانك فانزل الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والضحاك معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي لو استغفروا او لو علم الله انهم يستغفرون ولو امروا بالذنب واستغفروا لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كقول الرجل يقول للعبد لا اعاقبك وانت تطيعني اي لو اطعتني وقال قوم معناه وهم يستغفرون اي يسلمون يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وهم مؤمنون بالله العظيم انه لا اله الا هو وعكرمة وهم يستغفرون اي يصلون وقال ابن ابي نجيح وعكرمة بن ابي جميل وشعيب بن عمرو وحكيم بن جزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اي في اصلابهم من يستغفر وقيل في معنى الاية ان العذاب لما نفي بالامان قال الله تعالى ردا عليهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي فيما بين

عنه كانت بمكة وتصدية والمكاء في اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكا الذي كالطير ليس من الجلد له صفير وقيل هو كما يرى بالف الربيع سمي بذلك لكثرة مكايه اي صفيره والتصدية التصفيق وهي اصله والتشفاه قولان احدهما انه من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالصيب المنكب ولا يرجع قوله الزبيدي والثاني قال ابو عبيدة اصله تصدد اي يضج لان الدار الواحدة تسمى الصدد والمكا قال الزجاج والتصدية ليست بصلاة ولعل الله اخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التي امروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت صلاتهم عند البيت المكاء والتصدية قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت ويصفرون ويصفقون وقال ابن اسحاق كان نوفل بن عبد مناف يعارض النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزئ به ويدخل اصابعه في افواههم ويصفر بها لمكاء بعل الاصابع في الصفير والتصدية الصفير وقال جبير بن نفير سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صوتا وقال اما تسمع كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد فار رجلان عن يمينه يصفر احدهما عن يساره يصفق احدهما بالخلع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوعا اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس اولى لان الله سمى ذلك صلاة بان قال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فلما انهم كانوا يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة تخرج ذلك على حسب معتقدهم وايضا وجه اخر وهو ان من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له بل هو كقول القرى ومن كان العشا عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المومنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع وهو قوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله عز وجل ان الذين كفروا وينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقيبه عبادتهم المالية التي كانت لهم في الاخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيهة ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس ابن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر اسلم من هولاء العباس بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عيينة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية من الذهب اثنان واربعون منفقا الا قال ابن ابزى استاجر يوم احد اليعين من الاحابيش من كنانة فقاتلوا معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما اصيب من اصيب من قريش ببدر ورجع ابو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش فقالوا ان محمدا قد اصاب خيارنا فاعنا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب منا ففيهم نزلت ان الذين كفروا وينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون اموالهم على امثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين فسينفقونها يعني امر الله في ذلك الوجه ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون يعني ما ابقوا من اموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان اموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما كانوا يطلبون والذين كفروا يعني منهم من اسلم فلهذا قال والذين كفروا يعني من المنافقين في اموالهم الى جهنم يحشرون يعني يساقون الى النار ليميز الله الخبيث من الطيب يعني ليميز الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المومنين وهو الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنه قال ليميز اهل السعادة من اهل الشقاوة وقال الميز العمل الخبيث من العمل الطيب وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المومنين في سبيل الله ويجعل الخبيث بعضه على بعض يعني بعضه فوق بعض فيجمعه جميعا ويضم بعضه الى بعض حتى تتراكم فيجعله في جهنم يعني الخبيث اولئك اشارة الى المنافقين في سبيل الشيطان والى الخبيث هم الخاسرون يعني انهم خسروا الدنيا والاخرة بما انهم اشتروا باموالهم عقاب الاخرة قوله تعالى قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الشرك يغفر لهم ما قد سلف يعني ما مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام وان يعودوا وقد مضت سنة الاولين يعني في اهلاك اعدائه وتم اولياءه ومعنى الاية ان يعودوا لقتال الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في الاسلام والتزموا شرائعه غفر لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر واسروا اعلنوا فقد مضت سنة الاولين بالهلاك اعدائه ونصر اوليائه واجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا اسلم الكافر لم يلزمه شيء من فضاء العبادات التي تركها في حال كفره والمالية وهو سواء اسلم يوم ولد او بعد ذلك بدهر امد يعني بذلك انه ليس عليه ذنب قال المجيز بن معاذ الرازي تحيد من لم يعجز عن احد ما قبلهم من كفر ولم يعجز عن احد ما قبله من ذنب وقاتلهم حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ويكون الدين كله لله يعني تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة ويجمعه وقال قتادة حتى يقال لا اله

الا الله

الا الله عليها فانزل الله صلى الله عليه وسلم والجهاد عاما وقال محمد بن اسحاق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله يعني حتى لا يعبد معه غيره ويكون التوحيد له خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الانداد والاشراك وان انتهوا
يعني عن الشرك والقتال للموحدين وايذائهم فان الله بما يعملون بصير يعني فان الله لا يخفى عليه شيء من اعمال العباد ونياتهم
تعم حتى يصل اليهم ثوابهم فان تولوا يعني وان اعرضوا عن الايمان واصروا على الكفر وعادوا الى قتال المومنين وايذائهم فاعلموا
يعني ايها المومنون ان الله مولاكم يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم نعم المولى ونعم النصير يعني ان الله هو نعم المولى
ونعم النصير نولكم ونصركم واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول المغنم الغرز بالكسر يقال غنم يغنم مغنما فهو غانم
واختلف العلماء بهذه الغنيمة والفيء اسمان لمسمى واحد او يختلفان في التسمية فقال عكرمة بن الثابت الغنيمة ما كان
المسلمون عليه من امر المشركين فاخذوه عنوة واما ارضهم فيء وقال اسحاق بن راهويه الغنيمة ما اصاب المسلمون من اموال الكفار
عنوة بقتال يقيم الخمس واربعة اخماس لمن شهد الوقعة والفيء ما صولحوا عليه بغير قتال يقسم خمسة هو لمن سمى الله تعالى
وقيل الغنيمة من اموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفيء ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية واموال الصلح والهدنة
وقيل ان الفيء والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح انهما يختلفان بالفيء ما اخذ من اموال الكفار بغير ايجاف
خيل ولا ركاب والغنيمة ما اخذ من اموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل وركاب فذكر الله في هذه الاية حكم الغنيمة فقال
تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء يعني من اي شيء كان حتى الخيط والمخيط وان لله خمسه وللرسول فذكر اكثر المفسرين والفقهاء ان قوله
لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما اضافه الى نفسه تعالى لانه هو العالم به يقسمه كيف شاء وليس المراد منه ان سهما منه مجردا
لله لان الدنيا والاخرة لله تعالى وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعي فالوا سهم الله ومنع رسوله واحد والغنيمة تقسم
خمسة اقسام اربعة اخماسها لمن قاتل عليها واحرزها والخمس الباقي لخمسة اصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله عز وجل يصرف الى الكعبة والقول الاول
الحق ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم يقسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما يقوى
الاسلام وهذا قول الشافعي واحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم
في الكراع والسلاح وقال الحنفية هو للخليفة وقال ابو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم على اربعة
اصناف المذكورين في الاية وهم ذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذا في يعني ان سهما من خمس الخمس لذي القربى
وهم اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال الحسن وعكرمة بن
الحسين هم بنو هاشم وبنو المطلب لان بني عبد شمس وبني نوفل من قريش وان كانا اخوة ويدا على هاشم وبني عبد المطلب ولم يقسم
مشيئا انا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله اعطيت بني المطلب وتركتنا وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد وفي رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال ابن شهاب ولم
يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا اخرجه البخاري وفي رواية ابي داود انا وبنو نوفل بن مطلب جلوس هو وعثمان بن عفان
فكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس بين بني هاشم وبني المطلب فقلت يا رسول الله فضلت اخواننا بني المطلب
ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقوني في جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم وبنو المطلب
شيء واحد وشبك بين اصابعه واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم
ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت يعطى فقراءهم واغنياءهم من خمس الخمس الذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعي وذهب
ابو حنيفة واصحاب الراي الى انه غير ثابت فالسهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذوي القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة
اصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل ويصرف الى فقراء ذوي القربى مع هذه الاصناف دون اغنيائهم وحجة الجمهور ان الكتاب
والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي القربى ويفضل بعضهم على بعض
فان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب على كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه واخذ الشافعي في الميراث

BULAC

الذكر يستحق بالسهم الواحد غير انه يكون الفرس والبعير فارا ويفضل الذكر على الانثى يعطى الذكر سهمين والانثى سهما وقوله تعالى واليتامى
جمع يتيم وهو من خمس الخمس اليتامى واليتيم الذي له ثروة الخمس هو الفقير المسلم الذي لا اب له يعطى مع الحاجة اليه والمساكين
وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل وهو المسافر والبعيد عن ماله يعطى من خمس الخمس مع الحاجة التي بدا منه في خمس الخمس
الغنيمة ويقسم اربعة اخماسها الباقية بين القاصدين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة يعطى الفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان
لفرسه ويعطى الراجل سهما واحدا لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في الخيل للفرس سهمين وللرجل سهما وفي رواية نحوه
باسناده لفظ النيل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للفرس ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له
وسهمين لفرسه وهذا قول اكثر اهل العلم وبه قال ابو حنيفة والشافعي واحمد واسحاق وقال ابو حنيفة
للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنساء والصبيان اذا حضروا الغنال ويقسم الغنائم التي استولى عليها المسلمون كالمنقول
وغيره اي حنيفة يخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم ويبيعه ويجعل ثمنه في المصالح وكما في الكراع يتداعى انه لا يرد العقار والمنقول في
قتل مشرك من المسلمين في القتال يستحق سلبه من ابن الغنيمة لما روى عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة
له سلبه اخرجه الترمذي واخرجه البخاري ومسلم بحديث طويل والسلب كل ما يكون على المقاتل من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه
ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة غناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم من بين سائر الجيش ثم يجعل لهم عشر الجماعة يسهم
الغنيمة وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل من بعث من الصرايا لانفسهم خاصة سوى قسمة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهري
قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفل الربع في البداءة والثلث في الرجعة اخرجه ابو داود واختلف العلماء في النفل من اين يعطى
فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
فيما رواه عبادة بن الصامت قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر قرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه لا يحل لي مما افاء الله عليكم
قدر هذا الا الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس يسهم الغزاة وهو قول احمد
واسحاق وذهب قوم الى ان النفل من راس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل واما البغي، وهو ما اخذ المسلمون من اموال الكفار
بغير ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحوا عاما ليؤدوه وكذا الجزية وما اخذ من اموالهم اذا دخلوا دارنا كما شاء المتجارة او لموت احدهم بدار
الاسلام ولا وارث له بهذا كله بغي، وقال البغي، كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وقال عمر ان هذا فدخل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم في هذا البغي، بشيء لم يجز به احد غيره ثم قرا علمه ما ابان الله على رسوله منهم الاية وكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة
وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ما بقي يجعله مجعل مال الله في الكراع والسلاح واختلف اهل العلم في سهم البغي
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للخليفة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبتته بسيفهم في حين
الجهاد للذين هم الغانمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم في اربعة البغي والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدا بالمقاتلة يعطون
منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف اهل العلم في تخميس البغي، فذهب الشافعي انه يخمس ويخمس اهل الخمس من الغنيمة
على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرف واحد وجميع المسلمين
فيه حق عمر الذين اوس قال ذكر عمر بن البغي، فقال ما انا احق بهذا البغي، منكم وما احد منا احق به من احد الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وحاجته اخرجه ابو داود واخرج البغوي بسنده عنه انه سمع
عمر بن الخطاب يقول ما احد من المسلمين الا وله في هذا المال حق اعطيه او منعه الا ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى ان كنتم امنتم بالله الاية واعلموا انما غنمتم
ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر في هذه الاية من الاصناف فانكم عوا عنه اكما عوا عن اربعة اخماس الغنيمة ان كنتم امنتم بالله
ومدفتم بوحدانيته وما انزلنا على عبدنا يعني وما امنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى
الله عليه وسلم والذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يعلمون عن الابدال الاية يوم البدر فان يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان
يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان يعني جمع المومنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر قال عمرو بن الزبير يوم الفرقان يوم بدر
فرق بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة بالتقوا
يوم الجمعة لسبع عشرة او لثمان عشرة من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون
ما بين الالف والتسعمائة يهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على السبعين واسر منهم مثل ذلك والله على كل شيء قدير يعني انهم كم

فيء على البغي، ما هو

ايها المومنون

اي العدو منهزم مع قلتكم وكثرة اعدائكم فوله تعالى اذ انتم اذ اذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم **بالعدوة الدنيا**
يعني بشاطئ الوادي الادنى من المدينة والدنيا هاهنا تانيث الادنى وهم يعني المشركين **بالعدوة القصوى** يعني بشاطئ الوادي الاقصى
من المدينة مما يلي مكة والقصوى تانيث الاقصى **والركب اسفل منكم** يعني ابا سفيان واصحابه وهم عير في بضع اثنى عشر فارسا
وكانوا في مواضع اسفل من موضع المومنين الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر **ولو تواعدتم** يعني انتم والمشركون **لاختلفتم في**
الميعاد وذلك ان المسلمين خرجوا ليتاخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها فكره كل من المسلمين والكفار على الفعال الاخر فقال الله
انتم وان تكارهتم ذلك وكثرة عدوكم ولكن يعني ولكن الله جمعكم على غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا
يعني من نصر اوليائه واعزاز دينه واعلاء كلمته واعداء دينه **ليهلك من هلك عن بينة** يعني ليموت من مات عن بينة
راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه **ويحيى من حي عن بينة** يعني ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت
عليه وقال محمد بن اسحاق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويومن من امن عن مثل ذلك الذي عاينوا هو الهلاك
والحياة هو الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل عن بينة ويهدي من اهتدى عن بينة **وان الله لسميع عليم** يعني يسمع دعاءكم ويعلم
نياتكم وما تنطوي عليه ضمائركم **اذ يريكهم الله** يعني واذكر يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك الله المشركين **في منامك** يعني في نومك **قليلا**
قال مجاهد لعلم ارادهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك وكان تثبيتا وقال محمد بن اسحاق فكان مما اراه الله
من ذلك نعمة عليه ليتجمعهم بها على عدوهم فكان بها عنهم ما تحوب عليهم من ضعفهم لعلمه بما بهم وقيل لما اري الله النبي صلى الله عليه
وسلم قريشا في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق لما صار ذلك سببا لان اتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم
وقال الحسن هذه الاراءة كانت في اليقظة والمراد من اصل العين لانها موضع النوم **ولو اراكهم كثيرا لفشلتم** يعني لجبنتم
والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا فذكر ذلك لاصحابك ليفشلوا ويجبنوا عنهم **ولتنازعتم في الامر** يعني اختلفتم في الانصراف
عليهم او الاقدام عليهم وقيل معنى التنازع في الامر هو الاختلاف الذي يكون معه مخاصمة ومجادلة ومجاذبة كل واحد الى ناحية
والمعنى لما فكم في امركم واختلفت كلمتكم **ولكن الله سلم** يعني ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن
الله سلمكم من الهزيمة والفشل **انه عليم بذات الصدور** يعني انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراة والجبن والصبر والجزع
وقال ابن عباس معناه انه عليم بما في صدوركم من الحب للعير وكيل **اذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا** يعني ان الله تعالى
قلل عدد المشركين في اعين المومنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتاكد في اليقظة هذا الذي راه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر به
اصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم وقلنا له كم كنتم
قال كنا الفا **ويقللكم في اعينهم** يعني ويقللكم يا معشر المومنين في اعين المشركين قال ابن مسعود قال لنا رجل من المشركين ان العين قد
اثبتهم فارجعوا فقال ابو جهل لا يغرنكم هذا فانه لما لقينا منا ما لقينا ثم قال للفئة التي معه تلقون ثلاثة امثالهم عددا ثم احملوا عليهم
حملة رجل واحد فانهزموا فقال ابو جهل ما هي الا اكلة جزور يعني لقلتهم في عينه
قال ابن عباس لما التقوا يوم بدر قال المشركون انما هم اكلة جزور لو حملوا علينا لاخذوا بالايدي فلما حملوا عليهم قال ابو جهل لا تقتلوهم وارتبطوهم بالحبال يقوله من الغيرة على نفسه والحمية في الحكومة **وتقليل المشركين في اعين المومنين** تصديق رؤيا النبي
صلى الله عليه وسلم وتقوي بذلك قلوب المومنين وتزداد جراتهم عليهم فلما لقيهم عند القتال هابهم والحكمة في تقليل المسلمين في اعين المشركين ليهون
عليهم واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالوا في الاستعداد والتاهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المومنين عليهم **وان قلت**
كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية بان الله تعالى عاما يشاء فيريهم ويكون ذلك معجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة هي من خوارق العادات فلا يبعد ذلك **ليقضي الله امرا كان مفعولا** يعني امرا كائنا من اعلاء كلمة الاسلام
وقهر اهله وذلك كلمة الكفر وخذلان اهله وان قلت قد قال في الاية المتقدمة ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا
وقال في الاية ليقضي الله امرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الاية المتقدمة ليحصل اليقين
للمومنين على القطع بان الله تعالى نصرهم على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من
ذكره في هذه الاية لكن المتعلق قال عند ذلك يقين في اعين بعضهم بعضا للحكمة التي تقتضي بذلك فقال ليقضي الله امرا كان مفعولا الا
والى الله ترجع الامور يعني في الاخرة فيجازي كلا على ما عمل ان خيرا فخير وان شرا فشر **يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة** يعني جماعة كافرة **فاثبتوا** يعني لقتالهم ولا تولوا يعني لا توطنوا انفسكم على لقاء العدو وقتاله ولا تجدوا نفوسكم
بالفرار واذكروا الله كثيرا يعني كونوا ذاكرين لله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده المومنين واولياءه امرا لحسن
بان يذكروه في الشدائد احوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه من ذكر الله

عز وجل وقيل المراد من هذا الذكر الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله عباده ان يسئلوه النصر على العدو
وعند اللقاء ثم قال تعالى لعلكم تفلحون يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر وان قلت ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك
يوجب امكان سعة الآية التخيير والتحيين قلت المراد من الثبات عند المحاربة والمقاتلة بالجملة وآية التخيير والتحيين لا تقدح في
حصول هذه الثبات في المحاربة بل كان الثبات هو المقصود لا يحصل الا بذلك التخيير والتحيين ثم قال تعالى وكما الزلك واطيعوا الله ورسوله
يعني في امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب
الفشل والضعف والجبن وقوله تعالى وتذهب ريحكم يعني قوتكم وقال مجاهد معناه فتجبنوا وقال ابن زيد ذهاب ريح الحرب وقيل هو حقيقة على ظاهره حتى ان الريح
يوم احد وقال السدي جراتكم وجدكم وقال مقاتل حدتكم وقال الخليل وابو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن اقبال الامر وادباره على المراد
تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى وجوه القول
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان اذا لم يقاتل من اول النهار اخر القتال حين تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر اخرجه ابو داود وقوله تعالى واصبروا يعني
عند لقاء عدوكم ولا تفروا منهم ان الله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
ايامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا
لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم
الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا واذكروا الله
عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يعني فخرا واشرا وقيل البطر الكفران في النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت
من الله على العبد فان هو يقف في المباحات على الاقران وكان قبل ذلك الزمان واتقاها بغير ما عادة الرجل في التبذل في النعمة
وان هو يقف بكماعة الله وابتغاء مرضاته بذلك تسلى بها وهذا معنى قول الخليل البطر الكفران في النعمة وترك شكر المعبود ورئاء
الناس الرياء الاظهار الجميل لبراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والسمعة ان الاظهار للابدان مع ابطان الجبن والرياء اظهار
الطاعة مع ابطان المعصية ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الآية في عجار قريش
حين خرجوا الى بدر ولم يحن حينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك
اللهم فنصرك الذي وعدتني به فقال ابن عباس لما بلغ ابا سفيان انه قد اخبر عيره ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم
واموالكم وقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل
سنة فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فامضوا
زاد غيره فقلما وابدا وابدا استغفر اكثر المحدثين عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين ان
يكونوا مثلهم والمعنى لا يكون امركم ايها المؤمنون رياء وسمعة ولا الذي اوجب عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا لله
خالصة فيثيبكم عليه وموازنة فيثيبكم عليه ولا تفعلوا الا ذلك ولا تكلفوا غيره وقوله تعالى والله بما يعملون محيط يعني وعلمه
وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شيء لانه محيط باعمال العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين
قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم يعني اذكروا ايها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين اعمالهم
الخبيثة وقال الكلبي حسن لهم المعاصي من الزنا والسرقة وقال بعضهم كان تزيينه وسوسة الى قلوبهم فلو يعلم من غير ان يتحول
في صورة غير صورته وقال جعفر المصور تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت على السير
الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم
المدلجي وكان من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم من ان تاتيكم من كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس لما اصبح ابليس يوم
بدر في جند من الشياطين معه راية في صورة رجل من بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم وانى
الناس وانى جار لكم فلما اصطف الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين
وانزل جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما رآه كانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته
فقال الرجل يا سراقة انت جار لنا فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة وقوله
اني جار لكم يعني مجيركم من كنانة فلما قرأت الملائكة اذ التقى الجمعان رأى ابليس الملائكة فنزل من الهواء على عقبيه وقال ابليس

انه الهلاك لهم

ان المعصية

انه لا طاقة لهم بكم فكروا على عقبيه وقال اني بريء منكم يعني رجع القهقرا وولى مدبرا هاربا فلما فعله وقال الخبيث انا النفي الجعفاني
كان ابليس قد التقى المشركين على صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو واخذ يزيد الحارث بن هشام ينكص على عقبيه
فقال له الحارث اقرارا من غير فتنة او جعل يمسكه قديما في صدره وانكفأ هاربا والناس لما فعلوا هزموا فقالوا هزم الناس سراقة
فقال ابليس انكم تقولون هزمت الناس وانا منهزم عنكم حتى بلغني هزيمكم فقالوا ما انتبكلا بهذا وكذا الجند لهم
ولما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله اني ارى ما لا ترون فلما رأى ابليس جبريل عليه السلام منصبا يريد يمشي
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس وما ركب وقال قتادة قال ابليس اني ارى ما لا ترون وصدق وقال اني اخاف الله
وكذب ملء فمه مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة بالورود بهم واسلامهم وذلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه اذا التقى
الجمعان الباطل المسلم وتبرأ منهم وقيل انه خاف ان يهلك بيمنهلك وقيل خاف ان يأخذه جبريل متغيرا حاله بحيث لا يطيقه وقيل
معناه اني اخاف الله اعلم صدق وعده كما وليته لانه كان على ثقة من امره وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون
القيامة والله شديد العقاب فيما معناه اني اخاف الله لانه شديد العقاب على هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند
قوله ابن كرز ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يرى ما لا ترون ويسمع ما لا تسمعون اصغى ولا ادري ما اصغر واغيظ منه يوم عرفة وما ذاك الا لما
يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر فانه قد رأى جبريل ينزع الملائكة اخرجه مالك في الموطأ قوله
ولا ادحر بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد مع الاهانة وقوله ينزع الملائكة اي يدعوهم ويجمعهم ليأتي بعضهم
بعض على بعض والنازع هو الذي يتقدم ويتباعد في الصف ليصلحه وان قلت كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة البشر
واذا تشكل بصورة البشر فكيف يتميز شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملائكة قوة
واقدرهم على ان يتشكلوا بصور البشر لكن النصوص الباهرة لم تتعين حتى يلزم من تعين الصورة تعين الحقيقة فوله عز وجل اذ يقول
المنافقون يعني من اهل المدينة والذين في قلوبهم مرض اي شك وارتياب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقروا الاسلام في قلوبهم
ولم يتمكن فلما خرج كبارهم مع قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا
غر هؤلاء دينهم يعني ان هؤلاء نفر قليلون قد اغتر هؤلاء اصحابهم بمحمد فخرجوا معه الى القتال فنحن نفعل ذلك ونحلم على قتالهم فيسمى رجاء الثواب في
الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر فقال الحكم بن منبه من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة
ابن الاسود بن المطلب وعلي بن امية بن خلف والعاص بنا المنبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما
رأوا قلة الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى ومن يتوكل على الله يعني ومن يسلم امره الى الله واثق بفضله
ويعول على احسانه فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلب حكيم يعني فيما قضى وحكم يعلم ما يوصل الثواب الى اوليائه والعقاب الى
اعدائه فعلى هذا قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يعني ولو عاينت يا محمد وشاهدت ان تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا عند
الموت لرأيت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا نازلا بهم في ذلك الوقت يضربون وجوههم وادبارهم واختلفوا في وقت
هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وادبارهم بسياطهم من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت
الملائكة تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان العدو اذا قبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا
ولوا ادبارهم ضربت الملائكة ادبارهم وقال ابن جريج يزيدون ما قبل من جسادهم وادبارهم وقيل يضربون جميع اجسادهم وذوقوا عذاب
الحريق يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد لهيبة بالنار فيضربون بها
الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن تقول لهم عند البعث والقيامة تقول لهم
الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ذلك يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق بما قدمت ايديكم يعني انما حل بكم ذلك بسبب
ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي وان قلت اليد ليست محل الكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله
القلب وكذلك الآية يقتضي ان يكون محل هذا الكفر هو اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد الذي يعمل
والقدرة هي المؤثرة في العمل فجعل اليد كناية عن القدرة وان الله ليس بظلام للعبيد يعني انه تعالى لا يعذب احدا من خلقه الا بجرم
استحقه لانه لا يظلم احدا من خلقه وانما يعذبهم الله الكفار على كفرهم والعاصي على عصيانه لانه متصرف في ملكه
كيف شاء ومن كان كذلك استحال ان تنسبه اليه ولا يتوهم متوهم انه تعالى مع خلقه كي الكفار وتعذيبه عليه كما يفعله الظلمة من الخلق وانما الله
ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه ولحت قدرته بهم وبتصرفه فيهم كيف شاء قوله تعالى كدأب آل فرعون يعني كعادة هؤلاء الكفار

يكبرهم كعادة آل فرعون في كبرهم فجوزي بالغرق والاسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالاغراق وأهل الكتاب باللعنة ادامة له
العمل بقال للمران يداوب عليه ويتعجب نفسه فيه ثم سميت العادة عادة بالمعنى الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها
قال ابن عباس معناه ان آل فرعون ابفنوا ان موسى عليه السلام نبي من الله تعالى بكذبوه بكذلك هاؤلاء جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم
بالصدق فكذبوه فانزل الله بهم عقوبة كما انزل بآل فرعون والذين من قبلهم يعني من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله يعني ان عادة الامم
السالفة هو كفرهم بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم يعني بسبب كفرهم وذنوبهم ان الله قوي يعني في اخذه وانتقامه ممن كفر به
وكذب رسله شديد العقاب يعني لمن كفر به وكذب رسله ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم
يعني ان الله تعالى انعم على اهل مكة بان اكمههم من جوع وامنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فبادلوا هذه النعم بان تركوا
شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة واخذهم بالعذاب فان الله شديد نعمة الله
محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على قريش فغيروا به وكذبوه فنقله الله الى الانصار والله سميع يعني لما قاله خلقه لا يخفى عليه شيء من كلامهم
عليم يعني بما في صدورهم من خير او شر فيجازي كل واحد على عمله كداب آل فرعون يعني كعادة الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة
الله عليهم كصنيع آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم
بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا كفار قريش واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين
يعني الكافرين والماضين بان غلت ما الزائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية فلت فيه فوائد منها ان الكلام الثاني يجري
التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى مبهمة كما خذهم ولم يبين في الثانية ذلك اعني افهم بذلك تفسير للاول الفائدة الثانية انه ذكر في الآية
الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الاولى اشارة الى انهم انكروا الآيات وجحدوا وفي الثانية اشارة
الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفروا بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه الغصة للتاكيد وفي قوله كذبوا بآيات ربهم دلالة على
كون النعم وجود الحق وفي تركه دلالة على اعتزاله بيان الاخذ بالذنوب قوله تعالى ان شر الدواب عند الله يعني في علمه وحكمه الذين كفروا
فهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرون على كفرهم نزلت في بضعة عشر رهط كعب بن الاشرف في الذين
عاهدت منهم فيل من بعلة يعني الذين عاهدتهم وقبل هو للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا
عليه ينقضوا العهد واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقالوا نسينا واخطانا فعاهدهم
الثانية ينقضوا العهد ايضا وقالوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم
على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم لا يتقون يعني انهم لا يخافون في نقض العهد لان عادة من يرجع الى شيء عقل وجزم ان يتقي
نقض العهد حتى يمنعه الناس الرفق ويتقون بكلامه فيبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد انه من شر الدواب واما
تثقفنهم في الحرب يعني واما تجدن لعاؤلاء الذين نقضوا عهدك وتكفرهم في الحرب فشردبهم من خلفهم قال ابن عباس معناه فنكل
بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير تدرهم من خلفهم واصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت بعاؤلاء
الكفار الذين نقضوا العهد فاجعل بهم بعلا من فعلك والتنكيل تعجب به جميع كل ناقض للعهد حتى يخافوك من وراءهم من اهل مكة واليمن
لعلهم يذكرون يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد واما تخافن في واما تعلمن يا محمد من قوم يعني معاهدين خيانة يعني نقضا
للعهد بما يلوح لك منهم من امارات الغدر كما فعلوا من بني قريظة والنبذ الطرح اليهم يعني عهدهم وارم به اليهم على سواء يعني
على بيان منك لهم مستقيم في اعلامك قبل حربك اياهم انك قد فسخت العقد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم في العلم بنقض العهد سواء بلا
يتوهم انك نقضت العهد اولا تنصب الحرب معهم ان الله لا يحب الخائنين يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين
معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على برذون او دابة وهو يقول الله اكبر الله اكبر
وفاء لا غدرا فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية يسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد
فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي امرها او ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية اخرجه ابو داود والترمذي عن سليم بن عامر نحوه
بلا زيادة ورجل من حمير وعنده انه الحبر وهو واحد وفيه دلالة على ان ابا داود وامثاله حين يقول في الآية فعل اهل العلم اذا كان في قوم
معاهدين الامام من المتقين بامر فاتى مستقيما استغنى الامام عن نبذ العقد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح
وتتضح له من غير امر مستقيم فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العقد ويعلمهم بالحرب وذلك لان في نقض خانوا فقد عادوا الى

الله اعلم وعلمه اتم

صلى الله عليه وسلم اجابوا ابا سفيان ومن معه من القرش حين الى مكانهم التي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل الرسول صلى الله عليه وسلم
خوف الغارة به واصحابه فيما هنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا كانهم نقض العهد ظهورا معلوما فلا
حاجة للامام الى نبذ العهد بل يعمل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اهل مكة لما نقضوا العهد بقتال خزاعة وهم في ذمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة وقوله تعالى
ولا تحسبن قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا اي فاتوا انا لهم معا
يجوز وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا اي خلصوا من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون اي بمعنى
انهم بهذا السبق لا يعجزون الله من ان ينتقم منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الاخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
حيث وقاته من القتل كيف ولم ينتقم منهم بل اعلمه الله انهم لا يعجزون قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ الشيء
لوقت الحاجة اليه والمراد بالقوة اقوال احدها انها جميع الاسلحة انواع والالات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم الثاني انها
الحصون والمعاقل الثالث الرمي وفي جامع ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو على المنبر واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرجه مسلم وعن ابي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله بعد حين صبيانكم فلا يسرك اذا ثبوكم لعلبكم بالنبل عن عقبة بن
عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه وعن يزيد الخطمي
قال اختلف لعقبة بن عامر مختلف بين هذين الغرضين وانت تشيخ كبير ويشق عليك فقال لعقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعانه قال اجل قال وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا او قد عصى وعن ابي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ ستة عشر سهما قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في
رمي بسهم في سبيل الله بوعد الحر اخرجه ابو داود وايضا عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ليدخل
بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله وفي رواية ومنبله فارموا واركبوا واحب الي ان
ترموا من ان تركبوا وليس من اللهو محمود الا ثلاثة تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه وابنبله وما نهى
من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو داود وله اخرجه الترمذي وصححه الى قوله خ عن سلمة
ابن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون بالسهام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان
راميا ارموا وانا مع بني فلان فامسك احد الفريقين بايديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وانت معهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم الغرض الرابع ان المراد بالقوة
جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو وكل ما هو آلة يستعان به في الجهاد وهو من جملة القوة المامور بالاستعداد لها وقول صلى الله عليه وسلم
الا ان القوة الرمي لا ينفي كون غيره قوة ليس هذا قوله صلى الله عليه وسلم الخ عن ما ذكر وانما هو قوله الشيء فوقه بهذا الاعتبار لا باعتبار غيره بل يدل
على انه هذا الذكر افضل الخصوص واجله فكذا هاهنا فحمل معنى الاية على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد الكفار وتحصيل
ما يتقوى به من الالات كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والرمح وتعليم الفروسية كل ذلك مامور به الا انه من فروض الكفايات
وقوله تعالى ومن رباط الخيل اي افتناؤها وارتباطها في سبيل الله والربط لشد الفرس ونحوه بالمكان المحبس وسمي المكان
الذي يحبس فيه فرسه رباطا حبسه وبه رباط والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل المعد من اعظم ما يستعان
به روي ان رجلا قال لابن سيرين اني جبان اوصي بمالي فقال ان بشيرا يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون
ورمي رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان القوة تتناول الاناث من الخيل بدلالة المثل ورد ان خير الذكور الفحل الاقرح الاريم
الاناث فحلة فعليها عز ابن عمر بن يزيد فارس كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند النهب واناث الخيل عند البيات والغارات وقيل
ربط الفحول اولى من الاناث وقيل ان ربط الخيل عملا ويتناول الفحول والاناث على ذلك ربط بنية الغزو يكون في سبيل الله وعن عروة بن الجعد
البارقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الربح والغنيمة الاجر والغنيمة وعن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الربح والغنيمة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل
الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر واما التي هي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله زاد في رواية للاهل

الاشتمال بالحال التي يمرح او روضة فما اصابت بطيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت آثارها حسنات ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك حسنات هي لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا وريا ونوى كاهل الاشتمال فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل علي فيها شيء الا هذه الآية الجامعة العابدة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطويل الجيد الذي تشتد به الوبر وقت الربيع والاستنان الجري والشرف الشوط الذي تجري فيه الخيل وقطعه تقنيا يعني استعفافا عن الريث لقاء ابدي الناس اما حق ظهورها فهي ان تحمل عليها منقطعا الى اهله واما حق رقابها فبقبال اداية الاحسان اليها وقبال ارادة العمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نار الله اهل الاشتمال النار ذات الرجل مناوأة اذا عاداته وقوله تعالى ترهبون به عدو الله وعدوكم يعني تخافون بتلك القوة وبذلك الربال عدو الله وعدوكم يعني الكفار من اهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزنون به عدو الله وعدوكم وبذلك ان الكفار اذا علموا ان المسلمين متاهبون للجهاد مستعدون وله مستكملون لجميع الاشتمال والات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دار الاشتمال بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاشتمال وبذل الجزية للمشتمين وقوله تعالى واخرين من دونهم يعني وترهبون اخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى لا تعلمونهم لانهم كانوا يقولون بالسنتهم كلمة الاشتمال الله يعلمهم يعني انهم منافقون واورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لان كلمة الاشتمال تحقن بها الدماء والاموال واجيب عن هذا الايراد ان المنافقين اذا اشتهروا قوة المشتمين وكثرتهم الغنائم والاشتمال كانوا ذلك ما يحقن دمهم ويحرز غنيمهم فكان ذلك اغراء لهم قال الحسن لقد ذكرنا الجزء ومحا هذا القول الكريم قال الله تعالى لا تعلمونهم والاشك ان المؤمنين كانوا عالمين بعداوة بني قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشتمون ولانهم حرب للمؤمنين انما بلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني بعلمي حالهم واما انتم فلا تعلمونهم وبعضد هذا القول ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم الجن وان الشياطين لا يحل احدا بدار بها فرس عتيق فهذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين يعني استشهد فقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن وقوله تعالى وما تنفقوا من شيء في سبيل الله قيل اراد به نفقة الجهاد والغزوة وقيل هو على عمل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره يوف اليكم يعني اجره في الاخرة ويجعل له عوضه في الدنيا وانتم لا تظلمون يعني وانتم لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيء قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها لما امر الله عباده المؤمنين باعداد القوة وما يرهب العدو امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسالوه فقال تعالى وان جنحوا يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم وهو قوله فاجنح لها اي اميل اليها المصالحة روي عن الحسن وقتادة ان هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة للاسلام فان رأى الامام ان يصالح اعداء من الكفار وفيه قوة جاز ان يفعل ذلك وان كانت القوة للمسلمين جاز ان يفعلوا ذلك اربعين سنة وهل يجوز الزيادة عليها اختلفوا فيه بالجواز لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعه صالح اهل مكة على مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة وقوله تعالى وتوكل على الله يعني في دفع امرك الله فيما مدته معهم ليكون عونا لك فيجمع احوالك انه هو السميع يعني لاقوالهم وان يريدوا ان يخدعوك يعني بعد ما قال فاجنح لها يعني في نقيضه والمعنى وان اراد وا باظهار الصلح خديعتك فكفك عنهم فان حسبك الله فان الله كافيك بنصره ومعونته هو الذي ايدك بنصره يعني هو نوائك واعانك بنصره يوم بدر وبسليط الملائكة وبالمؤمنين يعني وايدك بالمؤمنين يعني الانصار فان قلت اذا كان الله ايده بنصره فما حاجة الى نفي المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التاييد والنصر من الله عز وجل واحد لكنه يكون باسباب بالكنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فاما الذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي ايدك بنصره لان الاسباب الباطنة بخفى واسكنة معلومة واما الذي يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان اسبابه ظاهرة بوسايطهم وهم المؤمنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي اقامهم بنصره ثم بين كيف ايده بالمؤمنين فقال تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وذلك ان العرب كان بينهم من الحمية الشديدة والانفة الكثيفة والانفس القوية والقضية والانحواء على الضغينة ما ذكرنا شيء حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة فانه عند اهل قبيلته حتى يدركوا ثاره فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اسرابه واتبعوه انقلبت تلك الحالة فانتقلت قلوبهم واستجمعت للقتهم والفت جمعية الجاهلية من قلوبهم

فلوبهم وابدلهم تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لسرورهم بالله واتفقوا على الطاعة وصاروا انصار الرسول الله صلى الله عليه
واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه ويعملون امره في الخروج وكانوا يتعلمون في الجاهلية حروب عظيمة ومعدات شديدة ثم زالت تلك الحروب وحملت الالفة
والمحبة وتعذر اسعادها بقدرة الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما لا قوة بالقدرة الله على صدقه ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي وفي الاية دليل على ان القلوب
بيد الله يصرفها كيف شاء واراد بذلك ان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ختم
هذا القول انه عزيز حكيم يعني انه تعالى قادر فلا يمكنه التصرف في القلوب بتقليبها كيف شاء من القداوة الى المحبة ومن البغوة الى الالفة
وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان
هذه الاية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وستة نسوة
ثم اسلم عمر فنزلت هذه الاية يعني على هذا القول تكون الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما نزلت
بالمدينة في غزوة بدر قبل القتال وعلى هذا القول اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين
الانصار والاية نزلت بالمدينة وقيل اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الاية يا ايها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من
المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبوعك من المؤمنين قوله عز وجل يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال يعني حثهم على
قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التعزيز وتسعير الحطب يقال حرضته وحرضت به والاصل از الة الحرض وهو الهلاك ازيكن
منكم عشرون صابرون يعني عند القتال محتسبين النفوس يغلبوا مائتين يعني من عدوهم وهذا هو الاية خبر ومعناه الامر فكانه
قال ان يكن منكم عشرون فيصبروا ويجتمعوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قول ابن عباس لما نزلت
عليك الاية نفس الاية تدخل على الاخبار انما يدخل على الامر يدل ذلك على ان الله اوجب اولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف
لان الله تعالى وعدهم بالنصر ومن تكفل الله بالنصر يسهل عليه الثبات مع الاعداء وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا
هذا يوجب ثبوت الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار بانهم قوم لا يفقهون يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب
ثواب ولا خوف عقاب انهم يقاتلون حمية واذا صح فقههم في القتال قاتلوا يطيقون معها الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
يعني ضعفا في القتال وان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله يعني عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون فمن مائتين ثم نزلت الان خفف الله عنكم الاية وكتب
ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية اخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين
فنزلت الان خفف الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدد نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فيكفي هذا من هذا ان قوله الان
خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الاية الاولى وان بعد الامر بوجوب ثبات الرجل الواحد قتال عشرة من الكافرين فثقل
ذلك على المؤمنين فنزل الان خفف الله عنكم اي المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد العشرة فان تكون منكم مائة
صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله بزيد من العشرة الى اثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف
من عدوهم لم يجز لهم ان يفروا من اثنين ويفروا من ثلاثة والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قال سليمان بن بشير مولى ابي سفيان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك في قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء
بالاسارى قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستتلهم بعلهم
لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم فاضرب اعناقهم
مكن علينا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان الله قد اغنانا عنه بالفداء فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرم عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول ابن رواحة وقال ناس ياخذ بقول عمر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويشتد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم
قال ومن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك مثل موسى قال ربنا اطمس

على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم انتم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او بضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فما رايتني يوم اخوف ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء فقال ابن عباس بعوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفداء فلما كان الغد جئت باذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدان يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرنى من اى شىء تبكى انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكى للذى عرض على اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض الاية اخرج هذا الحديث الترمذى مختصرا وقال فى الحديث قصة وهى هذه القصة التى ذكرها البغوى واخرج مختصرا ابو داود من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اثخن المسلمون يوم بدر قتلا واسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر ما ترون فى هؤلاء الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قلت لا والله يا رسول الله ما ارى الذى راى ابو بكر ولكنى ارى ان تمكننا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكنى من فلان نسيبا لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت باذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرنى من اى شىء تبكى انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكى للذى عرض على اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبى الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض الى قوله مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدى فى اسناد عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه انما نهيتكم الاية بقوله تعالى ما كان لنبى ان يكون له اسرى يعنى ما كان ينبغى ولا يجب لنبى وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبى ذلك فلا يكون ذلك ابدا والمعنى ما كان لنبى ان يجعل كافرا قدر عليه صار فى يده اسيرا للقدر والعزم والاسرى جمع اسير واسارى جمع الجمع حتى يثخن فى الارض الاثخان فى كل شىء عبارة عن قوته عليه والمعنى حتى يبالغ فى قتل العدو حتى يذلهم ويقهرهم ويظهر لهم باذا حمل ذلك قلة ان يقدر على الاسر قبل الاسار يريدون عرض الدنيا الخطاب للاصحاب الذين صلى الله عليه وسلم يعنى تريدون ايها الموصوفون عرض الدنيا باخذ الفداء من الطلقين وانما سمى متاع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها كالعرض الذى هو ضد الجوهر وانما سمى عرضا لانه يزول ويفنى والله يريد الاخرة يعنى الله تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين ونصركم الذين للاسلام ايمانا بلا زوال ولا انفصال ولا انقطاع والله عزيز لا يقهر ولا يغلب حكيم يعنى فى تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله عز الاسارى فاما منا بعد واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بالخيار ان شاءوا قتلوهم وان شاءوا استعبدوهم وان شاءوا فادوهم وان شاءوا اعتفوهم قال الامام فخر الدين ازهذا الكلام يدل على ان قوله فاما منا بعد واما فداء يزيل حكم الاية التى نحن فى تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلمتى الاثبتى متواطئتان وكلاهما يدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفداء لكل اسير اربعين اوقية او الاوقية اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الفا واستفادة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل اسير اربعة الاف

فصل

فاستدل بهذه الاية من يقدح فى عصمة الانبياء وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبى ان يكون له اسرى صريح فى النهى عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثانى ان الله امر النبى صلى الله عليه وسلم باخذ الفداء وهو فى وقت اخذه لم يوح اليه الوجه الرابع ان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر فعلا ايكيان لاجل اخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول قوله تعالى ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض يدل على انه كان قد اسرى منشورا ما لكن بشرط الاثخان فى الارض فقتل جميع الناس بعد ذلك الاية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثانى ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لكان الذنب صادرا منهم لا من النبى صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم باخذ الفداء وهو مخير فيه لا نسلم ان اخذ الفداء كان فى ما

الاول

واما قوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف لغرض اخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه
ولا يدل ايضا على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان
النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب
بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ
الفداء والله اعلم قوله عز وجل لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على
الانبياء والامم فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه قربانا فكانت النار تنزل من السماء فلما كان يوم بدر اسرع المؤمنون
في اخذ الغنائم والفداء انزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم
الغنائم لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا
ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين
لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فعلوا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفداء قبل ان تؤمروا به عذاب
عظيم قال محمد بن اسحاق لم يكن من المؤمنين احد ممن حضر بدرا الا واحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان في القتل احب الي من استبقاء الرجال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا يعني فقد احللت لكم الغنائم واخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وروي انه لما نزلت هذه الآية الاولى كف
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفداء فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فحل الله الغنائم بهذه الآية
وكانت قبل ذلك حراما على سائر الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واحلت لي الغنائم
ولم تحل لاحد قبلي وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم
ذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها الله لنا وقوله تعالى واتقوا الله ان الله غفور رحيم يعني وخافوا الله ان
تعدوا وتفعلوا شيئا من قبل انفسكم قبل ان تؤمروا به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما اقدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم
وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية قوله تعالى يا ايها النبي
قل لمن في ايديكم نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا
الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكان يوم الوقعة
ببدر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون اوقية معه فلما اسر اخذت منه فكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما شيء خرجت به لتستعين
به علينا فلا اتركه لك وكف فداء بني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تتركني اتكفف قريشا ما
بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا ادري ما
يصيبني في وجهي هذا فان بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله ولفضل وقثم يعني بنيه فقال العباس اشهد انك لصادق
واشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ولم يطلع عليه احد الا الله وامر ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث
فاسلما فذلك قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى يعني الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفداء ان يعلم الله في قلوبكم خيرا
يعني ايمانا وتصديقا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم يعني من الفداء ويغفر لكم يعني ما سلف منكم قبل الايمان والله غفور
يعني لمن آمن به وتاب من كفره ومعاصيه رحيم يعني باهل طاعته قال العباس فابدلني الله خيرا مما اخذ مني عشرين عبدا كلهم
تاجر يضرب بمال كثير وادناهم يضرب بعشرين الف درهم معان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك يعني ان يكفروا بك فقد خانوا الله
يعني فقد كفروا بالله من قبل وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك فامكن منهم يعني فامكن
المؤمنين منهم ببدر حتى قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل احد
يخونه او ينقض عهده والله عليم يعني بما في بواطنهم وظواهرهم من ايمان وتصديق او خيانة حكيم يعني بان يجازي كلا
بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب قوله عز وجل ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله

يعني الذين امنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم في ذات الله عز وجل وابتغاء مرضاته وهم المهاجرون الاولون بذلوا انفسهم في سبيل الدين يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه والذين اووا ونصروا يعني اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار اولئك يعني المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض يعني في الهجرة والنصرة وذا قربابهم من البقاء وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربائهم وذوي ارحامهم فكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيث كانوا وصار ذلك منسوخا واخذ الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا يعني امنوا وافاموا بمكة ما لكم من ولايتهم من شيء يعني من الميراث حتى يهاجروا يعني الى المدينة وان استنصروكم في الدين يعني استنصركم الذين امنوا ولم يهاجروا فعليكم النصر يعني فعليكم نصرهم واعانتهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يعني عهد فلا تنصروهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يعني في النصر والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليهم جميعا فقال ابن عباس لما اخذوا بالميراث بما امرهم النبي به وقال ابن جريج لما انقطع التعاون والتناصر قال ابن اسحاق فجعل الله المهاجرين والانصار اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال الا تفعلوه تكن فتنة يعني ان لا تتولوا المؤمن الخالص ويتولى المؤمن الخالص تكن فتنة في الارض وفساد كبير بالفتنة في الارض يعني قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين لهم مغفرة يعني لذنوبهم ورزق كريم يعني في الجنة بان فلت ما معنى هذا التكرار فلت ليتقرر به تكرار لانه تعالى ذكر في الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعض ثم ذكر في هذه الاية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة النفي وذكره بعد ما مر يفيد على مزيد الاهتمام به فلقائل ان يقول لم اعاد هم ثانيا دال على تعظيم شانهم وعلو درجاتهم وهذا هو الترتيب العقلي لانه تعالى ذكر في هذه الاية وجوه المدح ثلاثة انواع احدها اولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله تعالى بعد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في كونهم في الدين وتحقيق هذا الكلام ان من فارق العلم ودار التي تشابه بيته وبين البهيمة والطالب ان موضوعه النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة يدل على انهم مغفورة اي مغفرة تامة كاملة شاملة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله تعالى ورزق كريم وكل شيء حتى شيء وعظم شيء باب قيل الكريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقا والمقصود منه غاضة والتعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر اولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية فذكر في الاول اصحاب الهجرة الاولى وفي الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله اعلم بمراده وقوله تعالى والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد نزول هذه الاية وقيل من بعد غزوة بدر والصحيح ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانه بعد الهجرة الاولى ان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار الاسلام بعد النفي وبدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة وجاب عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة واما من كان من المؤمنين في بلد يخاف على نفسه الكفار دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر الى بلد يامن فيه على نفسه دينه وقوله تعالى منكم يعني انتم منكم وانتم منهم لا يبعد ليدل على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف واعظم من مرتبة المهاجرين المتاخرين بالهجرة لان الله تعالى الحق المهاجرين المتاخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك مع فرط المدح والشرف ولولا ان المهاجرين من الاولين ابعد واشرف لما لحقهم هذا الالحاق وقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث فبين بهذه الاية ان نسب القرابة اقوى واولى من نسب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الاية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعني في حكم الله وقيل اراد به اللوح المحفوظ وهي ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو قول الضحاك وتمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام وجاب عنه الشافعي رضي الله عنه بان كتاب الله عبارة عما كتبه الله الذي بينه في سورة النساء فصارت هذه الاية مفيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء من

فسمة المواريث

فالذين امنوا في الميراث وهم ان يرث الحليف بعضهم من بعض ثم نسخ ذلك بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الوصية

1 2

فاسمه المواريث واحكام اهل الفرائض وغيرهم وما بقي في الحسنات وقوله تعالى والله بكل شيء عليم يعني انه تعالى بكل شيء كما تجلى عليه غاية والله اعلم بمراده واشاره هذا به تفسير سورة التوبة وهي مدنية باجماعهم قال ابن الجوزي وسمي ايضا في اخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم وانما نزلت بمكة وهي مائة وتسع وعشرون اية وقيل مائة وثلاثون اية وهي اربعة الاف وثمانية وسبعون كلمة وعشرة الاف واربعمائة وثمانون حرفا وتعرف هذه السورة باسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران وهي الفاضحة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تفضحهم من النفاق اي تبرئهم منه وهي المبعثرة لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وهي المثيرة سميت بذلك لانها تثير جموع المنافقين وتبرزهم وهي البحوث سميت بذلك لانها تبحث عن مخازي المنافقين وكشفت عن احوالهم واعتقدت استارهم عن سعيد ابن جبير قال قلت لابن عباس سورة قال اي هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا ان لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال ذاك سورة النضير اخرجاه في الصحيحين

فصل

في بيان ترك كتابة التسمية في اول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتي عليه الازمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب بين يديه فيقول ضعوا هؤلاء الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعني ابي طالب لم لا تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال ابي لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت في المنافقين ولم يكونوا يعبرون لم تفتتح هذه السورة بسم الله الرحمن الرحيم ان التسمية افتتاح الخير وان هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل ابي بن كعب عن هذا فقال لان بسم الله امن وان براءة نزلت بالسيف اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر في كل سورة بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فلحقت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براءة هل هي سورة واحدة او سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما نزلتا في القتال ومجموعهما مائتان وخمس ايات وكانت في السورة السابقة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما جعل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم بينهما على قول من يقول انهما سورة واحدة اما التفسير فقوله تعالى براءة من الله ورسوله يعني هذه براءة واصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال ابرأ منه فلان اذا انقطعت بيننا العصمة ولم تبق بيننا علقة وقيل معناه هذا تباعد ما بيننا وبين من عاهدناه من المشركين فلا عهد لهم عندنا ولا ذمة قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون به واراجيف وجعل المشركون ينقضون عهوده اذا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم بذلك فقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم الاية يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر به وقتل اليهم عهودهم قال الزجاج قد برئ الله ورسوله من اعمالهم العهود والوفاء بها اذا نقضوا الى الذين عاهدتم من المشركين الخطاب مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم واصحابه بذلك راضون بكل ما فعل ومعناه عفدوا وعاهدوا وقوله تعالى فسيحوا في الارض سيروا في الارض مقبلين ومدبرين امنين غير خائفين احدا من المسلمين واصل السياحة الذهاب في الارض والابتعاد فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانباري قوله فسيحوا في الارض اخبار قيل لهم سيحوا وليس هذا باب الامر بل المراد منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان من زوال الخوف يعني سيحوا في الارض وانتم امنون من القتل والقتال اربعة اشهر يعني مدة اربعة اشهر واختلف العلماء في هذا التأجيل في هذا الذي برئ الله ورسوله اليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر نقل الى اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر حطت الى اربعة اشهر ومن كان لا عهد له اجل له اربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله حيث ادرك ويؤيد هذا القول ما روي عن ابن عباس ان هذا التأجيل انما كان عشرين من ذي الحجة الى عاشر من ربيع الاخر وقال اكثر المفسرين هذا التأجيل انما كان لمن لا عهد له او كان عهده اكثر من اربعة اشهر فاما من كان له عهد اقل من اربعة اشهر او عهد غير مؤقت فقد جعل الله له تأجيل اربعة اشهر ومن كان عهده باقيا اكثر من اربعة اشهر فقد جعل الله له تأجيل اربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله حيث ادرك ويؤيد هذا القول ما روي عن ابن عباس ان

الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من ربيع الاخر فما لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر التي وذلك خمسون يوما
وقال الزهري الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان عهده كان بعد البراءة نزلت في شوال والقول الصحيح وعليه الاكثرون وقال
الشافعي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان له عهد دون الاربعة الاشهر فاما من لا عهد له او له اربعة اشهر فما دونها او كان عهده اكثر من
اربعة اشهر فان امره ان يتم له عهده بقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداؤها في العاشر من ذي القعدة وانتهاؤها في العاشر
من ربيع الاول ان الحج في تلك السنة في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء ثم حار في السنة المقبلة في الثاني من ذي الحجة وبها حج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقال الحسن امر الله عز وجل الحديث بقتال من قاتله من المشركين فقال قاتلوا
في سبيل الله الذين يقاتلونكم وكان لا يقاتل الا من قاتله ثم امره بقتال المشركين واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم
اجل اكثر من اربعة اشهر فمن كان منهم لا عهد له قبل البراءة او لا عهد له لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واجل منهم
جميعهم من اهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن به الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة وثاروا منهم واعانتهم قريش بالسلاح فلما انتهى بنو بكر وقريش
على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اني ناشد محمدا
حلف ابينا وابيه كنا ولدا فكنت انا ابا وكنت ولدا ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا فانصر هداك الله نصرا عتدا وادع عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد جدا في بطن كعبة مزيدا ابيض مثل الشمس تسمو صعدا ان سيم خسفا وجهه تربدا ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم انصرك ان لم انصرك من
وتجهز الى مكة فبلغ ذلك سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له المشركون يحضرون البيت عراة
بالبيت عراة فبعث ابا بكر في تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم لهم الحج وبعث معه اربعين آية من صدر براءة ليقرأها على اهل الموسم
ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة ويؤمرهم ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي
صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المسلمون
والمشركون بعد عامهم هذا فاتى عليا فاخذ منه براءة وقفل ابو بكر راجعا الى المدينة فلما قدم عليه بكى وقال يا رسول الله هل حدث في امري شيء
قال لا ولكن امرت ان لا ابلغ الا انا او رجل مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم
اردف النبي صلى الله عليه وسلم عليا فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة ان لا يحج بعد
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من اجل قول الناس العمرة
الحج الاصغر فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك الموسم فلما كان العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله
في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الاية فصل ثم ان عليا رضي الله عنه لحق ابا بكر بالطريق فاخذ كتاب براءة من يده وانصرف
براءة من ابي بكر الى علي رضي الله عنهما وفضيلة على ابي بكر وذلك جمل من هذا المعنى ويدل على ان ابا بكر لم يزل اميرا على الموسم في تلك
السنة او كما ورد في حديث ابي هريرة المتقدم ان ابا بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ اخر ورد والله اعلم
فالمراد بقوله ثم ان ابا بكر بعث يؤذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان بعثه ابو بكر فيما ذهب اليه دليل
على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي اقام للناس حجهم حتى شيخهم وعلمهم واجاب العلماء عن بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن في الناس ببراءة لان عادة جرت ان لا يتولى تقرير العقد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من قرابته
وكان علي بن ابي طالب اقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه ومن عقده بعقده النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه ببراءة

ازاحة لهذه العلة

ازاحة لهذه العلة ليلا يقولوا هذا على خلاف ما نهى عنه من نماذتنا في عقد العقود ونقضها وقيل لعلمه ان ابا بكر بتوليته على
الموسم حج علي بتبليغ هذه الرسالة حتى يعلم خلاف ابي بكر ويكون جاريا في التبعية على امامة ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه
وآله النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر اميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث علي خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان ابو بكر للحاج وعلي
الموسم وكان ابو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك نبذا على نقض
ابي بكر على علي وفضله عليه والله اعلم وقوله تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله يعني ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة
ولكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا ايها المشركون اربعة اشهر على انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم ويأخذكم لا محالة في ملكه
وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما امهلتكم هذه المدة لانه لا ايجاب القوت ولا يعجزني وان الله مخزي
الكافرين يعني بالقتل والعذاب في الآخرة قوله عز وجل واذان من الله ورسوله الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه
اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام عظيم من الله ورسوله وأصل الحج القصد ثم اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروى علي
عن ابن عباس انه يوم عرفة وبه يروى عن ابن عمر وابن الزبير ونفر غيرهما وهما وسعيد بن المسيب
وعن علي بن ابي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر حاج النحر وبه يروى مرفوعا
عليه ونفر الحج وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في حجة التي حج فيها فقال اي يوم هذا
فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة وهو
قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر حين الحج ايام منى كلها وكان سفيان
الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها لان اليوم قد يكون ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحرب
دامت في هذه الايام ويكنى عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه
وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين لم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده
بعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين واختلفوا لم سمي الحج الاكبر فقال قوم هو الحج الاكبر الذي كانت العرب تقف فيه
والعمرة وقيل الحج الاكبر لاجتماع اعياد جميع الملل في ذلك اليوم قال الزهري والشعبي وعطاء الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما
قيل للحج الاصغر لتفضلنا عما قبله عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم
يوم الجمعة ووقع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وعاد الى نصابه وصح الحكم بالعلة
وقيل الحج الاكبر لاجتماع عيدا جميع الملل في ذلك اليوم قوله تعالى أن الله بريء من المشركين ورسوله فيه حذف والتقدير واذان
من الله ورسوله بأن الله بريء من المشركين وانتصبت البراءة لانها الحالة العاملة فيه وفي رسوله وخبره الاول انه رفع بالابتداء
وخبره مضمر التقدير ان الله بريء من المشركين ورسوله ايضا بريء والثاني تقدير براءة الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل
الرفع بالابتداء وبريء خبره ورسوله عطف على المبتدأ الاول وان فلتم الا برون براءة من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم من المشركين ورسوله عما بدأ به السورة فلتم المقصود من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية
البراءة التي في تفسير المعاملات الجارية مجرى التهديد والوعيد الذي يدل على صحة هذا التقدير انه قال في الاول براءة من الله ورسوله الى
يعني بريء اليهم وفي الثانية بريء منهم وقوله تعالى فإن تبتم يعني بان رجعتم عن كفركم وشرككم فهو خير لكم من الاقامة
على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والانقلاع من الشرك الموجب لعذاب النار وان توليتم يعني اعرضتم عن الايمان
والتوبة من الشرك فاعلموا انكم غير معجزي الله فيه وعيد عظيم واعلام بان الله تعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو
قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم يعني في الآخرة وليست البشارة هنا واردة على سبيل الاستحقاق كما يقال تحيتهم
الضرب وان لم يسم الشتم قوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو خزاعة وبنو مدلج ومن بينهم كانت امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم
وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكانه الشيء فيهم انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله ثم لم ينقصوكم شيئا يعني من عهودكم
التي عاهدتموهم عليها ولم يكاثروا بكم يعني ولم يعاونوا عليكم احدا من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى
من قوله فسيحوا في الارض لان الخطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقوله الا من
فسيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا بالتمام اليهم عهدهم الى مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك

كانه قيل بعد ان امروا بالتأخير ولكن الذين لم ينكثوا بانقوا اليهم عهدهم ولم تجروهم فبراهم ولم يجعلوا للعدو يدا فاتموا
اليهم المتقين يعني ان قضية التقوى تقتضي الايفاء بالعهد والناكثون لما عادوا فيه قوله عز وجل فاذا
انسلخ الاشهر الحرم يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد وقتادة
ابن اسحاق هي شهور القعد سميت حرما لتحريمه نقض العهد فيها فمن كان له عهد بعلمه اربعة اشهر ومن لا عهد له باجله
الى انقضاء الحج وذلك خمسون يوما بعد الاشهر الحرم وقيل انما قيل لها حرم لان التحريم على المؤمنين وعلى المشركين والتعرض لهم
بالقتال فيها اشد منه على هذا القول هذه المدة وهي الخمسون يوما بعد الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يعني في الحل والحرم وقال ابن عباس يريد ان تحصروا احصروهم وامنعوهم وهذا المراد بالاطلاق
يعني اقتلوهم اي وقت واي مكان وجدتموهم وخذوهم يعني واسروهم واحصروهم احبسوهم وقال ابن عباس يريد ان تحصنوهم
قد احصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام واقعدوا لهم كل مرصد يعني على كل طريق والمرصد
الموضع الذي يقعد به للعدو ومترصدت الشيء ارصده اذا ترقبته والمعنى تحرزوا لهم رصدا حتى تأخذوهم من اي وجه تمكنوا وقيل
معناه افعلوا لهم بكل مكان حتى كادخلوها فان تابوا يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان واقاموا الصلاة يعني واتوا اركان الصلاة
المفروضة واتوا الزكاة الواجبة عليهم كما بينها فخلوا سبيلهم يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم ان الله غفور
يعني لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة رحيم يعني بأوليائه والعلماء قال الحسن بن الفضل نسخت هذه
الاية كل اية في القرآن في الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعداء قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى
يسمع كلام الله يعني وان استامنك يا محمد احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع
كلام الله الذي انزله عليك وهو القرآن فاجره حتى يسمعه ويعرف ما له من الثواب ان امن وما له من العقاب ان اصر على الشرك
ثم ابلغه مامنه يعني ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وظفرت عليه فاقتله
ذلك بانهم قوم لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم يحتاجون الى كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم
القيامة كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد اي لا يكون لهم عهد عند
الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال ابن عباس
هم قريش قال الزهري هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عبادة ومحمد بن اسحاق
هم بنو اخي بنيه وبنو الديل فيما بين بني بكر الذين كانوا دخلوا في قريش وعهدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم خزاعة بعد
استقاموا لكم يعني على العهد فاستقيموا لهم يعني ما اقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة بعد
ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العهد بحيث لا يؤمن مثله ان يسلموا واما ان يلحقوا باي بلاد شاؤوا فاسلموا بعد اربعة
اشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم من قبائل بني بكر وثم خزيمة ولم يقاتلوا مع من نقض الحديبية وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد
قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر وامر بالوفاء بالعهد لمن لم ينقض وثم بنو ضمرة وبنو اشجع وكنانة
الصواب بهذا القول الا ان هذه الاية نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول تعالى فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم وانما هي الذين قال الله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا مما نقصت قريش ولم يظاهروا عليكم
كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الله يحب المتقين يعني انه تعالى يحب
الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا وينقون نقضه كيف وان يظهروا عليكم فيه اضمار ومعناه على الاية الاولى تقديره كيف يكون
لهم عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم لا يكتفوا
بكم دون ان يقتلوكم ويغلبوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا يتظفروا وقيل معناه لا يتظروا وقيل معناه لا يراعوا قرابتكم قال ابن عباس يعني قرابة
وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس ويحك وقال قتادة الا الحلف وقال السدي هو العقد وكذلك الذمة والمحرر للتأكيد او
اختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد الا هو الله عز وجل ومنه قول ابي بكر الصديق لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام
لم يخرج من اله وعلى هذا القول يكون معنى الاية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه والذمة يعني ولا يحفظون عهدا يرضونكم بافواههم
بكلامهم وتأبى قلوبهم يعني يعدونكم بالايمان لكي يأمنوا وفي قلوبهم وانكثرهم فاسقون وان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار
والكفر اخبث وافبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق فما معنى ذكر الفسق في قوله وانكثرهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينه فاراد بكونهم فاسقين مع كفرهم ليكون

ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم ولم يقل كلهم لما يعلم من منهم من يوفي بالعهد ولم ينقضه واشتراهم نقضوا العهد ولم
قال تبعا واكثرهم يحلفون وقوله تعالى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا يعني استبدلوا بآيات القرآن والايمان بها عرضا قليلا
من متاع الدنيا وذلك انهم لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الكلمة التي همهم ابو سفيان
ابن حرب بها من ذلك قال ابن اسحاق همّ ابو سفيان حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدوا عن سبيله يعني به
ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس ومن ذلك انهم كانوا يصدون عما امروا به ويغيرون نعت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ونعته فيها ساء ما كانوا يعملون يعني من الشراء ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
يعني ان هؤلاء المشركين لا يراعون في مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه فتلخص فلما نبذوا العهد اليهم كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا
عليكم واولئك هم المعتدون يعني في نقض العهد قوله عز وجل فان تابوا يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد
الى الوفاء به واقاموا الصلاة يعني المفروضة عليهم لجميع حدودها واركانها وآتوا الزكاة يعني ويذلوا الزكاة المفروضة عليهم
كما بينا هما فاخوانكم في الدين يعني اذا فعلوا هذا فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون يعني
ونبين حجج الله لمن يعقل ونضع بيان امر الله لمن يعلمه ذلك وروى عكرمة قال ابن عباس ومن تاب بعد الردة مثل اهل القبلة وقال ابن مسعود
امر ان تقيم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وابان قبل الصلاة
الا بالزكاة وقال ابو جعفر الباقر ما ادخل هذا الحرف يعني بذلك ما ذكر ابو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين
جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من
العرب قال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة
والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها في رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان رايت ان قد شرح صدر ابي بكر للقتال وعرفت انه الحق فعرفت ان قد رآه الله
قد شرح صدر ابي بكر للقتال واستبان لنا انه الحق وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان رايت ان قد شرح صدر ابي بكر للقتال وعرفت انه الحق فعرفت ان قد رآه الله
صلى الله عليه وسلم من صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله وقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم يعني ان نقضوا عهودهم
وطعنوا في دينكم يعني وعابوا دينكم الذي انتم عليه وقدحوا فيه وعيبوه وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام وعابه كفر وهو
لا بقي له عهد والمراد بهذا كل الذين نقضوا العهد كقريش وغيرهم وهو قوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر يعني رؤساء المشركين وقادتهم
قال ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا
عهده وهموا باخراج الرسول وقيل اراد جميع الكفار وانما ذكر الائمة لان الرؤساء والقادة هم قتلى الاتباع وقال ابن عباس
وابن السود وقتادة نزلت هذه الآية بعد براءة بسنة وقال الحسن هذا عهد لم يأت اهله ولم يجئ بعد ولم يأت احد بذلك الذين يكفرون مع الدجال
من العهود فانهم ائمة الكفر في ذلك الزمان والمراد بالعهد هذه وقوله تعالى انهم لا ايمان لهم يعني جمع يمين اي لا عهد لهم وقيل معناه
انهم كاذبون في العهد وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامانة اي لا امانة لهم حيث
وجدتموهم لا تؤمنوهم لعلهم ينتهون اي لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حث المؤمنين على جهاد
الكفار فقال تعالى الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم يعني نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا بني
بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة وهم بدءوكم يعني بالقتال اول مرة يعني يوم بدر وذلك
انهم قالوا لا ننصف حتى نقاتل محمدا واصحابه وقيل اراد به انهم بدءوا بنقض العهد واعانة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخشونهم
يعني اتخافون بأسهم بالمؤمنين فتتركوا قتالهم والله احق ان تخشوه يعني في ترك القتال ان كنتم مؤمنين يعني ان كنتم مصدقين
بوعد الله ووعيده فقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم يريد بالقتل والعذاب يعني يقتلهم الله بأيديكم فان قلت
كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بأيديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قلت المراد بقوله يعذبهم الله يعني
بهم عذاب الاستيصال الخ وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وانت فيهم والمراد بقوله يعذبهم الله يعني لما نقضوا العهد
وبدءوا بالقتال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتالهم او نقض عهودهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستيصال يتعدى الى المعذب وغير المعذب والى الشجاع والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المعذب المخالف وقوله تعالى
ويخزهم يعني ويذلهم بالقهر والاسر وبنزول الهم الذل والهوان وينصركم عليهم يعني بأن يكبتهم ويشف صدور قوم مؤمنين

يعني ويبرئ صدا قلوبهم صدا كان أنبا الوند من الذي منعهم ومن المسلمين من ما تاذيهم خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثابت الحق بعينه قال مجاهد والشفاء اراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت فريش بكر على خزاعة حتى قتلوا بهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والحرب ويذهب غيظ قلوبهم يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بني بكر وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارجعوا الشيخ الخزاعة من بني بكر الى القصص ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى ويتوب الله على من يشاء وهذا كلام مستانف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدي الله من يشاء للاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر وهداه الى الاسلام كما فعل بابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو بعد ما كانوا من اشد الكفرة على النبي ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا والله عليم يعني بمصالح عباده وفي سبقت له العناية الازلية بالشقاء يتوب عليه ويهديه الى الاسلام حكيم يعني في جميع افعاله قوله عز وجل ام حسبتم ان تتركوا هذا من الاستفهام والمعنى في وسط الكلام ولذلك دخلت ام لتقرير ما بعدها وليس الاستفهام في المبتدا والمعنى اكنتم ايها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولما تمتحنوا ليتبين الصادق من الكاذب ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشيء يلزم معلومه والوجود عند الله لا جرم وجعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قال الامام فخر الدين الرازي ونقل الواحدي عن الزجاج ان العلم الذي يجازى عليه انما يجازى على ما علموا ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة قال ابن عباس الوليجة البطانة من المشركين يتخذ ونهم يعيشون اليهم اسرارهم وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الاخفش كل ما اتخذ من دون الله وليا يعني لا يتخذ المسلم كون اولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال ابو عبيدة يقال دخلت في شيء ليس منه هو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج وهو ليجة الرجل من يختصه بدخيلة امره دون الناس وقال الزجاج كل ما اتخذ من الانسان مستعمدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذه الاية الامر بمفارقة موالات المشركين وان يوطنوا انفسهم على ان يعاشروا اليهم اسرارهم والله خبير بما تعملون يعني من موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله يعني به المسجد الحرام وفي مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام ايضا وانما ذكر بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الاية ان جماعة من رؤساء كفار قريش كالعباس وابي سفيان بن حرب ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسر يوم بدر واقبل علي يعيره بالكفر وصلته الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم محاسن فقال نعم نحن افضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الاية ما كان للمشركين اي ما ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله اوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له ان يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين احدهما ان المراد بالعمارة المعروفة من بناء المساجد وتقسيمها ومرمتها عند خرابها يمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر واذا دخل باذن لم يعزر ويدل على دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الحنفي الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاول تعظيم المساجد ومنعهم من حدوثها وقوله تعالى اولئك حبطت اعمالهم يعني الاعمال التي عملوها حال الكفر من اعمال البر هتل قرى الضيف وسقي الحاج وفك العاني انها لم تكن لله فلم يكن لها ثواب مع البقاء على الكفر وفي النار هم خالدون يعني من مات منهم على الكفر قوله عز وجل انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة الاية لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله بين في هذه الاية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من امن بالله بان الايمان شرط في ان يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الاخر يعني وامن باليوم الاخر انما خص الايمان باليوم الاخر لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء اجر العاملين في الاخرة فمن انكر الاخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قيل لم لم يذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان الايمان به شرط في صحة الايمان قلنا انما لم يذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل في الايمان بالله فان من امن بالله واليوم الاخر فقد امن برسول الله صلى الله عليه وسلم لان من جملة عبد الايمان بالله واليوم الاخر الايمان به لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما دعا الى عبودية نفسه طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الى الايمان بالله واليوم الاخر طلب الرياسة والملك بذلك فلا انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر وترك ذكر الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه انما ذكر بعد الايمان بالله واليوم الاخر اقام الصلاة وايتاء الزكاة وكان ذلك معجزا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اقام الصلاة واتى الزكاة فقد امن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المساجد

ان الانسان

ان الانسان اذا عمر المسجد لزمه اقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد الا اذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة
المسجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى ولم يخش الا الله يعني ولم يخف في الدين
غير الله ولم يترك امر الله لخشية الناس فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب يعني واولئك هم المهتدون المتمسكون
بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا
له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وعن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله له في الجنة منزلا كلما غدا او راح النزل ما يهيا الى الضيف عند نزوله
بالقوم وعن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة وفي
بنى الله له في الجنة مثله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة
اخرجه النسائي قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الاية عن النعمان بن البشير قال كنت عند منبر النبي صلى
الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم
فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله
عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر الخ وقال ابن عباس قال العباس حين اسر يوم بدر
لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الاية واخبر ان عمارتهم
المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله والايمان والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي
ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة البيت بيدي مفاتيحه
وقال العباس انا صاحب السقاية والقيام عليها وقال علي لا ادري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب
الجهاد فانزل الله هذه الاية اجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان يليها في الجاهلية
فلما جاء الاسلام واسلم العباس اقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناؤه وتشييده ومرمته كمن امن
بالله واليوم الاخر فيه حذف تقديره كايمان من امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله اي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل
السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل
الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله لا يقبل عملا الا مع الايمان به والله لا يهدي القوم الظالمين
خ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى امك فات رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب
من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم يجعلون ايديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها
فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعني عاتقه وعن عكرمة بن عبد الله المزني قال
كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه عراقي فاتاه ات فقال ما لي ارى بني عمكم يسقون العسل واللبن وانتم تسقون النبيذ
امن حاجة بكم ام بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى
فاتينا باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة فقال احسنتم او اجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما امر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء او ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلى وحمض حرم قوله عز وجل
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله يعني من كان موصوفا بهذه الصفات
يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما لم يذكر
القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواه والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الاخرة واولئك يعني من
هذه صفتهم هم الفائزون يعني بسعادة الدنيا والاخرة يبشرهم ربهم يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار ثم ذكر ذلك الذي يبشرهم به
فقال برحمة منه ورضوان وهذا اعظم البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده وجنات لهم فيها نعيم
مقيم يعني ان نعيم الجنة دائم غير منقطع ابدا خالدين فيها يعني في الجنات وفي النعيم ابدا يعني لا انقطاع له ان الله عنده اجر عظيم يعني لمن
عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء قال مجاهد هذه الاية متصلة بما قبلها
نزلت في حق العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به اهله واولاده يقولون ننشدك بالله ان تطيعنا فيرق لهم فيقيم
عليه ويدع الهجرة فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم

BUSA

وانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء يعني بطانة واصدقاء تفشون اليهم اسراركم وتؤثرونهم على الهجرة فان يفعلهم حمل هذه الآية على ترك الهجرة مستقيم لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي آخر القرآن نزولا والاقرب ان يقال ان الله تعالى لما امر المؤمنين بالتبري من الكفار حتى لا يطاوعوا الرجل ابويه وابنه فيكون اسقاط حرمة الرجل العلم وافاربه في الدين واجبا فالتحريض على الكافر وان كان ابا له واخا له وابنه وهو قوله تعالى ان استحبوا الكفر على الايمان يعني ان اختاروا الكفر وافاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون يعني ومن يختار القعود مع الكفار على الهجرة والجهاد بعد ما تبين له بهذه الآية امر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين اعتلوا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا قاعت اموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله تعالى قل يا محمد للعوال الذين قالوا لهذه المقالة ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وفريق الجمع وعشيرتكم العشيرة ثم الادنون من اهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم واموال اقترفتموها يعني اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها يعني ترك بيعها ومساكن ترضونها تستوطنونها راضين سكناها احب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله وجهاد في سبيله فيتربصوا الله تعالى الترجيح لحمل جميع المفاصد في الدين ليس فيها والخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم اولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن الجهاد في سبيل الله فتربصوا اي فانتظروا حتى يأتي الله بامره يعني بقضائه وهذا امر تهديد وتخويف وقد اتى الله بالفتح وفتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعة الله وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض فقدم مصالح الدين على مصالح الدنيا فرلعمر وجل لقد نصركم الله النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم في مواطن كثيرة يعني في اماكن كثيرة والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين يعني ونصركم الله يوم حنين ايضا واعلم ان الله انما هو الذي ينزل نصر المؤمنين على عدوهم ومعونتهم وما ذكر من ينزل النصر فما هو الا غالبه له وحنين اسم واد قريب من الطايف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذي المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان خرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف وكانوا اثني عشر الفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وقال اهل الكلبي عشرة آلاف وكانوا اربعة اخماسها وكانوا سبعة آلاف وكان المعلى لعشرة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل ولما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه وكلوا الى كلمة الرجل رواية بلى يرفض الله قوله وكلام الى انفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القايل ذلك ابو بكر الصديق رضي الله عنه وحكى ابن جرير والطبري ان القايل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع احواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدو ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتيه من عند الله عز وجل من النصر والمعونة فلما اقبلوا التقى الجمعان انهزموا اشد ما انهزم المنهزمون وقتلوا عن الذراري ثم تنادوا يا معشر الانصار يا معشر المهاجرين فكروا راجعين وانتشب المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان المسلمين لما التقوا يومئذ بالناس ولى المسلمون فجعل ينادي يومئذ يا معشر الانصار يا معشر المهاجرين فعطف رجل على رجل بالسيوف فقال الكفار ما هزمنا الا قوم معهم خيل بلقاء فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولى انطلق اخبار من الناس الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كان رجل من جرادة ما كشفوا قبائل الفوج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن الحارث يقود به بغلته فنزل وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اللهم نزل نصرك وزاد ابو جحيفة ثم صفهم فما راينا كذا والتياذا احمر البأس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال وحدثني عمر بن اسحاق قال قال رجل للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن خرج بعضان من اصحابه واخلاط من الناس ليس عليهم سلاح او كثير سلاح ولقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطون فانهزموا راجعين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به فنزل واستنصر وقال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن ابي اسحاق قال البراء ان هوازن كانت قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنايم واستقبلنا بالسيوف فلم ار قط منظرا احسن من ذلك فما راعني الا والقوم قد حملوا علينا جميعا وهم

المشركون

المشركون من الغنائم الذين ليس لهم ما يوقفهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال أن رميناهم بأسرهم الرجالة واحدة رميناهم شفاها والرجل من الجراد الفكعة الكبيرة منه وقوله كنا إذا اشتد الحر يعني إذا اشتد الحر والبأساء الموجدة من الشدة والعوز فإن الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلا أتاه من المسلمين وأنهزم سائر الناس وقل الذين لم يفروا مع النبي صلى الله عليه وسلم بضعة عشر نفسا منهم العباس بن عبد المطلب وابن عمه أبو سفيان بن الحارث وابن أخيه نوفل يوم حنين يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا البيت أحد أبيات ثلاثة من رجز أبي محجن الثقفي وهو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن سلمة بن عبد مناف بن كعب بن غياث بن قسي بن منبه بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وقال الواقدي هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة بن عمرو بن عوف بن عبد بن كنانة بن بكر بن عوف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وقال ابن الكلبي هو عبد الله بن حبيب

لها اجراء الله على رسوله يوم حنين فقسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكانهم وجدوا اذ لم
يصبهم ما اصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي
كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال لو شئتم قلتم فذكر او كذا افترضون ان تذهب الشاة والبعير وتذهبون بالنبي الرحل لكم
لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا او شعبا لسلكت واد الانصار وشعبها الانصار شعار والناس دثار
عز راوح بن زنباع فقال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة
من الابل ولعلي بن مرداس دون ذلك فقال علي بن مرداس اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع فما كان حصن
ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع ولا احد دون امرئ منهم ومن يضع اليوم لا يرفع فما اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة
خ عن العشرين مروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جيء جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد عليهم اموالهم وسبيهم
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون واحب الحديث الي صدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال وقد
كنت استانيت بكم ح في رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين له
ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راد الى الناس فيهم الا احدى الطائفتين قال فاني اختار سبيي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المسلمين فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين واني قد رايت ان ارد اليهم
سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك لم فليفعل فقال الناس قد طيبنا لك يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن لكم
ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه قد
طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وانزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ تعجبكم
اعجبتكم كثرتكم يعني حتى قلتم لن نغلب اليوم عن قلة فلم تغن عنكم كثرتكم شيئا يعني ان الكثير ليس بكثرة العدد وانما
يكون بنصر الله ومعونته وضاقت عليكم الارض بما رحبت يعني برحبتها وفضائها ثم وليتم مدبرين يعني منهزمين ثم انزل
الله سكينته يعني بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف وجب فؤاده
فلا يزال متحركا واذا امن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل يعبر بالسكينة كناية عن الامن وقوله تعالى على
رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين فما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان لشدة الغلب ليس عنده اضطراب كما
حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب بعجلة الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد
الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت ولم يفر وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة لتشجيع المؤمنين وتقوية قلوبهم وتخويل الله تعالى
وتحبينهم لم للقتال لان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر وعذب الذين كفروا يعني بالقتل والاسر وسبي الذرية واخذ الاموال وذلك جزاء الكافرين يعني
الاموال وذلك جزاء الكافرين يعني في الدنيا ثم اذا افضوا الى الاخرة كان لهم عذابا اشد من ذلك العقاب واعظم ثم يتوب الله
من بعد ذلك على من يشاء يعني بعد ما اسلم كثير ممن كان يقاتل من هوازن حين اسلموا وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلا بين في الله عليه واطلق سبيهم والله غفور لمن تاب رحيم بعباده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس
قيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام ومن هم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الكافر وغيره وقيل النجس الخبيث واراد
بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم لان الغالب ان الغفل عن طهارة ابدانهم وقيل هم نجس العين
كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ وروي عن اليزيدية من الشيعة والغلاة في علي فانه تعالى
نجسا لانهم يجنبون ولا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤن فلا يقربوا المسجد الحرام والمراد منعهم من دخول الحرم والا نهي اذا دل
دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام وبركة هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام واراد به الحرم لانه اسرى به
صلى الله عليه وسلم من بيت ام هاني فان الاعلما، وجملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز للكافر ان يدخله
بحال ان مر بها آمنا او مستأمنا لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعي واحمد ومالك فلو جاء رسولا امر بالكف والا ملم به الحرم فلا بأس له
في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز ابو حنيفة واهل الكوفة للكافر الدخول الحرم
القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين العذيب وبين تبوك والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي
وقيل كلها حجاز وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طيء وكلية بالعراق يسمى حجاز الماء بحجز بين نجد وتهامة والشام قال
العربي وتبوك يجوز للكافر دخول الحجاز بالاذن ولغير الماذون فيها اكثر مقام المسافر وهو ثلاثة ايام وعن عمر انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها الا مسلما زاد في رواية لغير مسلم واراضي
فلما اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتيسر له ذلك ابو بكر واجلاهم عمر في خلافته واجل المن يقوم تاجرا ثلاثا عن ابن

شهاب

شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب اخرجه مالك في الموطا مرسلا عن جابر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن
عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي الى اقصى اليمن الى حرم العراق الى البحر وقال غيره وحد جزيرة العرب من اقصى عدن ابين الى ريف
العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر ان يقيم
فيها بعقد وامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم وقوله فيها بعد عامهم هذا في العام الذي حج فيه ابو بكر الصديق
بالناس وفيه وتلا على ابراءة وان كان الحج بعد العام مشركا وهو لتسع تسع من الهجرة وان خفتم عيلة يعني فقرا وفاقة وذلك ان اهل مكة
كانت معايشهم من التجارات وكان الجلبون كرن يجلبون الى مكة الكعام ويتجرون بها فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل مكة العيلة وضيق
العيش بذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال عكرمة اغناهم الله بان
انزل المطر عليهم مدرارا وكثر جزيهم وقال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن فجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة بجميع الذي كانوا
يجلبون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها ان شاء قيل انما شرط المشيئة في الغنى المعلوم
ليكون الانسان دايم التضرع والابتهال الى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد امله من كل احد الا من الله عز وجل
فانه هو القادر على كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم عباده الادب كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
ان الله عليم بما يصلحكم حكيم يعني انه تعالى لا يفعل شيئا الا عن حكمة وصواب فمن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم واوجب الجزية
والذل والصغار على اهل الكتاب فقال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر قال مجاهد نزلت الآية حين امر النبي صلى
الله عليه وسلم بغزو الروم فغزى بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في يحنة واليحنى من اليهود فصالح الجزية اول من اعطى
الجزية من اهل الكتاب واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة المؤمنين والمعنى قاتلوا ايها المؤمنون
الفوج الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم يؤمنون بالله واليوم الاخر كيف اخبر الله
تعالى عنهم انهم لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فالجواب ان ايمانهم بالله ليس كايمان المؤمنين وذلك ان اليهود يعتقدون ان الله
التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس يؤمن بالله وقيل ان من اعتقد ان العزير ابن الله والمسيح
ابن الله فليس يؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس يؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون اكثر
الانبياء فليس ايمانهم ايمانا بالله وانما ايمانهم بالنبي واليوم الاخر فليس كايمان المؤمنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الماروا حدون الماجلسا
ويعتقدون ان اهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن وقوله
تعالى ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله يعني ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه انهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن والا ما حرم رسوله في
السنة وقيل معناه لا يعلمون بما في التوراة والانجيل بل يحرفونها وانوا باحكام من قبل انفسهم ولا يدينون دين الحق يعني ولا
يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام بدليل قوله ان الدين
عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كما يجب من الذين اوتوا الكتاب
يعني اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية وهي ما يعطاه المعاهد من اهل الكتاب على عهده وهي الخراج المقرر
على رقابهم سميت جزية لانها تجزئ بها عن قتله يعني عن اقرارهم على كفرهم وغلظة بمعنى الكلام على تعال من غير كبت نفس
اعلى غيره قال ابن عباس لم يعطوها بايديهم ولا هم صاغرون على ايديهم وقيل يعطونها نقدا لا نسيئة وقيل يعطونها مع
اقرارهم بالذل للمسلمين عليهم يقبلونها منهم وهم صاغرون من الصغار وهو الذل والاهانة يعني يعطون الجزية وهم اذلاء مقهورون
مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام والقابض جالس وقال ابن عباس توخذ الجزية من احدهم ونوكل عنقه وقال الكلبي
اذا اعطى تصبع قفاه وقيل هو ان ياخذ بلحيته ويضربه للهزميه وقيل اذهق الله يا عدو الله قال الشافعي الصغار هو جريان
احكام المسلمين عليهم فصل في بيان ما دلت الآية عليه اجمعت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم
اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتاب العربي وفي غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان
الجزية على الاديان لا على الانساب فيؤخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا يؤخذ من عبدة الاوثان لقوله الا واخذ بعاروي عن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر دعا اليهود الى ان يسلموا فابوا فاخبرهم انه مقرهم على ما صالحهم على الجزية اخرجه ابو داود
وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال انه من غسان واحد من اهل هذه البحر وهو مذهب عمر وذهب مالك والاوزاعي

الى ان الجزية تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال ابو حنيفة تؤخذ من اهل الكتاب والعرب وتؤخذ من ملتي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف كما تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا واما المجوسي فالصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ما روي عن مجالد بن سعيد وبيان عبيد لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى تشهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر اخرجه البخاري عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر المجوس فقال ما ادري كيف اصنع بامرهم فقال عبد الرحمن بن عوف اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب اخرجه مالك في الموطأ وبامتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان راي الصحابة كان على انها لا تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا في ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروي عن علي ابن ابي طالب قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتبهم فيرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبايحهم ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من الملل كبني تغلب فان كان قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل يقرون بالجزية ويحل مناكحتهم وان دخلوا فيه بعد النسخ والتبديل لم يقروا بالجزية ولا تحل ذبايحهم ولا مناكحتهم ومن تشكك في امرهم لعله دخلوا فيه بعد النسخ او قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبايحهم ومناكحتهم تغليبا للمنع بمنع نصارى العرب من تنوخ ومعرة ومنع تغلب ان يقروا بالجزية وقال لا تحل ذبايحهم واما الصابئة والسامرة بفتح السين فسبيلهم سبيل اهل الكتاب لهم في اهل الكتاب على اهل البدع في المسلمين واما قدر الجزية فاقله دينار ولا يجوز ان ينقص عنه ويقبل الدينار من الغني والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روي عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن امره ان يأخذ من كل حالم يعني محتلم دينارا او عدله من المعافري ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم امته ان يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينار وهو قول الحنفاء الرأي ويدل عليه ما روي عن اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض في الجزية على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعون درهما هذا ازراق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام اخرجه مالك في الموطأ قال الحنفاء الشافعي اقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضي اهل الذمة بالزيادة ضوعف على الغني اربعة دنانير وعلى المتوسط دينارين وعلى الفقير اربعة دنانير قال العلماء انما افترض هذا على اهل الكتاب على خلاف العرب لان الشرك حرمة الابايهم الذين افترضوا على الذين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم كتبا قديمة يزعمون انها تقرر ما فيها من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فاما على هذا المعنى وليس المقصود من اخذ الجزية من اهل الكتاب له اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك دفع ذمائهم واموالهم رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يتدبروا ويتفكروا فيما اذا راوا فيه من حسن الاسلام وفرة دلايله وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم الاية لقائل ان يقول قد تقدمت الاية التي هي قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يدينون دين الحق بيان من هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم ليعلم اخذ الجزية منهم وابقاؤهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بايديهم والعلم بما يكفرون به منها ويعلم ان الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله هذه الاية وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل منهم اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء فعلى هذا يتبين الفاء الذي للعقد المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما تنسب تلك الى اليهود في قوله وقالت اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا ويقولون العرب قبلتان بجانس العلوك والعلم لم يجانس الا واحدا منهم وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والثابت فيهم باهل التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عز وجل التوراة وانساها التوراة وتعبدهم من صدورهم بعد ما الله عز وجل اليهم ان يؤدوا اليهم التوراة بينما هو يعمل مستقبلا الى الله عز وجل اذ نزل نور من السماء فدخل في جوفه فعاد تاليه باذن في قومه وقال يا قوم لقد اتاني الذي انزل التوراة ورفعها الى السماء وعلقوا اليه يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت نزل يقطعا به منهم يلتمسون ما راوا التابوت عيانا حتى اذا كان

يعلمهم

يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله وقال الكلبي إن تحت نصي لقاعة البيت المقدس كهف بني إسرائيل وفيه التوراة وكان عزير إذا خلا صعد إليه فيقرأه فلما رجع بنو إسرائيل إلى البيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة وليكون لهم آية بعد ما أماته الله مائة سنة فلما أتاهم ملك بإناء فيه ماء فشربه فمثلت له التوراة في صدره فعلمها فلما أتاهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا لو كنت كما تزعم لما نزع منا علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم إن رجلا منهم قال إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في جابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها فقارنوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا إن الله لم يقدر التوراة في قلب عزيرا إلا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فهذا معنى قوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم إلى قوله تعالى وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وثمانين سنة يصلون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص فقتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن معذبون وإن كان الحق معنا فنحن في الجنة فأدخلوا النار وخلوا الجنة ففي ساعتهم ذلك أسلم منهم خلق كثير فقال لهم بولص إن عيسى لم يكن نبيا وإنما كان ساحرا وإنه محمد الذي بعث في العرب وإنه أمرني أن أقاتل عليه فمن قبله وأطاعه فقد نجا ومن خالفه فقد هلك فقبلوا منه وأطاعوه وعلامة التوبة عندهم أن يضع التراب على رأسه إذا أتى النصارى فقالوا له ما أنت قال أنا عدوكم بولص قد تاب الله عليّ فيضعون التراب على رؤوسهم ويقولون له ما توبتنا حتى نعمل فيقول توبتكم أن تلحقوا ببلاد الشام فلحقوا بها فلما رأى النصارى ما فعل بهم أتوا إليه فقالوا له ما توبتنا فقال توبتكم أن تلحقوا ببلاد الروم فلحقوا بها فلما رأى الروم ما فعل بهم أتوا إليه فقالوا له ما توبتنا فقال توبتكم أن تلحقوا ببلاد الحبشة فلحقوا بها فلما رأى الحبشة ما فعل بهم أتوا إليه فقالوا له ما توبتنا فقال توبتكم أن تلحقوا ببلاد الهند فلحقوا بها فلما رأى الهند ما فعل بهم أتوا إليه فقالوا له ما توبتنا فقال توبتكم أن تلحقوا ببلاد الصين فلحقوا بها فلما رأى الصين ما فعل بهم أتوا إليه فقالوا له ما توبتنا فقال توبتكم أن تلحقوا ببلاد الجبل فلحقوا بها فلما رأى الجبل

انبيائهم الا نعبد الا الله واحدا انه هو المستحق للعبادة لا غيره الا الله هو سبحانه عما يشركون اي تعالى الله وتنزه عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام وان يكون له شبيه في الالهية المنزه عنهم وعن السنة انبيائهم يريدون يعني يريد رؤساء اليهود والنصارى ان يطفئوا نور الله بافواههم يعني يريدون ابطال دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها المعجزات البواهر الخارقة للعادة التي كفى بها تعديدا الى نبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذي انزل عليه من عند الله يبقى معجزة له باقية على الابد الدال على صدقه وثالثها ان دينه الذي امر به وهو دين الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته ونحو ذلك والتنزيه عن كل معبود سواه وهذه امور فيرة ودلائل واضحة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ازاح الله ذلك بكذب وتزوير وغدر خراب سعيه وابطل عمله ثم ان الله تعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم مزيد الفضل واعلاء الكلمة واظهار الدين بقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون اي يعلي الله الا ان يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون فقوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله اي ان الله الذي ابى الا ان يتم نوره ودينه هو الذي ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى اي بالقرآن الذي انزل عليه وجعله هاديا اليه ودين الحق اي دين الاسلام ليظهره اي ليعليه على الدين كله اي على سائر الاديان وقال ابن عباس اهل الهدى وليظهره على جميع اديان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعليه على شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الضمير راجع الى الدين الحق والمعنى ليظهره على اديان الاسلام على الاديان كلها وهو ان لا يعبد الا الله كافة قال ابو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى احد من اهل الارض الا دخل في الاسلام او قتل وهذا يدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام وعن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز او بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه البغوي بغير سند وعن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى قلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله تعالى قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين ابائهم قال الشافعي وقد اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان بان ابان الكافرين بسيفه ان الحق ما جاء به من الاسلام وابطل ما خالفه من الاديان باطل وقال اظهره بان جمع الشرائع دين اهل الكتاب دين الاسلام فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من قاتلوه بالاسلام طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى من سبى منهم حتى اعطى بعضهم الجزية وهم صاغرون وجرى عليهم حكم الله المختص على الدين كله ولو كره المشركون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان فقد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم ياخذوا اموال الناس بالباطل واهل العلم الذين لم يفعلوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعبر عن اخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى لياكلون اموال الناس بالباطل لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل يستعمل الشيء باسم ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في هذا التعيب الذي من اجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا ياخذون الرشا من سفلتهم وتخفيف الشرايع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم كتبا كذبا ويبيعونها ويقولون هذه من عند الله ويا خذون لها ثمنا قليلا لعوام الكفار التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تقرير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته كتبوها لانهم كانوا يخافون لو اظهروا نعته وصفته لذهبت عنهم تلك المكاسب وقيل ان التوراة كانت مشتملة على ابانة التعاريف التي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يزيلون فيها ويغيرون باستدعاء الملوك اياهم ويجعلون مكانها كلاما للرياسة واخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام والذين يكنزون الذهب والفضة اصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وجمعه ومال مكنوز اي مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم اهل الكتاب قاله معاوية بن ابي سفيان لان الله تعالى وصفهم بالجور الشديد على اخذ اموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه لما فرضت الزكاة قال المسلمون قد فرج الله عنا اخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وندبهم الى جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال ابو ذر نزلت في اهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا

الفرق الثاني عشر

القرآن وصف اهل الكتاب بالحرص على اخذ المال والبخل بما وذم بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سؤال من اهل
الكتاب او من المسلمين ح عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا بابي ذر فقلت ما انزلك هذا المنزل فقال كنت بالشام فاختلفت انا
ومعاوية في هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت
فينا وفيهم فكان بيني وبينه كلام فكتب الي عثمان يشكوني فكتب الي عثمان اقدم المدينة فقدمتها فكثر الناس حتى كانهم لم يروني قبل ذلك
فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا وذلك الذي انزلني هذا المنزل ولو امروا علي حبشيا لسمعت واطعت واخرج
العلماء في معنى الكنز قبل هو كل مال اوجبت فيه الزكاة قيل تؤدى زكاته روي عن ابن عمر انه قال له اعرابي اخبرني عن قول الله عز وجل
والذين يكنزون الذهب والفضة الاية قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها ويل له انما كان هذا قبل ان تنزل الزكاة فلما انزلت جعلها الله
طهرا للاموال اخرجه البزار وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ما هو فقال
هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة وروى الكشي باسناده عن ابن عمر وهو يسئل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى قال كل
مال اديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وروي عن علي بن ابي طالب قال اربعة الاب بما دونها نفقة وما فوقها كنز وقيل الكنز
كل فاضل من المال عن حاجة صاحبه الينا وروى الكشي باسناده عن ابي امامة قال توفي رجل من اهل الصفة فوجد في ثوبه دينار فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي اخر فوجد في ثوبه دينارا ن فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا اول الاسلام قبل
ان تفرض الزكاة فكان لم يجب على احد من فضل معه شيء من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم ابن
عباس قال لما انزلت هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا افرج عنكم فانطلق فقال
يا نبي الله انه قد اعضل على اصحابك هذه الاية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا لتطيب ما بقي من اموالكم وانما فرض المواريث وذكر كلمة
لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب
عنها حفظته اخرجه ابو داود وعن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فقال بعض اصحابه فيما انزلت في الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعين احدكم على ايمانه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والطبراني
من هذه الاقوال الاول الا وهو ما ذكرنا عن ابن عمر ان كل ما اديت زكاته فليس بكنز والا فهو كنز على ما جاء به الحديث وان كثر وان كل مال
لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز
وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة
لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما
بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله والابل
قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر اوفر ما كانت
لا يفقد منها فصيلا واحدا تطأه باخفافها وتعضه بافواهها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله والخيل قال الخيل ثلاثة هي لرجل وزر
ولرجل ستر وعلى رجل اجر فاما التي هي له وزر فرجل ربطها رياء وفخرا ونواء على اهل الاسلام فهي له وزر واما التي هي له ستر
فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر واما التي هي له اجر فالرجل يربطها في سبيل الله
لاهل الاسلام في مرج او روضة فما اكلت من ذلك المرج او الروضة من شيء الا كتب له عدد ما اكلت حسنات وكتب له عدد
ارواثها وابوالها حسنات ولا تقطع طولها فاستنت شرفا او شرفين الا كتب الله عدد اثارها وارواثها حسنات ولا مر بها صاحبها على
نهر فشربت منه ولا يريد بذلك سقيها كتب الله له عدد ما شربت حسنات اخرجه مسلم وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من رجل يكوي ابله او غنمه الا بعث يوم القيامة اشد ما يكون كلؤا واسمنه تطؤه بقوائمها وتنطحه بقرونها كلما
مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى
النار اخرجه مسلم بزيادة وفي قوله كلما ردت اعيدت له كذا في بعض نسخ هي مسلم بضم الراء وفي بعضها بدت وهذا هو
الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى
من الارض الواسع الملس والعضباء هي الشاة الملتوية القرن وانما استثناها لانها لا ترى لم يطعنها وكذا الجلحاء وهي
الشاة التي قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن ح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد
زكاته مثل له شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يلهزمتبه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن
الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم الاية الشجاع الحية والاقرع صفة له لطول العمر لان
من كثر عمره تفرق شعره وذهب وهي صفة اخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين والملهزمتان عظمان في اللحيين تحت الاذنين
قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله يعني لا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل به

يُنفقونها لأنه ردّ الكناية إلى المال المكنوز وهو اعيان الذهب والفضة وقيل ردّ الكناية إلى الفضة لأنها أغلب أموال الناس بعذاب أليم يعني الحاملين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وعن أبي ذر قال انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الأخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار حتى قمت فقلت يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضي بين الناس رواه البخاري ومسلم وعن أبي ذر قال بينما أنا في ركب من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذ رفع لنا أحد فقال هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت ما شأني أسمع يقول في سيري خيرا قال ما شأنك

انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلدة الحرام قلنا بلى قال اى يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسئلكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ثم قال اللهم هل بلغت قلنا نعم اللهم اشهد وقوله تعالى ولا تظلمن فيهن انفسكم قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الاشهر اى لا تظلموا انفسكم في جميع اشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المعصوم منع من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم بمعنى سواء وان كان الظلم على كل احد اعظم وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن انفسكم بتحليل القتال فيهن والغارة فيهن قال الحسن بن الفضل لا تجعلوا حلالها حراما وحرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو قول قتيبة وقيل ان الابتداء بالظلم فيهن اعظم وزره كما ان الابتداء بالسنة الحسنة والسيئة فيهن اعظم اجرا ووزرا وقيل ان الله تعالى خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والفواحش والمنكرات عن ربما تركها في باقي الاوقات التي ليست بحرمة والاشهر الحرم المعظمة سببا لترك الظلم وفعل الطاعة فيهن لما ظهر بهذا ان الاشهر الحرم انما عظمت لهذه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر على بعض مزيد الشرف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يعني قاتلوا المشركين جميعا على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تتقاعسوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة اعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم وفيه قولان احدهما انه غير محرم وهو قول اكثر العلماء والثاني انه محرم وهو قول ابن عباس وقتادة والحسن والزهري وسعيد بن المسيب والضحاك والكلبي وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وغيرهم وهو قول ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم اجمعين وثبت بالكتاب وهو قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وحاصروهم واقعدوا لهم كل مرصد وبالسنة وهو ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال ابن جريج حلف بالله عطاء بن ابي رباح ما حل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها وقال ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله يعني بالنصر والمعونة على اعدائكم وقوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر النسيء في اللغة عبارة عن التاخير يقال نسأ الشيء اذا اخره ومنه النسيئة في البيع الذي هو تاخير الثمن الى اجل ثم ان النسيء الذي كان يفعله اهل الجاهلية كان تارة يتقدم على الاشهر الحرم وتارة يتاخر عنها فكانوا ربما احتاجوا الى القتال في الشهر الحرام فيحلونه ويحرمون بدله شهرا آخر من الشهور ليست بحرام وربما احتاجوا الى تاخير القتال في شهر حرام لمعنى اقتضى ذلك فيؤخرون تحريم الشهر الحرام الى شهر آخر ليس بحرام وكانوا يراعون بذلك عدد الاشهر الحرم فيحافظون على العدد الذي هو اربعة ولا يراعون الاشهر بأعيانها وذلك ان الله تعالى حرم اربعة اشهر وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وكانوا يحرمون تارة شهرا قبل المحرم وهو صفر وتارة شهرا بعد المحرم وهو شهر ربيع الاول وتارة شهرا بعد ثلاثة اشهر وهو شهر ربيع الآخر وتارة شهرا بعد اربعة اشهر وهو جمادى الاولى وتارة شهرا بعد خمسة اشهر وهو جمادى الآخرة وتارة شهرا بعد ستة اشهر وهو رجب مضر وتارة شهرا بعد سبعة اشهر وهو شعبان وتارة شهرا بعد ثمانية اشهر وهو شهر رمضان وتارة شهرا بعد تسعة اشهر وهو شوال وتارة شهرا بعد عشرة اشهر وهو ذو القعدة وتارة شهرا بعد احد عشر شهرا وهو ذو الحجة وتارة شهرا بعد اثني عشر شهرا وهو المحرم وكانوا يحجون في كل شهر عاما من هذه الشهور فحجوا في ذي القعدة عشرين سنة ثم حجوا في ذي الحجة عشرين سنة ثم حجوا في المحرم عشرين سنة ثم حجوا في صفر عشرين سنة ثم حجوا في شهر ربيع الاول عشرين سنة ثم حجوا في ربيع الآخر عشرين سنة ثم حجوا في جمادى الاولى عشرين سنة ثم حجوا في جمادى الآخرة عشرين سنة ثم حجوا في رجب عشرين سنة ثم حجوا في شعبان عشرين سنة ثم حجوا في رمضان عشرين سنة ثم حجوا في شوال عشرين سنة ثم حجوا في ذي القعدة عشرين سنة فوافقت حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع في السنة الثانية عشرة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في الشهر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع موافقا حجه في شهر ذي الحجة وهو الشهر الحرام المشروع بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر منه فعلموا ان الشهر الذي قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض الحديث المتقدم وامرهم بالحمد والشكر على ذلك لما يتدارك في مستأنف الايام واخبارهم ان امر النسيء الذي كان يفعله بنو مالك بن كنانة وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية الكناني ثم ابنه من بعده اول من ابتدعه رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالنفر قام فخطب الناس فيقول الا ان الهنا قد نفرت اول النفر فمن اراد النفر الاول فليخرج ومن اراد منكم ان يتاخر الى الثاني فليتاخر ومن اراد منكم ان يتاخر الى الثالث فليتاخر فيقوم رجل من بني فقيم فيقول اللهم اجز لي ما جزتهم به فيقوم رجل من بني عدي فيقول اللهم اجز لي ما جزتهم به فيقوم رجل من بني غفيلة فيقول اللهم اجز لي ما جزتهم به

وقرئ بفتح الباء وضم الضاد ومعناه ان كبارهم حملوهم عليه وقرئ بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يفضل الله
به الذين يجيزون وتابعيهم والاخذين باعمالهم وهذا الوجه اقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد
يحملونه عاما ويحرمونه عاما يعني يحلون ذلك الاشهر عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر الحرام عاما ويجعلونه حلالا
ليغيروا به ويحرمونه عاما ويجعلونه حراما بدلا مما يغيروا به ليواطئوا يعني ليوافقوا عدة ما حرم الله يعني انهم ما احلوا شهرا من
الاشهر الحرم الا شهرا مكانه من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرم ولا يجوز ان يكون عدد الاشهر الحرم
اربعة كما حرم الله فيكون ذلك مخالفة في العدد كما في الحكم وذلك قوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه عاما لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس زين
لهم الشيطان ان هذا العمل والله لا يهدي القوم الظالمين يعني انهم في الدين ظالمون لا يرشدهم الله ولا يتيسر لهم امر يتسببون له به الا ازالة من اهل
النار قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض نزلت هذه الاية في الحث على غزوة تبوك
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطايف امر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حتى كان
الظل اولى بخد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها حتى اذا تهيأت غزوة تبوك غزا الها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حر شديد وهو مستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعددا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم يشير عليهم الخروج وتثاقل قوم
فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله اخرجوا الى
الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير
اثاقلتم اي تثاقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الارض يعني ولزمتم ارضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق
الوقت وشدة الحر وبعد المشقة وشدة الحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة
وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة وعاتبهم الله بقوله تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا من
الاخرة يعني ارضيتم بخفض العيش وطيب الدنيا ونعمتها من نعيم الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل يعني
ان لذات الدنيا ونعيمها وان زاد عن قليل ونعيم الاخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة
الى نعيم الاخرة وهذا يدل على وجوب الجهاد في كل الاوقات وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد امر منكر
فلو لم يكن الجهاد واجبا لما لزمهم على ذلك التثاقل ويؤكده هذا الوعيد المذكور في الاية الاتية وهو قوله تعالى الا تنفروا
يعذبكم عذابا اليما يعني في الاخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الاخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا
قال الحسن بن فليح سالت ابن عيينة عن هذه الاية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من احياء العرب فتثاقلوا
فامسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم ويستبدل قوما غيركم يعني خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم
ابناء فارس وقيل هم اهل اليمن وفيه تنبيه على ان الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان تثاقلوا
معه الى الخروج الرجيب استنفر واحتلت النقمة بهم ووقع الجزم على الله عز وجل وان تثاقلوا وخلفوا عنه حصلت الغنية يعني بهم
وحصلت العفي بهم وليلا يتوهم احد ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض له كالحمل الاثم وهو قوله تعالى ولا تضروه شيا قيل الضمير
راجع الى الله تعالى يعني ولا تضروا دينه لانه غني عن العالمين وانما تضرون انفسكم بتركم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير
راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضروا احدا من الرسول صلى الله عليه وسلم فان الله ناصره على اعدايه وكافيه والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى
قادر على ان يعين نبيه ويمكنه من تبليغ دينه قال الحسن وعكرمة هذه الاية منسوخة بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه
الاية محكمة لانها خطاب لقوم استنفروا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلفوا كما ينقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فالاستثناء في قوله عز وجل
الا تنصروه فقد نصره الله يعني الا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم ايها المومنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله
عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله واعزاز دينه واعلاء كلمته اعانوه او لم يعينوه وانه نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء
وكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد اذ اخرجه الذين كفروا يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي اخرجه كفار مكة من مكة حين
مكروا به واردوا قتله ثاني اثنين يعني هو وواحد وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه اذ هما في الغار يعني ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا بكر في الغار وثقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار هو بجبل ثور وهو قريب من مكة اذ يقول لصاحبه لا تحزن
يعني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا تحزن وذلك ان ابا بكر خاف من الكفار ان يعلموا مكانهم فجزع من ذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل اهل الارض جميعا في هذه

الاية غيرا بي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال انا بابي بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد كما بر لانكار نصر الله وقد سماه الله
اذ اخر يكون مبتدءا ولا يكون كما جرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار اخرجه الترمذي
وقال حسن غريب وعن ابي الصديق رضي الله عنه قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن في الغار ونحن على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم
نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محي الدين النووي بمعناه ثالثهما بالنصر والمعونة
والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله تعالى ان السمع الذين انقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم لفضل الصديق صلى الله عليه وسلم حتى
اهل العقول وفيه فضيلة كابي بكر الصديق ولعلي من اجل مناقبه والفضيلة منه اللفظ الدال على انه تعالى ومنه بذله نفسه ومعارفه
اهله وماله وربما استدل به لملاعنة الله وملاعنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم ومنه جعله نفسه فداء له
حفه وغير ذلك وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه ذكر عنده ابو بكر رضي الله عنهما فقال ود دت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه وليلة
واحدة من لياليه اما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهينا الى الغار قال والله لا تدخله حتى ادخله قبلك
فان كان فيه شيء اصابني دونك فدخل فكنسه ووجد في جانبه نقبا فشق ازاره وسده به وبقي منها نقبان فالقمهما رجليه ثم قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة
ان ينبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر فقال الدغت فداك ابي وامي
فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتفض عليه وكان لسبب منونة وامانيوم فلما فجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارفدت العرب وفلانا الدوسي الزهاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تالف الناس
وارفق بهم فقال اجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي اخرجه في جامع الاصول ولم يرفع علينا
علما احد قال اليعقوبي وروي انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا بكر فقال اذكر الكمين فاكون خلفك ثم اذكر الرصد فاكون بين يديك فلما انتهينا الى الغار
قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فادخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال لك اجر كل داخل وخارج من المسلمين
وان قلت هلكتك الامة ذكر بسياق حديث [redacted] اللجة وهو من افراد البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت لم اعقل ابوي الا
وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر
مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال اين تريد يا ابا بكر فقال اخرجني قومي فاريد ان اسيح
في الارض واعبد ربي فقال ابن الدغنة ان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين
على نوائب الحق فانا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في اشراف قريش فقال لهم ان
ابا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج الا رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش جوار ابن الدغنة
وفي رواية بل انفذت قريش جوار ابن الدغنة واشنوا ابا بكر وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن بها فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر يعبد ربه في داره ولا
يستعلن بصلاته ولا يبغي بغير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم
يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن وافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا
الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن
بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى الا ان يعلن
بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان فذلك ابن الدغنة فاتى ابا بكر فقال
ابو بكر فاني ارد اليك جوارك وارض بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للمسلمين اني ايت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بارض الحبشة
الى المدينة ولقي ابو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال له ابو بكر وهل ترجو ذلك
بابي انت فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلفا راحتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن
شهاب قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها بينا نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة فقال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فداء له امي وامي ما جاء به في هذه الساعة الا امر فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

SULAC

فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله
قال فإني قد أذن لي في الخروج قال أبو بكر الصحابة بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالثمن قال فجهزناهما أحب الجهاز ووضعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به
فم الجراب فلذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر بغار جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت
عندهما عبد الرحمن بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن يدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا
يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حتى يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيدلجها
عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث
واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية وقد
غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث
ليال فأتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فأخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل
قال ابن شهاب فأخبرني عبد بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم
أنه يقول جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينا أنا جالس في مجلس
من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها
محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت
في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فحبستها علي وأخذت رمحي فخرجت
به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها ودفعتها تقرب حتى دنوت منهم فعثرت
بي فرسي فخررت عنها فقمت وأهويت إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أمرهم فخرج الذي أكره فقربت
فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت
يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها فنهضت فلم تكد تخرج يديها قائمة إذا لأثر يدها غثان ساطع
في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم الأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في
نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن قومك قد جعلوا فيك الدية
وأخبرتهم بما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأني ولم يسألني إلا أن قال أخف عنا ما استطعت
فسألته أن يكتب لي كتابا آمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعتين من أدم قال ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبا بكر ثيابا بيضا وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وكانوا يغدون كل غداة إلى
الحرة فينتظرونه حتى يردهم الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أتى رجل من اليهود على
ظهير من آكامهم لأمر ينظر إليه فأبصر رسول الله وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته
يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثاب المسلمون إلى السلاح فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة
فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق أن جاء من الأنصار ممن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى صابت الشمس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راحلته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساوهما
بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل
معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أمر ربنا قد ظهر ويقول اللهم إن الأجر أجر
الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المهاجرين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث

أن رسول الله

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام وغير هذه الابيات اخرجه البخاري بكوله شرح غريب الفاظ الحديث
قوله لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين يعني انهما كانا يتعبدان الى الصلاة وبرك الغماد بفتح الباء موضع وكسر الغين
المعجمة اشم موضع بينه وبين مكة خمس ليال معارضة ساحل الى المدينة من بلاد غفار وهي قليب ماء لبني ثعلبة قوله
تكسب كل شيء حتى المعدوم والذي ينفد كسبه على غيره والغرض الثاني انه يعلك الشيء المعدوم المتعذر لمن لا يقدر
عليه فيعينه وصفه بالاحسان والكرم والحمل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والعيال بامر العيال وقرى الضيف
ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المغارم ونحاء الخوف لمن يقصده انا لك جار اي حامي وناصر ومدافع عنك والاستعلان
والاعلان اظهار الشيء وقوله تعجب الناس عليه يعني ازدحامهم عليه والذمة العهد واخفارها تضييعها والمابة
الجبل والحرة الارض التي يعلوها حجارة سود يقال ابعل اي علا على بعلك بكسر الباء اي بعيرك والرحلة البعير القوي
على الحمل والسير والكهف جبل او نحوه تشدبه المرأة وسكها ترفع ثوبها من خلفها لتعقد كما يفعل اذا اشعلت النار
كي يلتهب والشعلة الشعلة ليلا يصل الى الارض وقولها تفلت لئلا يقال تغيب الرجل تفاءة اذا ارتحل فاجا بلحنا واللقن التوبيخ
الجهل والحداج بتخفيف الدال سبد او الحبل وتشديدها شيء اخر والصحنة الشاة ذات اللبن والرسل بفتحتين وكسر الراء نعوا للبن يقال نعق الراعي اذا دعا لها لتجتمع البوالغلس كظلام اخر الليل والحقيب تعني حمه
في الحديث وهو العالم بالعداية وازاديه هداية الطريق بعد الدليل وقد تحمس جلبا يقال تحمس بلان جلبا في البلاد اذا
اخذ بنصيب من عددهم وجلبهم والاسودة الاشخاص والباكمة التل المرتفع من الارض يقال القرب الجبل من يقرب تقي بيا
اذا عدا عدوا حثيثا والاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقسمون عند
كعب الحواجب كالقرن والقنان الجبل يقال ما رايت قلانا شيئا اي ما اصبت منه شيئا والصرائم لم يأخذوا منه شيئا
وقوله مبيضين وهو بكسر الباء اي يعدون ذوو نياب بيض والمربد الموضع الذي يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا
الحمل بضم الحاء المهملة يعني هذا الحمل احمر من اللبن ابرعند الله واكثر واربى جزاء ادوم منبعثة اي الاخرى كالحمال
جنبي يعني ما يحمل من جنبي من التمر والزبيب والصاع المحمر منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي يحمله من اللبن كاجل عمارة
المسجد افضل عند الله مما يحمل من جنبي وقد روي هذا الحمل بالجيم من الجمل والرواية الاولى اكثر واشهر والله اعلم قال
الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله تعالى عليهما من حمام حتى باضا في اسفل النقب ونسجت
العنكبوت بيتا وقيل انت حمامتا على الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعم ابصارهم فجعل الكلب يمضي بعين يمينا وشمالا
حول الغار ويقولون لو دخل هذا الغار لتكسرت بيض الحمام ويعني بيت العنكبوت ووجدت في بعض النسائي شعيرا
وقد تسهم ابي بكر الصديق رضي الله عنه وهو قوله فال النبي ولم تحزن يومئذ ونحن بسدد في قلة الغار الاخش شيئا
وان الله ثالثنا وقد تكفل الله منه بالاضعاف وانما كيد من تخشى بوادره كيد الشيطان كيده قد كادت الكفار والمعلم
كرابها منفق وجاعل المنتهى منهم النار وقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه يعني فانزل الطمأنينة والسكون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك
فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على افضل ابي بكر الصديق رضي الله عنه منها ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان معلوما عند الكل ان ابا بكر الصديق في يسره واعلانه وانه من المومنين الصادقين الصديقين
المخلصين ما اختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه
صلى الله عليه وسلم ابا بكر دون غيره من اهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف ابي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله عاتب
اهل الارض بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سواء ابو بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان الله تعالى جعله وصاحبه صحبته
صحبته ومنها ما انسته النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضله ومنها ان الله تعالى جعله ثاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي هذا فضيلة لا يكملة لاحد ابي بكر وقد ذكر بعض العلماء ان ابا بكر كان يلقب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الاكثر الاحوال ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله وكان ابو بكر اول من اقبل بالله ورسوله
واستجاب له عثمان وطلحة والزبير بدا من يده ابي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقف في موقف من مغازيه الا وابو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم فاوصى بالامامة بعد ابي بكر

ومنها ان النصر على الحقيقة انما يكون من عند الله تعالى بفضله بغير واسطة احد من خلقه ومنها ان الله تعالى كان قادرا على ان يذل الكفار من غير قتال ولكنه تعالى اراد ان يعز المؤمنين بقتالهم ومن كان الله معه فهو الغالب على كل من عداه ومنها ان نزول السكينة على قلوب المؤمنين انما يكون بعد حصول الخوف والقلق في قلوبهم ومنها ان الله تعالى كان قادرا على ان يؤيد نبيه صلى الله عليه وسلم بالملائكة من غير قتال ولكنه تعالى انما امر بالقتال ليعظم ثواب المؤمنين ومنها ان الملائكة لا يقاتلون الا مع الانبياء عليهم السلام ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يقتلون الكفار بالسيف ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار فوق الاعناق وعلى جميع البنان ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يحرقون الكفار بالنار ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يكسرون اطراف الكفار ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يقطعون اطراف الكفار ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على ادبارهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على وجوههم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على ظهورهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على بطونهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على صدورهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اعناقهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على ايديهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على ارجلهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اصابعهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اكفهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اذرعهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اكتافهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اعجازهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اعقابهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اقدامهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اصابعهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اكفهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اذرعهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اكتافهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اعجازهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اعقابهم ومنها ان الملائكة عليهم السلام قد يضربون الكفار على اقدامهم

وقوله تعالى ويأتوكم من فورهم هذا يدل على ان الكفار كانوا قد اتوا بدرا من كل فج عميق وقوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وقوله تعالى ويمددكم بأموال وبنين وقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا

هذه الفروة يحلفون انفسهم يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة والحلوف وهي دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها
والله يعلم انهم لكاذبون يعني في ايمانهم وايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم كانوا مستطيعين الخروج
قوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم قال المفسرون هذا عتاب من الله عز وجل عاتب به نبيه عليه الصلاة والسلام في اذنه
لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين استخبر الزبرقان لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك ما اردت ان منك في اذنك
لهؤلاء المنافقين الذين استاذنوك في امر تركه فان عمر بن ميمون الاودي اثنتان بعلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر
بهما بعد اذنه للمنافقين واخذ الفداء من اسارى بدر بقوله الله كما تسمعون وقال سليمان بن عيينة انكروا الى هذا
الكلام بداء بالعفو قبل ان يعيره بالذنب فصل رد استدل بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنوب عن الانبياء
وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة الذنب الوجه الثاني انه تعالى قال لم اذنت لهم
وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الوجه الاول ان نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب
بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير وهو كقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك
ما فعلت في امر رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وغفر لك فكل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه تدل
على تعظيم المخاطب به قال علي بن الجهم مخاطب المتوكل عفا الله عنك الا تبيد بعضك يا ابن العالم الم تر عبدا عذا كورك
ومحل عبادك ينشد هذا افلني فانك من لم تزل يقيل ويصفح عنك الرد والجواب عن الثاني انه لا يجوز
ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب بهذه الواقعة او لا وان كان قد صدر
عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق بقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه
الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان هذا الانكار ممتنع وحقق الله
عليه وسلم وقال الفقيه عياض في الشفا في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وبانه امر لم يتقدم للنبي صلى الله
عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي بعد معصية ولا عهد الله تعالى عليه معصية بل لم يعده وا اهل العلم معاتبة وغلطوا من
ذهب الى ذلك قال بعضهم وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين فلما وقد عاتبه الله ان يعمل ما لم يكن فيما
لم ينزل عليه فيه وحي فجعل وقد قال الله له واذن لمن شئت منهم فلما اذنه اعلم الله بما لم يكن يطلع عليه من سرهم لو لم يأذن
لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فعل او يفعل وهذا بمعنى غير بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله عنهم عن معرفة الحيل
والتعريف ولم يجب عليهم فكما ان لم يلزمهم ذلك ونحوه للمفسرين قالوا انما قيل العفو لان لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف ذلك الذنب
قالوا ومعنى عفا الله عنك لم يلزمك ذنبا قال الداودي انما تكرمة وقال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك
وحكى النقاش فيه ان معناه عافاك الله وقيل معناه اداك الله لك العفو لم اذنت لهم يعني في التخلف عنك وهذا الجمع عاتبه
اولى والاجمل الاسلم وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا حتى يتبين لك الذين صدقوا يعني في اعتذارهم
وتعلم الكاذبين يعني فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت
براءة فوقتها لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي في ان يجاهدوا وانما
حسن هذا الحذف للظهور والله عليم بالمتقين يعني الذين يتقون مخالفته ويبتعدون عن الكبائر عنه انما يستأذنك
يعني في التخلف عن الجهاد يا محمد من غير عذر الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وهم المنافقون لقوله وارتابت
قلوبهم يعني شكت فلم يجزم في الايمان وانما اضاف الشك والارتياب للقلب لانه محل المعرفة والايمان انما يزداد ضعفه
الشك كان ذلك نفاقا فهم في ريبهم يترددون يعني ان المنافقين مضطربون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف
علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآيات فقيل انها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهو قوله انما يستأذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل محكمات وهو وجه الجمع
بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يستأذنون الرسول صلى الله عليه وسلم وجاهد منهم من غير استئذان فاذا لم يأذن لاحد منهم عذر المتخلف
في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لمن يشاء فقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم واما المنافقون فكانوا يستأذنون
في التخلف من غير عذر فعيرهم الله بقعودهم الاستئذان لقوته من غير عذر قوله تعالى ولو ارادوا الخروج يعني الى الغزو معكم
لاعدوا له عدة اي تهيئوا له باعداد الات السفر والات الظاهرين الكراع والسلاح ولكن كره الله انبعاثهم يعني
خروجهم الى الغزو معكم فثبطهم يعني منعهم وحبسهم عن الخروج والمعنى ان الله تعالى كره خروج المنافقين مع رسوله

صلى الله عليه وسلم بعض عنه وهاهنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان
يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب
فيه صلى الله عليه وسلم واذن لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر بتلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يعني فلما عاتب الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام العلم واكمال التأمل والتفتيش
عن الامر فلهذا السبب فانه تعالى لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه بامره بالقعود وقيل
اقعدوا مع القاعدين معناه انهم لما استأذنوا في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان
والمرضى واهل الاعذار ثم اختلفوا في القائلين هو قيل قاله بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك على سبيل الغضب لما استأذنوه في القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين
باعتقادهم ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله تعالى بالوحي الى قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين
الى الجهاد ثم بين تعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يعني لو خرجوا معكم
الى غزوة ما زادوكم معكم الا فسادا وشرا واصل الخبال الضعف والفتور يقال بعير خبل اذا كان ضعيفا والمراد بالخبال
هاهنا ايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين وتحيير الامور وشدة الشعور وكثرة العدو وقوتهم ولا وضعوا خلالكم يعني
ولا سرعوا بينكم وسعوا بينكم بالفتنة النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم يبغونكم الفتنة يعني يطلبون لكم ما تفتنون
به وذلك انهم يقولون للمؤمنين لقد جمع كذا وكذا والمسافة لقي بكم وانكم ستنهزمون منهم وسيظهرون عليكم
ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تحير وقيل معناه يطلبون العيب والشر وفيكم سماعون لهم قال مجاهد يعني
وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وقيل هم الجواسيس قال قتادة وفيكم مطيعون لهم ليسمعون
كلامكم فينقلون ويطيعونهم وذلك بانهم يبلغون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلون منهم
وان فلت كيف يجوز ان يكون مع المؤمنين لهم فاربعين المنافقين ورد سلامهم اذا فالوا قولا ربما اثر
القول في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال والله عليم بالظالمين وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين
يلقون الفتن واللبسات بين المؤمنين في قوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني لقد طلبوا من الجانب بالصد عن الدين
وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حتى انصرف بثلث العسكر
وقلبوا لك الامور يعني واجالوا فيك امرك وفي ابطال دينك الرأي والمكر والخداع وتخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت
امرك حتى جاء الحق يعني النصر والفتح وظهر امر الله وهم كارهون يعني بجهادك وذلك قوله عز وجل ومنهم من يقول
ائذن لي ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة
تبوك قال للجد بن قيس يا ابا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفها فقال الجد يا رسول الله
لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنساء واني اخشى ان رأيت بنات بني الاصفر ان لا اصبر عنهن فائذن لي في القعود ولا
تفتني يعني واعفني بهذا قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم تكن به علة الا النفاق فانزل الله عز وجل ومنهم
يعني ومن المنافقين من يقول ائذن لي يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني يعني ببنات الروم الا في الفتنة
سقطوا يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه وان جهنم
لمحيطة بالكافرين يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم يعني ان تصبك
يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين وان تصبك مصيبة يعني من هزيمة وشدة يقولوا يعني المنافقين
قد اخذنا امرنا من قبل يعني قد اخذنا امرنا بالحذر والحزم في القعود عن الغزو من قبل يعني من قبل هذه المصيبة
ويتولوا وهم فرحون يعني معرضون عنك بقلوبهم وهم مسرورون بما نالك من المصيبة قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من الغنائم والظفر لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وعلينا وكتبهم
في اللوح المحفوظ لان الفاجعة بما عوتبنا في يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر احد ان يدفع عن نفسه
مكروها نزل به ويجلب لنفسه نفعا ان اراد ما لم يقدر له هو مولانا يعني ان الله هو ناصرنا وحافظنا ولعلى

انزلنا

اولى بنا من ابعدنا في الموت والحياة وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني في جميع امورهم قل هل تربصون بنا
المنافقين ننتظرون فينا احدى المنافعين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم
اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما ان يقتل عدوه فيغنم بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الاخرة واما ان يقتل
في سبيل الله فيحصل له الشهادة وهي الخصلة القصوى ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسولي فهو علي ضامن ان
ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة او اخرجه في الصحيحين فوالذي نفسي بيده
ومن تربص بكم يعني ونحن ننتظر بكم احدى الحسنيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده يعني يهلككم كما اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية
او بايدينا يعني او يصيبكم بايدي المؤمنين بان يحثهم بايكم ويقهرنا عليكم فتربصوا انا معكم متربصون قال الحسن
متربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه فلا يفقهون وما اوحي
نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عليه وقال ائذن لي يا رسول الله
ولا تفتني بنساء بني الاصفر فلما انزل الله تعالى فيه ما انزل قال ابنه عبد الله يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب
لقد عرف قومي ما رجل اشد عجبا بالنساء مني واني اخشى ان رايت نساء بني الاصفر ان لا اصبر عنهن فاعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها يعني انفقوا اموالكم في الجهاد
طائعين من قبل انفسكم او مكرهين بالالزام والاكراه لن يتقبل منكم لان هذا الانفاق انما وقع على الوجه الذي امر الله به
خاصة وانفاق المنافقين بهذه الصفة لا يكون لوجه الله بل لا يفعله رياء وسمعة وانه لا يفعل عنه ثم علل سبب
منع القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين والمراد بالفسق هنا الكفر ودل عليه قوله تعالى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الا انهم كفروا بالله يعني ان المانع من قبول نفقاتهم كفرهم بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى جمع كسلان
يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك تهاونوا بها
ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم كانوا ينفقون في سبيل الله مخافة وسمعة ذلك الانفاق مغنما فلا تعجبك يا محمد اموالهم
ولا اولادهم وهذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمعنى لا تعجبوا باموال المنافقين
واولادهم والتعجب الشعور بالشيء مع نوع من الاعتقاد بانه ليس لغيره مثله وهذا يدل على ان المستغرق في التفكر في ذلك
الشيء ربما كان سببا لانقطاعه عن السير فيما ينفع للانسان ان يتعجب بشيء في امور الدنيا ولذلك اخبر بان العبد اذا نظر الى من هو اعلى منه درجة في
المال والولد فليعلم ان ذلك ليس نعمة عليه انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بان يكلفهم
كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا ويريهم الذة والسرور في الدنيا فلف فذهب الجاهد وقتادة في الاية تقديم وتاخير
تقديره فلا تعجبك اموالهم واولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وقيل ان سبب المال والولد عذابا
في الدنيا هو ما يحصل من التعب والمشاق في تحصيلها بازدحام التعب وتحمل المشاق في حفظها ويزداد الحزن
والغم بسبب المصايب العارضة فيها وهذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل احد من يدخل في موضع وكل من هم بارادة
تحصيل الغنا فيغنى بعد التعذيب في الدنيا اجيب عن هذا الايراد بان الغنا فيغنى مخصوصون بزيادة من هذا
العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه مخلوق وانه ينتاب بالمصايب الحاصلة له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على
المال والولد عادا عليه في الدنيا على المنافق في الدنيا كما قال ومن الناس من تعذيبهم بها في الدنيا اخذ الزكاة منهم
والنفقة في سبيل الله غير مثابين عليه وربما قتل الولد في الجهاد فيعظم الثواب للوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله
وقيل يعذبهم بالتعب في جمعهم وحفظهم والكره في انفاقه والحزن على تخليفهم عند من يحسدهم ثم يعذبهم في الاخرة على ملك
لا يعذرهم وتزهق انفسهم يعني وتخرج انفسهم وهم كافرون والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم
بعد عذاب الدنيا عذاب الاخرة فرقه عز وجل ويحلفون بالله يعني المنافقين انهم لمنكم يعني على دينكم وملتكم وما
هم منكم يعني انهم كاذبون في ايمانهم ولكنهم قوم يفرقون اي انهم يخافون ان تظهروا على ما هم عليه من النفاق لو
يجدون ملجا يعني حرزا وحصنا ومعقلا يلجئون اليه وقيل لو وجدوا مهربا للهرب اليه وقيل لو يجدون فرصة يوصون
عندها على التفسير منكم لعادوا اليكم ولجاروا فرقا ومغارات يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور
الانسان فيه يستتر او حفرا يعني موضعا محفورا يدخلون فيه وهو السرب في الارض كالنفق اليربوع وقال الحسن وجمعا
يدخلونه على اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولوا اليه والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بعيدا او بقعة او على احد هذه الوجوه
الثلاثة وهي تسمى الامكنة واحيزها لولوا اليها ليرجعوا اليه وتحرزوا فيه وهم يجمحون يعني ويهم يسرعون الى ذلك المكان من

والمعنى ان المتصفين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا ان يصيروا منهم الى الواحد لفعلوه لاسكنة لحماروا اليه
لشدة بعضهم اياهم قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج
قوله اي سعيد الخدري قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال
يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم اعدل وفي رواية فغضب وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ائذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم
زاد في رواية يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من بني
المنافقين يقال له ابو الجواظ لم يقسم بالسوية فنزلت هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حدث عهده باعرابية اتى
نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله امرك ان تعدل فما اعدلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويلك فمن يعدل عليك بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيهم محمد الا من احب ولا يؤثر بها الا اهواءه فانزل الله تعالى ومنهم
من يلمزك في الصدقات يعني من المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات ويقبح فعلك ويطعن عليك في امرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد
اي عابه فان اعطوا منها يعني من الصدقات رضوا بقسمتك وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يعني وان لم تعطهم
منها عابوا عليك وسخطوا ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله يعني ولو ان الصنفين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا بما
اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله اي كفانا سيؤتينا الله من فضله ورسوله يعني من احتاج اليه انا الى الله راغبون يعني ان يوسع
علينا من فضله ويغنينا عن الصدقة وعن غيرها من امور الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم واعون عليهم قوله عز وجل انما
الصدقات للفقراء والمساكين الاية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في
هذه الاية ان المستحقين للصدقات هم الاصناف الثمانية وقصر فيها الام ولا تتعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها شيء فلا يلمزونه
ويعيبونه عليه فلما كان لهم في هذه الاية سبب قسم الصدقات سمي زياد بن الحارث الصدائي فقال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه
رجل فقال اعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية
اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك اخرجه ابو داود وقوله فصل في بيان حكم هذه الاية وفيه مسائل المسئلة الاولى في
وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسبيله
ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع واذا استقصيت
القلب حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاستغال بالكمالات المقربة الى الله عز وجل فاقتضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة
في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله ليصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة
القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها واوجب الله تعالى الزكاة ليزول ذلك المال الذي هو سبب لفساد القلب الوجه الثالث
سبب وجوب الزكاة امتحان العبد هل كان العبد يؤدي الزكاة الواجبة عليه لاجل ان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج المال شاق على النفس فاوجب الله
الزكاة على العبد ليمتحن باخراج الزكاة المطيع المخرج لها كما يمتحن بالصلاة والصوم الوجه الرابع ان المال الذي هو
والاغنياء خزائن الله والفقراء عيال الله وكما ان الله تعالى امر الذي نعم اغنيا بدوع كفاية من مال الى عياله فيجب العبد المطيع المتواضع الى
امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله ما امره الله تعالى به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فان الخازن
المسلم الامين الذي يتفقد وربما فان يعطي ما امر به ويعطيه عاملا موفورا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي امره به احد المقصدين
الوجه الخامس ان القلب رب تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايديهم الاغنياء فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم
الوجه السادس ان المال العاصل عن الحاجة الاصلية اذا امسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال وامر بدفع
الزكاة للفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا عن الخلة الثانية المسئلة الثانية الاية تدل على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف
الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك انها مركبة من ان وما وكلمة ان من الحروف المثبتات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما
يفيد الحصر المذكور وهم به عما عداه بدليل ذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية المسئلة الثالثة في بيان
الاصناف الثمانية بالوصف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يخرج بخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق
بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل يدل عليه ما روي
الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا من كفاية او غيره من

والمسكين

والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا يقع منه موقعا كفاية نفسه ساترا كان او غير ساتر والمسكين عند الشافعي
الفقير وقال ابو حنيفة والخطاب الرأي الفقير احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال الامر فيهما بالعكس حجة الشافعي
ومن وافقه ان الله تعالى بدأ في الصدقات الى هؤلاء الاصناف الثمانية بحرف اللام وهي تفيد الملك فيبدأ بالفقراء انما
يبدأ بالاهم فالاهم ولو لم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم واصل الفقير المكسور الفقار قال الشاعر
لما رأى لبدا النسور تطايرت ... رفع القوادم كالفقير الاعزل قال ابن السكيت الفقير هذا البيت المكسور الفقار يثبت
بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وشدة حاجته وتضعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم احيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين رواه الترمذي من حديث
انس ولو كان المسكين اسوأ حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا ان المسكين احسن حالا من الفقير
ولان الله تعالى قال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر
تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ذلك فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين وحجة
من جعل المسكين اسوأ حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة ووصف المسكين بكونه مترببا وهو الذي
لصق جلده بالتراب وهذا ايما على غاية الضر والشدة ولان الاستعاذة في الاخبار للمساكين فلو كان المسكين اسوأ حالا
حاجة من غيره لما جعلها له واحتج ابو يوسف القاضي ان الفقير الذي له شيء وقد الحق الفقير بالميت فلم يترك له شيئا واحتج
ابو يوسف الاصفهاني عن ابي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له قليل والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال الاخفش الفقير الذي له
البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل
محتاج الى شيء هو فقير اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله تعالى انتم الفقراء الى الله وثبت لهم اسم الفقر مع وجدانهم المال
والجواب عن هذه الحجج اما قوله او مسكينا ذا متربة فهو حجة لمذهب الشافعي لان فيه المسكين المذكور بعد كونه
ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والاسم بعد النفي يفيد العموم والجواب عن جعل الكفارات
للمساكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الشاعر
انه ذكر الفقير وحده وكل فقير ابدا اذا نعم جاز اطلاق المسكين عليه وضعف الاستدلال به واما الروايات المذكورة
فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وفي الجملة ان الفقير والمسكنة عبارتان عن
شدة الحاجة وضعف الحال والفقير هو الذي كسرت الحاجات فقاره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت
عن الحركة وكلب الغوث عبد الله بن عمرو بن العلاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة
سوي اخرجه الترمذي وابو داود وفي رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص اخرجه ابو داود ولان انما اتى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسأله منها فرفع بصره فينا فرآنا جلدين فقال
ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب اخرجه ابو داود والنسائي واخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه عن الصدقة فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي
مكتسب واختلف العلماء في حد الغنى الذي يمنع اخذ الصدقة فقال اكثرون ان يكون عنده ما يكفيه وعياله لسنة
وهو قول مالك والشافعي وقال اصحاب الرأي حده ان يملك مائتي درهم وقال فرقد من ملك خمسين درهما او قيمتها
لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم
القيامة ومسألته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها
من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحاق وقال مالك يجوز
ان يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل اربعون درهما لما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وكانت الاوقية يومئذ اربعين درهما الحجة الثالث قوله وما ملئ عليه وهم الذين يجبون الصدقات وهم العاملون عليها الذين يتولون جباية الصدقات
ويقبضونها من المالك ووضعها في جهتها يعطون من الصدقات بقدر اجورهم الى سؤال كانوا فقراء او اغنياء
وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة ومالك يعطون الخمس من الصدقات وكانوا الفقراء مع
مجاهد الان الشافعي يقول اجرة عمل يستحق بقدر العمل والضرر ان الهاشمي والمطلبي الجواز ان يكون

ملاءة الصدقات لما روى عن ابن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقات فاراد ابو رافع ان يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم اخرجه الترمذي وابو داود الرابع قوله تعالى والمؤلفة قلوبهم وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار واما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول لهم قوم من اعراب العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات ليؤلفهم من ذلك كما اعطى عيينة بن بدر بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي وكانوا اسلموا وكانت نياتهم ضعيفة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت نياتهم قوية في الاسلام وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تالفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام ويجوز للعامل ان يعطي امثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات ايضا القسم الثاني من المؤلفة قلوبهم من مؤلفة المسلمين لكونهم رؤساء قوم من الكفار وموضع تالفهم حينئذ من المسلمين الى كثرة كثيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين يرجى باعطائهم من المسلمين اسلام اقاربهم ونظرائهم اما لضعف نياتهم ولضعف حالهم فيجوز للعامل ان يعطيهم من سهم الفقراء من الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم يجوز اجماعا من مانعي الزكاة ان يأخذوا منهم الزكاة ويحملوها الى العامل ليعطيهم العامل من سهم المؤلفة قلوبهم من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله وروي ان علي بن ابي طالب اتاه ابو بكر بناقة عظيمة من الابل من صدقات قومه واعطاه ابو بكر منفعة لا عينا بغير اما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم او يرجى اسلامهم فيجوز للعامل ان يعطي من يجاور بشرهم ويعطيه رجاء اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية حين كان يرى من ميله الى الاسلام اما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك واغناه عن ان يتألف اليه احد من المشركين فلا يعطى مشرك بحال وقد قال بعضا كثير من اهل العلم وراوا ان المؤلفة منقطعة بموت نبينا صلى الله عليه وسلم وهو قول الشعبي وقال مالك والثوري واصحاب الرأي واحمد واسحاق وابن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وقال مالك والثوري واصحاب الرأي واحمد واسحاق وابن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري واجتمعا محمد بن علي وابو جعفر محمد بن علي وابو جعفر وقال احمد يجوز ان يحتاج المسلمون الى ذلك الصنف الخامس قوله تعالى وفي الرقاب قال الزجاج يبحث تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين يدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي وهو قول اكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والضحاك والزهري والليث بن سعد ويدل عليه ايضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك واحمد واسحاق ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشتري منه عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روي عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن غلموا ثم اعتقوا واسلموا ويعتقون من الزكاة وقال احمد بن حنبل الاحوط ان سهم الرقاب ان يدفع الى السيد ليحط عن المكاتب ويدل عليه انه تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلما لهذا الفرق من بينه وبين الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات يبعث به الى مواليهم ليعتقوا عنهم بما شاءوا واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يتمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين يعطون نصيبهم في الصدقات يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل يصرف اليه ما يبلغه الى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله تعالى والغارمين اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق ويسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا القدر الذي يغرمه وهم قسمان قسم ادانوا لنفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم ما يفي بديونهم بان كان مالهم اقل من ديونهم او كان بايديهم ولكن لا يقدرون على قضاء ديونهم الا بضرر يلحقهم في مسكن او ثياب او غيرهما مما لا بد لهم منه او لا يجدون ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لما روي عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل عليها او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني اخرجه ابو داود وروى مرسلا عن عطاء لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي

عليه السلام

صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان ذا نية في معصية فلا يعطى من الصدقات الصنف السابع قوله تعالى وفي سبيل الله هي
المنقطعة في سبيل الله واراد بهم الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا اراد والخروج الى الغزو وما يستعينون به
على امر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وابي
سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يعطى منه سهم بسبيل الى الحج يروى
ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن وابه ذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وقال بعضهم ان الفقير على قال يجوز ان يعطى
على الغزاة ولهذا اجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون
وعمارة المساجد وغير ذلك الا ان قوله في سبيل الله هو عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح
لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله تعالى وابن السبيل يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر انا ابن العرب ربتني وليدا الى ان شبت واحتلمت اذاتي بكل مورد سوى
مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه لمئونة سفره سواء كان له مال في البلد
الذي بعيده او لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الحاج المنقطع وقوله تعالى فريضة من الله يعني ان هذه الاحكام التي
ذكرها بعده كلها فريضة واجبة من الله وقيل لهذه فريضة والله عليم يعني بمصالح خلقه حكيم يعني بما فرض لهم
ولا يخلى عبده ونديره فصل واما خلل المسئلة الرابعة في احكام متعلقة بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله
انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله خذ من اموالهم صدقة واختلفوا في صفتها فمنهم في جواز صرفها
على الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال الشافعي يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين
من الاصناف الذين سماهم ثمانية قسمة على السواء لان سهم المؤلفة سقط وسهم العاملين سقط اذا قسم زكاته بينهم ثم
حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى اقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة او اكثر فلو اوصى ان يعطى الثلاثة
جاز وان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا صرف حصة ذلك الصنف اليه صالح عن احد الاستحقاق وان انتفت حاجته وفضل شيء
رده الى الباقين وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف او الى شخص واحد منهم جاز لان
الله تعالى انما سمى هذه الاصناف الا صناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمتها بينهم
جميعا وهذا قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري واهل العراق واحمد بن حنبل قال احمد
يجوز ان يضعها في صنف واحد ويصرفها اولا وقال ابراهيم النخعي اذا كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان
قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة من هذه الاصناف ويقدم الاولى فالاولى من اهل الحاجة على قدر الاستحقاق
قال يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل ما يسد الغنى قال لا يعطى بعده شيئا وان كان صحيحا قال لكنه لا يجد الا ما يحتاج اليه
يعطى قدر ما يحصل به الغنى فيه لا اعتبار عند الشافعي ما يدفع الحاجة من غير حد وقال احمد لا يعطى الفقير اكثر من خمسين درهما
وقال ابو حنيفة اذا كان لرجل واحد من الزكاة ما لو قسم بينهم فان اعطى كل واحد منهم اقل من نصاب فهو جائز ويكره
فعله وان اعطى بعضهم نصابا او اكثر منه اجزاه وان اعطى من يملك نصابا غير ابن السبيل اجزاه وان اعطى ابن السبيل
فعلى روايتين ولا يجوز ان يعطى صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال ابو حنيفة والشافعي لا يعطى الجد وان علا
والولد وان سفل والزوجة ويعطى من عداهم وتجزئ الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة
شيء لقوله صلى الله عليه وسلم انا واولاد المطلب بني واحد لم يفرقوا في جاهلية ولا اسلام وتجزئ الصدقة على موالي بني هاشم وبني المطلب
لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تجزئ واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد اخر مع وجود المستحقين
في بلد المال وهذا اكثر العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل واعلمهم
ان الله قد افترض عليهم صدقة توخذ من اغنيائهم وترد في فقرائهم الحديث بلفظه في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال
الى بلد اخر واداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام
فردها الى مكانها من خراسان والدليل قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن نزلت في جماعة من المنافقين
كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون
فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم نذهب اليه ونحلف فيصدقنا بما نقول

فإنما محمد أذن أي أذن سامعة كل ما يقال له ويقبل وقيل معنى هو أذن أي ذو أذن سامعة وقال محمد بن إسحاق نزلت في
رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان أزرق شائر الشعر أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه
النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنافقين
فقيل له لا تفعل ذلك فقال إنما محمد أذن فمن حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فأنزل الله هذه الآية
ومقصود المنافقين بقولهم هو أذن أنه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فأجاب الله تعالى بقوله
قل أذن خير لكم يعني هب أنه أذن لكم أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى أنه مستمع خير وصلاح لا
مستمع شر وفساد وقرئ أذن خير مرفوعين منونين ومعناه يستمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم
ثم وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين يعني أنه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل
قول المنافقين وإنما عدي الإيمان بالله بالباء والإيمان للمؤمنين باللام لأن الإيمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى إلا
بالباء فيقال آمنت بالله والإيمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال إلا باللام ومنه قوله أنؤمن
لك وقوله وآمنت له ورحمة أي هو رحمة للذين آمنوا منكم وإنما قال منكم لأن المنافقين كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فبين
الله تعالى أنه رحمة للمؤمنين المخلصين لا المنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لأنه يجري أحكام الناس على الظاهر ولا ينقب
عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يعني في الآخرة قوله عز وجل يحلفون بالله لكم
ليرضوكم قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فرفعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم فأنكروا وحلفوا أن عامرا
كذاب وحلف عامر أنهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل
الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتوه يعتذرون ويحلفون فأنزل الله هذه الآية والمعنى يحلفون لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم
من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أحق أن يرضوه اختلفوا في معنى هذا الضمير إلى ماذا يعود فقيل الضمير عائد
على الله تعالى لأن في رضى الله رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله أحق أن يرضوه بالتوبة والإخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد
يرضوهما فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل المعنى والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله إن كانوا مؤمنين يعني إن كان هؤلاء
المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده في الآخرة قوله تعالى ألم يعلموا قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه
أو أنكره فيقال له ألم تعلم أن كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام
الدين ما يحتاجون إليه فخاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا أنه من يحادد الله ورسوله يعني
من يخالف الله ورسوله وأصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا إذا صار
في غير حده وخالفه في أمره وقيل معناه يحادد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا
فيها يعني على الدوام ذلك الخزي العظيم يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة قوله عز وجل يحذر المنافقون يعني
يخشى المنافقون أن تنزل عليهم سورة يعني على المنافقين تنبئهم يعني تخبر المؤمنين بما في قلوبهم يعني بما في قلوب المنافقين
من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك أن المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزل
القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني أنها أفضحت المنافقين وبعثرت
عن أخبارهم وآثارهم وحفرت عن محاذيهم ومتاليهم وقال ابن عباس أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء
آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة منه لئلا يعير بعضهم بعضا لأن أولادهم كانوا مؤمنين قل استهزءوا أمر تهديد وهو
كقوله اعملوا ما شئتم إن الله مخرج أي مظهر ما تحذرون والمعنى أن الله يظهر إلى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه
عن المؤمنين قال ابن حيان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وافقوا الرسول صلى الله عليه وسلم بما قد أضمروا وأمره
أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال
لحذيفة من عرفت من القوم فقال لو أعرف منهم أحدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم ثلاث وثلاثون حتى عدهم كلهم فقال
حذيفة هلا بعثت إليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه قبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالمدينة م عن قيس

ابن عباد

ابن عبادة فقال لعمار ائتني فنالهم ان رأيتهم فعلوا يتموه فان المرأ يصيب ويخطئ ام عهدا عهده اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في امتي قال
شعبة واحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في امتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها
حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم يكفيكهم الدبيلة سراج من نار يظهر في اكتافهم حتى ينجم من صدورهم وقوله تعالى ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية وسبب نزولها على ما قال زيد بن اسلم ان رجلا من المنافقين قال لعمر بن مالك في غزوة
تبوك ما رأينا امثل قراءة منا ولا اجبن عند اللقاء فقال عوف كذبت ولكنك منافق ولاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فقال زيد فقال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يفي الى المنافق
متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ما يزيده قال محمد بن اسحاق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني مخشي بن حمير احد بني
اميّة بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه نفر من المنافقين قد قالوا ايرجو
هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك فقال لنبي الله صلى الله عليه وسلم
احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انا كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون فقال الكلبي ومقاتل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث
يضحك فقيل لهما ان محمدا ينزل انه يقول لكم انه يفتح مدائن الروم ويفتح مدائن كذا وقيل كانوا يقولون ان محمدا ينزل انه نزل
في اصحاب فرسه وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا
فقالوا انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب ليقطعوا الطريق بالحديث واللعب وأصل الخوض
الدخول في الماء كالعبور والعبر ثم كثر الاستعمال حتى صار يستعمل في كل دخول وتلويث واذى فان قيل لم قال محمد لهؤلاء المنافقين
بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون به توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع هذا
الاستهزاء بالله يعني بآيات الله وحدوده واحكامه والمراد بآياته كتابه وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين
لما قالوا الكلمة بغير محمد على اخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشبع بالفخر
بقدرة الله وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء فوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم يعني قال لهم الرسول المنابذ
لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو المؤاخذة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع الملامة عن الجاني فذكر تم بعد
ايمانكم يعني الاستهزاء بالله تكفرون والاقرار عليهم توجب الكفر ولهذا قال لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم فان قلت ان
المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت معناه كفرتم بعد ما كنتم قد اظهرتم
الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وقع قيل لهم
قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله تعالى ان نعف عن طائفة منكم
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ذكر المفسرون ان الطائفة يقينا كانوا ثلاثة والواحد طائفة والاثنان طائفة والقوم توقع لفظ الجمع
على الواحد قال محمد بن اسحاق الذي عفا عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي قال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل
انه كان يمشي مجانبا لهم ويكره بعض ما يسمع فكان ذلك خيفة اخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم
اني ارأ ان يسمع آية تتلى عني بقاء تفشخ منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم اجعل موتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت
اناكفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه وقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يعني انهم على امر واحد وبين واحد يجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت مني اي امرنا
واحد لا مباينة بيننا يأمرون بالمنكر يعني بامر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم
وينهون عن المعروف يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ويقبضون ايديهم يعني عن الانفاق
في سبيل الله وفي كل خير نسوا الله يعني تركوا امر الله فتركهم من رحمته هذا الكلام لا يليق بأن نجريه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي
لم يستحق ذما عليه لان النسيان ليس في وسع البشر ايضا فان النسيان في حق الله تعالى محال ولا بد من التأويل
وقد ذكرنا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا امر الله حيث عاملوا المؤمنين معاملة المنافقين من ترك ايمانه ورحمته
فخرج عن ان يكون مراد الله بهم فعوقبوا بجزاء سيئة مثل فعلهم الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما ترك الله

BULAC

وعبادته ترك الله ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر كما ان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا
طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه ولطائفه في الدنيا ومن رحمته في العقبى ان المنافقين هم الفاسقون يعني هم الخارجون
عن الطاعة وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم وعدا بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا فالوعد يكون
في الخير والشر ارجهنم خالدين فيها فيه جذب تقديره بان يقلوها خالدين يعني مقيمين فيها هي حسبهم يعني في لعنهم
جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة ولعنهم الله يعني وابعدهم من رحمته واسخط عليهم عذابهم
مقيم دائم لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها يغني عن قوله ولهم عذاب مقيم فما فائدة ذكره قلت
ليس ذلك تكرارا وبيان الفرق من وجهين احدهما ان معناه ولهم نوع اخر من العذاب المقيم سوى الخلود في النار والثاني
ان يقال العذاب المقيم مشكل لانه تعالى قال في النار هي حسبهم ولا يمكن ان يحمل نوع اخر من العذاب من غير
حبس النار له مرة بعد اخرى ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثالث ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل في الدنيا وهو
ما يقاسونه من خوف اهل الاسلام المتسلطين عليهم وما هم فيه من التعوف وكشف فضايحهم وهذا هو العذاب المقيم
وقوله تعالى كالذين من قبلكم هذا خروج من الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى بعلمكم كما
بعد الذين من قبلكم شبه بعد المنافقين بعد الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض
اليد عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عزوبهم عن طاعة الله واتباع اثره لاجل طلب الدنيا
بالذين من قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا اشد منهم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا
كانوا اشد منكم قوة يعني بكثرة ومنعة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم يعني يتمتعوا بنصيبهم من
الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا عن الاخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان وقدر من خير كما يقال اقسم له
بالاستمتاع خلاقكم وهذا خطاب للحاضرين يعني يتمتع ايها الكافرون من المنافقين خلاقكم كما استمتع الذين من
قبلكم بخلاقهم وان قلت ما الفايدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الكافرين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا
قلت فايدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بها اولا وتوامر حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركوا النظر فيما
يصلحهم في الدار الاخرة ثم تشبيه حال الحاضرين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم توجيه الذم كحال الاولين
وهذا كما تريد ان تبكت بعض الكفرة على قبح كلمة فيقول انت مثل فلان بفتح كذا يعني جرى وانت
تجعل مثل ما فعل والتكرير هنا للتاكيد وتبيين لعلهم وعلى من شابههم في علمهم وقوله وخضتم كالذي خاضوا
معطوف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتم في بطلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله
والاستهزاء بالمؤمنين اولئك حبطت اعمالهم يعني بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة يعني ان اعمالهم لا تنفعهم في الدنيا
ولا في الاخرة بل يعاقبون عليها واولئك هم الخاسرون والمعنى انهم كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا فبطل اعمالكم
ايها المنافقون وتخسرون وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر
وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى
الم ياتهم ربع من الخطاب الى الغيبة يعني الم ياتكم يا هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير اي قد اتاكم نبا
الذين من قبلهم يعني الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم حيث لم يقدروا امرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى
قوم نوح يعني انهم اهلكوا بالكفران وعاد اهلكوا بالريح العقيم وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلكوا بسلب
النعمة وكانوا هلاك نمرود بعوضة واصحاب مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات يعني المنقلبات
التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وانما ذكر الله تعالى اهلاكهم بعد السنة لان اثارهم بارضهم وبلادهم بالشام والعراق
واليمن وذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعلمون اخبارهم اتتهم رسلهم بالبينات يعني بالمعجزات الباهرات
والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا امرنا كما يفعل اليهود الكفار والمنافقون باحذروا الذين يشبهون مثل
اعمالهم فيفعل بهم النقمة كما فعلت بهم فما كان الله ليظلمهم يعني بتعجيل العقوبة لهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
يعني ان الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم قوله عز وجل والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض
لما وصف المنافقين بالامور الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما اعد لهم من انواع الوعيد في الدنيا والاخرة
اعقبه بذكر اوصاف المومنين واعمالهم الحسنة وما اعد لهم من انواع الكرامات والخيرات في الدنيا والاخرة فقال تعالى والمومنون

والمومنات

والمومنات بعضهم اولياء بعض في الموالات في الدين واتفاق الكلمة والفرقة والنصرة بان قلت انه تعالى قال في وصف المومنين بعضهم اولياء بعض فما العلاقة في ذلك قلت لما كانت تعلق الاتباع والتعريم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والاكابر وحصل لمقتفي الكيفية ايضا فالهم بعضهم ببعض ولما كانت المتابعة الحاصلة بين المومنين بتعديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الكيفية وهو التنفس وعلم بان بعضهم اولياء بعض فكذلك المعروفين بالتقريبين وكذلك العلاقة وقوله تعالى يامرون بالمعروف اي بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف كل ما امر به الشرع من خير وبر وكفاية وينهون عن المنكر اي عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما انكره الشرع وتبرء عنه وانما قابلة مدح به المنافقين وحدهم ويقيمون الصلاة اي الصلاة المعروفة ويتمون اركانها وحدودها ويؤتون الزكاة اي الواجبة عليهم وهو مقابلة ويطيعون الله ورسوله اي فيما يامرهم به وهو مقابلة نسوا الله بنسيانهم اولئك اي المومنون والمومنات المذكورون بعده الدخول سيرحمهم الله اي يدخلهم في رحمته من العذاب او يرحمهم كل ما وعدهم المومنين من الرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنات والتعبير بسين الاستقبال للمبالغة والتاكيد ان الله عزيز حكيم وهذا توجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شيء اراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن اراد وايصال العقوبة لمن اراد والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والصواب وعد الله المومنين والمومنات جنات اي بساتين تجري من تحتها الانهار خالدين فيها اي ماكثين فيها ابدا لا ينقطع نعيمها ولا يموتون ومساكن طيبة في جنات عدن اي بساتين اقامة وخلود والعدن في الاصل الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به روى الشيخان عن عمر ان في حديث ابي هريرة قال استبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غدوة الى الظهيرة في جنات عدن اي في قصور من در مجوفة في تلك القصور سبعون دارا من زبرجدة خضراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون ضربا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن من القوة في غداة واحدة على ذلك كله ما يجامع في مرور يسير عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني ادم غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك تفرد برواية الكبير وبان في هذه الروايات قلابة من تاول قوله عدن دار الله بعدن من الجنة وبين ما في حديث ابي امامة تقدير عدن دار الله التي اعدها لاوليائه والعدن كما قاله المفسرون من عدن بالمكان اذا قام به سمي بذلك لان من دخل مكانا فقد استوطنه وقيل العدن في اللغة الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به وقيل العدن بطنان الجنة وقيل وسطها وقيل اعلاها وقيل اشرفها وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان من فضة انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن اخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الرزاق مشعوذ عن بكالة الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن محمد بن عقيل في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والقروج له خمسة الاف باب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وقال عطاء بن السائب بحذاء تهر في الجنة حائط على حافتيه وقال ابن كثير عدن اعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والبنيان حولها محدقة بها وهي مقر الله ورسوله من خلقه الله حتى يراها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء ربك فيها من الحور والولدان فاذهب فتمعر فيها وانظر هل تجد فيها الا كل كثيب اهيل وقال السدي في الدر حدثنا عبد الله ابن احمد ابن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله تعالى جنات عدن قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع معين في الجنة وتفقه لنا فيها والله اعلم بذلك وقال ابن كثير بعد ايراد هذا القول فيه نظر فانه قد ورد في حديث عبد الله بن عمرو عند ابن ابي حاتم في تفسير هذه الاية جنات عدن هي قصبة الجنة فالله اعلم وقد ورد عن علي بن ابي طالب ما يدل على ان عدنا افضل الجنان قال الجنان كلها جنات عدن وفيها كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ورضوان من الله اكبر اي ما يتلقاهم به من تعظيم الجنة ذلك هو الفوز العظيم الاشارة اليها باعتبار ما تضمنته من النعيم والرضوان عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير

BULAQ

يقول رضينا بقول ربنا وما لنا لا نرضى بأمر ربنا وقد عطينا ما لم تعط أحدا من خلقه فيقول لا أعطيتكه أيضا من ذلك فيقولون وأي شيء أيضا من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار يعني بالسيف والضاربة والقتال والمنافقين يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف أن المنافق هو الذي يكفر بقلبه ويكتم الكفر ويظهر الإسلام ولما كان الأمر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لأن الظاهر الإسلام فقال ابن عباس أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وإذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك أيضا وقال ابن مسعود يده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه فإن لم تستطع فبقلبه يعني وجهه وقال الحسن وقتادة بإقامة الحدود عليهم يعني إذا ظهروا الشيء الذي وجد القول فيه بعد لأن إقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا تعلق لكم بإقامة الحدود على المنافق وإنما قال الحسن وقتادة ذلك لأن الغالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فيقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الكلبي وأول الأقوال قول ابن مسعود لأن إبهام عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في ذكر كيفية ذلك الجهاد بيان دليل متصل وقد دلت الدلائل المنفصلة أن الجهاد مع الكفار أما يكون بالسيف ومع المنافقين بالاظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتقار تارة وهذا قول بعض المشعوذة واغلظ عليهم يعني اشدد عليهم بالجهاد والارهاب ومأواهم جهنم وبئس المصير يعني أن جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم ثم إنهم قالوا إن قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهرنا مع علمه بهم وهلا أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بقتلهم إذا أظهروا الكفر فالجواب عن هذا السؤال أن الله تعالى إنما أمر بالعفو عنهم إذا كان الكفر منهم بالقول الذي يمكن إقامة الحد عليه بالبينة أو بالإقرار فإذا كان كذلك أمكن إقامة الحد عليه فلهذا السبب لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ورجع عنه وقال إني نهيت أن أقتل من يقول لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى وقيل سبب ترك قتلهم أنه لو قتلهم لنفر الناس عن الإسلام وقالوا إن محمدا يقتل أصحابه فلهذا السبب لم يقتلهم يحلفون بالله ما قالوا وقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد قبل هو وابن امرأته مصعب فمر فيما فقال الجلاس بن سويد إن كان ما جاء به محمد حقا لنحن شر من الحمير فذكر هذه الآية فقال مصعب أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وحلفت إن يزل القرآن وإن تعفني فارعة وإن أحلف بخطيئتي فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أفضحت أنا والجلاس من فيما قال كذا وكذا ولولا مخافة أن أحلف بخطيئتي أو تعفني فارعة ما أتيتك فمر بدعا الجلاس فسله يا جلاس فقلت ما قال مصعب فحلف ما قال وما نزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروي عن قيس بن هند قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال إنه سيأتيكم إنسان فينظر بعيني الشيطان فإذا جاء فلا تكلموه فلم يلبث أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على م تشتمني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله عز وجل يحلفون بالله لكم ما قالوا ولقد قالوا الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الأنصار وكان سيدهم العبادلة على الجهني فقال عبد الله بن أبي سلول للأوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه فسأله فحلف بالله ما قاله فأنزل الله هذه الآية تعذيرا وراية الكلبي وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا دعا بهم فقال الجلاس ليت كان محمد صادقا فنحن شر من الحمير فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي ما قلت ما قلت فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يحلف عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يديه إلى السماء فقال اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فإن يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله سمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر ابن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا استغفر الله وأتوب إليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته ذلك فوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم يعني أظهروا كلمة الكفر بعد الإسلام وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم وفيها هي كلمة ابن أبي سلول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل

منعها الأذل

منها الاذر وستل الغضة وهو ضعف في سرة المنبغي ان شاء الله تعالى قوله تعالى وهموا بما لم ينالوا قال المجاهد
هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته خلسية ان يمشي عليه وقيل هم عبد الله بن ابي بسلول وكان الذي هم قوله لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقيل هم اثني عشر من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بو فقوا على العقبة وقد رجوعه من تبوك
ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وامره ان يرسل اليهم ان يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وقال الكلبي وقال
الضحاك فلما رجعنا الى المدينة عفا عنا عبد الله بن ابي بسلول فلما بلغ هذا الموضع قوله وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من
فضله يعني ما انكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله اذ الفاء تفيد على احد الوجوب فجعلها
موضع لعل كقول النبي صلى الله عليه وسلم ان نقم عليه فيما انهم يكرهون الغنمة فيقولون اسرا وبكرا وقال ابن قتيبة ليس ينقمون شيئا
ولا ينقمون من الله الا الصنع وهذا كقول الشاعر ما نقم الناس من امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وهذا ليس مما ينقم وانما اراد
ان الناس لا ينقمون عليهم شيئا يعد نقمة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم تمن قلوب من قراع الكتائب اذ ليس فيهم فما الكلبي
كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم بعد ما كانوا فقراء فلما اعزه الله بالمدينة كان الجلاس فتنة له وكان يأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بالتبيين والاستغفار فلما اتاه الله من فضله اغنى عبد الله بن ابي بالدية اثني عشر الفا وبه نزلت وما نقموا منهم الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله بان يتوبوا فيرغبوا الله يعني ان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يكن ذلك خيرا لهم في العاجل والآجل وان يتولوا يعني وان
يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا يعني بالقتل والاذلال في الآخرة
بالنار وما لهم في الارض ولي ولا نصير يعني ليس لهم احد يمنعهم من عذاب الله وينصرهم في الدنيا والآخرة قوله تعالى ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن الآية روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابي امامة الباهلي قال اجاء ثعلبة بن حاطب
الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل
تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك
في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي لسارت ولكن سأرزقك مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فنحى عنها وترك واديا ونزل واديا دونه فتفقدها فنمت كما
تنمي الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي بغنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى
تباعد من المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان
اذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا
يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله
اية الصدقة ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما استيفاء الصدقة وكيف يأخذان
وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم خذا صدقاتنا فخرجا حتى اتيا ثعلبة وسألا له كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر
الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رآها قالا ما هذا عليك فما اخذاه وقالا ان نفسي بذلك طيبة فمرا
على الناس واخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال ارني كتابكما ففرا فقال ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى
ارى رأيي فانطلقا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ان ابصره قال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي
بخير واجراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله الى قوله لنصدقن الآية فوله وما كانوا يكذبون
وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقارب ثعلبة يسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة
حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل من صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي على راسه التراب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتى ابا بكر فقال اقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا اقبلها فقبض ابو بكر ولم يقبلها
منه فلما ولي عمر اتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر وانا لا اقبلها منك فلم يقبلها
منه ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان واخرجه الكلبي ايضا بنحوه قال ابو جعفر فلما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدقة ثعلبة لان الله تعالى لم يقبلها منه فجائز ان يكون اخلاقه ما عاهد الله عليه والعلة التي من اجلها لم يقبل منه قوله انها هي جزية او اخته التي بعثها
لم يقبلها

صدر هذا الكلام متروك تصدقنا عليه اهـ كذا له ويعتبر غيره به فلا يمنع من بذل الصدقة عن كسب نفيس باخراجها ويرى انها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم ليقين انا نالنا الله من فضله اتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه وصلت القرابة فجاءت ابن عم له فورث عنه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الاية وقال المفسرون لما نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير ونعمان بن عمرو بن عوف وجرجاعا فقال لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهم الله خالفوا ما قالوا من ابن عباس ان حاطب بن ابي بلتعة كان له مال بالشام فابطأ عليه فجعد ذلك فجعد شديدا فحلف بالله لئن اتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدقن منه ولاصلن فلما اتاه ذلك المال بخل به فاعقبه الله عليه وحاصله ان ظاهر هذه الاية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن اتاه من فضله ليصدقن وليصلن فلما اتاه بخل بما اتاه والمعاهدة بالفعل لا بالقول والمعاهدة بالقول لا تكون الا بالحلف والعقد والمعاهدة بالفعل تكون بدونهما والاية تدل على ان من عاهد الله على شيء لزمه الوفاء به وان لم يحلف ولم يعقد وهذا قول اكثر العلماء ومن العلماء من قال ان من عاهد الله على شيء من جنس الطاعات لزمه الوفاء به ومن عاهد الله على شيء من جنس المباحات لم يلزمه الوفاء به وهذا قول ضعيف لان الله تعالى ذم الذين عاهدوه ولم يفوا بعهده ولم يفرق بين عهد وعهد ولان الله تعالى امر بالوفاء بالعقود في قوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقوله واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقوله ولينذروا نذورهم وقوله يوفون بالنذر وقوله وليوفوا نذورهم وقوله ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة وقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وقوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد كفيلا وقوله ولا تكونوا كالذين نقضوا غزلهم من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم وقوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم

الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية وعن أبي مسعود البدري قال لما نزلت آية الصدقة كنا
نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرائي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين
يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم الآية قال ابن عباس وغيره من المفسرين إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حض على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف
جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما
أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى إنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن
عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري واسمه الحجل بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير
الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لعيالي وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فلمزهم
المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن الله ورسوله لغنيان عن صاع عقيل ولكنه أحب أن يذكر نفسه ليعطى من
الصدقة فأنزل الله تعالى الذين يلمزون يعني يعيبون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي
في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه والذين لا يجدون إلا جهدهم يعني أبا عقيل الأنصاري والجهد
بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي يأتي به فيتصدق به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي
يأتي به فيتصدق به لأن الغني أخرج ذلك المال الكثير عن قدره وهذا الفقير الذي أخرج القليل إنما أخرجه عن ضعف وجهد
وقد يؤثر المحتاج إلى المال لغيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فيسخرون
منهم أي المنافقين كانوا يستهزئون بالمؤمنين في إنفاقهم المال في طاعة الله وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام وهو قولهم
لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون إنه لفقره محتاج إليه فكيف يتصدق به
وجوابهم أن كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به وقوله تعالى سخر الله منهم يعني أنه
تعالى جازاهم على سخريتهم ووصف ذلك وهو قوله ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن
تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبيان نفاقهم وظهر
للمؤمنين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم يا محمد
وهذا كلام خرج مخرج الأمر ومعناه الخبر تقديره استغفر لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وإنما خص السبعين
من العدد بالذكر لأن العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على حمزة سبعين تكبيرة ولأن
آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فإن السموات سبع والأرضين سبع فلهذا خص السبعين بالذكر للمبالغة
في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد رخص لي فسأزيدن
على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فأنزل الله تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وعن ابن عمر
قال لما توفي عبد الله يعني ابن أبي سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ثم
سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا تستغفر
لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين فقال إنه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل
ولا تصل على أحد منهم مات أبدا إلى قوله وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله تعالى ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله
يعني أن هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة لهم من أجل أنهم اختاروا الكفر على الإيمان بالله ورسوله والله لا
يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يوفق الإيمان بالله ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله
قوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله يعني فرح المتخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم
يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لأن
الإنسان إذا توجه إلى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سار إلى تبوك
وأقاموا بالمدينة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالخروج إلى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والمعنى أنهم فرحوا بسبب
التخلف وكرهوا الخروج إلى الجهاد وذلك أن الإنسان يميل بطبعه إلى إيثار الراحة والقعود مع الأهل والولد

ويجره اثقاب النفس والمال وهو قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عز وجل عن هذا بقوله قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلف رسول الله عن الجهاد في الحر نار جهنم التي هي موعدهم في الاخرة اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون فلما بلغ عبد الله بن عتبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينفروا معه وذلك في الصيف فقال يا رسول الله الحق شديد وانا لا استطيع الخروج فلا تنفر في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون بما امره الله به من الخروج فليضحكوا قليلا يعني وليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرجعي قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه وليبكوا كثيرا يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا لفظ ورد بصيغة الامر والمراد به معناه الاخبار والمعنى انهم وان ضحكوا وفرحوا بما اعدوا لهم في الدنيا فليبكوا قليلا بالنسبة الى بكائهم في الاخرة لان الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع العاجل بالنسبة الى الدائم الباقي قليل جزاء بما كانوا يكسبون يعني ان ذلك البكاء في الاخرة جزاء لهم على ضحكهم في الدنيا واعمالهم الخبيثة فلما نزل قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال عمر رضي الله عنه فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعلمون ما اعلم فضحك قليلا وبكيت كثيرا وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا بني النار ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتبرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت قوله تعالى فان رجعك الله يعني فان ردك الله يا محمد عن غزوتك هذه الى طائفة منهم يعني الى المتخلفين عنك واستاذنوك للخروج يعني باستاذنك الهنا فون الذين تخلفوا عنك وتخلفوا فقل لهم في الخروج معك الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون عاجلا فلن تخرجوا معي ابدا الى غزوة تبوك ولا الى غيرها ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة يعني لانكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين يعني المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى قال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال حلف حالف اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الاية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله تعالى منع الصحابة من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد مع علمه بانهم كانوا يخافون فيه ونفعهم وطمعهم وابعادهم ليقاعدهم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية قال قتادة بلغ عبد الله بن ابي ابن سلول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبره فاتاه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه وثب اليه عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتصلي على ابن ابي ابن سلول وقد قال يوم كذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثر عليه قال انما خيرني الله فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لازدت عليها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله اعلم واخرجه الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل وعن جابر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه والله اعلم قال وكانت عبد الله قميصان وقال ابن عباس وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميص فقال ابن عبد الله يا رسول الله البس عبد الله قميصك الذي على جلدك قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم البس عبد الله قميصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر اتي باسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه [illegible] وفي هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن ابي بن سلول المنافق صورة [illegible] ابن عمر المتقدم انه لما توفي عبد الله بن ابي بن سلول اتى ابنه عبد الله الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

ط الله عليه وسلم ويسأله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب رضي
من اوراد البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه بعد ما ادخل في قبره فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه
قميصه وجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه بعض هذه الاوقات ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس
في حديث جابر ذكر الصلاة عليه بل اكتفى فيه الا انه صلى عليه ايضا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا
بعد ما ادخل في قبره فاخرجه منها ونزع عنه القميص الذي اعطاه وكفنه فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم
البسه قميصه فيحتمل ان الكل بعث هذا كله بعبد الله بن ابي تكفينه الغلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا مسلما واما قول
قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه سأله ان يستغفر له وان يكفنه قميصه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه
واستغفر له ونفث في جلده ودلالة هذه الجملة على ما ذكرنا من الغرض ظاهرة على الترتيب وما المراد بهذا الترتيب توضيحا بين
الاحاديث يمكن قوله ونفث في جلده ودلالة هذه الجملة منفكة عما قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما اعطاه
القميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم وقال الغزنوي في شرح مسلم ان عبد الله بن ابي بن سلول كان سيد الخزرج فلما جاء المدينة
فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانضوى اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير ان الاسلام غلبه عليه فبايع
وكان رأس المنافقين واعظمهم نفاقا واشدهم كيدا وكان المنافقون كثير العدد روي عن ابن عباس انه قال ثلثمائة
ومائة وتسعون امرأة وكان ولد عبد الله يعني ابن ابي من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما واحترهم عبادة واتقاهم صدر اسلام
وكان ابو الثناء بن ابيه ومع ذلك فعند قال يا رسول الله صلى الله عليك يا ابا الثناء بن ابي وان امرتني ان اذهب برأس
جئتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل احسن صحبته وكان من آخر الناس على الاسلام ابيه وعلى ان يتتبع من بركات النبي صلى الله عليه
وسلم بشيء وكذلك لقامات ابيه لسؤال النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فنال من بركاته واعطاه وسأله ان يصلي
عليه على ذلك الى آخر ما لابنه عبد الله واشعاب له وكلبته وفواحصه انضم عليه وقد نهاه الله ان نصلي عليه يحتمل ان يكون قبل نزول الفعل
على احد منهم قلت ابدا ويفهم من هذا السياق ان عمر رفع بخاطره انه الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام
والتحديث الذي يشتهد له النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون قبله من قبيل قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم والعذاب التاويلان
بهما بعد قال الغزنوي والذي يظهر والله اعلم ان الضمير في قوله ذكر هذا الحديث مرور اية ابن عباس وسياقه بسياقة هي ابين من هذه
وليس فيها هذا الكلمة فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول
الله صلى الله عليه وسلم قام عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى نزلت هذه الايتان من براءة فقال
الغزنوي وهذا اسياق حسن وترتيب مستقيم ليس فيه شيء من الاشكال المستقيم بعضه اولى وقوله صلى الله عليه وسلم لاستزيدن على السبعين
وعد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن عمر بان فيه لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت هو هذا تقييد لذلك
الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا قلت ذلك قال الواعلم اني اذا زدت على السبعين غفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له
وقوله صلى الله عليه وسلم انما خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ولعذا يفهم منه
النهي عن الاستغفار لمن تحقق موته كافرا وهو متفق عن الاية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان
النهي عن استغفار لمن تحقق موته على الكفر والشرك انما استفيد من الكاف في قوله انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
وقد بينا ذلك فيما ذكرناه في قوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره يعني لا تقف عليه ولا تتولى دفنه
من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه امره وناب عنه فيه انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون

وهذا تعليل بسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعد ذلك قال الجبائي دل هذا من حاله على أن الامر في قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ليس على الحقيقة وإنما هو على التخيير وقال غيره بل هو على الحقيقة وإنما ترك الصلاة عليه والقيام على قبره لأن الله تعالى نهاه عن ذلك بقوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية وقال الجبائي لا يجوز أن يكون النهي عن الصلاة عليه وعن القيام على قبره لأجل كفره لأن ذلك معلوم من حاله فلا فائدة في تعليل هذا النهي بكفره وقال غيره بل يجوز أن يكون النهي لأجل كفره لأن الله تعالى قد علم أنه لا يتوب ولا يؤمن فلا فائدة في الصلاة عليه والقيام على قبره وقال الجبائي لا يجوز أن يكون النهي لأجل كفره لأن الكافر قد يكون عدلا في نفسه بأن يؤدي الأمانة ولا يقضي أحد شهوة أو قد يكون خيرا في نفسه كثير الخير والمكي والسخاء وإنما ضم الشر المغير وهذا أمر مستقبح عند كل أحد ولما كان سبب المنافق في هذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر فقوله تعالى ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون الكلام على هذه الآية في مقامين المقام الأول في وجه التكرار والحكمة فيه أن تجدد النزول يوجب تجدد التذكير والتأكيد وإرادة أن يكون المخاطب به على يقين من أمره ولا يغفل عنه ولا يتسامح وأن يعتقد أن العمل به مهم وأن تجديد هذا المعنى لفوته فيما يجب أن يحذر منه ويتوعد شديد العقاب جدير بالقلوب والخواطر بالاشتغال بالأموال والأولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وفي الجملة فالتكرير يراد به التأكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الخبيث وقيل بل المعنى به غير ما تقدم وقيل أيضا إنما كرر هذا المعنى لأنه أراد بالآية الأولى فريقا من المنافقين لهم أموال وأولاد عند نزولها وبالآية الأخرى أقواما آخرين منهم المقصد الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الآيتين قوله تعالى في الآية الأولى ولا تعجبك بالواو وقال تعالى في الآية الثانية فلا تعجبك بالفاء والفرق بينهما أن الآية الثانية عطف على قوله ولا ينفقون إلا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق للسنة المحنة للأموال والأولاد فحسن العطف عليه بالفاء بخلاف قوله ولا تعجبك فإنه هذه الآية بالذات لا تتعلق بما قبلها والمعنى أنه لما ذكر الواو وقال تعالى في الآية الثانية فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم والتشطير في اللفظ فقال أولادهم بالسين وقال في الآية الأولى أولادهم بغير سين لما ذكرنا في سورة النساء أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فلما كانوا في الآية الثانية أكثر عددا وأموالا وأولادا كان إعجابهم بأولادهم أشد فلا جرم ذكر لفظا يدل على الزيادة وهو السين وقال تعالى في الآية الأولى إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وقال في الآية الثانية إنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا والفائدة في هذا التغيير أن الحياة الدنيا تستعمل في الدنيا وفي الآخرة أما الدنيا فكقوله تعالى وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وأما الآخرة فكقوله وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ولما كان الأغلب على الكفار أن أكثر أحوالهم في الدنيا لا تستحق أن تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على بعض الدنيا تنبيها على كمال ذلتها بحيث يشمل الجزء الذي هو بعض الهلاك والدناءة شراء واشتراء بقوله عز وجل وإذا أنزلت سورة يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لأن الخلاف في بعض الجمع على البعض جائز ويحتمل أن يراد جميع السورة وعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لأنها مشتملة على الأمر بالإيمان والأمر بالجهاد أن آمنوا بالله وجاهدوا فإن قيل كيف يأمرهم بالإيمان مع كونهم مؤمنين قلنا فيه وجوه أحدها أن المراد بالأمر بالإيمان الأمر بالثبات عليه والمداومة عليه وثانيها الأمر بالإيمان للمنافقين وثالثها الأمر بالإيمان للمؤمنين ليأتوا بما يجب عليهم من الإيمان على الوجه الذي يجب وقيل إن الأمر بالإيمان يتوجه على كل أحد في كل ساعة وقيل إن هذا الأمر وإن كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى اشتغلوا بالإيمان بالله وجاهدوا مع رسوله وأما قوله بالله فالباء للصلة كقوله تنبت بالدهن أي تنبت الدهن والمعنى آمنوا بالله أي بوحدانيته وجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يعود الجهاد بالإيمان يرجع عليها بالنقض في الدنيا والآخرة وقوله تعالى استأذنك أولوا الطول منهم قال ابن عباس يعني أهل الغنى وهم القدرة والثروة والسعة من المال وقيل يعني رؤساء المنافقين وكبارهم وفي تخصيص أولي الطول بالذكر قولان أحدهما أن الرؤساء لهم الذب عن أتباعهم فلا يقدرون على الجهاد والقول الثاني أنهم كثروا أولي الطول لأن العاجز عن الشغل والجهاد لا يحتاج إلى الاستئذان وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين يعني في البيوت من النساء والصبيان وقيل مع الصرفى والزمنى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف النساء اللاتي يتخلفن في البيوت بلا خير فيهن منفعة والمعنى رضوا بأن يكونوا في تخلفهم من الجهاد كالنساء وقيل الخوالف جمع خالفة والمعنى نزيل الناس ويتخلفهم تقول العرب للرجل خالفة قومه إذا كان دونهم وتبعا على قلوبهم فهم لا يفقهون يعني ختم على قلوبهم فهم لا يفقهون مراد الله بالأمر بالجهاد قوله تعالى لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم يعني الرسول والمؤمنين وأولئك لهم الخيرات أي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والكرامة والجنة في الآخرة وقيل المراد بالخير الحسن لقوله فيهن خيرات حسان جمع خيرة مخففة وأولئك هم المفلحون أي الفائزون في المطالب قوله تعالى أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خلدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لهم ما لهم من الخيرات الأخروية قوله تعالى

وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني وجاء المعتذرون من اعراب القبائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف
عن الغزو ومعه قال الضحاك لهم رهط عامر بن الطفيل جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وهم عاصر الطفيل فقالوا يا نبي
الله ان نحن غزونا معك تخيفت اعراب طي على حلايلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انبأني الله من اخباركم
وسيغنيه الله عنكم وقيل لهم غير من يتخلف بن ايمان رهط خفاف بن ايماء بن رخصة وقيل هم من اسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين
تخلفوا بغير اذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية وجاء المعذرون ايها المقصرون يعني انهم قصروا ولم يبالغوا فيما
اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند العرب التاء في الذال
لغتان فجمعا والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم
قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وكذبهم ويقال اعتذر اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول البيد
وجزيت حمدا كل ما بقد اعتذر ... يعني بعذر صحيح وقيل لعل من التعذير الذي هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر فمعنى هم ليبالغ في هذا المعنى يحتمل انهم كانوا
قادرين على اعتذار بهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا قادرين بدليل انه تعالى لم يذمهم فيما بعد وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين بذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن ابي عمرو بن العلا
انه لما قيل له هذا الكلام قال ان افواما تخلفوا عذرا بما فعلهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وتخلف اخرون
للمقر ولا للشبهة جراة على الله بهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاءوا وما
اعتذروا وكذبوا بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني في
الدنيا بالقتل في الحرب بالنار وانما قال منهم لانه تعالى ان منع سيصيب من يخلص في ايمانه فاستثنى الله من امن منهم فبين
الذين امروا على الكبر والنفاق وماتوا عليه فوله عز وجل ليس على الضعفاء لما اذن الله تعالى العذر فيمن الذين تخلفوا عن
الجهاد واعتذروا باعذار باطلة اعقبه بذكر اصحاب الاعذار الصحيحة الصحيحة وعذرهم واجرهم ان قرض الجهاد عنهم
ساقط فقال تعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ
والصبيان والنساء ومن خلق في اصل الخلقة ضعيفا على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله تعالى عفى عليهم الحرج فقال
تعالى ولا على المرضى والمعقود به مقابل للمعقود عليه فما المراد بالمرض فيه فالمراد منه العمى والعرج والزمنى وكل من كان مريضا
لم يمنعه من التخلف عن الجهاد والشغل المفروض ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعني الفقراء العاجزين عن اهبة الغزو
والجهاد ما يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة الطريق فان القادر على نفقة الغزو معذور وحرج اي ليس على هؤلاء
وهم اصناف الثلاثة حرج اي اثم في التخلف عن الغزو وقال الاصم ... في الدين الواسع ليس في الاية انه يحرم عليهم لان الواجد من هؤلاء الاصناف يخرج ليتعين التعذر بمقدار القدرة اما بحسب متاعهم
وتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا وعيالا فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء جواز التخلف
عن الغزو شرطا معينا وهو قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله ومعناه انهم اذا قاموا في البلد واجتنبوا عن افشاء الاراجيف
واماطة الفتن وتسعوا في ايصال الخير الى العاملين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بعمل يعود نفعه اليهم واخلصوا العمل
والايمان لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري النصح لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل
اي ليس على من احسن سبيل له ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر فقد بالغ الشارح كريم مكرم عليه بيعا فيه على والمعنى
انه سد باب استحقاقه كريم العقاب عن نفسه وليستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل متفضل يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله مخلصا من قلبه بان ما عليه من سبيل في تفضله وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منعه والله غفور يعني
لمن تخلف عن الجهاد بعذر كما اباحه الشرع رحيم يعني ان الله تعالى رحيم بجميع عباده وقال فتادة نزلت هذه الاية في عائذ
ابن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن ام مكتوم كان ضرير البصر لما ذكر الله عز وجل هذه الاصناف الثلاثة
من المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك يعني للحرج والاثم في التخلف عنك على الذين
اذا ما اتوك لتحملهم يعني ليستصحبوك الى ما يبلغون الى غزو عدوك وعزو معي في الجهاد معك يا محمد قال ابن الضحاك نزلت
في البكائين وكانوا سبعة ونقل الفريابي عن مجاهد بن كعب وغيره قالوا التقى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه
فحملهم الا اجد ما احملكم عليه فانزل الله هذه الاية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير البدري وابن اخيه وائلة وواقد حرمي بن
عمير من بني مازن ابن النجار عبد الرحمان بن كعب يكنى ابا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن سلمى ومن بني حارثة عبد الرحمان بن زيد
ابو رغيلة وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو بن الزعبل قال

البغوي هم سبعة نفر سموا البكائين عبد الله بن يامين وهرمي بن عمير وعمرو بن خدام وعبد الله بن كعب الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الرحمن بن يامين المزني وعلي بن زيد الكل انصاري اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال لا اجد ما احملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا سبعة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض بن سارية ويحتمل انها نزلت في عامة من سألوه ان يحملهم على الدواب وقيل ان سألوه ان يحملهم على الجياد المرفوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون وذلك قوله تعالى فلتكا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان جملتها دمع فايض ومن للبيان كقولك ابديك من رجل حزنا الا يجدوا ما ينفقون يعني على الجيش في الجهاد انما السبيل لعاتب الله تعالى ما على المحسنين من سبيل وحق من يعتذر وكل عذر له انما السبيل انما يتوجه التعريض بالعقوبة على الذين يستاذنونك يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك وهم اغنياء يعني قادرين على الخروج معك رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعني رضوا بالدناءة والرضعة والانقطاع عن جملة الخوالف وهم النساء والصبيان والقعود معهم وطبع الله على قلوبهم يعني ختم عليها فهم لا يعلمون ما في الجهاد من الخير في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فبالعز والغنيمة والتكثير بالعدو واما في الاخرة فبالثواب والنعيم الدائم فلا ينفعهم قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم يعني يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك يا محمد اليك واذا اذكر بكلمة الجمع تعظيما لامر الله عليهم ولرسوله ويحتمل اعتذروا اليه وانه الموصيين بالعذر فقال تعالى يعتذرون اليكم يعني بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعني من تبوك قل لهم يا محمد لا تعتذروا قال المفسرون روي ان المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك وكانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به قد نبانا الله من اخباركم يعني قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم ويرى الله عملكم ورسوله يعني في المستقبل فتتوبون من نفاقكم او تقيمون على نفاقكم وقيل يحتمل انهم وعدوا بان يصيروا من المؤمنين في المستقبل وبهذا قال ويرى الله عملكم ورسوله لعلكم تعزمون بما فيكم ان لا تردوا الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم يعني يخبركم بما كنتم تعملون لانه لا يعلم المطلع على اسراركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد قوله عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم يعني اذا رجعتم من سفركم اليهم يعني الى المتخلفين الى المدينة من الصناديق لتعرضوا عنهم يعني لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم فاعرضوا عنهم يعني عن دعوتهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فانهم رجس النبي صلى الله عليه وسلم التعنيف قال الا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني انما هؤلاء المنافقين طبعوا اعراض الصحابة واعرضوا اعراض المقت فاذكر العلة في سبب الاعراض عنهم فقال انهم رجس يعني انهم بواطنهم خبيثة واعمالهم نجسة ومأواهم يعني في الاخرة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول النبي صلى الله عليه وسلم بالذي لا اله الا هو انه ليخالف عنه بعدها وكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه جاء الله عز وجل بهذه الاية التي بعدها يحلفون لكم لترضوا عنهم يعني يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم وان ترضوا عنهم يعني بان ترضيهم عنهم ايها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يعني انه تعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم ابدا قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا الاية يعني اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر فقال اهل اللغة يقال اعرابي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يكتسب معاشه الغيث والكلا وجمع الاعرابي على الاعراب والاعرابي اذا قيل له يا اعرابي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب والعرب افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والشيب في كون الاعراب اشد كفرا ونفاقا لبعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والفرائض وهو قوله تعالى واجدر يعني واخلق وامرى الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله يعني الفرائض والسنن والاحكام والله عليم يعني بما في قلوب عباده حكيم يعني فيما فرض من فرائضه واحكامه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما يعني لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا وريا والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله في اداء ما لا ينبغي خوفا من المسلمين او مراءات لهم ولم يرد بذلك الايمان وثوابه ويتربص بكم يعني وينتظر بكم الدوائر

يعني بالدوائر

يعني بالدوائر تقلب الزمان وصروفه التي تارة مرة بالخير ومرة بالشر فدائرات دوران يعني يتقلب الزمان بموت الرسول ويفضي الحق يكون
عليهم دائرة السوء يعني بان يتقلب عليهم الزمان ويدور الشر والبلاء والحزن ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وبنيه الا ما
يسوءهم والله سميع يعني لاقوالهم عليم يعني بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش وارادة الشر للمؤمنين نزلت
هذه الاية في اعراب اسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عمر وبني وقال تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر قال في بعد
هم بنو مقرن من مزينة وقال الضحاك هم اسلم وغفار وجهينة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اسلم وغفار
ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله من غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال
للنبي صلى الله عليه وسلم انما تبايعك سرا قال الجميع من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتك ان
كان اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال خيرا من بني تميم وبني عامر وبني اسد وغطفان قال فاخابوا وخسروا قال نعم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية اما اني لم اقلها لكن الله قالها وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني لحيان وجهينة ومزينة واشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله ويتخذ ما
يتقرب قربات عند الله جمع قربة اي يكتسب بما يتقرب الى الله تعالى وصلوات الرسول يعني دعوات الرسول يعني دعوته بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدق فيبارك في الخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ابي اوفى
وعلى ابنه في بنة لهم يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الانفاق وعلى انها قربة عند الله وهذه شهادة
من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقاته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله كذلك
يخبر بالتنبيه الا ترى الى التحقيق بقوله الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته وهذه النتيجة هي اقصى مرادهم ان الله غفور للمؤمنين
المتصدقين رحيم بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات فوله عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار اختلف
العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة والشعبي هم اهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال
محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم التشرف بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن زياد فلت يوما لمحمد بن
ابي كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن بينهم وارثة البتة فقال ان الله قد غفر لجميعهم احسنهم ومسيئهم
واوجب لهم الجنة بكتابه بقوله في موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرأ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية
فاوجب لهم الجنة لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال لتسلك التابعين لهم بحسنة وتعوذ ان يتبعهم
في بعض اعمالهم السيئة وقال الشعبي قال حميد فكان لم اقرأها هذه الاية فك واختلف العلماء في اول الناس اسلاما فروي عن علي انه قال خديجة
اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قول بعض العلماء اول من اسلم بعد خديجة علي بن ابي طالب وهذا قول جابر بن
عبد الله واختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن
بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة
ابن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات
فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله عنهم وقولا في المرتبة
سباق الى الاسلام قال ابن اسحاق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله والى رسوله وكان رجلا محببا سهلا
وكان انسب قريش لقريش واعلم بما كان فيهم وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه
وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه بالعلم على به عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن
ابن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا على يديه وصلوا معه وكان هؤلاء الثمانية
النفر اول من سبق الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم الى الاسلام واما السابقون الى الاسلام من الانصار فهم الذين بايعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا ستة اسعد بن زرارة وهو اسعد بن مالك وراقع بن مالك بن العجلان وقطبة
ابن عامر وجابر بن عبد الله بن رياب وعقبة بن عامر واحد اصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب العقبة الثالثة وكانوا
سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء
سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى اهل المدينة يعلمهم القرآن فاسلم على يديه خلق كثير من الرجال
والنساء والصبيان من اهل المدينة غير فبان يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين
من سبق الى الهجرة والى نصرة والذي يدل عليه ان الله تعالى ذكرهم كونهم سابقين ولم يبين بما سبقوا فبقي الكل محتملا

BULAC

تعلى من المهاجرين والانصار ومنهم بكونهم مهاجرين وانصار فوجب صرف المدح المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة وايضا فان
الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث الهجرة امر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة بانها مرتبة
عالية ومنقبة سنية لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واووه وواسوه واووا اصحابه واسوهم بذلك
اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان فيل بقيت
المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين بعد هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار
في ايمانهم الهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال علماء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار بخير ويترحمون عليهم ويدعون لهم
ويذكرون محاسنهم عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري
اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثا عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن في الحديث الاول اصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدة
من الزمان فقيل ان عشر سنين الى العشرين وقيل من مائة سنين الى مائة وعشرين والعدد المذكور في الحديث الاول تقريب فلا
والنصيف نصف والمعنى لو ان احدا عمل مثل ما ندر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ بعد الفدر الذي تيسير النوابه
من اعمال الصحابة وانما فاتهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود القليل في وقت الحاجة وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
يعني رضي الله عما عملوا لهم ورضوا عنه بما اجازاهم عليه من الثواب وهذا الفضل عام يدخل فيه كل من الصحابة واعد لهم جنات تجري
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون ذكر جماعة من المفسرين
من القصاص بني الحكم بغير واو الواو ويا ابن الجوزي انهم اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني
ومن حول هؤلاء الاعراب منافقون وما ذكروه مستدل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبايل ومدحهم وان لم تقل المفسرين يجمل
قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب على القليل لان يكون فيه تبعيض وتجعل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر والاغلب وبهذا
تمكن الجمع بين قول المفسرين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه انما الكثير فانه اطلق الغفار ولم يعين احدا من القبايل المذكورة فليس
هذه الاية من الفرع الذين عرفتهم ايها المتصفون من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة اي كما منافقون ومن
اهل المدينة من الاوس والخزرج منافقون مردوا على النفاق فيه تقديم وتاخير تقديره ومن حولكم من الاعراب منافقون ومردوا
على النفاق يعني مرنوا عليه تيقال تمرد فلان عاريا اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد اي عصى وثبت عليه
واعتاده ولم يتب منه قال ابن الانباري لهوا بيه وابو غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا عليه لا تعلمهم يعني انهم
بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صدق خاطرك والحاقك على الاسرار نحن نعلمهم يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا
تخفى علينا خافية وتاليف سنعذبهم مرتين اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب
القبر بدليل قوله ثم يردون الى عذاب عظيم وهو عذاب النار في الاخرة فثبت بهذا انه تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات
مرتين في الدنيا ومرة في الاخرة اما المرة الاولى التي اخبروا بها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم
جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد اناسا بعضهم قبل ان تنشا الصلوة وبعضهم بعد ما
صليت والثانية هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون بعد ان اعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن
نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه بهم وقال مجاهد العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان احكام الاشياء في الغالب
كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى
هي في الدنيا وقد جاء تفسير هذا في الحديث بانها فواجع منازل يكشف في اكنافهم حتى ينجم من صدورهم وقال ابن زيد الاولى
هي المصايب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب الاخرة وقال ابن عباس الاولى اقامة الحد عليهم في الدنيا والاخرى
عذاب القبر وقال ابن الانباري الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام وظهوره بما كرهت عيرته والاخرى عذاب القبر
وقيل احدهما في الملائكة وجوههم واديارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد
الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وتعوفوله ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيها قوله عز وجل واخرون
اعترفوا بذنوبهم فيه قولان احدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا القول ان قوله واخرون
عطف على قوله ومن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوجب ان يكون ما تعلق به الخبر عن ابن عباس انهم قوم من الاعراب
والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرون انهما نزلتا في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروي عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروي عنه انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا نتخلف مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس والله لنوثقن انفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فربطوا انفسهم بسواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان يكونوا انفسهم حتى تكون انت تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر بطلقهم فرقعوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم بطلقهم واعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها الآية وقال الغزو تركت هذه الآية يا ابا لبابة خاصة واختلفوا في توبته الذي تاب منه فقال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمي وهو الذبح واشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية فمكث عشرين ليلة حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان اخلع من مالي كله صدقة الى الله ورسوله فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة فلما جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم ولان لعطية من مقتضى التبعيض فلما الحسنى وفتادة وغيرهما سموا الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتي خبرهم واما تفسير الآية بقوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشيء ومعنى انهم اقروا بذنوبهم وجهة فيه وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من العبا فين ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة قلت لا يجب الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن بالاعتراف الندم على الماضي من الذنب والعزم على ترك المستقبل فحينئذ يكون ذلك الاعتراف والندم توبة خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

وقيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسيئ هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع اعمال البر والطاعة والسيئ ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية في جميع المسلمين والحمل على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الضحاك عن ابن عباس قال ما في القرآن آية ارجى عندي لهذه الامة من قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم الآية فان قلت فقد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخلوطا بما هو المخلوط قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق واما قولك خلطته بالماء بالتبن وخلطت الماء واللبن بتغليب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيئا ذكره غلب المفسرين وذكر الماوردي في التفسير الرازي وقال اللائق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصلا معا في كل واحد منهما على حاله كما هو مذهبنا فان القول بالاحباط باطل والطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب بقوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على بطلان القول بالاحباط لانه بقي كل واحد منهما كما كان من غير اثر واحد منهما في صاحبه لان الجمع المطلق في الواحد يقتضي العرف فقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو في الآية احسن من الباء لان الباء تفيد الجمع على كيفية الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما يختلط الماء باللبن فمن جمع بينهما وقوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم قال ابن عباس وجماعة المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله تعالى بعسى انه يأتي بالفتح او امر من عنده وقد بقول وقال اهل المعاني كلمة عسى تفيد الطمع والاشفاق فانه اذا وعد من الكرام او اهل الاحسان فان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل كلما يفعله على سبيل التفضل

والتطول والاحسان فذكر لجلة عسى التي هي للترجي والكشف حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو فيما يرجوه منه اي لانه ختم الاية بقوله ان الله غفور رحيم وهذا يعيد لجاز الوعد قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها قال ابن عباس لما اكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبه انكلف ابو لبابة وصاحباه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من اموالنا بتصدق بها عنا وصل علينا يقولون استغفر لنا وكلونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اومر باخذ شيء من اموالكم حتى اومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الاية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم لكونها جارية مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بهذه الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم من الغزو وحسن اسلامهم بذلوا الزكاة امر الله رسوله باخذها منهم وقال بعضهم ان الاية عامة مبتدأة والمقصود منها ايجاب اخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول اكثر الفقهاء واستدلوا بقاء ايجاب اخذ الزكاة الواجبة لم تبق لما تعلق بها قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزولها انها نزلت في شان التائبين واما ايجاب القول الاخير فانهم قالوا العلة سبب حادثة ايضا على هذا التقدير وذلك انهم لما تابوا واخلصوا وعرفوا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال فامروا باخراج الزكاة التي هي كفارة الاموال فلما اخرجوها على صحة قولهم وصحة توبتهم ولم يمنع من خصوص السبب تعميم الحكم بان قالوا ان الزكاة قد شرعت ولم يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم تلك اموالهم فلنا لا يمنع هذا صحة ما قلنا فانه لما رغبوا ببذل الكثير من اموالهم فلا يكون راغبين باخراج الزكاة وهذا اولى في هذه الاية لوجوه الاول قوله تعالى خذ من اموالهم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم اي خذ يا محمد من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذها منهم الى حياته ثم اخذها الائمة من بعده فيجوز للامام او نائبه ان ياخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الوجه الثاني قوله من اموالهم وبعضها لا من اموالهم وبعضها من تفتيت التبعيض وهذا للبعض لما اخذ فيه معلوم ولا مقدر بنص القرآن بل بين الصدقة التي يتبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في اخذ الزكاة الوجه الثالث كما هي قوله خذ من اموالهم يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في الذهب والفضة بهذا الوجه الرابع الحكم الرابع كما هي قوله تطهرهم انا الزكاة انما وجبت لتكون كفارة من الاثام ومدور الاثم لا يمكن حمولها الا على البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول ابي حنيفة اجاب اصحاب الشافعي انه لا يلزم من ان تجعل سببا معينا انتفاء الحكم عند انتفاء السبب وقوله تطهرهم قال الاولون معناه خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم باخذها منهم وقال الاخرون ان لم يكن تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة بان تطهرهم لم يجز ان يجعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة اوساخ الناس اذا اخذت الصدقة بعد اذ بقيت تلك الاوساخ فكان ذلك الداء باقيا جاريا مجرى التطهير وعلى هذا القول يكون قوله تطهرهم وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها القول الثالث ان تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم ترفع منازلهم من منازل العصاة الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم اي تنمي اموالهم بركة اخذها منهم الحكم الخامس قال قوله وصل عليهم اي ادع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلاة في اللغة الدعاء قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ويستحب للمفيض ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يقبل الصدقة ويدعو لهم وروى عن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه ان من اصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقة فقال اللهم صل على ال ابي اوفى اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ان صلاتك سكن لهم قرئ ان صلواتك على الجمع سكن لهم يعني ان دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمانينة وسكن لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما تسكنت اليه والمعنى ان صلواتك توجب سكون انفسهم اليها والله قد قبل توبتهم وقبل زكاتهم والله سميع يعني لما قالوا عليم بما في ضمائرهم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده هذا صيغة استفهام والمراد منه التقرير فيقرر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وهذا قائم ومعنى الاية الم يعلم هؤلاء الذين

تابوا

تابوا ان الله يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الاية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما انزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يأتمنون بما لهم اليوم فانزل الله هذه الاية ترغيبا لهم في التوبة وقوله تعالى عن عباده فيقبل الا ان فرقا بين قوله عن عباده او من عباده اذا قلت اخذت هذا العلم عنك او منك وقيل بينهما فرق وتعال عن في هذا الموضع ابلغ لان من تبتدئ بغير التوبة مع تشعيل سبيلها وقوله تعالى ويأخذ الصدقات يعني يقبلها ويثيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعلاما للمقر، وقيل معنى اخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولهذا كان لفظ المجازاة عليها والمثيب بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان الجبير والسعاة هم الاخذة لها وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها وان الله تعالى يقبلها من عبده المتصدق في حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة متزايدة في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى اللقمة تصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب ايمن حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله تعالى قد قبلها من المتصدق لان عادة الصغير او الخائل اخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق وضع صدقته في القبول والاجابة وقوله لتربو اليتربو فيزيد ربا الشيء يربو اذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها لغتان المضموم اولا يولد والفصيل ولد الناقة الذي ينفصل عنها وقوله تعالى وان الله هو التواب الرحيم تأكيد لقوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم فوله عز وجل وقل اعملوا اي قل يا محمد للعائلة التائبين اعملوا ما بقي لكم بكاعتة واذاء فرائضه بسير الله عملكم اي ترغيب عظيم للامة فيجازيكم بحسب ما اجتهدوا في العمل في المستقبل وان الله يرى اعمالكم ويجازيكم عليها ورسوله والمؤمنون يعني ويرى رسوله والمؤمنون اعمالكم ايضا اما رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم فبالاطلاع الله اياه على اعمالهم واما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغضة المفسدين وستردون الى عالم الغيب والشهادة يعني وتسترجعون يوم القيامة الذي يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهذا وعيد لكم فينبئكم اي فيخبركم بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من خير او شر ويجازيكم عليه وآخرون مرجون اي موقوفون والارجاء التأخير امر الله يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله تعالى قسم الصحابة على ثلاثة اقسام اولهم القدماء الذين هم اول المهاجرين والانصار والقسم الثاني التابعون لهم بالخير والقسم الثالث المرجون لامر الله والقرين بين القسم الثاني والقسم الثالث الذين خلفوا فتاب عليهم فهم من القسم الثاني لان القسم الثاني صاروا الى التوبة باخر الله امرهم نزلت هذه الاية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن امية وهو ابن خالة البراء بن الربيع ومرارة بن الربيع وعطف مرارة على كعب بالواو وقوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبدوا لهم التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه بل وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من اهل بدر فجعل بعض الناس يقولون لعلكم او بعضهم يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويعفو عنهم وهو قوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم يعني ان امرهم الى الله ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء تاب عليهم وعفا عنهم والله عليم يعني بمن يتوب عليه حكيم يعني فيما يقضي عليهم فوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا نزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قبا وكانوا اثني عشر رجلا من اهل النفاق وهم خذام بن خالد وثعلبة بن حاطب وعباد بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر وبنبل بن الحارث ومجمع وابنه جارية بن عمرو وابنا ثابت بن عمرو وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر وبنبل بن الحارث ومجمع بن جارية بن عثمان وخرج بنو هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمسلمين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قبا فبنوا مسجد الضرار ليصلوا فيه بعضهم دون بعض ويعود ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يعد ما اراد وا وبنيانه فلما فرغوا من بنيانه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجد ذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة

الشاتية وانا احب ان تاتينا وتصلي لنا فيه وتدعوا بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر فلو قدمنا
ان شاء الله اتيناكم فصلينا فيه وقوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه
ارصادا يعني انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة
غسيل الملائكة وكان ابو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له
ابو عامر ما هذا الدين الذي جئت به قال النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انك لست عليها فقال ابو عامر بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت
ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين وسماه ابا عامر
الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين
فلما انهزمت هوازن يئس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح
وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فاتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قبا
فذلك قوله تعالى وارصادا يعني وانتظارا لمن حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد الضرار وليحلفن يعني الذين بنوا ان اردنا يعني
ما اردنا ببنائه الا الحسنى يعني الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل الضعف والعجز عن
الصلاة في مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والله يشهد انهم لكاذبون يعني في قيلهم وحلفهم روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل من ذي وان وهو موضع قريب من المدينة فاتوه المنافقون وسالوه ان ياتي مسجد
هم فدعا بقميصه ليلبسه وياتيهم فانزل الله تعالى هذه الاية واخبرهم خبر المسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا
مسرعين حتى اتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنار فدخل اهله فاخذ من سعف
النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون فدخلوا المسجد وفيه اهله فاحرقوه وهدموه وتفرق عنه اهله وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ
ذلك الموضع كناسة يلقى فيه الجيف والنتن ومات ابو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروي ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد
قبا اتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسالوه ان ياذن لمجمع بن حارثة ان يؤمهم في مسجدهم فقال لا ونعمت عين اليس هو امام مسجد
الضرار قال مجمع يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه واني لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه
وكنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرؤون القران فصليت بهم ولا احسب الا انهم يتقربون الى الله ولم اعلم ما في انفسهم
فعذره عمر وصدقه وامره بالصلاة في مسجد قبا قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد
وامرهم ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار احدهما الاخر وقوله تعالى لا تقم فيه ابدا قال ابن عباس معناه لا تصل فيه
ابدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار لمسجد اسس على التقوى اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم
تقديره وانه لمسجد اسس يعني بني اصله ووضع اساسه على تقوى الله عز وجل من اول يوم يعني من اول يوم بني ووضع اساسه
على تقوى الله عز وجل كان ذلك البناء على التقوى احق ان تقوم فيه يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال
ابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري
قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله اي المسجدين اسس على التقوى فقال اخذ كفا من
حصا فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا المدينة اخرجه مسلم ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن ام سلمة ومنبري على حوضي ق عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوائم منبري هذا رواتب في الجنة اخرجه
النسائي قوله رواتب يعني ثوابت يقال رتب بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير
وقتادة انه مسجد قبا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويدل على انهم اهل قبا ما روي عن
ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الاية فيهم ومما
يدل على فضل مسجد اهل قبا ما روي عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا
زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عباس

يفعله اخرج الرواية

يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم والرواية الثانية عن سعد بن خيثمة قال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج
حتى ينتهي الى مسجد قبا يصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي عن اسيد بن ظهير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد
قبا كعمرة اخرجه الترمذي وقوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهو قول اكثر
المفسرين قال عطاء كانوا يستنجون بالماء والباقون بالحجارة عن ابي هريرة قال انزلت هذه الاية في اهل قبا فيهم رجال يحبون ان
يتطهروا والمتعبد المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فتركت هذه الاية فيهم اخرجه الترمذي وابو داود وقال حديث غريب
هكذا ذكره صاحب جامع الاصول مرفوعا على ابن لهيعة عن ابي رهم رضي الله عنه وربعه المقرئ وغيره فقال عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر ورواه البيهقي بسنده عن عويم بن ساعدة وكان من اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اثنى
الله عز وجل قد احسن عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعلم شيئا الا انا جيران من اليهود فذكر انهم
يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم
الثناء في الطهور فما تصنعون اذا نحن نفضنا عنا اثر الغائط والبول قال الاصل في الدين الثاني المراد من هذه الطهارة الطهارة
من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهير هو المؤثر في القرب من الله عز وجل والاستغفار توابه
ومدحه الثاني ان الله تعالى وصف الحب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون رسوله يعني العمل
قبا بالضد من هذا كله ومما ذكرناه لا يكون منهيا عن الصلاة في مسجد قبا الثالث ان الطهارة الظاهرة انما
تحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعني طهارة الباطن
من الكفر والعصيان والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء والله يحب المطهرين فيه مدح لهم وثناء عليهم والمراد
عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على هذه الطهارة افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان يعني عمل بنائه المسجد
الذي بناه لتقوى الله ورضاه والمعنى ان التاسيس لما بني ذلك البناء لمحض قصد تقوى الله ورضاه وتوابه خير ام من اسس بنيانه
على شفا جرف هار الشفا هو الشفير وشفا كل شيء حرفه ومنه يقال الشفا على ذلك اذا دنى منه وقرب ان يقع فيه والجرف
المكان الذي اكل الماء تحته فبقي واهيا هار اي هاير وهو المتفرق فهو من هار يهور فهو هاير وفعل هو من هار يهار اذا انهدم وسقط وهو
الذي تداعى بعضه في اثر بعض كما ينهار الرمل والشيء المرخو وانهار به يعني تسقط بالباني في نار جهنم والمعنى ان بناء
هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم ينهار فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى
مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وبمعنى المثل ان من اسس دينه على قاعدة فاسدة محكمة وهي الحق الذي هو تقوى
الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على
غير اساس ثابت وهو شفا جرف هار وان كان كذلك كان السرع الى السقوط في نار جهنم وكان الجبل الاول قصد ببنائه تقوى
الله ورضوانه فكان بناؤه اشرف البناء والبناء الثاني قصد ببنائه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه اخس البناء
وكان عاقبته الى نار جهنم وقال ابن عباس رضي الله عنهما فهم الى النار وقال قتادة والله ما تنافى بنيانه حتى وقع في النار وقد ذكر
لنا انه خسفت بقعة منه فهوى والدخان يخرج منه وقال ابن عبد الله رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار لا يزال بنيانهم الذي
بنوا ريبة يعني شكا ونفاقا في قلوبهم والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين حين هدموا بناء
مسجدهم خافوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبره الله تعالى بذلك فيامر بقتلهم واحراقهم فازداد خوفهم وغمهم بسبب
ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم يحسنون في بنائه كما حسبه العجل الذي اتخذه السامري الا ان لما امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بهدمه وتحريقه من تاثير ذلك الامر بقي في قلوبهم ريبة وحيرة وغيظا في قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم اي يجعل قلوبهم قطعا وتفرقا اما التشتيت واما الموت والمعنى ان تلك الريبة باقية في قلوبهم الى ان
يموتوا على ذلك والله عليم بما في قلوبهم واحوالهم واحوال جميع عباده حكيم يعني فيما حكم عليهم فوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا
سبعين رجلا قال لهم عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك ما لنا قال الجنة قالوا رابح البيع

لما قبل والاستقبال يقرأ ان الله اشترى المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال اهل المعاني لا يجوز ان يكون
الله شبه الحقيقة لان المشتري انما يشتري ملكا يملك والاشياء كلها ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن ان نفسا تعرف
واموالا لفي غرور فنا ايانا لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك ان المؤمن اذا قاتل في سبيل الله
حتى يقتل او ينفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزاء لما فعل في الدنيا فجعل ذلك الشيء الذي
اشتري من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد بالاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر
والطاعات يقاتلون في سبيل الله هذا تفسير لذلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر اي فاقتلوا في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون يعني فيقتلون اعداء الله ويقتلون في طاعة الله وسبيله وعدا عليه حقا يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا
على الله حقا في التوراة والانجيل والقرآن يعني ان هذا الوعد الذي وعد الله المجاهدين في سبيله قد اثبته في التوراة
والانجيل كما اثبته في القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الدنيا ومكتوب على جميع اهل الملل ومن
اوفى بعهده من الله يعني لا احد اوفى بالقصد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يعني فاستبشروا ايها
المؤمنون ببيعكم اي بهذا البيع الذي بايعتم الله به وذلك يعني هذا البيع هو الفوز العظيم لانه رابح في الآخرة قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله بايعك وجعل الصفقة لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله كل مؤمن ومنه
قال ان الله تعالى اعطاك الدنيا واشترى الجنة ببعضها قال فتادة قد منهم بما على لهم قوله تعالى التائبون قال الخبر
استوفى نعت التائبين بالربع لتمام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى
التائبون الى آخره لهم الجنة ايضا مؤلم يكاد غير معاند ولا فاسد لترك الجهاد بلهم الجنة ايضا وهذا وجه حسن كانه وعد بالجنة
جميع المؤمنين كما قال وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات
يكون رفع التائبين على المدح يعني المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى واما التفسير في قوله التائبون يعني تابوا من الشرك
وكفر واسلموا وقيل التائبون من كل معصية يدخل فيه التوبة من البغي والنفاق وجميع المعاصي لان لفظ التائبين يتناول جميع
ذلك والاصل في ان التوبة المقبولة انما تحصل بحصول اربعة امور اولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم
على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها ان يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته
فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس او دفع مذمتهم فليس بتائب في توبته العابدون يعني المخلصين الذين يؤدون
عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على انها وجوه التعظيم لله تعالى وهي ان تكون العبادة خالصة لله تعالى
الحامدون يعني الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء وروى البغوي بسنده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال التراضي لله في الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السهل والوعر وقيل هم الذين يحمدون الله تعالى ويقومون بشكره على جميع ما
نعمه دنيا واخرى السائحون قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال ابن عيينة انما سمي الصائم سائحا لتركه الذات
كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهري قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه وكان ممسكا
عن الاكل وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب في الارض كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المعاصي وقال
السائحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روي عن عثمان بن مضعون قال قلت يا رسول الله ايذن لنا في السياحة
قال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي يعني تعتد وقال عكرمة السائحون هم كلبة العلم الذين ينتقلون من بلد الى بلد
في كلبه وقيل السياحة لها اثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين اخلاقها لان السائح لا بد ان يلقى انواعا من الضر والبؤس
ولا بد له من الصبر عليه ويلقى العلماء والفاضلين في سياحته فيستفيد منهم ويعرف عيوب نفسه ويرى العجائب من آثار قدرة
الله تعالى فينتبه بذلك فيداوم على وحدانية الله تعالى وتعظيم قدرته الراكعون الساجدون يعني المصلين وانما عبر عن الصلاة
بالركوع والسجود لانه معظم اركانها وليتميز الفعل عن غيره كالقيام حالة القيام والقعود فانها حالة الفعل وغيره
الآمرون بالمعروف يعني يامرون الناس بالله وحده والناهون عن المنكر يعني الشرك بالله وقيل انهم يامرون الناس بالسيف
في اداء ايمانهم واتباع الرشد والتقدي والعمل الصالح وينهونهم عن كل فعل وقول نهى المرء عنه او نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اما انهم لما يامروا الناس بالمعروف حتى كانوا من اهله ولم ينتهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه واما دخول الواو في والناهون
عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وتامنهم بكلمة وقوله في صفة الجنة وفتحت ابوابها وفيه وجه

ف على شروط النكرة

ا ح

الخ وهو ان الصفتين بعد الصفات الستة نعم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر يعني هذا يكون قوله التائبون الى قوله الساجدون مبتدأ خبره هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله قال ابن عباس هم الغازون في طاعة الله قال الحسن العاملون لله بما يحب الله ونعم العمل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله المنتهون الى امره ونهيه فما تضيعون شيئا من العمل الذي الزمهم به والا لم تكونوا منتهين عنه وبشر يا محمد المؤمنين بما وعدهم الله اذا فعلوا السبع بعده وبانه موف لهم بما وعدهم من ادخالهم الجنة وقيل وبشر من يعمل هذه الافعال التسع وهي قوله التائبون الى آخر الآية فان لهم الجنة وان لم يغزوا لقوله عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الآية اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الآية فقال قوم وهو الاشبه بالصواب ما ذكرنا ان سبب نزولها قصة ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك وبين له عذر ما روي عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله يا ابا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان تلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء اخرجاه في الصحيحين وان فلانا قد استغفر بعض الصلحاء نزول هذه الآية في ابي طالب وذلك ان هذه الآية كانت مكية اول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي آخر القرآن نزولا فلفظ الآية نزلت في ابي طالب قوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى ان نزلت هذه الآية فمنع من الاستغفار والله اعلم ببراءته واسراره كما برأ ابا طالب من عذاب النار حتى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة فابى وانزل الله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله الآية وقال سعيد المقبري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا انا كان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك ابا طالب كان يحوطك وينصرك فبما ينفعه ذلك قال وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وقال ابو هريرة رضي الله عنه وبريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه فوقف حتى جثمت الثمير رجاء ان يوحى اليه فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري بسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة اتى قبر امه فقال انه قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قال مستبشرا فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وامرني باتيانها اكثر من يحيد فحكى ابن الجوزي عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر امه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فسئل عن ذلك فقال رأيت قبر امي فذكرت ما كان فيه فعلمت ان الله قد اكرمها بي فبكيت رحمة لها ثم انصرف فقال لم امرت بقبرها فاستأذنت ربي في الاستغفار لها فزجرت زجرا بليغا ثم دعا براحلته فركبها فلما سار الهضبة حتى قائمة الناقة ليثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فجلس عند قبرها فبكى وابكى اصحابه فقام عمر فاستأذنه ان يستغفر لها فلم يأذن له فاذن له ان يزور قبرها فان في الزيارة ترقيقا للقلوب وتذكيرا للآخرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تستغفرن لها كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية عن علي بن ابي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما ميتان فقلت له تستغفر لابويك وهما ميتان قال فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الآية اخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن واخرجه الحاكم وقال لما نزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى الآية ما كان ينبغي للنبي والذين

امنوا ان يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله تعالى لا يغفر للمشركين فلا يجوز ان يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهي عن الاستغفار
للمشركين ولو كانوا اولي قربى لان النهي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوي فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم يعني تبين لهم تابوا عن الشرك فهم من اصحاب الجحيم وايضا فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به والله لا يخلف وعده اما قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فمعناه وما كان
طلب ابراهيم المغفرة لابيه من الله الا من اجل موعدة وعدها اياه ان يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما انزل
الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك ساستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت اتستغفر
لوالديك وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت
لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قول ابراهيم لاستغفرن لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما يستغفر
لابيه وهو مشرك لمكان الوعد الذي وعده رجاء ان يسلم فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فعلى هذا الهاء في اياه راجعة
الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم ساستغفر لك ربي يعني اذا اسلمت
وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء ان يسلم ويؤيد هذا قوله ساستغفر لك ربي ويدل عليه
قراءة الحسن وعدها اياه بالباء الموحدة فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه يعني فلما ظهر لابراهيم وبان له ان اباه
عدو لله يعني لموته على الكفر تبرا منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله اوحى الى ابراهيم ان اباه عدو لله تبرا منه وقيل لما تبين له في الاخرة
انه عدو لله تبرا منه ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام
اباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول ابراهيم الم اقل لك لا تعصني فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول
ابراهيم يا رب انك وعدتني الا تخزني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول الله تعالى انا حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال
يا ابراهيم انظر تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد غيره فيكبى منه
يومئذ القترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة وهو ذكر الضباع والانثى ذيخة
وقوله تعالى ان ابراهيم لاواه حليم جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه
الموقن وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التاوه وكان ابراهيم عليه السلام يكثر ان يقول اوه من النار قبل ان ينفع اوه وقال
عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير الاواه هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو
الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال ابو عبيدة المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة وقال الزجاج
انتظم في قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت يتنفس الصعداء والفعل منه
اوه واصله من التاوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه والسبب فيه ان عند الحزن تخفق الروح داخل القلب
ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب يخفي بعض ما به من الحزن والشدة واما الحليم فمعناه
ظاهر وهو الصفوح عمن سبه او اتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم مع ابيه حين قال له لئن لم تنته
لارجمنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك ساستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله ابراهيم عليه السلام
بهاذين الوصفين وهو شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله فبين الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة
الحميدة تبرا من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا انتم به في هذه الحالة ايضا وقوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد
اذ هداهم يعني وما كان الله ليقضي عليهم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووفقكم للايمان
به وبرسوله وذلك انه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم
فاعلمهم ان ذلك ليس بضائر لهم حتى يبين لهم ما يتقون يعني ما ياتون ويذرون وهو ان يتقدم لهم بالنهي عن ذلك
الفعل فاما قبل النهي فلا حرج عليك في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما
منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين انه لا يؤاخذهم بعمل الا بعد ان يبين
انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه قال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته
وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما ياتون ويذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في امر المنسوخ

وذلك ان قوما

وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد
بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على حين ونحن على غيره فنحن
ضلال فانزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليضل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ
ان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما بين لكم
من اوامره ونواهيه ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيهما عبيده
وملكه يحكم فيهم بما يشاء يحيي ويميت يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض يحيي من يشاء على الايمان ويميته ويحيي
من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني انه تعالى هو وليكم
وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الاية تاب بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى توبته عليه باذنه للمنافقين بالتخلف عنه في غزوة تبوك فهو
كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا انه ذنب يوجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك
فهو كقوله تعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي
صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له واما معنى توبة الله على المهاجرين
والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم
انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم بما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس
النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من ولات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغائر واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد المدة حصلت لهم
في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم
وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى المرتبة التي لاجلها
ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الذين اتبعوه في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله
عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل في ساعة
العسرة يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة
والجيش الذي سار يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير
واحد يعتقبونه يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم
يخرجون وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلا ياكلها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه
ويطعمها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى تاتي على اخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم حتى صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ
شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
ويجعل ما بقي على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته تنقطع فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعا حتى قالت
السماء فاطلت ثم سكبت فملؤوا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجده جاوز العسكر اسنده الطبري عن عمر كذلك
من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يعني من بعد ما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التي
نالتهم والزيغ في اللغة الامالة وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا
واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال الله تعالى ثم تاب عليهم يعني انه على اخلاص نيتهم وصدق توبتهم رزقهم
الانابة والتوبة فان قلت فذكر التوبة اولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار قلت انه تعالى ذكر التوبة اولا
قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشانهم وليعلموا
انه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله انه بهم رؤوف رحيم تاكيدا لذلك ومعنى الرؤوف في صفة الله تعالى
انه الرفيق بعباده انه لم يحملهم على ما لا يطيقون من العبادات وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى

ب
فيلوكها

BULAC

قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرأفة تكون في الكراهة قوله تعالى **وعلى الثلاثة الذين خلفوا** هذا
معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان
بيان قبول توبتهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله
وفي معنى خلفوا قولان احدهما انهم خلفوا عن توبة ابا لبابة واصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه واخرا من هؤلاء
الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني انهم خلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها واما حديث
توبة كعب بن مالك واصحابه فقد روي عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب
قائد كعب من بنيه حين عمي قال كان اعلم قومه واعلمهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه
حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا غزوة تبوك
غير اني تخلفت عن غزوة بدر لم يعاتب احدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع
الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حتى تواقفنا على الاسلام وما احب
ان لي بها مشهد بدر وان كانت ذكرا في الناس وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم اكن
قط اقوى ولا ايسر من حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل
سفرا بعيدا ومغارا واستقبل عدوا كثيرا فجلى المسلمون امرهم ليتاهبوا اهبة عدوهم واخبرهم بغزوهم الذي يريد والمسلمون
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فما من رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى
ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وانا لهنا فتجهز رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا وانا اقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم
يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا والمسلمون معه ولم اقض من جهازي شيئا ثم
غزوت فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو وهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت فلم يقدر
لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموما عليه في النفاق او رجلا
ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك
فقال رجل من بني سليم يا رسول الله حبسه بردره والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا
خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة
فاذا هو ابو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب واقول بما اخرج من سخطه غدا واستعين على ذلك بكل ذي رأي من اهلي
فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما ما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لن انجو منه بشيء ابدا فاجمعت صدقه واصبح رسول
الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا
يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايع لهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله حتى جئت
فلما سلمت تبسم المغضب ثم قال فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله اني
والله جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعد ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت اني لئن حدثتك
اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ولو حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لا ارجو فيه عقبى الله وفي رواية
عفو الله عز وجل والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا والله ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد
عجزت في ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فوالله ما زالوا يزينون لي حتى اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال ثم قلت هل لقي هذا معي من
احد قالوا نعم لقيه معك رجلان قلت من هما قالوا المرارة بن الربيع العامري وهلال بن امية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا
بدرا ففيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا

الناس او قال

الناس او قال تغيروا لنا حتى ذكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا فقعدا
في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج واشهد الصلاة واطوف في الاسواق فلا يكلمني احد واتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر
فاذا اقبلت على صلاتي ينظر الي فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط
ابي قتادة ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلم انا احب الله
ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي في سوق
المدينة اذا نبطي من نبط الشام ممن يبيع الطعام بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له الي حتى جاءني
فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقراته فاذا فيها اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان
ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك قال فقلت حين قراتها وهذه ايضا من البلاء فيممت بها التنور فسجرتها حتى مضت اربعون
من الخمسين واستلبثت الوحي واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك
فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال فارسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني
عندهم حتى يقضي هذا الامر قال فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان امية شيخ ضايع ليس
له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك فقالت انه والله ما به من حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان
الى يومه هذا قال فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك فقد اذن لامراة هلال بن امية تخدمه
قال فقلت لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا
رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال تكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال صليت الفجر صباح خمسين ليلة
على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت
سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلا صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا وعلمت ان قد فرج قال
واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حتى صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي
مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي واوفى على الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت
صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتها اياه ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت
اتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت
المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وتلقاني والله ما قام رجل من
المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه
بالسرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال بل من عند الله وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان
من توبتي ان اخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض مالك فهو خير لك قال قلت فاني
امسك سهمي الذي بخيبر قال وقلت يا رسول الله ان الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال
فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن ما ابلاني الله
والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي قال فانزل
الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رءوف رحيم وعلى
الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما
انعم الله علي من نعمة بعد ان هداني الاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فاهلك كما
اهلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحي شر ما قال لاحد فقال سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا
انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه فذلك قال الله تعالى عز وجل

وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما تخلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه وفي رواية فقبل النبي صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم وارجأ امرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي عن التوبة لا عن الغزو وقد بينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا وقد اجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الامر ما من شيء اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكون من الناس نحو ذلك فيموت بي فلا يكلمني احد منهم ولا يصلي علي فانزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الباقي من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة في شأني معتنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه الشيخان ومسلم

شرح غريب هذا الحديث قوله حين نقنا عن الشيء اذا اخجلك والنقا الشوائق بفتح المعجمة وتشديد القاف وهي الروابي من الرمل وقوله عن امرنا اي عن الشيء الذي امرنا به وقوله ارجأ امرنا اخره وقوله حتى قضى الله فيه اي حكم وقوله ما من شيء اهم الي اي ما شيء اهم الي منه وقوله فلا يكلمني احد منهم اي بالسلام الشوائق بفتح المعجمة وتشديد القاف جمع شائقة وهي الناقة الفتية القوية على الحمل والسير وقوله وذي يقبرها اي يدفن فيها يقال ورى عن الشيء اذا اخفاه واكمن غيره والسبرة البرية الفلاة سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها لبقائه بعدها لا يزال به العطش يزور اذا اكمن شخص الانسان في البرية وقت الهاجرة كانه ماء والسيف بكسر الياء للبس البيطار فرس هو ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة حقيقة الذي لمزه المنافقون بعبوره واحتقروه والقافل الراجع من سفره والركفة الريح الشديدة يكفر بها الشيء اذا قلبته وقوله حضرني بثي البث اشد الحزن اذا لشدته يكفر بها الشيء اذا يقهره زاغ عني الباطل اي زال عني واجمعت صدقه اي عزمت عليه لقد اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام لجئت اخرج عني عقدة ما اردت بها شرا من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان قوله بمارز الواجر اي بليغ في الشد اللغوي قوله حتى تنكرت لي نفسي الارض بما هي بالارض التي اعرف معناه تغير علي كل شيء من الارض وتوحشت علي وصارت كالارض التي لا اعرفها قوله بعاما جلبا اي باستغاثا اي يخضخض وسكنا قوله تسورت حائطه اي نزلت علوته وصعدت سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم والروم والضيعة مبعلة من الضياع والاكراح بتمامت بها القرى وتعمرتها اي قصدت بالصحيفة التي ارسلها ملك غسان باحرقتها بالنار وسلع جبل بالمدينة معروف قوله فما نكبت اتأثم اي اقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والنفر الجماعة من الناس يقال ابرق وجهه اذا لمع وكنى بتحلبي اماراته البرح والشرور قوله الخلع من ثيابك اي اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه في صدق الحديث احسن مما ابلاني اي اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه في صدق الحديث احسن مما ابلاني اي انعم علي قوله ان الله كذبك كذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة بعض الافعال لعله للمرارة ومعناه ان الله كذبك وقوله ما علمك هو بكسر اللام وارجأ امرنا اخره وقوله في الرواية الاخرى ليحطمكم الناس اي يهلكوكم ويزدحمون عليكم واصل الرهق الكسر وقوله سائر الليل بقية الليل وقوله واذن بتوبة الله علينا اي اعلم والاذان الاعلام والشاعر قوله عز وجل حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا وضاقت عليهم انفسهم اي من شدة الغم والحزن وقرائن الناس اي لهم وتركوا كلامهم وضنوا به وآيقنوا وعلموا ان لا ملجأ اي لا مفزع ولا مهرب من الله الا اليه والا عاصم من عذابه الا هو ثم تاب عليهم فيه اضمار وحذف تقديره وكتب ان تاب عليهم فتاب عليهم ليتوبوا اي الى الله اليه فرجعهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لانه قد تقدم ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا ليتوبوا معناه ان الله تاب عليهم في الحال ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل بعد وقوعها عليها وقيل ان اصل التوبة الرجوع ومعناه وتاب عليهم ليرجعوا الى الحالة الاولى وعادتهم في الاختلاط بالناس ومخالطتهم ليتمكنوا بتمسكهم بذلك ان الله هو التواب الرحيم يعني على عباده التوبة بفضل الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله شيء قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله يعني في مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين عن الصادقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو قال سعيد بن جبير مع الصادق فيريد ابا بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وفي جوامع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزموا الصدق باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة ولهذا الايه تدل على فضيلة الصدق لانه الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث قال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل وان

يعد احدكم صاحبه سيئاته لم يخرجه فقروا ان تشتموهم وكونوا مع الصادقين وروى ان ابا بكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار يوم السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامرهم ان يكونوا معنا ولم يأمرنا ان نكون معهم فنحن الامراء وانتم الوزراء وقيل معنى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين ما كان لاهل المدينة يعني سكان المدينة ومن حولهم يعني الاعراب يعني سكان البوادي مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار وقيل هوازن وجميع الاعراب ثم ان اللفظ عام وحمله على العموم اولى ان يتخلفوا عن رسول الله يعني اذا غزا وهذا كالنهي وهو خبر ومعناه النهي اي ليس لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا يعني ولا ان يرغبوا بانفسهم عن نفسه يعني ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه والايثار ان يؤثر بالشيء غيره والمعنى ليس لهم ان يتخلفوا عن الجهاد معه لاجل الدعة والمشقة وان يحبوا لانفسهم ان يصيبهم من الشدائد ما يختار ولا لانفسهم من الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة القتال ومقاساة التعب ذلك بانهم يصيبهم بتشديد الصاد وتخفيفها اي بسبب انهم وانصبهم اي تعب وانخصة اي مجاعة شديدة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار يعني ولا يضعون اقدامهم على الارض فيكون ذلك الوطء سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ولا ينالون من عدو نيلا يعني اسرا او قتلا او هزيمة او غنيمة ونحو ذلك قليلا كان او كثيرا الا كتب لهم به عمل صالح يعني الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم وقبله منهم ان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني انه كما يثيب محسنا على خلقه فانه يثيب محسنا على عمله وطاعته فيما امره به او نهاه عنه ان يجازيه على احسانه وعمله القبيح وفي دليل على ان من فعل طاعة لله كان فيها ومعونة وتقوية وسببا لكونه كاملا في حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في فعل المعصية بان حركة يد الكافل سيئا الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء في هذه الآية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر واما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد ابن عبد العزيز يقولون في هذه الآية انها لا تزال لهذه الامة واخرجها بعضهم فقال اذا كون لهذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الشعر وجل واباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونفل الواحد بحر عكسه انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وامرهم وقال الواحدي هذا هو الصحيح لانه تتعين الكفاءة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر وكذا غيره من الائمة والولاة اذا ندبوا او عينوا قالوا سرعنا للمتروب ان يتفاعد ولا يختص بذلك بعض دون بعض لاداء ذلك الى تعطيل الجهاد والله اعلم وقوله عز وجل ولا ينفقون يعني في سبيل الله نفقة صغيرة ولا كبيرة يعني قوة فما دونها او اكثر منها حتى علاقة سوط ولا يقطعون واديا يعني ولا يروز واديا في سيرهم مقبلين ومدبرين فيه الا كتب لهم يعني كتب الله لهم اثارهم وخطاهم ونفقاتهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون قال الواحدي معناه باحسن ما كانوا يعملون قال الامام فخر الدين وجملة الامر ان الاحسن من صفة فعلهم وهي في الواجب والمندوب والمباح والله تعالى يجازيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني ان الاحسن صفة للجزاء اي يجزيهم جزاء هو احسن من اعمالهم واجلها وافضلها وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وانه من احسن اعمال العباد وعن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمل من خرج في سبيل الله ثم رجع الى بيته وماله سالما فله اجر ما بين خروجه الى رجوعه في سبيل الله وابطل الجهاد في سبيل الله وتصديق برسله فهو على ضامن ان ادخله الجنة او رجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون الدم وريحه ريح المسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري معناه وعن ابي سعيد الخدري رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل فقال رجل مؤمن يجاهد بنفسه في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعاب يعبد ربه وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره وعن ابي عبس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات ويروى مسعود الانصاري البدري قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن حريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة بنفقته اخرجه الترمذي والنسائي قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان كل اهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله قال فاشتد ذلك على المنافقين فهلك من تخلف ونزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال ابن عباس انها ليست في الجهاد ولكن لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان مضر بالتعيين اجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويضيقوا بالاسلام وبهم كاذبون فيضيقوا على المجاب النبي صلى الله عليه وسلم واجهدهم فانزل الله عز وجل لينذر نبيه صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا بالمؤمنين فيردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشايرهم وحذر قومهم ان يفعلوا بفعلهم بذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم في رواية اخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق كل حي من العرب عصابة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسئلونه عما يريدون من امر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا ان نفعله واخبرنا عما تقول العشائر اذا انطلقنا اليهم فيأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا عن الله وكذا عن رسوله ويعقد لهم الرفود على الصلاة والزكاة فكانوا اذا اتوا قومهم نادوا ان من اسلم فهو منا ويدرون حتى ان الرجل ليعير والده واخاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يجتاجون اليه من امر الدين ويتذرون قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعونهم الى الاسلام ويتذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من المجاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن المجاب ما ينتفعون به ودعوا قومهم فاجابوا من الناس الى الهدى وقالوا الناس لهم ما تركتم المجابكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم فخرجوا فاقبلوا من البادية حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يتفقهون الخير وقد كانوا يقرؤن فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تعلمنا بمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا اخرى بذلك قوله ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا اخرى هذا قوله ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلم السرايا اذا رجعتم اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الكلبي واما تفسير الآية فيمكن ان يقال انها من بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد وعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب عذر بلما بلغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضايحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المفسرون والمراد بقوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم ان ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان يقتسموا فيكون طايفة بكماينة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطايفة ينفرون الى الجهاد والمراد بذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انفضاض الاحزاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمهم قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان الاحكام والشرايع كانت تتجدد شيئا بعد شيء والقاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما انزل من الاحكام وتبلغ من الشرايع فاذا قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون ليخرجوا الى الجهاد جميعا فهلا نفر من كل فرقة منهم طايفة للجهاد وتقعد طايفة ليتفقهوا في الدين وليتذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة امر الله وامر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للكماينة القاعدة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على العدو والنصرة ويتذروا قومهم اذا رجعوا اليهم بمعنى ذلك ان الفرقة الغايرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على اعدايهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقويته نبيه صلى الله عليه وسلم وان البدعة الضليلة قد لفيت جهاكين اذا رجعوا من ذلك الغفير الرفوهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من دلايل النصر والفتح والكفي لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق واورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعلم ففيم في الدين وجوابه ان جاز ان يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومظفرهم على عدوهم كان زيادة في ايمانهم فيكون ذلك تفقها في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الآية كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد وما ذكر فيها عن مجاهد ان ناسا

من المجاب

وذلوا الى الله فاذا انزل على نبيه بعد كم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا تعلمنا

من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا وادعوا من وجدوا من الناس الى الاسلام فقالوا لقد تركنا صاحبنا وما يتكلمون ان يوجد احد في نفسه حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية والمعنى لعلا نفر من كل فرقة كثيرة طائفة قليلة ليتفقهوا في الدين ويبلغ ذلك للمتاخرين ليتيقنوا فيعلموا اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني بامر الله ونهيه اذا خالفوا امره وفي الاية دليل على انه يجب ان يكون المقصود من العلم والبعثة دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم ومن هذا علم ان كتب الدين كالاذكار من اكبر الخسران اعني الا الالية وعن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين واني انما انا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الامة مستقيمة حتى تقوم الساعة وحتى يأتي امر الله وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا واعن ابن عبد البر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد اخرجه الترمذي واصل الفقه في اللغة العلم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه بفقاهة اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم وفي الاصطلاح عبارة عن العلم باحكام الشرع واحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ويعرف اليقين مع معرفة احكام الطهارة واحكام الصلاة ويعرف على هذا مكلف مع معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كلب العالم على كل مسلم ذكر اليفوق يقين يستند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا ملك ما تجب فيه الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد عن اهل البلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد بتعلم حتى بلغ درجة الفتوى سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم اخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي عن عبد العزيز بن محمد بن الحارث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضول اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة اخرجه ابو داود

الاية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها وما ليس منسوخا والسنة القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا ينزك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قسمتها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيما في ملكوت السماء اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي في كتاب العلم افضل من صلاة النافلة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم من الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوهم وقال ابن عمر يعني الروم لانهم كانوا بالشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من كفار العرب فقاتلوهم حتى فرغ منهم امروا بقتال اهل الكتاب وبعدهم حتى يوحدوا او يعطوا الجزية نقل عن بعض العلماء انه قال انزلت هذه الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما انزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء بل هي للنسبة لانه تعالى لما امر بقتال المشركين كافة اراد منهم الكف عن بعض الاصعب الاصلح وهم البعيد والاقرب فالاقرب حتى يفيئوا الى الاقرب فالاقرب وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم انتقل منها الى قتال سائر العرب ثم الى قتال اهل الكتاب وهم في تبوك وخيبر وقد تم انتقال الى نجد والروم في الشام وكان تبوك في الشام وفي هذه الغزاة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب فيتقوى بهم فيقاتل من هو على الابعد وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالنصرة والعون قوله عز وجل واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يعني واذا انزل الله سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض ايكم زادته يعني نزول السورة ايمانا يعني تصديقا ويقينا وانما يقولون ذلك استهزاء وقيل يقولون ذلك المؤمنين ليعلم المؤمنين فقال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا يعني تصديقا ويقينا وفرحة من الله تعالى ومعنى الزيادة هي تشبيه الشيء بما يجانسه مقاما هو عليه والموصوف اذا اقترن بنزول سورة من القرآن تموقنة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وفرحة لتمسك العلماء على زيادة الايمان قوله تعالى وهم يستبشرون يعني المؤمنين يفرحون بنزول القرآن لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الاخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القرآن

كزلك تحصل الزيادة في الخير وهو قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض يعني الشك والنفاق لسمي الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب
يحتاج الى العلاج كالمرض في البدن اذا احتاج الى العلاج فزادتهم يعني نزول السورة من القرآن رجسا الى رجسهم يعني ضما الى
ضمهم وذلك كلما جاء نزول السورة او استفهم وابطلها ازداد واكفر مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسا لانه اقبح الاشياء
واصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر وماتوا يعني الصادقين وهم عابدون يعني وهم جاحدون لما انزل الله على
على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الاية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه ويقول
تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الايمان يبدو المكة بيضاء في القلب وكلما ازداد الايمان زاد
على قدر ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو المكة سوداء في القلب فكلما زاد النفاق ازداد السواد
حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود قوله
تعالى اولا يرون قرئ بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله واما الذين في قلوبهم مرض
انهم يفتنون يعني يبتلون بانواع المرض او بالجدب سنة بعد سنة يعني بالامراض والشدائد وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل
انهم يفتضحون بالكفر والنفاق وقيل انهم ينافقون ثم يتوبون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين
ثم لا يتوبون يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله ولا هم يذكرون يعني ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله
بالنصر والفتح للمسلمين واذا ما انزلت سورة يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم نظر بعضهم الى بعض يريدون بذلك
الهرب يقول بعضهم لبعض هل يراكم من احد يعني احد من المؤمنين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المجلس
وان علموا ان احدا يراهم قاموا وليشوا على تلك الحال ثم انصرفوا يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم
التي يسمعون فيها ما يكرهون ثم صرف الله قلوبهم يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم الله مجازاة على فعلهم ذلك بانهم قوم لا
يفقهون يعني لا يتفقهون عن الله دينه ولا شيئا مما يعلمهم قوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم هذا خطاب للعرب
يعني لقد جاءكم ايها العرب رسول من انفسكم يعني من نسبه وحسبه وانه من ولد اسماعيل ابن ابراهيم عليهم السلام قال ابن
عباس ليس في قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال الجوهري جماد القلادة ولم يصبه بني مزاد الاه
الجاهلية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح لعد ذكر الكلبي في كتاب التفسير
التفليب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح الجاهلية بشيء ما ولدني الا من نكاح كنكاح الاسلام
قال الفراء جعله الله من انفسهم فلا يجهلونه على ما اعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في نفسي
قول ابن عباس ليس في قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضر بن نزار وربيعة
ومن ولد معد بن عدنان واليه ينتسب وهو منهم واما نسبة العرب اليمن وهم القحطانية فان امنة لها نسب من الانصار وان خالت
قريش والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان من نسبا بعيدا لعل هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم
ترغيب العرب في نصره والايمان فان نشرهم بشرف به وعزتهم بعزه وانه من عشيرتكم تعني قومه بالصدق والامانة
والصيانة والعفاف والمحامد والمحاسن والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفاء معناه من اشرفكم وافضلكم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خير قرون بني ادم قرنا بقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه
وعن واثلة ابن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا اجتمعوا
فتذاكروا احسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كوم من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من
خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا وفي هذا اخرجه
الترمذي وقيل ان قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم عام فحمله على العموم اولى ويكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم ايها رسول من انفسكم
يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه وقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم
اي شديد عليه عنتكم يعني مكروهكم وقيل شق عليه ضلالكم حريص عليكم يعني حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص
على هداكم وان يهديكم الله بالمؤمنين رؤف رحيم يعني انه صلى الله عليه وسلم رؤوف بالمكلفين رحيم بالمؤمنين وعن جبير بن مطعم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد

عاقبني

على قدمي وانا الحاقب الذي ليس بعدي نبي، وقد سماه الله رؤوفا رحيما فقال العسكري الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم وسماه رؤوفا رحيما وقال ابن الله بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا اي عن اوامرها فقولوا حسبي الله اي هو علمه توكلت اي اعتمد غيره وبه وثقت وهو رب العرش العظيم انما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل فيه وفيما دونه في الذكر ويكون المعنى وهو رب العرش وما دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا له كما قيل البيت المعمور بيت الله وروي ابي بن كعب انه قال لها آيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة والى الله تزولوا وفي رواية عنه قال احدث الي ان علمها الله آيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة الى العظيم والمشهور ان الآيتين نزلتا بمكة الثالثة والثلاثين ايات نسب وهي قوله ان كنتم في شك مما انزلنا اليك الى آخر ثلاث ايات فانه ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها من قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هي مكية الا ايتين وهما قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وهي مائة وتسع ايات والف وثمانمائة واثنان واثنتان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا قوله عز وجل الر قال ابن عباس والضحاك معناه انا الله اري وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه الروح ومن حروف مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسلم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من اسماء القرآن وقيل هو اسم للسورة وقد تقع الكلمة بمعنى الحروف المقطعة في اوائل سورة البقرة بدايته كلها تلك ايات الكتاب المراد من هذه تلك الاشارة الى الآيات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي انزله اليك يا محمد وذلك ان الله وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا تغيره الدهور وقيل ان ابجد تلك اشارة الى ما تقدم ذكره في السورة من آيات القرآن والتقدير ان تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم وهي قول احبار اليهود ان المراد بآيات الكتاب الكتب الذي قبل القرآن حكاه الكلبي عن قتادة وروي عن ابن عباس انها التوراة والانجيل وما بعد هذا القول يكون التقدير ان الآيات المذكورة في هذه السورة هي الآيات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الآيات المذكورة في هذه السورة مذكورة في تلك الكتب وهذا وان كان له وجه هو ضعيف لان التوراة والانجيل لم يبشرا بمحمد كذلك قريب حتى يشار اليهما وقيل ان المراد من الآيات حروف الهجاء التي منها الر سميت آيات لانها افتتاح السورة وسر العليم يعني المحكم الحلال والحرام والحدود والاحكام وقيل بمعنى مبصر وقيل الحكيم بمعنى العالم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل الحكيم بمعنى المحكم وفعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وقيل الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدعو الى الاحكام صار كانه هو الحكيم بنفسه قوله تعالى اكان للناس عجبا سبب الآية قال ابن عباس ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم وقال الملك كيف يكون الله اعظم ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فقال الله اكان للناس عجبا اي وحينا الى رجل منهم وقال ما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم اكان لهم استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا ان اوحينا الى رجل منهم والعجب حالة تعتري الانسان عند رؤية شيء على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف شبهه والمراد بالناس اهل مكة والرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعني من اهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته ان انذر الناس يعني خوفهم بعقاب الله ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اختلفت عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثوابا حقا وقال مجاهد اعمالا صالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عملا صالحا اسلفوه يقدمون عليه وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال استبقت لهم السعادة في الذكر الاول وهو في اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم لهم شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم واصل القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحبة الحصيد والبارحة وهذه الاضافة للتشبيه على زيادة الفضل ومدح الشيء لان كل شيء اضيف الى الصدق فهو ممدوح وصلى بمقعد صدق وقال ابو عبيدة كل سابقة خيرا وشيء هو عند العرب قدم يقال لهذا قدم في الاسلام وقدم في الجنة فلان حسان بن ثابت لك القدم العليا اليك وقلوبنا لك اولى في كل غاية تتابع وقال الليث وابو الهيثم القدم السابقة والمعنى انهم يسبقون لهم عند الله خيرا قال ابو الهيثم وانت امرؤ من اين تؤتى دوامة لهم قدم معروفة وعقاب وقال الشيخ الاهلاق القدم على هذه المعاني ان الشفعي والشفق

للاتصال بالفعل بسحر الساحر بالنفث كما سمعت النفخ بالفم قال ذو الرمة
لم قرع لابكي الناس انما
مع الحسب العاد في كهمة على البغي: معناه لم يقارفه عكيصة لما تنكرها الناس وقال آخر
جعل الذي الحي نشر واتخذ فلحما: ﴿ تعجبك يوم الحشر والزلل ﴾ وقوله تعالى قال الحاوي وان هذا لسحر وقرئ لساحر مبين وفيه حذف تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وانذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما اتاهم به من المعجزات الباهرات التي لا يقدر احد من البشر على مثلها وقرئ لسحر فانهم عنوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان به الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك قوله عز وجل ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ﴾ تقدم تفسير هذا في سورة الاعراف وقوله تعالى يدبر الامر قال قتادة يقضي وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور في مراتبها على احكام عوائدها وقيل انه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو الملك في ادبار الامور وعواقبها لئلا يخرج الوجود مما ينبغي وقيل معناه انه تعالى يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته وتدبيره وقضائه وحكمته ما من شفيع الا من بعد اذنه يعني لا يشفع عنده شافع يوم القيامة الا من بعد ان يأذن له في الشفاعة لانه علم بحال العبد وموضع الصواب من الحكمة في تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسأله ما ليس له به علم فاذا اذن له في الشفاعة كان له ان يشفع ليميز اذن له فيه وقيل رد على الكفار في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيامة فاخبر الله انه لا يشفع احد عنده الا باذنه لانه له القضاء في جميع العالم ذلكم الله ربكم يعني الذي خلق هذه الاشياء ودبرها هو ربكم وسيدكم فاعبدوه اي فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما انعم عليكم من النعم العظيمة افلا تذكرون يعني افلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلايل والآيات التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى وقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا يعني انه ربكم الذي خلق جميع المخلوقات وهو يميتكم جميعا ثم الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع وعد الله حقا يعني وعدكم الله ذلك وعدا حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده اي يحييهم ابتداء ثم يميتكم ثم يحييكم ثانيا وهذا معنى قول مجاهد فانه قال يحييه ثم يميته ثم يحييه وفي هذه الآية دليل على امكان الحشر والمعاد والحث وقوعه ورد على منكري البعث وقوعه ان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد ان يفنى بالموت والبلى بعد ان تلك الاجزاء تتفرق تفرقة ترجع اثرا بعد عين ولا يخلق الله تعالى روحا اخرى كما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة اخرى فاذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط يعني بالعدل الذي لا يفضي من اجورهم شيء والذين كفروا لهم شراب من حميم هو ما حار فدا انتهى حره وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء يعني ذات ضياء والقمر نورا اذا نور واختلفوا اصحاب الكلام في ان الشعاع الغارب من الشمس هل هو جسم او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة بالنور والنور اسم لهذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانها اقوى واكمل من النور وخص القمر بالنور لانه اضعف من الضياء ولانهما لو تساويا لوقع التعارض في النهار وبدل ذلك على ان الضياء المختص بالشمس اكمل واقوى من النور المختص بالقمر وقدره منازل قيل الضمير في قدره عائد الى الذي يذكر في احد هذين الاخيرين يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل او قدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وانما كان وحد الضمير في قدره للاجزاء بالذكر احد هما ونظيره قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع للقمر وحده لان له السير في المنازل الشرع وبه يتعلق الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على رؤية الاهلة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا وهي الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرفة والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانا والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية ومرخ الدلو المقدم ومرخ الدلو المؤخر وبطن الحوت فلهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب

والقوس والجدي

والقوس والجدي والدلو والحوت لكل برج منزلتان وثلث منزلة وينزل القمر كل ليلة منزلة منها الى انقضاء
ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين استتر ليلة واحدة
لتعلموا عدد السنين يعني هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها والحساب
يعني ولتعلموا احتساب الشهور والايام والساعات وغيرها وزيادتها ما خلق الله ذلك الا بالحق يعني للموت والفناء
فتزوته ودلايل وحدانيته ولم ذلك باطلا ولا عبثا نفصل الايات لقوم يعلمون يعني نبين الدلايل التوحيد بالبراهين
القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات
والارض لايات لقوم يتقون تقدم تفسير هذه الاية في نظايرها ان الذين لا يرجون لقاءنا يعني لا يخافون لقاءنا يوم القيامة
بهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب مالك لا ترجو لله وقارا بمعنى لا تخافون
لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابي ذؤيب العذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها اي لم يخفها والرجاء يكون بمعنى الطمع سد
فيكون المعنى لا تطمعون بثوابنا ورضوا بالحياة الدنيا يعني اختاروها وعملوا لها وطلبوها ثم رضوا بزينة الدنيا وزخرفها وا
كمانوا بها يعني وسكنوا اليها مطمئنين بها وهذه الكلمة نزلت في حمقى بني جمح وفي قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها
ازال الله عز قلوبهم الوجل والخوف باذا سمعوا الانذار والتخويف لم يعمل ذلك في قلوبهم والذين هم عن ايانتا غافلون قيل
المراد بالايات ادلة التوحيد وقال ابن عباس عن اياتنا يعني عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون اي معرضون اولئك مأويهم
النار بما كانوا يكسبون يعني من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم يعني يهديهم ربهم الى الجنان ثوابا لهم بايمانهم وباعمالهم الصالحات وقيل يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل
لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المومن اذا خرج من قبره تصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من انت فيقول انا
عملك فيكون له نورا وقايدا الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال يرى عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون المعنى
ان الله يزيدهم هداية بخلاف ما يصير اليه الكافر فيصير بصيرا بتوريق قلوبهم ويزيل عنها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم
على الهداية وقيل معناه بايمانهم يهديهم الله لدينه الذي يتصديقهم هداهم في الدنيا يعني في يمين
ايديهم ينكرونها اليها من اعمالهم السيئة وقصورهم يقول كقوله قد جعل ربك تحت سرتك الم يرد به انه تحتك وهي قاعدة
عليه بل اراد تيسير يديك وقيل في امورهم تجري انهار النعيم يعني ذلك لهم في جنات النعيم دعواهم فيها اي قولهم وكلامهم
فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء اي دعاؤهم فيها سبحانك اللهم وهي كلمة تنزيه لله سبحانه من كل سوء ونقيصة قال
اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والنار في الكعك فاذا ارادوا الكعك قالوا سبحانك اللهم فاتوهم في الوقت
بما يشتهون على الموايدة ميل في ميل على كل مايدة سبعون الف صحيفة في كل صحيفة لون من الكعك بعضه لا يشبه
بعضا بلذا فير غوامز الكعك حمدوا الله على ما اعطاهم وذلك قوله عز وجل وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان
المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو اهله و
هذا الذي يسرورهم وابتهاجهم وكما الذي يدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة
ياكلون ويشربون ولا يتغلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الكعك قال الجشاء ورشح كرشح المسك
يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد خرجه مسلم قوله جشاء اي يخرج ذلك الكعك جشا
وعمرا وقوله تعالى وتحيتهم فيها سلام يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملايكة بالسلام وقيل تلا فيهم
الملايكة ترعند ربهم بالسلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح
على احوال اهل الجنة سبب المآكل والمشروب وانهم اذا اشتهوا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه
قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموايد عند ذلك وقال الزجاج اعلم ان اهل الجنة يبتدون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون
شكره والثناء عليه وقيل المراد انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكرنا في الحديث
قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر يعني ولو يعجل الله للناس اجابة دعايهم في الشر وفيما لهم فيه مضارهم في
مذكوره في تفسير ما قبل هذه الاية هذا قول الزجال لاهله وولده عند الغضب لعنك الله لا بارك الله فيك وقال قتادة هو دعاء
الرجل هو دعاء الرجل على نفسه واهله وماله مما يكره ان يستجاب له فيه استعجالهم بالخير يعني كما يستعجل لهم بالخير

BULAC

وكما يجوز ان يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشيء
قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على انفسهم واهلهم واولادهم
بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه
يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له بالشر وقيل ان هذه الاية نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فعلم هذا يخرج المعنى ولم يعجل الرد للكافر بالعذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال
والولد لعل قضي اجلهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى ونذر الذين لا يرجون لقاءنا يعني فندع الذين لا يخافون
عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت في طغيانهم يعني في تمردهم وعتوهم يعمهون يعني يترددون وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر فاغضب كما يغضب البشر فايما رجل من المسلمين
سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة فرواه عن وجل
واذا مس الانسان الضر يعني الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الاية الكافر دعانا لجنبه يعني على جنبه مضطجعا
او قاعدا او قائما يريد جميع حالاته لان الانسان لا يخلو عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور اذا دعانا
في كل حالاته الى ان ينكشف ضره سواء كان مضطجعا او قاعدا او قائما وقال الزجاج ويجوز ان يكون المعنى اذا مس الانسان
الضر لجنبه او مشى قاعدا او مشى قائما وهذا القول بعيد لان ذكر الدعاء في هذه الاحوال اقرب من ذكر المشي فلما كشفنا
عنه ضره يعني فلما ازلنا عنه ما نزل به من الضر ومعناه عنه مر يعني على ما كان عليه في الحالة الاولى قبل مس الضر كأن لم يدعنا اليه ضر
تقديره كأنه لم يدعنا وانما اشتكى الضر على سبيل التخييل كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل ان
يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والقى الله زين للمسرفين فيه ما كانوا يعملون يعني مثل ما زين
للكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمشركين فيما هو الله لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف
شاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك بارفاد الله اياه على ذلك والمشرف هو المجاوز الحد في كل شيء وانما سمي الكافر مسرفا
لانه اتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه في التجاير والثواب وما كانوا ليعفوه على الاضاعة
وسد تنتهي يعني خدامهم قال ابن جريج في قوله كذلك زين للمشركين فيما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك
الشكر عند الرخاء وقيل كما زينا لكم اعمالكم كذلك زينا للمشركين فيما الذين كانوا من قبلكم اعمالهم بيانه مقصود الاية وهو ان
الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء واذا مسه الضر فيدعانا لجنبه يعني في جميع
حالاته مجتهدا في الدعاء كما لنا من ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء واذا كشفنا ذلك عنه امر في الشكر ورجع الى ما كان عليه
اولا وهذه حالة الغافل الضعيف التيقين فاما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا عند الرخاء
والحاصل كيف التضرع والدعاء في اوقات الراحة والرفاهية وهاهنا مقام اعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلي ببلية او نزل
به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بفضاء الله غير ساخط عليه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع احواله ويعلم العبد ان
المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق وحكيم في جميع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان ابقى عليه
ذلك المحنة فهو عدل وان ازالها عنه فهو فضل قوله تعالى ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يعني اهلكنا الامم الماضية من
قبلكم لما ظلموا يعني لما اشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات يعني هذه الامم برسلهم ويصدقونهم بما
جاؤوهم به من عند الله وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين يعني كما اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم
ايها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم الخلائف اهل مكة الذين ارسل اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى جعلناكم ايها الناس خلفا عن خلوا في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم لننظر كيف تعملون
يعني خيرا او شرا ابتلاء منا لكم حتى نحاسبكم على اعمالكم والنكتة في هذا التعليل ان الله تعالى يريد ان يختبر اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان يكون فان
اهل المعاني معنى النفي هو طلب العلم وجاز في وصف الله تعالى بالمختبر للعدل لانه تعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم
بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ثم الواجب والمراد منه ما روي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء الخ جميع
مثل قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء قوله عز وجل واذا تتلى عليهم ايانا بينات

يتلى واذا قرئ

يعني واذا قرئ على هؤلاء المشركين آياتنا التي انزلناها اليك بالمحكمات بيانات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك الذين لا يرجون لقاءنا يعني قال هؤلاء المذكورون الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يقرون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ائت بقرآن غير هذا او بدله قال قتادة قال ذلك مشركو اهل مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن ابي امية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن عمرو بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نؤمن بك فاتنا بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم يأت الله عليك قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي اي ليس ذلك من عندي او بدله واجعل مكان آية عذاب اية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الامام فخر الدين الرازي اعلم ان اقطاع الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما ان يذكروا ذلك على سبيل الشيء والاستهزاء وهو قولهم ائت بقرآن غير هذا الذي انزلته علينا ان اردت ان نؤمن بك وترفض عبادة اللات والعزى والاستهزاء الثاني ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل التوبة والانابة ان كان هذا القرآن حقا فبدله ان كنت صادقا في قولك ان هذا القرآن انزل عليك من عند الله ومعنى قوله ائت بغيره او بدله يحتمل ان يأتي بغيره اخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض اياته بغيرها كما حكيناه ولما اسألوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الله ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد لهؤلاء ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي يعني ان هذا الذي طلبتموه من التبديل ليس لي وما ينبغي لي انا غيره من قبل نفسي ولم اومر به ان اتبع الا ما يوحى الي يعني فيما امركم به وانهاكم عنه وما اخركم الا ما يخبرني الله به وان الذي يأتيكم به هو من عند الله كما من عندي قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي قل لهم يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت احكامه او بدلته فعصيت بذلك ان يعذبني بعذاب عظيم يوم تقوم القيامة عما ارضعت قوله تعالى قل اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني لو شاء الله لم ينزل علي هذا القرآن ولم يأمرني بقراءته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به وقيل ولا ادريتكم به قال ابن عباس ولا اعلمكم به وقيل ولا ادراكم الله به ولا اعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعني فقد مكثت فيكم قبل ان يوحى الي هذا القرآن مدة اربعين سنة لم اتكم بشيء ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا احواله وانه كان اميا لم يقرأ كتابا ولا تعاطى احد منهم قبل الوحي وذلك اربعون سنة ثم بعد الاربعين جاءهم بعد الكتاب العظيم المشتمل على اعلى انواع العلوم واخبار القرون وفيه من الاحكام والاداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما اعجز العقلاء والفصحاء والبلغاء عن معارضته وكان من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي من الله تعالى كما ذكره بقوله افلا تعقلون يعني ان هذا القرآن من عند الله وحاله التي لا مرية فيها ليست بحيث يخفى على عاقل وقال ابن عباس فما انزل الله القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه بمكة ثم امر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية اخرى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء والنور ثمانيا سبع سنين وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه في الصحيحين وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجاه في الصحيحين وعن انس قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين اخرجه مسلم وقال ربيعة بن ابي عبد الرحمن فان كان انس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير ان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ازهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالادم وليس بجعد قطط ولا بالسبط رجل انزل عليه وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء اخرجاه في الصحيحين فان الشيب في الذين الغوه ورد في عدة من الصحابة عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي الاصح والاشهر رواه مسلم من حديث انس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان الاصح ثلاث وستون سنة ثم اقام بالمدينة عشرا على ما ورد في رواية الصحيحين وبمكة ثلاث عشرة سنة على ما ورد في رواية البخاري وفي رواية ستون فقضى فيها على المفقود وترك الكسى ورواية الخمس متأولة ايضا وحصل فيها الاشتباه وقوله يسمع الصوت يعني صوت الهواتف من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة او نور آيات الله حتى رأى الملك

بقيته وشاهده بالوجه من المنه عز وجل وقوله ليبيضن بالبياض الامهق المراد به الشديد البياض يحلون الحصر وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر انه بريص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والشمرة فوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى اي لم افترى على الله كذبا ولم اكذب عليه ثم قوله ان هذا الفرقان من عند الله والتم قد افتريتم على الله الكذب بزعمتم ان له شريكا وولدا والله منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان احد في الدنيا اكمل عقلا منه حيث افتريته على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله وجاء النبي وجب ان يقال ليس احد في الدنيا اجهل واقل عقلا منه منكم من حيث انكم انكرتم ان يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآيات الله وهو قوله تعالى او كذب بآياته يعني جحد بكون القرآن من عند الله وانكر دلائل التوحيد انه لا يفلح المجرمون يعني المشركين وهذا وعيد وتأييد لما تقدم وقوله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم يعني يعبد هؤلاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وخشب لا تضر ولا تنفع وكانوا يعبدونها اعظم انواع التعظيم فلا يليق الا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الاصنام جماد وحجارة لا تضر ولا تنفع وقوله ويقولون هؤلاء يعني الاصنام التي يعبدونها شفعاؤنا عند الله فان الفعل المتعدي توهموا ان عبادتها تفيد تعظيم الله من عباده ثم ابطله وقال قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ولا نعلم نحن ان لله شفعاء فكيف تعلمون انتم ذلك سبحانه وتعالى عما يشركون يعني اتخبرون الله بان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على سبيل التهكم والمقصود منه علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان له وجود لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مستعمل في العرف لان الانسان اذا اراد نفي شيء حصل في نفسه يقول هذا على الله في ذلك مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع سبحانه وتعالى عما يشركون تنزه الله تعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى الله ان يكون لهم شيء في السموات والارض قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا يعني ابتعثوا فرقا الى المؤمن والكافر يعني كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان الله عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه في السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي بعد هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول مروي عن جماعة المفسرين ويدل عليه بشرة البقرة وبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقرير كونه دليلا ان يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا على الكفر وانما اسلم بعضهم بقية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الاية ما يدل على اي دين كانوا من الايمان او الكفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة ثم اختلفوا في الاديان والملل الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك يعني انه تعالى جعل لكل امة اجلا وقضى بذلك في سابق الازل فلذلك لا يعجل الكفار الكليب في امهالهم هذه الامة وانه لا يعجل عليهم بالعذاب لقضى بينهم يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين لكان ذلك قضاء بينهم فيما كانوا فيه يختلفون فان الحسن ولولا كلمة لسبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضي عليهم ما اختلفوا فيه بالعذاب والعقاب دون يوم القيامة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة وادخل الكافرين النار بقدرهم ولكن سبق من الله الاجل المجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يأخذ احدا الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي تسبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن اخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا ويقولون يعني كفار مكة لولا انزل عليه اية من ربه يعني هلا انزل على محمد ما نقترحه عليه من الايات فقل اي قل يا محمد انما الغيب لله يعني الذي يسألونه هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى تنزل الاية الا هو فانتظروا يعني تنزلها اني معكم من المنتظرين وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا بالظهار الحق في

على المتمثل

على الصحيح اي معهم من المستضعفين في قوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض الآية ورحمة من بعدها اي معتصم
يعني من بعد بلاء وشدة وضيق في العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله حبس عنهم المطر سبع سنين
حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم وانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الخير
فلم ينتهوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر والمكر وهو قوله تعالى اذا لهم مكر في ايآتنا قال في هذه اي تكذيب واستهزاء
وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون تسقينا بنوكذا وكذا وبدل على صحة هذا القول ما روي عن زيد بن خالد
الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس
وقال اتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فاما من قال مطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوكذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب اخرجاه في الصحيحين
قوله على اثر سماء اي مطر كان وقع في اثر المطر يسمى المطي سماء لانه يكثر من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر
اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر او ريح كما يزعم المنجمون اليوم
فمن العرب من يجعل ذلك التاثير للمطالع كما ذكرنا ومنهم من يجعله للمغارب بمعنى انه صلى الله عليه وسلم صحح ذلك
ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان الذي يأتي بذلك التاثير واما من يجعله دليلا لوجود ما هو بمعنى الدلالة واما من
اسند ذلك الى العادة التي اجرى الله بها فهذا لا يكفر وهو محل نزاع الفريقين والله اعلم وسمي تكذيبهم
جاحدين للمطر لان المطر عبارة عن صوب الغيث عز وجهه الكلام بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون في دفع ايات
الله بكل ما يقدرون من الحيل ان نرى العذاب اي قل اللهم بالجد العاجل عقوبة واشدها واقدرها
الينا وان عذابه لعاجل اتم اوضح اليكم مقاتلا منكم فيدفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بالفتح
بمكر اشد منه وهو الاملاء لهم الربح الغيامة ان لهم مكرا يمكرون يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون
ويحفظون اعمالهم القبيحة السيئة الربح الغيامة حتى يعتصرن بها ويجزون على مكرهم وقوله تعالى هو الذي
يسيركم في البر والبحر يعني والله الذي يسيركم ويحملكم في البر على ظهر الدواب وفي البحر في الفلك وقيل معناه والله سبحانه
العالم يلهمكم الى السير في البر والبحر كما يلهم المعاش وهو الضعيف لكم اسباب السير في البر والبحر حتى اذا كنتم في
الفلك يعني في السفن والفلك تكون على الواحد والجمع والتذكير فيها مختلفان فان اريد بها الواحد كان كبنل فعل
وان اريد به الجمع كان كبنل حمر والمراد به هنا الجمع لقوله تعالى وجرين بهم بريح طيبة يعني وجرين السفن بريح ايها
بان فلقت ما بابة من الكلام عن الخطاب الى الغيبة فلقت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكر
لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره كان مخاطبة الله لعباده يدعو على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر عن الغائب وكل من قال الغائب تمقله الخاطب حسن منه ان يرده اخرى الى الغائب وقيل ان الالتفات
في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس هو من جميع كلام العرب وجرين بهم بريح طيبة يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة
يعني برخاء بريان الفلك تلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة المقصود جعل له
التنعم والمسرة العظيمة بذلك وجاءتها ريح عاصف فيه الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح
الطيبة ريح عاصف شديدة او قلعتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة
ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف السرعة وانما قال عاصف لان الريح ذات عصوف او لان الريح مذكر ويؤنث
وجاءهم الموج من كل مكان وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة
حركة الماء واختلاطه وظنوا انهم احيط بهم يعني وظنوا ان الهلاك قد احاط بهم وقيل المراد من الظن اليقين اي يعني
انه الهلاك وقيل بل المراد منه الضعف بنية من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه دعوا الله مخلصين له الدين
يعني انهم اخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من التوهم وقيل بمعنى الخلاص العلم الحقيقي لا اخلاص ايمان
لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدايد والبلايا الا الله تعالى وكانوا اذا وقعوا في شدة وضر وبلاء
اخلصوا لله الدعاء لئن انجيتنا اي فليتن لئن انجيتنا يا ربنا من هذه يعني من هذه الشدايد التي نحن فيها وهي الريح
العاصفة والامواج الشديدة لنكونن من الشاكرين يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه

فيه من هذه الشدة فلما نجاهم يعني فلما نجا الله هؤلاء الذين ظنوا انهم احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها اذا هم
يبغون في الارض بغير الحق يعني انهم اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما امر الله به من الكفر
والعمل بالمعاصي على ظهرها واصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات والبغي على ضربين احدهما محمود وهو مجاوزة
العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل والى الشبهات قال صاحب الكشاف
فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بل يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على ارض
الكفرة وهدم دورهم واحراق زرعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم يعني ان وبال بغيكم راجع عليكم متاع الحياة الدنيا قيل هو كلام مبتدا والمعنى ان
بغي بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزاد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم لا يتهيا ان يبغي بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة
انقضائها فالبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي وقد نظم بعضهم
هذا المعنى شعرا وكان المامون يتمثل به يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فارجع فخير مقال المرء اعدله فلو
بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وقوله تعالى ثم الينا مرجعكم يعني يوم القيامة فننبئكم اي فنخبركم
بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها قوله عز وجل انما مثل الحياة الدنيا يعني في فنائها
وزوالها كماء انزلناه من السماء يعني المطر فاختلط به اي بالمطر نبات الارض قال ابن عباس نبت بالماء
من كل لون مما ياكل الناس يعني من الحبوب والثمار والانعام يعني ومما ياكل الانعام من الحشيش ونحوه حتى اذا
اخذت الارض زخرفها يعني حسنها ونضارتها وبهجتها واظهرت الوان زهرها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من
الزهور وازينت اي وتزينت وظن اهلها يعني اهل تلك الارض انهم قادرون عليها يعني على جذاذها وقطافها
وحصادها رد الكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة اتاها
امرنا اي قضاؤنا بهلاكها ليلا او نهارا يعني في الليل والنهار فجعلناها حصيدا يعني محصودة كان لم تغن بالامس
يعني كان لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الارض واصله من غنى فلان بالمكان اذا قام به
وهذا مثل ضربه الله للمتشبث بالدنيا الراغب في زهرتها وذلك انه تعالى لما قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
متاع الحياة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات
في اول بروزه من الارض ومبدا خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق
والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء فجعلت
الارض اخذت زخرفها على التشبيه بالعروس اذا اكتست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض
ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم اجره في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله تعالى
ارسل على هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كان لم تغن بالامس من قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا
ياتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كغاية هذا النبات
الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع الياس منه ولان التمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته اتاه الموت بغتة فسلبه
مما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك
لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتته افة فتلف بالكلية ثم ان الله تعالى قادر على اعادته كما كان
اول مرة فضرب الله تعالى هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الموتى احياء في
الاخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثبت الطائع ويعاقب العاصي كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون يعني كما بينا لكم
مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك موجبا وسببا لزوال الشك
والشبهة من القلوب قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام لما ذكر الله زهرة الحيوة الدنيا وانها فانية زائلة لا محالة دعا الى
دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من اسماء الله عز وجل ومعناه انه تعالى سلم
من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه تعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه يوصف

بالسلام

بالسلام بمعنى والسلام اى لا يقدر على تحليم القاهرين من المكاره والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو مع سلامة والمعنى انه من دخلها يغتسل من جميع الآفات كالموت والمرض والمصايب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله تعالى يسلم على اهلها وتسلم الملائكة عليهم وقيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى الجنة التي هي دار السلام وفيه دليل على ان بين ما العبد ات وما اذن لتسمعت وله خطى على قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الى عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله الجنة بايات كثيرة من كتابه **ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم** يعني والله يهدي من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة اولا اهل الجنة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق واظهارا للقدرة بجعلة المغايرة بين الدعوتين عن جابر فلما جاءت ملايكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نايم فقال بعضهم انه نايم وقال بعضهم العين نايمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مايدته وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المايدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المايدة فقالوا اولوها يفقهها فقال بعضهم ان العين نايمة والقلب يقظان فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزد قال الحميدي وذكر ابو مسعود اوله فقال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكايل عند رجلي يقول احدهما لصاحبه اضرب له مثلا وذكر عن الفراء نحو هذا قال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كتفي الصراط سوران لهما ابواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعوا عن الصراط وداع يدعوا من فوقه والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم **للذين احسنوا الحسنى** الابواب التي على كتفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعوا من فوقه واعظ ربه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب **للذين احسنوا الحسنى** وجل قال ابن عباس للذين يشهدون ان لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين احسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه واكملوه بما امرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانباري الحسنى في اللغة تانيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين احسنوا العبادة الحسنى **وزيادة** اختلف اهل التفسير في معنى هذه الزيادة وهذه الحسنى على اقوال القول الاول ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي الوجه الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى الاشعري وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فما روي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم وروى البغوي بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله وروى عن ابي بن كعب انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى وعن ابي موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى اهل الجنة منادي ينادي هل انجزكم الساعة وعدكم فينظرون فيقال ما اعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الله الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعه ابو موسى قال عز رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكر بمعناه عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وبه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى اذا دخل اهل الجنة الجنة قال يقول الله فهل بقي من حقكم شيء لم تعطوه قال فيتجلى لهم جل وعز فيضع عنهم كل شيء اعطوه ثم قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال الحسن الجنة والزيادة النظر الى وجه ربهم فبهذه الاخبار والاثار قد تبين على ان المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى **واما** المغفرة فيقول ان الحسنى لبعثة مبهمة دخل عليها حرف التعريف فانصرف الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله والله يدعوا الى دار السلام فثبت بهذا ان العود بلفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة امرا مغايرا للجنة وما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تعالى تبارك ومقايرته كذلك قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وثبت ان لاهل الجنة امرين احدهما النظر وهو احسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر

BULAC

الى وجه الله تعالى وامثال هذه الآيات الكثيرة يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تعالى وذلك
المعتزلة لا يجوز حمل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية قد دلت على ان رؤية الله تعالى ممتنعة والزيادة يجب ان تكون من جنس
المزيد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه وان جماعة من المفسرين حملوا هذه
الزيادة على غير الرؤية بما نبين ما قلنا فاجاب اصحابنا عن هذه الامور اما ان الدلائل العقلية قد دلت على امكان
وقوع رؤية الله في الآخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير اليها واجروها
على ظاهرها من غير تشبيه واما الحامة فاجيب عن قولهم الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه فيقال المزيد عليه اذا
كان مقدرا بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم تكن الزيادة مخالفة لها بالمقدار كما في الآية لان الحسنى وهي الجنة
ونعيمها غير مقدر بقدر معين وجب ان الزيادة عليها شيء مغاير لنعيم الجنة وذلك المغاير هي الرؤية واجيب
عن قولهم بان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الرؤية بمعارضة جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤية والمثبت
مقدم على النافي والله اعلم القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة
واحدة لها اربعة ابواب الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة والتضعيف الى تمام العشرة الى سبعمائة قال
ابن عباس هو مثل قوله ولدينا مزيد يقول لهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة بالحسنة عشر
عشرة امثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله
مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما اعطاهم في الدنيا الكبير لصبيهم يوم القيامة وقوله تعالى
ولا يرهق وجوههم قتر يعني ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مخلدون لا يخرجون منها ابدا
قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها اعلم انه لما شرح الله تعالى احوال المحسنين وما اعد لهم من الكرامة
شرح في هذه الآية احوال من اقدم على السيئات يعني والذين عملوا الكبير والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني بلهم جزاء السيئة التي عملوها
مثلها يعني قدرها لا يزاد عليها وهذا يدل على ان المقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات
لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وكرما واما
السيئات فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى وترهقهم ذلة قال ابن عباس تغشاهم ذلة وشدة وقيل
يغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله اياهم ما لهم من الله من عاصم يمنعهم منه كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما يعني كأنما
وجوههم قطع من ليل مظلم قطعا جمع قطعة وجوههم سواد من الليل المظلم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قوله
تعالى ويوم نحشرهم جميعا الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موقف واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا للموقف للحساب
وهو يوم القيامة ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم اي الزموا مكانكم اي واثبتوا فيه حتى تسألوا وتجازوا وهذا وعيد وتهديد للعابدين
والمعبودين انتم وشركاؤكم يعني انتم ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله فزيلنا بينهم يعني
بعثرنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله
فزيلنا بينهم جاء على الفعل الماضي بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو مستقبل فما وجهه قلت السبب فيه
ان الذي جاء الله فيه انه سيكون صار كالكائن الآن اما قوله وقال شركاؤهم يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون
الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم او لانه تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله
مكانكم فخاطبوا وانطق هؤلاء الاصنام في هذا الخطاب ما كنتم ايانا تعبدون تبرأ المعبودون من العابدين فان قلت كيف
صدر هذا الكلام من الاصنام وهي جماد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله خلق لها في ذلك اليوم الحياة والعقل
والنطق حتى فهمت عابديها هذا الكلام فان قلت اذا اجرى الله في ذلك اليوم على الاصنام الحياة والعقل
فلا اعتراض على الله في شيء من افعاله واحوال القيامة متعلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب او سنة فان قلت ان الاصنام
قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها من دون الله فيقول البالغة والتي ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا
والتي اياكم كنا نعبد وتقول يوم القيامة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين والمعنى قد
قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما قلنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم اياانا من دون الله الا غافلين لا نشعر بذلك اصلا
فلم تقع منا عبادتكم هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت يقول كل نفس تعاين في ذلك الموقف او ذلك الموقف

اويذكر

او بذلك الوقت على معنى استعارة الخلاف لمن المكان او الزمان وفي قوله تبلوا قراءات فرئ تتلوا بتاءين ولها معنيان
احدهما انه من تلاه اذا اتبعه اي تتبع كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب او العقاب والثاني ان تكون
التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير او شر وقرئ تبلوا بالتاء والبا، ومعناه تخبر وتعلم والبلوا الاختبار
ومعناه اختبارها ما اسلفت انه ان قدم خيرا او شرا فدم عليه وجوزي به ورددوا الى الله مولاهم الى الرد عبارة عن الرجع
الشيء الى الموضع الذي جاء منه والمعنى ورجعوا الى ما يكفي انهم من اليه الذي هو مولاهم وهو يلي امورهم فان قلت
قد قال الله تعالى في اية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم بعد قوله فلت المولى اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فمعنى
المولى هنا المالك ومعنى القول هناك الناصر فحصل الفرق بين الايتين وضل عنهم ما كانوا يفترون اي وبطل وذهب ما
كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل قل من يرزقكم من السماء والارض اي قل
يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء اي المطر والارض اي النبات امن يملك السمع والابصار اي ومن اعطاكم
هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي انه تعالى يخرج الانسان حيا من
النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحي
وقيل انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول اقرب الى الحقيقة ومن يدبر الامر اي ومن يدبر امر النعم وان
وما يليها ومدبر امر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله سيقولون لله اي انهم يعترفون ان فاعل هذه الاشياء هو
هو الله واذا كانوا يقرون بذلك فقل لهم يا محمد افلا تتقون اي الا تخافون عقابه حتى تعبدون هذه الاصنام التي لا تنفع
ولا تضر ولا تقدر على شيء من هذه الامور فذلكم الله ربكم الحق اي فذلكم الذي يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها
هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لا هذه الاصنام فماذا بعد الحق الا الضلال اي اذا ثبت بهذه البراهين
الواضحة والدلايل الفاضحة ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا وباطلا فانى تصرفون اي فاي وجه يقع هذا الامر
الواضح وكيف تستجيزون العدول من الحق الى الضلال الباطل كذلك اي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال كذلك حقت
اي وجبت كلمة ربك اي الازلي على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون قيل المراد بكلمات الله قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ
انهم لا يؤمنون وقضاء الله لا يرد ولا يدفع قل هل من شركائكم اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم اي
هذه الاصنام التي تزعمون انها الهة من يبدؤ الخلق اي من يقدر على ان ينشئ الخلق على غير مثال سبق ثم يعيده اي
ثم يعيده بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السؤال استفهام انكار وقل انت يا محمد الله يبدؤ الخلق ثم يعيده اي
الله هو القادر على ابداء الخلق واعادته فانى تؤفكون اي فاي وجه تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من اصرارهم
كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره قل اي يا محمد هل من شركائكم من يهدي الى الحق اي هل من هذه الاصنام
من يقدر على ان يرشد الى الحق اذا فقد الراشد الحق والابد لهم من ذلك قل الله يهدي للحق اي الله هو الذي يرشد الى الحق
لا غيره افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى اي ان الله هو الذي يهدي الى الحق فهو احق بالاتباع
ام هذه الاصنام التي لا تهدي الا ان يهدي فان قلت الاصنام جماد لا تتصور هدايتها ولا ان تهدي فكيف قال الا ان
يهدى قلت ذكر العلماء في هذا الشان وجوها الاول ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان
فيكون المعنى هنا لا تنتقل من مكان الى مكان اخر الا ان تحمل وتنقل فيتبين بهذا عجز الاصنام الوجه الثاني ان ذكر الهداية في حق
الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام الهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر عن
يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله فما لكم من شركائكم
من يبدؤ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى الحق رؤساء الضلال والكبر يدل عليه انه تعالى بعد ذلك
الى الدين هاهنا ظهر هذه الدلايل الدالة على وحدانيته وامارؤساء الكبر والضلالة بانهم لا يقدرون على هداية من يتبعهم الا اذا هداه
الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بعبادته اولى من اتباع غيره وقوله تعالى مالكم كيف تحكمون قال الزجاج مالكم
سفاهة كما تقول للجاهل اي شيء لك في عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعني على اي حال تحكمون وفي معناه كيف تقضون
لانفسكم بالجور حيث تزعمون ان مع الله تعالى شركاء وقيل معناه بينوا حكمتم اذ جعلتم لله شركاء من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا
هداية وما يتبع اكثرهم الا ظنا يعني وما يتبع اكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم يشك منه

وريبة قيل المراد بأكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء
ان الظن لا يغني من الحق شيئا يعني ان الظن لا يغني من اليقين شيئا ولا يقوم مقامه وقيل في الاية ان قولهم ان الاصنام الهة
وانها تشفع لهم ظنا منهم لم يرد به كتاب ولا رسول الا الظن لا يغني من الحق شيئا يعني لا يدفع لهم من عذاب الله شيئا ان الله
عليم بما يفعلون يعني اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله يعني وما
كان ينبغي لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شيء يمكن ان يفترى
به على الله لان المفترى هو الذي يأتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بالقرآن من عند نفسه
على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان هذا القرآن وحي انزله عليه وانه مبرأ عن الافتراء والكذب وانه لا
يقدر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يؤكد هذا بقوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن الله تعالى انزل هذا القرآن مصدقا لما
قبله من الكتب الذي انزلها على انبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا يكتب
ولا يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل
ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة اهل الكتب له ولما لم يقدح
فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بانه ما على ما فيهما
فثبت بذلك انه وحي من الله انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله ولكن تصديق
الذي بين يديه يعني من اخبار الغيوب الاتية فانها جاءت على وفق ما اخبر وتفصيل الكتاب يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال
والحرام والفرائض والاحكام لا ريب فيه من رب العالمين يعني ان هذا القرآن لا شك فيه من رب العالمين وانه ليس مفترى
على الله وانه لا يقدر احد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله تعالى ام يقولون افتراه يعني ام يقول هؤلاء المشركون افترى محمد
هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكاري وقيل ام بمعنى الواو اي ويقولون افتراه قل اي قل لهم يا محمد
ان كان الامر كما تقولون فأتوا بسورة مثله يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فانتم عرب مثلي
في الفصاحة والبلاغة فان قلت قال تعالى في سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال هنا فأتوا بسورة مثله
فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرأ ولم يكتب واتى بهذا القرآن العظيم
كان معجزا في نفسه قيل لهم فأتوا بسورة من مثله مع انسان اي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة
او بسورة تساوي بسورة القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة
فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله وادعوا من استطعتم من دون الله يعني وادعوا الا
ستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ان كنتم صادقين يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
يعني القرآن اي كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر
الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما في
القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك انكروها لجهلهم فرد الله عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد على استيعابها وتحصيلها ولما يأتهم تأويله يعني انهم كذبوا به
ولم يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما يؤول اليه عاقبة
امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تأويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله كذلك
كذب الذين من قبلهم يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الخالية انبياءهم فيما وعدوهم به فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك عاقبة من كذبك من قومك ففيه
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف كان عاقبة من
ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله قوله عز وجل ومنهم من يؤمن به يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن ومنهم من لا يؤمن به لعلم الله
السابق فيه انه لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين يعني الذين لا يؤمنون وان كذبوك يعني وان كذبك قومك فقل اي فقل لهم لي
عملي يعني الطاعة وجزاء ثوابها ولكم عملكم يعني الشرك وجزاء عقابه انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون قيل المراد
منه الزجر والرجوع وقال مقاتل والكلبي هذه الاية منسوخة بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان

شرط الناسخ

السابع ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الاية اجتماع كل واحد بافعاله وثمرات افعاله من الثواب والعقاب
وغاية الفلاسفة بعد تسليمها من مدلولات هذه الاية فكان الفرق بالنسبة بالكلية ومنهم يعني ومن هؤلاء المشركين من يستمعون
اليك يعني باسماعهم الكلمة ولا ينتفع لشدة بغضهم وعداوتهم لك ابانت تسمع الصم يعني كما انك لا تقدر على
اسماع الاصم كذلك لا تقدر على اسماع من امر الله بسماع قلبه ولو كانوا لا يعقلون يعني ان الله تعالى قلوبهم عن الانتفاع بما
يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال الذين لم ينتفعوا بما لم يسمعوا وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون
شيئا ولا يفقهونه لعدم التوفيق ومنهم من ينظر اليك يعني بابصارهم الكليلة ابانت تهدي العمي يريد عمى القلب
ولو كانوا لا يبصرون الذين اعمى بصائرهم فلو جهد فهم لا يبصرون بها شيئا من الهدى وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه
يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان توفق للايمان
من حكمت عليه انه كافر من ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون قال العلماء الحاكم الحق
وجل على اهل الشقوة بالشقاوة لعلمه بذلك فيهم بمنزلة الظالم الذي يظلم غيره فكما ان الظالم لا يظلم احدا
ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما الظلم الخاص من
انفسهم يظلمون كان البعد منتسبا اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره بهم فوله تعالى ويوم نحشرهم
يعني واذكر لهم يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب واهل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم عن مكانهم كان لم
يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كانهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول ان حال اليوم
والثاني سوء في عدم المعرفة بقدر لبثهم في القبور وقت الحشر فيتعين حمله على امر يختص بحال الكفار وهو انهم لغلبة
تيقظهم ابصارهم في الدنيا استغلوه والهوى لما انبعوا بهم في الدنيا لم يستغلوه وسبب استغلال الكفار
مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص عليها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان
ذلك كالعدم فلذلك استغلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال يوم القيامة وكل عليهم استغلوا مدة مقامهم في الدنيا
لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الاخرة قليلا جدا يتعارفون بينهم يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم
حتى كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا اهوال يوم القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم
القيامة يعرف من كان يحبه والا فدر ان يكلمه هيبة وخشية وقيل ان الاحوال يوم القيامة مختلفة في بعض يعرف
بعضهم بعضا وفي بعضها لا يكاد بعضهم يعرف بعضا لهول ما يعاينون في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
يعني في مجازاته بدليل قوله البقائية فذكر انه اثر العذاب على البقاء وما كانوا مهتدين يعني الى ما يصلحهم
وينجيهم من هذه الخسارة واما نرينك يعني يا محمد بعض الذي نعدهم يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا او نتوفينك
قبل ان نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الاخرة وجوابه فالينا مرجعهم يعني في الاخرة فيبدل على ان الله تبارك
وتعالى يري رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا من عذاب الكافرين وخزيهم وذلهم في حياته في الدنيا وقد اراه ذلك يوم
بدر وغيره من الايام وتسير بهم ما اعد لهم من العذاب في الاخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى شاهد على افعالهم التي يعملونها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة فوله عز وجل
ولكل امة رسول لما بين الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع امتهم كذلك فقال تعالى
ولكل امة يعني فد خلت وتقدمت قبلك رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله والطاعة والايمان به فاذا جاء رسولهم
قضي بينهم بالقسط في هذه الكلمة اضمار تقديره فاذا جاء رسولهم وبلغهم ما ارسل به اليهم فكذبوه فوقع وحذفه اختزن
فهي بينهم بالقسط يعني حكم بينهم بالعدل ووقف هذا الفضل والحكم بينهم فوان احدهما انه في الدنيا وذلك ان الله تعالى
ارسل الى كل امة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر واذا كذبوا رسولهم وخالفوا امر الله قضي بينهم وبين
رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسوله والمؤمنين فيكون ذلك عند الاكثرين قبل مجيء الرسول لا يكون ثوابا
ولا عقابا لان الفعل الثاني ان وقت الجزاء في الاخرة وذلك ان الله تعالى اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والفصل بينهم
والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي جيء بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار
العدل وهو قوله وهم لا يظلمون يعني من جزاء اعمالهم شيئا والجزاء كل احد على قدر عمله وقيل انهم لا يعذبون

بغير ذنب والمؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم والمراد على سبيل التهكم ويقولون يعني قول الكفار متى هذا الوعد
يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد ان كنتم
صادقين يعني فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل امة قالت لرسولها كذلك ويكون المعنى ان كنتم
صادقين انت واتباعك يا محمد وذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم قل اي قل لهم يا محمد لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا يعني لا املك لنفسي ربح ضر وجلب نفع ولا اقدر عليه فكيف املك لكم ذلك الا ما شاء الله يعني ان اقدر عليه واملكه والمعنى
ان انزال العذاب على الاعداء والانتصار لنبي الملوليا، وعلى قيام الساعة لم يقدر عليه الا الله فتعيين الوقت الى الله تعالى فحسب
مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله تعالى لكل امة اجل
اومدة مضروبة ووقت معين اذا جاء اجلهم يعني اذا انقضت مدة اعمارهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
يعني لا يتاخرون عن ذلك الاجل الذي اجل لهم ولا يتقدمونه قل اي قل يا محمد للمعوذلا، المعنى تجبر قومك ارايتم ان
اتاكم عذابه بياتا يعني ليلا او نهارا بوضع كذا اذا جعله بالليل والسبب فيه ان الانسان في الليل يكون الاوفي البيت غالبا
فجعل البيت هذا اللفظ كناية عن الليل او نهارا يعني في النهار ماذا يستعجل منه المجرمون يعني اي شيء الذي يستعجل
من نزول العذاب وقد وقعوا فيه حقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون بنزول العذاب كما اخبر الله عنهم بقوله اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم واما جابهم الله تعالى بقوله ماذا
يستعجل منه المجرمون يعني اي شيء يعجل المجرمون ما يكرهون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد بعل بعلا فيه
ما اذا جنيت على نفسك ثم اذا ما وقع يعني اذا ما نزل العذاب ووقع امنتم به يعني امنتم بالله وقد نزل العذاب وعند
وقت الياس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع وقيل ان فيه اضمار
تقديره يقال لهم الان تومنون حين وقوع ذلك العذاب وقد كنتم به تستعجلون يعني تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين
ظلموا يعني انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله تعالى ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
يعني في الدنيا من الاعمال قوله تعالى ويستنبئونك اي هو يعني ويستخبرونك يا محمد احق هو ما تعدنا به من نزول العذاب
وقيام الساعة قل اي وربي اي يا محمد نعم وربي انه لحق يعني الذي اخبرك به حق لا شك فيه وما انتم بمعجزين
يعني بفائتين من العذاب لان من يعجز عن شيء فقد فاته ولو ان لكل نفس ظلمت يعني اشركت ما في الارض يعني من
شيء لافتدت به يعني يوم القيامة والافتداء يعني البذل بما ينجو به من العذاب الا انه لا يتقبل منه الفداء ولا يقبل منه
واسروا الندامة يعني يوم القيامة وانجلاء بلفظ الماضي لتحقق القيامة من الامور المستقبلة لان احوال يوم القيامة
لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي والمضارع يكون بمعنى الاخبار، وبمعنى الاستمرار بحسب الاوقات
فلهذا اختلفوا في قوله واسروا الندامة فقال ابن عباس معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم
تخفي وتضمر وقيل معناه اخفوا الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ان يعلموا بانهم اضلوهم وتغييرهم لهم
لما راوا العذاب يعني حين راوا العذاب وابصروه وقضي بينهم بالقسط يعني وحكم بينهم بالعدل وقيل بين المومنين
والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد كلم بعضا فيوخذ للمظلوم من الظالم
وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني في الحكم لهم وعليهم بان يزيد في عذاب المضلين ويشدد في عذاب الكفار الا ان لله
ما في السموات والارض يعني ان كل شيء في السموات والارض له ملك له لا يشرك فيه غيره فليس للكافر شيء يفتدي
به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو ايضا ملك لله وكيف يفتدي من هو مملوك لغيره بشيء لا يملكه
الا ان وعد الله حق يعني ما وعد به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لا شك فيه
ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني حقيقة ذلك هو يحيي ويميت يعني ان الذي يقدر على ما في السموات والارض قادر على
الاحياء والاماتة لا يتعذر عليه شيء مما اراد واليه ترجعون يعني بعد الموت للجزاء فوله عز وجل يا ايها الناس قد
جاءتكم موعظة من ربكم قيل اراد بالناس قريشا وقيل لهم على العموم وهو الاصح وهو اختيار الكسائي قد جاءتكم
موعظة من ربكم يعني القران والموعظة زجر مقرون بتخويف وقال الحسن هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل
الموعظة الامانة عما يدعو الى الفلاح بطريق الرغبة والرهبة والقران داع الى كل خير وصلاح بعد الكلام في وقفها

لما في الصدور يعني ان القرآن شفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك ان داء الجهل اقوى للقلب من داء المرض للبدن
وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقايد الفاسدة والجهالات المضلة فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها
لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترهيب والتحذير والتذكير بهول الدنيا والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما
خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع من بدن الانسان لكان القلب فيه ولعدي هي ولعوتدى
من الضلالة ورحمة للمومنين يعني ونعمة على المومنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم فليفعل التم
وبرحمته الباء في بفضل الله تتعلق بمحذوف استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء
لما في الصدور وهو القرآن يا فضل الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير لكم ثم قال تعالى فبذلك فليفرحوا اشار بذلك للقرآن
لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن او لتذكر اللفظ واشارة الى المعنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التفضل والانعام
فليفرحوا فان الواحد الغائب فقوله فليفرحوا خطاب زايدة تفخيم الشان اي اذا علمتم ذلك فافرحوا بعد ذلك فافرحوا فقوله فافرحوا
زايدة وقال صاحب الكشاف في معنى الاية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا وبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقدير فليفرحوا
اختصاص الرحمة والفضل بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فجعل احد الفرحين لاجل المذكور عليه والباقي داخلة في معنى
الشكر كانه قيل ان فرحوا لشيء فليخصوص هذا بالفرح فانه لا مفروح به احق منه والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب
والمستثنى فيه الفرح يكون اذا احركت العامول وكذلك اكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية والدنيوية
واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الاية ليفرح المومنون بفضل الله ورحمته فان ما انالهم الله من المواعظ
والشفاء لما في الصدور وهو الجمع بين الايمان وسكون النفس اليه هو خير مما يجمعون يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية
هذا مذهب اهل المعاني في هذه الاية واما مذهب المفسرين وغيرهم فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل
الله الاسلام ورحمته القرآن وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من اهله وقال ابن عمر فضل الله
الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته فيما في هذا الباء في
بفضل الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره فليفرحوا بفضل الله وبرحمته فليفرحوا يا ايها محمد لكفار مكة ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق يعني من زرع وضرع عنبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من خير ورزق فانما هو من بركات
السماء فجعلتم منه يعني من ذلك الرزق حراما وحلالا اي ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة
والسايبة والوصيلة والحام قال الضحاك وهو قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا قل الله اذن لكم يعني
قل لهم يا محمد الله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل ام على الله تفترون يعني بل انتم على الله تكذبون في اضافتكم ذلك الى امر الله اياكم بذلك
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة يعني اي شيء الذين يفترون على الله الكذب يظنون ان الله فاعل بهم يوم القيامة
على اعظم يوجد استعمال بمعنى التوبيخ والتهديد والوعيد العظيم لمن يفتري على الله الكذب ان الله لذو فضل على الناس
يعني بسعة الرزق وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان
قوله تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه من قرآن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والشان الخطب والحال والامر الذي
يقع فيه يعمل والفعل الذي يعمل يقال ما شان فلان بكذا من الامور والجمع الشئون تقول العرب ما شان فلان بهذا اي ما حاله والشان اسم
اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الاية يجوز ان يكون المراد به الاسم
فان ابن عباس قال معناه وما تكون يا محمد في شان يريد من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا وهو الحق
ويجوز ان يكون المراد منه القصد يعني قصد الشيء وما تتلوا منه من قرآن اختلفوا في الضمير في قوله منه الى ما ذا يعود
فقيل يعود الى الشان لان تلاوة القرآن شان من شانه لان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلوه على امته وقيل يعود الى القرآن
دل عليه تحت قوله وما تكون في شان لانه تعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم
ذكره في قوله قد جاءتكم موعظة فيعود الضمير الى القرآن بفضل الله وبرحمته يعلى هذا يكون المعنى وما تتلوا من القرآن من قرآن يعني من التوراة والانجيل منه لان
ايتم القرآن يشتمل على جميعه وقيل الضمير في منه راجع الى الله تعالى وما تتلوا من الله من قرآن نازل عليك واما قوله وما
تعملون من عمل وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته داخلون فيه ومرادون منه لان من المعلوم انه اذا خوطب
الرئيس فرؤوسه وكبيرهم كان الرؤوس داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله تعالى ولا تعملون من عمل فالخطاب للنبي صلى

على صيغة الجمع قبل وانتم داخلون في الخطابين الاولين وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا اي شاهدين كل عملكم وذلك ان الله تعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه المحدث والخالق وكل موجود الا الله تعالى فكل ما يدخل في احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه اذ تفيضون فيه يعني انه تعالى شاهد عليكم حين تندفعون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل والمواجهة الانتصاب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون لذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تندفعون فيه قيل الافاضة في الحديث اذا انتشر وافيه وما يعزب عن ربك يعني وما يبعد وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال ولد الرجل عازب اذا كان بعيد المطلب من مثقال ذرة يعني من وزن ذرة والمثقال الموزون والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي جثة جثة في الارض ولا في السماء بازاء فلت لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض في سورة سبا وفي العاديات قلت كان من حق السماء ان تقدم على الارض كما في سورة سبا لانه تعالى انما ذكر في هذه الاية شهادته على اهل الارض واعمالهم واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حتى تعذيبه الارض على السماء في هذه الاية وتقديم الارض في هذه العاديات ولا اصغر من ذلك يعني من الذرة ولا اكبر يعني منها الا في كتاب مبين يعني في اللوح المحفوظ قوله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اعلم انا اختلفنا اولا في تفسير هذه الاية ان تبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الاية هم المؤمنون يتقون الله وروى الكلبي بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولياء الله من اولياء الله فقال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين امنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة مكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه ابو داود وروى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه مسلم عن معاذ ابن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقول ان المتحابين بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن ابي مالك الاشعري قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان لله عباد ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم منه يوم القيامة قال فرفع اعرابي من القوم ركبتيه ورمى ببصره ثم قال اجل ثنا يا رسول الله من هم فقال هم ناس من افناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم ارحام يتحابون بروح الله عز وجل يجعل الله وجوههم نورا ويجعل الله لهم منابر من لؤلؤ يغبطهم الناس ولا يفزعون وهم يخافون ويحزن الناس ولا يحزنون وتلا هذه الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه ابو داود وروى عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا بروح الله من غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الغبطة والحسد ان الحسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هو ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي على المغبوط من غير زوالها عنه قال ابو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولوا الله هداية نفوسهم وتولوا الفناء في الغيب في القبوبية له والدعوة اليه واهل الوفاء من الولي وهو القرب والنصرة يقول الله هو الذي يتقرب الى الله بطاعاته فرض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله وازدياد كمال قدرة الله وان سمع سمع بآيات الله وان نظر نظر بنور الله على الله وان تحرى تحرى في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة اولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان

انتهى الاستفتاء

اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين امنوا
وكانوا يتقون وهو ان الايمان مبني على جميع الاعتقاد او العمل ومقام التقوى وهو ان يتقي العبد كلما نهى الله عنه لا خوف عليهم يعني
في الاخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شيء فاتهم من نعيم من الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم
انما يحصل لهم في الاخرة لان الدنيا لا تخلوا من غم وهم وانكاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام
الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لان مقام الولاية والمعرفة منعه من ان يخاف او يحزن
واما قوله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون فقد تقدم تفسيره فانه صفة لاولياء الله وقوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي
الاخرة اختلفوا في هذه البشرى فروي عن عبادة بن الصامت قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا
قال هي الرؤيا الصالحة يراها المومن او ترى له اخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سالت ابا الدرداء عن هذه الاية لهم البشرى
في الحيوة الدنيا قال ما سالني عنها احد منذ نزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له قال الترمذي حديث حسن وعن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم يبق بعدي من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات
قال الرؤيا وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المومن تكذب ورؤيا
المومن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة لفظ البخاري ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب واصدقكم رؤيا
اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم من خمسة واربعين جزءا من النبوة وللرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان
ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول وهو انا اذا حملنا قوله البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة وظاهر
هذا النص يقتضي ان لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه
عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تفيد الا الحق والصدق فاذا راى الولي رؤيا او
رئيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق لمنزلتها وانما
كانت جزءا من اجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي
قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تاتي على موافقة النبوة لانها جزء من النبوة قال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة اقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة اشهر يرى في المنام الوحي فهي جزء
من ستة واربعين جزءا وقيل ان المنام لعل ان يكون فيه اخبار بغيب وهو احدى ثمرات النبوة وهو يسير في جنب النبوة لانه لا يجوز ان
يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ليشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب ابدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب
يكون هذا القدر جزءا من النبوة لا انه نبي واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقا والله اعلم وقيل في تفسير الاية ان المراد بالبشرى
في الدنيا هي الثناء الحسن وفي الاخرة الجنة ويدل على ذلك ما روي عن ابي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت الرجل يعمل العمل
من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المومن اخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النووي قال العلماء معنى هذا البشرى العجلة
له بالخير وهي دليل البشرى المؤخرة بقوله بشراكم اليوم جنات وهذه البشرى المعجلة دليل على رضى الله تعالى عنه وتحبيبه الى الخلق كما
قال يوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حمده الناس في غير تعرض منه لحمدهم والا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل
العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلا نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فتظهر عليه اثار الخشوع والخضوع
فيحبه الناس ويثنوا عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى في الدنيا عند
الموت تاتيهم الملائكة بالبشارة وفي الاخرة عند خروج نفس المومن تعرج بها الى الله تعالى وتبشره برضوان الله تعالى قال الحسن
هي ما بشر الله به المومنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله لا تبديل لكلمات الله يعني لا خلف لوعد الله الذي وعد
اولياءه واهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد ذلك هو الفوز العظيم يعني ما وعدهم به في الاخرة
ولا يحزنك قولهم يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم لا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين ولا يغمد تخويفهم اياك ان العزة لله جميعا
يعني ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصركم عليهم والمنتقم منهم قال سعيد بن المسيب
العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال تعالى في اية اخرى ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولا منافاة بين الايتين فان عزة
الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المومنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك ان العزة كلها لله جميعا وهو الذي يعز من يشاء ويذل
من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة اموالهم واولادهم وعبيدهم فاخبر الله ان جميع ذلك لله في ملكه

بعموفاد رعلى ان يشملهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز ثم السميع يعني لاقوالكم ودعايكم العليم يعني بجميع احوالكم لا تخفى عليه خافية قوله تعالى الا انه لله من في السموت ومن في الارض الآية كلمة تنبيه معناه انه لا احد في السموات ولا في الارض الا لله عز وجل وهو يملك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال تعالى في الآية التي قبل هذه الا ان لله ما في السموات بلفظ ما وقال في هذه الآية بلفظ من فما فايدة ذلك قلت ان لفظة ما تتناول العقلاء وان لفظة من تتناول العقلاء فجمع الآيتين يدل على ان الله عز وجل يملك جميع خلقه في السموات وفي الارض العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل ويكون المراد ممن في السموات الملايكة العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء وايضا انما خصهم بالذكر ليتبين لهم واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته بالجملة يمكن في الازل ان يكونوا ملكه واذا ثبت هذا سهل ان يكون الاصنام التي يعبدها المشركون ايضا في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكونه ذلك فوجب ان يجعل الاصنام شركاء لله معبودة دون الله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء لفظة ما استفهامية معناه اي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقبيح فعلهم يعني انهم ليسوا على شيء كانهم يعتبرون فيما على انها شركاء لله يشفعون لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله تعالى ان يتبعون الا الظن يعني ان يعلم ذلك ظنا منهم انها تشفع لهم والله تعالى يعلم انها لا تشفع لهم وان هم الا يخرصون اي انهم يكذبون في دعواهم ذلك فوله عز وجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يعني والله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال بالسكون واصل السكون ثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا يعني وجعل النهار مضيئا لتتصرفوا فيه لحوايجكم والاسباب معايشكم اضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار بما يبصر ولكن لما كان النهار مجعولا ما في كلام العرب معناه كما خاطبهم بلغتهم وما يعرفونه قال اجرير لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنايم يريد ما ليل المطي بنايم فاضاف النوم الى الليل وهو صاحبه وانما عنى نفسه ولم يكن نايما هو ولا بعيره وهذا من باب فعل الاسم من المسبب الى السبب قال فطرب تفول العرب اطعم الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا طعم وذا ابصار ان في ذلك لايت لقوم يسمعون يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء على هو الله لا اله الا هو المعبود المتفرد بالوحدانية في الوجود قالوا يعني المشركين اتخذ الله ولدا يعني به قولهم الملايكة بنات الله سبحانه تنزه الله فيما نسبه عن اتخاذ الولد هو الغني يعني انه تعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع ما في السموات وما في الارض ملك عبيده هو في قبضته وتحت قهره وتصرفه وخالقه ولما نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار فقال تعالى ان عندكم من سلطان بهذا يعني انه لا حجة لكم على هذا القول البتة ثم بالغ عليهم في الانكار بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون يعني اتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته فان الذين يفترون على الله الكذب اي قل يا محمد للعقلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويزعمون ان له ولدا لا يفلحون يعني لا يشعرون وان اعتبروا بقول احدهم الشتامة والتقابل في النعمة والمعنى ان قايل هذا القول لا يفلح بشيء ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسي قال الزجاج هذا وقف تام يعني على قوله لا يفلحون ثم ابتدا فقال تعالى متاع في الدنيا وفيه اضمار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون فيه مدة اعمارهم وانقضاء اجالهم في الدنيا وهي ايام يسيرة بالنسبة الى الامور مقامهم في العذاب وهو قوله تعالى ثم الينا مرجعهم يعني بعد الموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله قوله تعالى واتل عليهم نبا نوح لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة احوال الكفار فريقا وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبيا، وما جرى لهم مع اممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبيا، وتسلية ليتجلد على ما يلقى من اذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوفهم وداعيا لهم الى الايمان ولهلاك قوم نوح اول الامم هلاك واعظم كبي وجود فذكر الله قصتهم وانه العالم بالغيب ليتحيى ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال تعالى واتل عليهم نبا نوح يعني واقرا على قومك يا محمد خبر نوح اذ قال لقومه وهم بنوا في اول ان كان كبر يعني ثقل عليكم مقامي يعني بينكم وقيل معناه ان كان ثقل وشق

عليكم امرهم فيه وذلك انه عليه السلام اقام بينهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذكيره بآيات الله يعني ووعظه بآيات الله وحجته وبيانه بقي متم على فعل وكرم يعني فهو حسيب وثق واجمعوا امركم يعني بأن حكموا امركم واعزموا عليه قال الفراء الاجماع الاعداد هو التقدير على الامر قال الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم على التقدير كانوا تذعوا من امركم شيئا الا احضروه وشركاءكم يعني واجمعوا شركاءكم يعني الفعلكم ثم استعينوا بهم يعني لجمع معكم وتعينكم على مكلوكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم على انها تقضي وتنفع مع اعتقاده على انها جماد لا تضر ولا تنفع فيه وجه التعجيب والتقريع لهم ثم لا يكن امركم عليكم غمة يعني لا يكن امركم خفيا بل اظهروا امركم كما قدرتم منكشفا من قولهم غم الهلال اذا خفي وهو مغموم اذا خفي والتبس على الناس ثم اقضوا الي يعني فاقضوا الي ما بدا لكم انفسكم من مكروه وما تتوعدوني به من قتل وطرد وابرموا امره من قولهم برم الحبل اذا فتل قوي فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما انتم قاضون ولا تنظرون اي ولا تؤخروني ولا تمهلوني بعد اعلامكم اياي ما انتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على كمال التعجيز لهم اخبر الله عز وجل عن نوح انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره غير خائف من كيدهم علما منه بانهم وان اتفقوا لهم تبع ولا ضير وان مكرهم لا يضرهم فان توليتم يعني اعرضتم عن قبول ما دعوتكم اليه من التوحيد فما سألتكم من اجر يعني من جعل وعوض على تبليغ الدعوة الى الله شيئا كان اقوى تاثيرا في النفوس ان اجري الا على الله اي ما ثوابي وجزائي على تبليغ الرسالة الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين يعني اذا مرت بدين الاسلام وانا ماخوذ فيه غير قادر له سواء قبلتموه او لم تقبلوه وقيل معناه وامرت ان اكون من المسلمين لامر الله والكل معروف يصل الي منكم لاجل هذه الدعوة فكذبوه يعني فكذبوا نوحا عليه السلام فنجيناه ومن معه في الفلك يعني السفينة وجعلناهم خلائف يعني وجعلنا الذين نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي فانظر يا محمد او يا كل احد من الانس كيف كان عاقبة الاقوام الذين انذرهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك ثم بعثنا من بعده يعني من بعد نوح رسلا الى قومهم لم يسم احدا منهم بعد نوح من الرسل وقد كان من بعد نوح هود وصالح وغيرهم من الرسل فجاءوهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي تدل على صدقهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل يعني ان اولئك الاقوام والامم التي جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم عما جاءهم به الرسل ولم يرجعوا مما هم فيه من الكفر والتكذيب كذلك نطبع على قلوب المعتدين يعني كما طبعنا على قلوب قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وتعدى بسبب تكذيبهم في التكذيب قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم يعني من بعد الرسل هودا وصالحا ونوحا الى فرعون وملائه يعني الى قومه بآياتنا واستكبروا يعني عن الايمان بآيات موسى وهارون وكانوا قوما مجرمين يعني مستكبرين عن الايمان فلما جاءهم الحق من عندنا يعني فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاء به موسى من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين يعني ان هذا الذي جاء به موسى سحر مبين يتعرف به كل احد قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا فيه حذف وتقدير اتقولون الحق لما جاءكم هو سحر اسحر هذا ثم نفى السحر عنه فقال ولا يفلح الساحرون يعني حاصل امر السحر تمويه وتخييل وصاحبه ذلك لا يفلح ابدا قالوا يعني قال قوم فرعون لموسى اجئتنا لتلفتنا يعني لتصدنا وتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا يعني من الدين وتكون لكما الكبرياء في الارض يعني الهلاك والسلطان في الارض يعني ارض مصر والخطاب لموسى وهارون قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وما نحن لكما بمؤمنين يعني بمصدقين في الدعوة التي تدعوانها بقول ساحر عليم يعني ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه السلام بانواع من التلبيس ليمكنه ان يقول لموسى سحرك فلما جاءهم السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون انما امرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال والعصي التي يظن انها سحر لهم ليمكنه الخوض في ابطال امرهم وهذا على سبيل التوبيخ ان الله سيبطله يعني يهلكه ويكشف فضيحة صاحبه ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه ويحق الله الحق يعني ويكشف الله الحق ويقويه ويعليه بكلماته يعني بوعده الصادق لموسى ان يكشفه وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى ان يغلب السحر ولو كره المجرمون قوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية من قومه لفظ الذرية من الالفاظ المشتركة في اللغة يقع على الكبار والصغار وعلى الرجال والنساء وقيل انما قيل ذرية لان اكثر من اتبع موسى عليه السلام من بني اسرائيل كانوا اولاد الذين دخلوا مصر مع يعقوب عليه السلام ثم خرجوا منها مع موسى عليه السلام فالمراد بالذرية على هذا القول بنو اسرائيل وقيل انما قيل ذرية لقلة من اتبعه من قومه لان اكثرهم كانوا قد هلكوا في الطاعون الذي وقع بمصر قبل مجيء موسى عليه السلام وقيل انما قيل ذرية لصغر اسنانهم لان الذين ادركوا موسى كانوا شبانا وقيل انما قيل ذرية لان آباءهم كانوا قد هلكوا في الطاعون الذي وقع بمصر قبل مجيء موسى عليه السلام وقيل انما قيل ذرية لان امهاتهم كن من نساء القبط وقيل انما قيل ذرية لان فرعون كان قد قتل ابناء بني اسرائيل خوفا من ذهاب ملكه على يد مولود منهم فلما جاء موسى عليه السلام بالرسالة من قومه لقلة ذكور السن حال ما اتى به موسى عليه السلام من المعجزات

العظيمة الباهرات اخبر الله تعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما امن لموسى الا ذرية من قومه وانما ذكر الله هذا
تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به
والاستمرار هم على التكذيب والتعذيب فبين الله تعالى انه ليس ببدع ان يشاهد الانبياء عليهم السلام ان الذي جاء به موسى عليه السلام
من المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك فما امن له الا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية
القليلة وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هاء الكناية في قوله وقيل انها راجعة الى موسى واراد بهم قوم
موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر من اولاد يعقوب قال في هدهم اولاد يعقوب الذين ارسل اليهم موسى وهم بنو
اسرائيل هلك الاباء وبقي الابناء وقيل هو راجع لفرعون وذلك ان فرعون لما امر بقتل ابناء بني اسرائيل كانت المرأة
من بني اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من قتل فينشؤا بين القبط فلما كان البعض الذي غلب موسى عليه
السلام منهم وقوله تعالى ان ذرية من ذرية من قومه يعني من بني اسرائيل وقيل الهاء راجعة الى فرعون يعني الا ذرية من قوم
فرعون روى عكرمة عن ابن عباس قال لم يسلم من قوم فرعون الا مؤمن امرأة فرعون وخازنه وامرأة خازنه وما
اشكلته وقال الحسن هو ذرية لان اباء هم كانوا من القبط من آل فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل وكان الرجل يتبع
امه واخواله في الايمان وذلك كما يقال اذا لم يدر بين الذين يجعلونه الى البعض ابناء لان امهاتهم من بعض جنس الاباء
على خوف من فرعون وملائهم الملأ الاشراف يعني هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن اشياعهم وهم ملأ الذرية
انه كان ابائهم من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل اراد بالملأ فرعون وانما قال وملائهم بالجمع وفرعون
واحد على سبيل التعظيم له ان يفتنهم ان يصرفهم ويصدهم عن الايمان وانما قال ان يفتنهم لان قوم فرعون كانوا
على اختلاف دياناتهم وتباين مذاهبهم وان فرعون لعال في الارض يعني انه لغالب قاهر متكبر فيها وانه لمن المسرفين يعني من
المتجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل وقال موسى يا قوم
ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا يعني به ان كنتم اتقوا الامر فسلموا فانه تاصى للولي به ومعنى الآية
ان كنتم مسلمين يعني ان كنتم مستسلمين للامر وقيل انما اعيد ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم
بالله يعني ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاستسلام الظاهر ودلت الآية على التوكل على الله والتفويض للامر
من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا غير فقالوا يعني قال قوم موسى لبيك له على الله
توكلنا يعني عليه اعتمدنا في الحول غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يعني لا تظفرهم
هم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم يقولون انا لم نكن على الحق فيزداد واطغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب
من عندك يقول فيقولون لو كنا على حق ما عذبوا ويقولون انهم خير منا فيفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم
علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعني خلصنا برحمتك من ايدي قوم فرعون الكافرين لا تنجي
كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة واوحينا الى موسى واخيه هارون ان تبوءا لقومكما
يعني يبوتا يعني اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة له وضناه المعنى
اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها للصلاة والعبادة واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف اهل التفسير
في معنى هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال اراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وبشروا القبلة بالجانب
الذي يستقبل في الصلاة وعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل
معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة فكان الواجب في ابتداء الاسلام تعيينها الا انه قد نقل عن ابن
عباس انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهو قول مجاهد يضاف الى الله عنه قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى
لا نستطيع ان نظهر صلاتنا مع العراعنة باذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل
كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل اراد بالبيوت المقابر وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة
يعني مقابلة يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا بيوتكم قبلة تصلون اليها وان قلت انه تعالى
خص موسى وهارون بالخطاب في اول الآية بقوله واوحينا الى موسى واخيه هارون ان تبوءا لقومكما ثم انه عم بعد
الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه تعالى امر موسى وهارون بان يتبوءا لقومهما

للعبادة

للعبادة وذلك مما خص به الانبياء فخصها بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم الجميع بالخطاب
بقوله واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بغي آل فرعون وقومه
وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنايس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلون فيها خوفا
من فرعون وقيل ان الله تعالى لما ارسل موسى وهارون وامرهما ان يذهبا الى فرعون امرهما باتخاذ المساجد فانها هي على زعم الاعداء وتقبل
الله لهم بصونهم من شرهم ونحو قوله وانيمر الصلاة وبشر المومنين يعني بانه لا يصل اليكم مكروه وقال موسى ربنا انك اتيت
فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا لما رأى موسى بالمعجزات الباهرات ورأى ان القوة مقرونة على الكفر والعناد والانكار لما
جاء به اخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب اقدامه على الدعوات التي كانت سبب امراره على ما يجب
الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها اجرى ان موسى لما اخذ في الدعاء قدم هذه المقدمة فقال
ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كالملابس والدواب والغلمان واثاث البيت
العارية والاشياء الجميلة والمال الزائد على هذه الاشياء من العمامة ونحوه ثم قال ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلفوا في هذه
اللام فقال البعض هي لام كي يعني هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا للضلال لانهم بكفروا وكفروا في الارض واستكبروا
عن الايمان وقال الاخفش انها هي لام العاقبة والمآل كما يقول الامر والمعنى انك اتيت فرعون وملاه زينة فيضلوا وعلى هذا هي لام العاقبة يعني
فكان عاقبة امرهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتح بها اللام فيكون المعنى ربنا
انك اتيتهم ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم الطمس ازالة اثر الشيء بالمحو ومعنى الطمس على اموالهم
ازال صورها وهيئاتها وقال مجاهد اهلكها وقال الكسائي المغير بزاما مسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة وبلغنا ان
اموالهم ودنانيرهم ودراهمهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب الغي صار شكلهم حجارة وكان الرجل مع اهله في فراشه
صارا حجرين والمرأة قائمة تحتى صارت حجارة وهذا ايضا ضعيف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع على
انفسهم بالمسخ وقال ابن عباس ريفا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا
وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا على نفقة فيها تبن من يفاريق فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة والجوزة مشقوقة
وهي حجارة قال السدي مسخ الله اموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو احد الايات التسع
التي اوتيها موسى عليه السلام واشدد على قلوبهم يعني اربط على قلوبهم واطبع على قلوبهم وقيل حتى لا تلين ولا
تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدي وهذا دليل على ان الله تعالى
يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا السؤال فلا يروا العذاب الاليم يعني الغرق
قال ابن عباس رضي الله عنهما وفي رواية اخرى عنه قال موسى قبل ان يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم ما استجاب الله لهما الى فرعون وبين الايمان حتى ادركه الغرق ولم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما
دعا موسى عليه السلام بعد هذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره انهم لا يؤمنون وذلك ان الله كتب عليهم في الازل انهم
لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم قال الله عز وجل قد اجيبت دعوتكما انما نسب الدعاء
اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن على دعاء موسى والتامين دعاء لانه طلب مسؤول ايضا ومعناه اللهم استجب
فصار بذلك شريكا موسى في الدعاء فلذلك قال تعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما يعني على تبليغ الرسالة وامضيا لامري
ان يأتيهم العذاب ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون يعني ولا تسلكا مسلك الذين يجهلون حقيقة وعدي لا تتبع به وهو في
الاصل لازم لما نزل بفرعون وقومه فلا تستعجلا فيما كان بينه وبين موسى عليه السلام وبين الاجابة اربعون سنة قال الامام فخر الدين
واعلم ان هذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور
الشرك منه قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وقطعنا بهم البحر وعبرنا بهم اياه حتى جاوزوه
وعبروه بغيا وعدوا يعني لحقهم وادركهم بغيا وعدوا باطلا وظلما وعتوا وقيل البغي كطلب
استعملا بغير حق والعدوان الكفر وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل قال اهل التفسير اجتمع بنو اسرائيل يوسف ونبوه الى
الى يعقوب وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر في الوقت الذي امره الله ان يخرج فيه وبشر لهم اسباب الخروج
وكان فرعون غائبا عنهم فلما سمع بخروجهم وسار فتهم مملكته خرج بجنوده في طلبهم فلما ادركهم فرعون

قال الموسى ابن المختار والمخرج والمعراج فامنا وبرعون مزورا بنا وقد كنا نلقى من برعون البلاء العظيم فاوحى الله الى موسى ان
اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فجاز كل برعون الجنود العظيم وكشف عز وجه الارض وابصر امم البحر بلعمهم برعون بلان
على حصان اجهم وكان معه جيشه ثمانمائة الف حصان على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان يقدمهم جبريل عليه السلام
وهو على برذونة وديق ميكائيل يسوقهم حتى لا يتخلف منهم احد فلما خرج اخر بني اسرائيل من البحر ناجبريل بعرسه فلما
وجد الحصان ريح الانثى لم تملك برعون من امره شيئا فسبق البحر ومعه جنوده حتى اذا اكملوا جميعهم البحر وهم اول لهم بالخروج
العظم البحر عليهم فلما ادرك برعون الغرق اتى بكلمة الاخلاص كما منعه انها قتبيه من الهلاك وهو قوله حتى اذا ادركه
الغرق قال يعني برعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين قال ابن عباس لم يقبل
الله سبحانه منه عند نزول العذاب به وقد كان في مقدار العلم ان الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير
مقبولة ويدل عليه قوله تعالى يوم يأتي بعض ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى رفع ما نزل به
من البلية الحاصرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف بالربوبية لا جرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت
وقيل ان برعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال امنت انه لا اله الا الذي امنت
به بنو اسرائيل يدل عليه ذلك لحصول الشك في ايمانه ولما رجع برعون الى الايمان والتوبة حين اغلق باب الحضور التي
ومعاينة الملائكة قيل له الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين يعني الان تتوب وقد اضعت التوبة في وقتها واثرت
دنياك الفانية على الاخرة الباقية والحكم لبرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وان الفاعل هو الله تعالى في برعون فيه منعه
وما كان عليه من الفساد في الارض ويدل على هذا القول قوله فاليوم ننجيك ببدنك والقول الاول اشهر ويعضد هذا القول
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله برعون قال اذا امنت انه لا اله الا الذي امنت به
بنو اسرائيل فاخذ جبريل من حال رأسه من حمأة فلو رأيتني وانا اخذ من حال البحر في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وفي رواية اخرى عنه عن عدي بن ثابت وحماد بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه ذكر ان جبريل عليه السلام جعل يدس في فم برعون الكمين خشية ان يقول لا اله الا الله فتدركه الرحمة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح فصل في الكلام على هذا الحديث لانه في الظاهر مشكل يحتاج الى بيان وايضاح
بنقول فورد هذا الحديث من طريقين مختلفين عن ابن عباس في الطريق الاول عن ابن يزيد بن جذعان وان كان قد وثقه
يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه سيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما الخلاف من
حديثه ما لم يتابع عليه وخالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الاخرى لشعبة عن عدي
ابن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط الصحيحين ورواه ايضا شعبة عن ابن السائب عن سعيد بن جبير وحماد
ابن السائب ثقة فاخرج له مسلم وهو على شرط مسلم وان كان حماد فقد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما الخلاف فيه مما
انفرد به او خالف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث اصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان
فيهم من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره وان فلت في الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ندر احدهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم فلت ليس شك في رفعه انما هو جزم بان احد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه
فهو هو حماد ابن السائب او عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما او شك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث
وقوله من حال البحر ليس من كمين البحر كما في الرواية الاخرى فصل ووجه استدلاله مما اعترض عليه الامام فخر الدين
الرازي في تفسيره فقال هل ان جبريل اخذ حمأة فعلا فيه بالطين ليئلا يتوب فغضب عليه الجواب قلت الاولى انه ليس في تلك
الحالة التكليف هذا ان كان باقيا واذا بان كان باقيا لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة
وان كان التكليف زايلا عن برعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وايضا لو منعه من
التوبة لكان قد رفى بما فيه من الكفر والرفى بالكفر كفر وايضا كيف يليق بجلال الله ان يأمر جبريل ان يمنعه من الايمان
بل نقول ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله بهذا كله فرجبريل وما نزل الا بامر ربك فهذا وجه الاشكال
الذي اورده الامام على هذا الحديث وعلى الثاني من هذا الجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث ليس عن النبي
صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه احد قولا فقول الامام ان التكليف لعل كان باقيا في تلك الحال اولا بان كان باقيا

على فم جبريل

لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة وان هذا القول يستقيم الا على اصل المعتزلة القدرية الغالية في خلق الافعال وان الله يفعل من يشاء ويعذب من يشاء وهذا قول السنة المثبتين للقدر وانهم يقولون ان الله يجري الكفر والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة وهكذا افعل بفرعون منعه من الايمان عند الغرق جزاء على تركه الايمان اول مرة بعد تكرر الآيات عليه وهم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصرف الكفار عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول كافة من المثبتين للقدر الغالبين في خلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعتزب ايضا بان الله تعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه ان يفعله ويقبح على قابله ويمنعه من الايمان فاما قصة جبريل مع فرعون فانه تدل من هذا الباب فان غاية ما يفيد ان الله منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق وردته للايمان لما جاءه واما فعل جبريل من دس الكيز في فيه فانما فعل ذلك بامر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه عليها وعلى كل طاعة عند اذا كان تكليف لجبريل كتكليفنا ويجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعل ما امره الله به والله تعالى هو الذي منع فرعون من الايمان بل قد حكم عليه واخبر انه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان ومن ذهب الى ان جبريل انما ان يتصرف بامر الله او على التقدير بين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يجوز عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر الله به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله تعالى لم يخبر انه امره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا قوله وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت لحينه لا يشفي لهذا الذي نسب الى جبريل وابيه فجوابه ان يقال للمناقش في تعليل افعال الله فرعون احد امرين ان افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال اصلا ومن ذهب الى اشتمال والامر الثاني ان افعاله تعالى غاية لحسب المصالح لاجل افعالها وكذا اوامره ونواهيه لتناغايات محمودة من لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير فقد يقال لفرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه مقدر قد حق عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه فدس الكيز في فيه لئلا يخفف معاينته الموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له فانه وان كان قد قالها في وقت لا ينفعه فدس الكيز في فيه لتحقيق العذاب المتوعد به والعايدة فيه تعجيل ما قد مضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما حيث لا يبقى للرحمة فيه مقنعة فلا يبقى من عمره وقت يتسع للايمان فان موسى لما دعا ربه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع فاجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس الكيز في فيه ليحيف من

احمر فصير كلمة تقرر فراه بنوا التي ايل بعني مره بعد ذلك الوقت لا يقبل الهاء مينا ابدا ومعنى قوله يبه نلي يعني ينبغي
وانت حينئذ لا روح بيك وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل له تنجيك والخ هذه الخاة انما
تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من الذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما راوه في
درعه ذلك عرفوه لتكون لمن خلفك ءاية يعني عبرة وموعظة وذلك انهم اذعوا ان مثل فرعون لا يموت فلما الهلكه الله تعالى
جيء بشلعدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان في غاية العظمة بحار الرتبة الخ
والذلة ملقى على الارض لا يعلو به احد وان كثيرا من الناس عن ءايتنا لغافلون ربع وقد بوانا بني اسرءيل مبوا
صدق يعني اسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى انزلناهم منزلا
محمودا حالا وانما وصف المكان بالصدق لانه من غاية العجب اذا مدحت تبعا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل
صدق وفرد صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا حالا لا بد ان يصدق الخبر فيه وقد يراد بالمكان الذي يتبوأ وافوال
احدها انه مصر يعني المراد ان الله اورث بني اسرءيل جميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من الاموال والعقار
والزرع وغيره والقول الثاني انه ارض الشام والمقدس والاردن انه بلاد الخصب والخير والبركة ورزقناهم من الطيبات
يعني تلك المنابع والخيرات التي رزقهم الله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يعني بعد ما اختلفوا هو اولا الذين بعثنا
فيهم هذا البعض من بني اسرءيل حتى جاءهم ما كانوا به على التميز وذلك انهم تعالى قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
مفرقين في مجمعين على نبوته تدعي مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه
فامن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم ايضا حسدا بعد هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم
والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرءان
الخازن على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية الشيء بالشيء مجاز مشهور وفي
كون القرءان سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته
وصفته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقاء الرياسة لهم فامن به كافة
قليلة وكفر به عامة اليهود والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرءان فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم
امن به كافة وكفر به اخرون وقوله تعالى ان ربك يعني يا محمد يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يعني
من امرك وامر نبوتك في الدنيا فيدخل من امن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك النار فوله تعالى فان كنت في شك مما
انزلنا اليك الشك هو في اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود امارتين ولعدم
الامارة والشك قد يكون من الجهل وهو اخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان يشك في هذا الامر
معناه انه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب او خلافه وكلا هو هذا الخطاب في قوله وان كنت في شك مما انزلنا اليك يعني
من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه يعني القرءان فسئل الذين يقرءون الكتب من قبلك يعني علماء اهل الكتب اعتراض
وتعوان يقول لم يخبرونك انه مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبي يجيء يوتك بصفتك عندهم وقد توجه هاهنا
سؤال واعتراض وتعوان يقال هل كان الشك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل اليه او في نبوته حتى قيل لاهل الكتاب عن ذلك وان كان
شاكا في نبوته فلعله كان غيره اولى بالشك منه الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله الفراء فيما حكاه
في كتابه الشعبا بانه اورد على هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الثر فلبك ان يخلي بالك مما ذكرته فيه بعض المعسرين
عن ابن عباس وغيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر وبمثل هذا لا يجوز عليه صلى
الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن
البصري وحكي عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اشك ولا اسأل وعامة المعسرين على هذا
ثم على الفاضي عياض ثم اختلفوا في معنى الاية من المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان المخاطب النبي
صلى الله عليه وسلم لم يشركه فيه غيره ومن امثلة العرب واياك اعني واسمعي يا جارة وهذا قول الاكثرين
معنى الاية فان كنت يا محمد يا ايها الانسان الشاك ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لساني رسولنا محمد صلى الله
عليه وسلم فسئل الذين يقرءون الكتاب يخبرونك بصحته ويدلوك على صحة هذا التاويل قوله تعالى ايضا في هذه السورة

قل يا ايها الناس

فان يا ايها الانسان ان كنتم في شك من ذلك في هذه الاية فبين ان المذكور في هذه الاية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه
الاية على سبيل التصريح وايضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان تحصيل العلم بالنبوة واجبا
ويجب تسفيه الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله علم انه النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك فكيف يكون
المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام فانه يقول لا اشك يا رب ولا اسئل اهل الكتاب بل اكتفي
بما انزلته علي من الدلائل الظاهرة وقال الحجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو
متأمل الخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والشغب الوارد وقيل ان لبكة ان في قوله فان كنت للنفي ومعناه
وما انت في شك مما انزلنا اليك حتى تسأل ولم يسأل قط لما ورد بيانه والقول الثاني وهو ان يقال ان هذا الخطاب
ليس للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمانه على اقسام بعضهم مصدقون به موقنون
وبعضهم عن الضد من ذلك والطبقة الثالثة المتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب
فقال تعالى فان كنت ايها الانسان في شك مما انزلنا اليك من القرآن على لسان محمد فسئل اهل الكتاب ليدلوك على
صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجميع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد به الاية انسانا بعينه بل اراد الجمع واختلفوا في المعنول عنهم في قوله
تعالى فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فمنهم قال الحسن هم اهل التفسير هم الذين امنوا من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه لانهم الموقنون باخبار نبوة وقيل المراد بذلك كل اهل الكتاب سئلوا عن نبوة محمد
المقصود بهذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه سيعرف عند وقعته وبعثه واذا اخبروا
بذلك فقد حصل المقصود والاولى والاصح قال الضحاك يعني اهل التوراة والانجيل من اهل الكتاب ممن ادرك النبي صلى
الله عليه وسلم لقد جاءك الحق من ربك هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره اقسم لقد جاءك
الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك فلا تكونن من الممترين يعني من الشاكين
في صحة ما انزلنا اليك ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات ربك يعني بدلائله وبراهينه الواضحة فتكون من الخاسرين
يعني من الذين خسروا انفسهم واعلم انهذا كله على ما تقدم من ان كل ما هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم معزعنده
شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بذلك ان المراد غيره والله
اعلم قوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمات ربك يعني وجبت عليهم كلمات ربك وهو قوله خلقت هؤلاء للنار ولا ابالي
وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل انهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل
اية فانهم لا يؤمنون بها حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى قد حكم عليهم وعلى قلبهم
عن الايمان فلا ينفعهم شيء فقوله عز وجل ولو جاءتهم يعني بها كل اية وقيل معناه بما كانت اية وقيل لم تكن في اية
لان في الاستقبال ومعنى الحجة والمراد الحجج الدالة على قدرة الله حتى يروا العذاب الاليم يعني عند معاينة العذاب فينفعهم ايمانهم يعني في
حال اليأس الا قوم يونس هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم امنوا فنفعهم ايمانهم في ذلك الوقت
وهو قوله لما امنوا يعني لما اخلصوا الايمان كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم
الى حين يعني الى وقت انقضاء اجالهم هذا هو العذاب عيانا وقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون
انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله لكشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع واذا قرر ما ذكرنا
ذكر القصة في ذلك قال عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم فلما ان فقد يونس قومه وعلم
انهم سيأتيهم العذاب عيانا بدليل ما ذكرنا خرج يونس حتى اتى شاطئ البحر فركب سفينة فلما لجت السفينة
وقفت فقال اصحابها ما شأنها فقال قائل منهم ان فيها لعبدا آبقا من ربه فقال يونس انا هو ثم قام فنادى في
اصحابه فقال اخرجوا فقالوا لا والله لا نفعل حتى تخبرنا خبرك فقال ويحكم اني عبد آبق من ربي فوالله لا
تبرحون حتى يقرع بعضكم فيقع القرعة على بعضكم فيؤخذ فيلقى في البحر فيسكن عنكم فقالوا هيهات لا نفعل
ولكن نلقي انفسنا كلنا ولا نعرض واحدا منا للقتل فقال لهم يونس فاقترعوا فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس
ثلاث مرات فلما رأى ذلك يونس قام فتمثل ميل فلما رأوا الشاب الذي معهم قاموا فمانعوا

BULAC

قد ميلوا وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما اسود يدخن دخانا شديدا فلبث حتى غشي مدينتهم واسود سطحهم فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك وهلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فخرجوا في طلبه فلما يئسوا منه لبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فجعل البعض الى البعض يبتغي الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات وضجوا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا امنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم باستجابة دعائهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعدما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان تردوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع اساس بنيانه عليه فيقلعه ليرده وروى الكلبي باسناده عن ابي الجلد قال لما غشي قوم يونس العذاب صعدوا الى شيء من مرتفع على البلد قالوا انه قد نزل بنا العذاب مما ترى قال فقولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الضحاك بن عبد الرحمن بن عباس لما رأوا العذاب قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت واجلت وانت اعظم واجل فاصنع بنا ما انت اهله ولا تصنع بنا ما نحن اهله فقالوا وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم يرى شيئا فقال لقد رجع الى قومه فلما كبر رجع اليهم فجربوه بكذبات وكان اذا كذب لا يبينة له قتل فلما فقد في اليوم فعاقبت ما لقم الحوت وسيأتي القصة في سورة والصافات ان شاء الله فان قلت كيف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن قوم عن حين لم ينزل ولم تقبل توبته قلت اجاب العلماء عن هذا باجوبة احدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان قوم يونس علموا من الكتب المتقدمة ان العذاب اذا عاين المذنب سقطت توبته فلما رأوا العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقع يونس منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض الذي يأس من نفسه وهو في الموت ويرجو العافية والجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق توبتهم في قبول توبتهم بخلاف قوم نوح انه ما احد منهم يجيء بايمان ولا اخلص فلم يقبل منه والدليل على صحة قولنا قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا يعني لو شاء الله عز وجل لجمعهم على الايمان كما جمع اهل سفينة نوح عليه السلام ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدق فيما جئت به من في الارض كلهم جميعا ولكن لم يشأ ان يجبرهم فكفر بعضهم وآمن بعضهم فلذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله قال ابن عباس ما كان الله ليؤمن احدا الا باذنه وامره وقال ابن عباس ما كان الله ليؤمن احدا الا بعلمه وقال الحسن ما كان الله ليؤمن احدا الا بعد البيان وقال الزجاج ما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله اي بعلم الله وقال ابن عباس ما كان لنفس ان تؤمن الا بتوفيق الله وقال ابن كيسان ما كان لنفس ان تؤمن الا بمشيئة الله ويجعل الرجس يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط على الذين لا يعقلون يعني لا يعقلون عن الله امره ونهيه وقوله عز وجل قل انظروا الآية قال ابن اسحاق قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات يعني انظروا بعقولكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر ماذا في السموات والارض يعني ما ذا خلق الله في السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته في السموات الشمس والقمر وسعة اكنافها والبرد والنجوم وتسخيرها كما هي وغاربة وانزال المطر من السماء وفي الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات وكل ذلك آيات دالة على وحدانية الله وانه خالق الكل كقوله تعالى الشاعي في كل شيء له آية تدل على انه واحد وما تغني الآيات والنذر يعني الرسل عن قوم لا يؤمنون وهذا يجوز ان يكون على الله انهم لا يؤمنون بعد ما سبق لهم في الازل من الشقاء فما يغني الآيات والنذر عنهم شيئا فلم يؤمنوا فيهلكوا كما هلك من قبلهم يعني من مضى فهلكوا من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود والقرون تسمى العذاب ايام والنعيم ايادي لفضله وذكرهم بأيام الله والمعنى هل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما كتلك الايام التي عذب فيها الامم السالفة المكذبة بنبيها فاهلكناهم جميعا بانكارهم ما انتظروا ينتظرون ذلك العذاب فلم ينتظروا يعني فلم يؤمنوا يا محمد بالعذاب الذي معجل من ينتظر يعني لعلاكم قال الربيع بن انس يخوفهم عذابه ونقمته ثم اخبر انهم

انما اذا وقع

انه اذا وقع ذلك بهم انجى الله رسوله والذين معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا يعني
من الهلاك والعذاب كذلك حقا علينا ننج المومنين يعني كما نجينا رسلنا والذين معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد
والذين امنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسول
والمومنين من العذاب واجب وما جيب عن هذا بانه حق واجب بحيث الوعد والحكم لا انه واجب بسبب الاستحقاق
لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا قوله تعالى قل يا ايها الناس الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهولاء
الذين ارسلتك اليهم فشكوا في امرك ولم يومنوا بك ان كنتم في شك من ديني يعني الذي ادعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم
في امره صلى الله عليه وسلم لما راوا الايات التي كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان
كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا ينبغي لكم ان تشكوا فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام
التي لا اصل لها البتة فان اصررتم على ما انتم عليه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله يعني هذه الاوثان وانما وجب
تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية التعظيم بالمعبود فلا تليق لاخس الاشياء وهي الحجارة التي كانت لا تنفع من عبدها
ولا تضر من تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحياء وهو قوله ولكن اعبد الله الذي يتوا كم
والحكمة في وصف الله عز وجل في المقام بهذه الصفة لان الذي يستحق العبادة فاعبده انا وانتم هو الذي خلقكم اولا ولم تكونوا
شيئا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثانيا فاكتفى بذكر الوفات تنبيها على الباقي وقيل لما كان الموت اشد الاشياء على
النفس ذكر في هذا القيام ليكون اقوى في الزجر والورع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب اجابهم بقوله ولكن اعبد
الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصري عليكم وامرت ان اكون من المومنين يعني وامرني ربي ان اكون من المصدقين بما جاء
من عنده وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب وان اقم وجهك للدين
حنيفا الواو في قوله وان واو عطف معناه وامرت ان اقم وجهك يعني قم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما عليه
غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه اقم عملك على الدين الحنيف غير مايل وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف
نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيف غير مايل عنه ولا تكونن من المشركين ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه غيره فيهلك
وقيل ان النهي عن عبادة الاوثان قد تقدم في الاية المتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زايد وهو ان من عرف الله عز وجل
وعرف جميع اسمايه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي
تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفي ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك يعني ان عبدته ودعوته ولا يضرك يعني ان تركت عبادته
فان فعلت يعني ما نهيتك عنه فعبدت غيري موضعها وهذا الخطاب او طلبت النفع ودفع الضر من غيري فانك اذا
من الظالمين يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم
فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع ايها الانسان من دون الله ما لا ينفعك
الاية قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر يعني وان يصبك الله بشدة وبلاء فلا كاشف له يعني لذلك الضر الذي انزله بك
الا هو وان يردك بخير يعني بسعة ورخاء فلا راد لفضله يعني فلا دافع لرزقه يصيب به يعني بكل واحد من الضر والخير
من يشاء من عباده وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان
جميع الكاينات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى
ختم الاية بقوله وهو الغفور الرحيم وفي الاية لطيفة اخرى وهي ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر امساس
الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما
ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على رده لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده
وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب عباده الرحيم يعني بهم قوله تعالى قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
يعني القران والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من عند الله عز وجل فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه لان نفع
ذلك يرجع اليه ومن ضل فانما يضل عليها اي على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتداء في الازل انتفع ومن حكم
عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشيء ابدا وما انا عليكم بوكيل يعني وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس هذه الاية
منسوخة بداية السيف واتبع ما يوحى اليك يعني الامر الذي يوجبه الله اليك يا محمد واصبر يعني على اذاء من

BULAC

خالد من عمار مكة حتى يحل الله يعني فتصرف عليهم والكفار دينه ويقتل المشركين وآخذ الجزية من أهل الكتاب وغيرهم أو الصغار لهم ولعوجي الحاكمين أي لعيسى سورة يونس والله أعلم بمراده وأسرار كتابه تفسير سورة هود عليه السلام وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس أنها مكية غير آية وهي قوله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هي مكية إلا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وقوله أفأنتم له منكرون به وقوله إن الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون آية وألف وتسعمائة وتسعة وتسعون كلمة وألف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل إليك الشيب قال شيبتني هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب تشيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السورة المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بمراد النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر كتاب أحكمت آياته قال ابن عباس لم ينسخ في كتاب كما نسخت به الكتب والشرائع ثم فصلت يعني ثم بينت قال الحسن أحكمت آياته بالأمر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وروي عنه بالعكس قال أحكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالأمر والنهي وقال قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلت بعلم بين الحلال وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكمها الله تعالى فليس فيها تناقض ثم فصلت وبينها وقيل معناه فصلت آياته نظم رصينا محكما ليس لأحد فيه نقض ولا خلل البتة المحكم الذي ليس فيه متشابه ثم فصلت آياته بسور سورة سورة وقيل إن آيات هذا الكتاب الفعل التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكذلك الآيات خلقه السموات ثم فصلت بدلائل الأحكام والمواعظ والقصص والإخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بعضها من بعض وميزت وثم في قوله ثم فصلت ليست هي للترتيب في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وإن قلت كيف قال الآيات تعم الإحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات قلت إن الإحكام الذي عم به تعني الذي ضرب هنا ذلك القبيل تعني أنه لا يتطرق إلى آياته التناقض والفساد كإحكام البناء وإن هذا الكتاب جميعه سمي الكتب المتقدمة عليه والمراد بالإحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات إن بعض آياته منسوخة نسخها بآيات هنا أيضا لم ينسخها وقيل أحكمت آياته أي معظم آيات الكتاب محكمة وإن كان قد دخل النسخ على البعض وأجري الكل على الأعم لأن الحكم للغالب وأجرى الكل على البعض مستعمل في كلام العرب تقول العرب خلق فلان كعلم زيد وإن اختلف بعضه وقوله تعالى من لدن حكيم يعني أحكمت آيات الكتاب عن عند حكيم في أفعاله خبير يعني بأحوال عباده وما يصلحهم ألا تعبدوا إلا الله هذا معطوف على ما قبله معناه كتاب أحكمت آياته ثم بينت ألا تعبدوا إلا الله والمراد بالعباد في التوحيد وخلع الأنداد والأصنام وما كانوا يعبدون والرجوع إلى الله تعالى والعمل بطاعته والدخول في جملة المسلمين إنني لكم منه أي قل يا محمد إنني لكم من عند الله نذير تنذركم عقابه إن كفرتم به وبشير يعني وأبشركم بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأخلص العمل لله وحده وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه اختلفوا في بيان الكلمتين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة ثم توبوا ثم ارجعوا إليه لأن الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من الشرك أو معصية إلى خلاف ذلك فطلب الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا إليه في المستقبل وقال الفراء ثم ههنا بمعنى الواو أي وان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتأكيد يمتعكم متاعا حسنا يعني إنكم إذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل يبسط عليكم من الدنيا وانسياب الرزق ما تعيشون فيه في أمن وسعة وخير قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور إلى أجل مسمى يعني يمتعكم متاعا حسنا إلى الموت وقت انقضاء آجالكم قال قتادة وقد ورد في الحديث أن الدنيا بحر والمؤمن وجنة الكافر وقد تضيق على الرجل بقدر حتى لا يجد ما يبلغه لفقه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قول يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى قلت أما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر بالنسبة إلى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فإنه سجن في الدنيا حتى يعطى ذلك المقدار وأما كون الدنيا جنة الكافر فبالنسبة إلى ما أعد الله له في الآخرة وأما ما يضيق على الرجل المؤمن

بعض الأوقات

في بعض الاوقات انما ذلك لاجل ما هم فيه من الدرجات وتكفير السيئات وبيان الصبر عند المصيبات بعلو هذا يكون الموت في جميع احواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع احواله وقوله تعالى ويؤت كل ذي فضل فضله اي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الاخرة قال ابو العالية من كثرت حسناته في الدنيا زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات وان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود لعلك من غلب احاد اعشاره وقيل معنى الاية من عمل لله وبفضله الله في المستقبل لكافته وان تولوا اي وان اعرضوا عما جيء به من الهدى فاني اخاف عليكم اي قيل لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي عذاب النار في الاخرة الى الله مرجعكم اي في الاخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته وهو على ما يشاء قدير يعني من ابطال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الاخرة قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنطق وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب ويكيد بقلبه على ما بيناه نزلت الا انهم يثنون صدورهم اي يخفون في صدورهم من الشحناء والعداوة من شيء الثوب اذا كويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ راسه وغمى وجهه كيلا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يجنون صدورهم كيلا يسمعوا كتاب الله وما ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره وينعطف بثوبه ويقول اعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم اي يضمون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني ليستخفوا منه يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما الا حين يستغشون ثيابهم يعني يغطون رؤوسهم ويستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ومعنى الاية على ما قاله الكلبي هو ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يخفى عليه حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس بغير هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في ادب المفرد عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سمع ابن عباس يقرأ الا انهم يثنون صدورهم قال فسألته عنها فقال كان ناس يستحيون ان يتخلوا الى السماء وان يجامعوا فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم قوله تعالى وما من دابة في الارض الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل ذي اربع من الحيوان على سبيل الغلبة والمراد منه الاطلاق ليدخل فيه الادمي وغيره من جميع الحيوان الا على الله رزقها يعني هو المتكفل برزقها تفضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان لم تبلغ الم يرزق وقيل ان الكفلة على بعض من لم يرزقها قال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله ورب لم يرزقها فترتجوعا ويعلم مستقرها ومستودعها قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي اليه ليلا او نهارا ومستودعها المكان الذي تدفن فيه قبل الموت وقال ابن مسعود مستقرها ارحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة او النار والمستودع القبر كل في كتاب مبين اي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ فيعلم كل احد فلما ذكر خلقها قوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله الدنيا فوتة خضراء ثم نظر اليها فصارت ماء ترتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على القاء وقال غيره ان الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ذلك الكتاب تحت العرش وقيل ان خلق ذلك قبل خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الماء على اي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان الذي كان قبل ان يخلق الله السموات والارض بخمسمائة عام هباءة الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم فتق منه سبع سموات في يومين ثم اخذ كثيفة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منه ثم خلق الارواح في يومين والسموات في يومين ثم برزخ اختار الخلق في اليوم السابع قال ابن عطاء القلم وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء دليل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا اسس على ارض ملساء لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا ايضا على كمال قدرة الله تعالى خاتمة عمر بن حصين قال دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فاتاني ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئناك لنتفقه في الدين ونسألك عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شيء فقبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض

وكتب في الذكر كما تقدم ثم أتاه رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك بفدافهبت فإنها تكلفت أطلبها فإذا السراب يقطع دونها فأيم الله لوددت أنها ذهبت ولم تأتني فقال عمران بن الحصين فقلت يا رسول الله أيزكان أولنا قبل أن يخلق خلقه فقال كان ثم قال تحت هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي وقال أحمد بريد أي ليعتبر معه شيء قال أبو بكر البيهقي في كتابه الأسماء والصفات فوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا الهواء ولا غيرهما بجميع ذلك غير الله وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وقوله ثم خلق جدته يعني معدوداً فإن كان في الأصل معدود فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله يعني أي فوق سحاب مدبر الهم وطبقاً عليه كما قال وانشقت السماء يعني من فروق السماء وقال الأصمعي يقال جذع النخل يعني عاجذ وعلى وقوله ما فوقه هواء وما تحته هواء أي ليس فوق الماء الذي هواء شيء موجود لا فوقه هواء ولا تحته هواء لأن ذلك إذا كان غير شيء فليس بثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروي صاحب الغريبين قال بعض أهل العلم معناه أن كان عرشه ربنا تبارك وتعالى بجذب السحاب اختصار القول واستدل الهروي ببدل على ذلك قوله وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الأثير الجذب في اللغة السحاب الرقيق وقيل الخشيب وقيل هو الضباب والجد في الحديث من جذب مضاب تفسيره أيزكان عرشه ربنا تبارك وتعالى بجذب قوله على هذا المجاز وقوله تعالى وكان عرشه على الماء وكذلك في غير موضع من القرآن هو على ما أراد به العلم وقال الأزهري قال أبو عبيد إنما تأولنا هذا الحديث على هذا الوجه المعقول عندهم والله أعلم بالكيفية كان ذلك القول قال الأزهري فنحن نرويه ونثبته بصفة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وكان عرشه على الماء رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة وأبي أمامة وأبي عبد الله بن عمرو بن العاص وفي رواية قدر الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء خمسين ألف سنة قوله قدر يريد تعالى المقادير لأنه كان فتشقوا فيقدر منه كان الله تعالى عز ذلك علماً كبيراً لا يتشاغل شأن عن شأن فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وقوله تعالى ليبلوكم يعني ليختبركم وهو أعلم بكم منكم أيكم أحسن عملاً يعني بطاعة الله وأورع عن محارم الله ولئن قلت يعني ولئن قلت يا محمد للقوم الكفار من قومك إنكم مبعوثون من بعد الموت يعني للحساب والجزاء ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين يعني القرآن ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة يعني إلى أجل محدود وأصل الأمة الجماعة من الناس ثم قيل لكل واحد ممن تقوم به أمة وقيل أمة أخرى يقولون ما يحبسه يعني أي شيء يحبس العذاب وإنما يقولون ذلك استعجالاً بالعذاب واستهزاء يعنون أنه ليس بشيء قال الله عز وجل ألا يوم يأتيهم يعني العذاب ليس مصروفاً عنهم أي لا يأتيهم فيه ما يمنعهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون يعني ونزل بهم وبال استهزائهم كقوله تعالى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة يعني رخاء وسعة في الرزق والعيش ويسكنا عليه من الدنيا ثم نزعناها منه يعني سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به إنه ليئوس من رحمة الله يعني يقل فنقطع من رحمة الله أيأس من كل خير كفور لما جحود لنعمتنا عليه أولاً قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكر وانتجدها فإن نزعت عنك فينبغي لك أن تصبر وتثابر من رحمة الله بأنه المعوّد عباده بالخير وقوله تعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته يعني ولئن نحن أنعمنا على الإنسان فبسطنا عليه من العيش ليقولن يعني الذي أصابه الخير والسعة ذهب السيئات عني يعني ذهب الشدائد والعسر والضيق وإنما قال ذلك جهلاً بالله عز وجل وجرأة عليه لأنه لم يضف الأشياء كلها إلى الله وإنما أضافها إلى الفوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال إنه لفرح فخور يعني أنه أشر بطر فرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التكاثر والتطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه ثم استثنى فقال تعالى إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فإنهم ليسوا كذلك فإنهم إن نالتهم شدة صبروا وإن نالوا نعمة شكروا عليها أولئك يعني من هذه صفته لهم مغفرة يعني لذنوبهم وأجر كبير يعني الجنة قوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك يا محمد مزيغ أن تبلغ كل ما من أمرك أن تبلغه إليهم وتأبى به صدرك يعني ويضيق صدرك بما يوحى إليك ولا تبلغه إياهم وذلك أنهم قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا وعيبها فإن لم تفعل لنأخذن بعض ما تخوفنا به من العذاب فنزلت هذه الآية أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز يعني هلا أنزل عليه كنز يستغني به عن التكسب أو جاء معه ملك يصدقه فيما يقول وقيل لولا أنزل عليه كنز من السماء فيعلمنا ما يعجبنا من أمر الدنيا فنستغني به إنما أنت نذير يعني ما عليك إلا أن تنذرهم وليس عليك أن تأتي بما اقترحوا عليك من الآيات والله على كل شيء وكيل يعني حفيظ فيجازيهم على أعمالهم أم يقولون افتراه يعني محمداً افترى القرآن من تلقاء نفسه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات يعني كما افتريت أنا هذا القرآن فإنكم عربي مثلي وأنا أمي لا أكتب ولا أقرأ وأنتم تقدرون على الافتراء فافتروا أنتم عشر سور مثل ما افتريت أنا وادعوا من استطعتم من دون الله يعني من أحببتم من آلهتكم إن كنتم صادقين أن هذا مفترى فإن لم يستجيبوا لكم يعني فإن لم يأتوا بما تطلبون منهم من المعارضة فاعلموا أنما أنزل بعلم الله يعني أن القرآن منزل من عند الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون يعني مخلصون لله بالتوحيد والإيمان بالقرآن من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها يعني من كان يريد بأعماله الدنيا وطلب زينتها نوف إليهم أعمالهم فيها يعني نوصل إليهم ثواب أعمالهم في الدنيا وهم فيها لا يبخسون يعني لا ينقصون شيئاً مما عملوا من خير أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها يعني ذهب ما عملوا في الدنيا من الخير لأنهم لم يريدوا به وجه الله وباطل ما كانوا يعملون يعني ما كانوا يعملون في الدنيا لغير الله فهو باطل لا ثواب له أفمن كان على بينة من ربه يعني أفمن كان على بيان من ربه وهو الدين الحنيف ويتلوه شاهد منه يعني ويتلو ذلك البيان شاهد من الله وهو جبريل عليه السلام ومن قبله كتاب موسى يعني ومن قبل القرآن كتاب موسى إماماً ورحمة يعني يؤمون به في الدين ويرحمون به أولئك يؤمنون به يعني أولئك المؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الأحزاب يعني من أهل مكة ومن تحزب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يعني مصيره إليها فلا تك في مرية منه يعني في شك من القرآن أنه من الله تعالى إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون يعني بأنه من الله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً يعني لا أحد أظلم ممن كذب على الله فقال إن الله لم يأمرني بهذا أولئك يعرضون على ربهم يعني يوم القيامة ويقول الأشهاد يعني الملائكة الذين كتبوا أعمال العباد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين يعني المشركين الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس عن دين الله ويبغونها عوجاً يعني يطلبون لدين الله زيغاً وميلاً وهم بالآخرة هم كافرون يعني بالبعث بعد الموت أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض يعني لا يفوتون الله هرباً وما كان لهم من دون الله من أولياء يعني من أنصار يمنعونهم من عذاب الله يضاعف لهم العذاب يعني يزاد لهم العذاب على كفرهم ما كانوا يستطيعون السمع يعني ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا الحق لشقاوتهم وما كانوا يبصرون يعني الهدى لأنهم لا يريدونه أولئك الذين خسروا أنفسهم يعني غبنوا أنفسهم بالشقاء وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يعبدون من دون الله تعالى لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون يعني أشقى الناس في الآخرة إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم يعني وأنابوا إلى ربهم وقيل خافوا ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون يعني لا يموتون ولا يخرجون مثل الفريقين يعني الكافر والمؤمن كالأعمى والأصم والبصير والسميع يعني الكافر كالأعمى عن الحق والأصم عن سماعه والمؤمن كالبصير للحق والسميع له هل يستويان مثلاً يعني لا يستوي الكافر والمؤمن أفلا تذكرون يعني أفلا تتعظون فتعلمون أن الكافر والمؤمن لا يستويان ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين يعني بين الإنذار أن لا تعبدوا إلا الله يعني وقلنا له أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم يعني موجع فقال الملأ يعني الأشراف والرؤساء الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا يعني في الخلق والصورة وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا يعني سفلتنا وفقراءنا وضعفاءنا بادي الرأي يعني ظاهر الرأي وما نرى لكم علينا من فضل يعني في الدين والدنيا بل نظنكم كاذبين يعني في دعواكم الرسالة قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي يعني على بيان من ربي وآتاني رحمة من عنده يعني النبوة فعميت عليكم يعني فخفيت عليكم النبوة فلم تعرفوها أنلزمكموها يعني أنجبركم على قبولها وأنتم لها كارهون يعني لا تريدونها ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً يعني على تبليغ الرسالة إن أجري إلا على الله يعني ما ثوابي إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا يعني كما سألتموني إنهم ملاقوا ربهم يعني في الآخرة ولكني أراكم قوماً تجهلون يعني أنهم خير مني ويا قوم من ينصرني من الله يعني من يمنعني من عذاب الله إن طردتهم أفلا تذكرون يعني أفلا تتعظون ولا أقول لكم عندي خزائن الله يعني أموال الله أعطاني دونكم حتى تستغنوا بها عن اتباعي ولا أعلم الغيب يعني ما غاب عني حتى أخبركم بما يكون ولا أقول إني ملك يعني من الملائكة ولا أقول للذين تزدري أعينكم يعني تحتقرهم أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً يعني في الدنيا الله أعلم بما في أنفسهم يعني من الإخلاص والإيمان إني إذاً لمن الظالمين يعني إن قلت ذلك قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا يعني خاصمتنا فأطلت خصومتنا فأتنا بما تعدنا يعني من العذاب إن كنت من الصادقين يعني فيما تقول قال إنما يأتيكم به الله إن شاء يعني العذاب إن شاء أن يعذبكم به وما أنتم بمعجزين يعني بفائتين الله ولا يمنعكم منه أحد ولا ينفعكم نصحي يعني إرشادي وبياني إن أردت أن أنصح لكم يعني إن أردت أن أدعوكم إلى الخير إن كان الله يريد أن يغويكم يعني يضلكم عن الهدى هو ربكم وإليه ترجعون يعني في الآخرة أم يقولون افتراه يعني محمداً افترى القرآن من تلقاء نفسه قل إن افتريته فعلي إجرامي يعني إن كذبت فعلي عقوبة إجرامي وأنا بريء مما تجرمون يعني من الشرك وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس يعني فلا تحزن بما كانوا يفعلون يعني من التكذيب واصنع الفلك يعني السفينة بأعيننا يعني بمرأى منا ووحينا يعني وأمرنا ولا تخاطبني في الذين ظلموا يعني لا تسألني في الذين كفروا إنهم مغرقون يعني بالطوفان ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه يعني استهزؤوا به قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم يعني نستهزئ بكم كما تستهزئون بنا فسوف تعلمون يعني عند نزول العذاب من يأتيه عذاب يخزيه يعني يفضحه ويهينه ويحل عليه عذاب مقيم يعني دائم حتى إذا جاء أمرنا يعني عذابنا وفار التنور يعني نبع الماء من التنور وكان التنور وجه الأرض وقيل كان تنور آدم فصار إلى نوح وقيل كان تنور حواء فصار إلى نوح قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين يعني من كل صنف ذكر وأنثى وأهلك يعني واحمل أهلك إلا من سبق عليه القول يعني بالهلاك منهم ومن آمن يعني واحمل من آمن وما آمن معه إلا قليل يعني كانوا ثمانين رجلاً وامرأة وقال وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها يعني إجراؤها وإرساؤها بالرفع والفتح قراءتان إن ربي لغفور رحيم يعني لمن تاب من الشرك وهي تجري بهم في موج كالجبال يعني كالسحاب ونادى نوح ابنه وكان كافراً وكان اسمه كنعان وقيل يام وقيل يا ماخ وقيل يا ماخين وقيل يا ماخيل وقيل يا ماخيا وقيل يا ماخيان وقيل يا ماخيا وقيل يا ماخيا وقيل يا ماخيا

ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثاني ان قوله تعالى لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه تعالى
لما قال في الآية المتقدمة واذعوا من استطعتم من شهدائكم الله قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم ايها الكفار
ولم يعينوكم ياعلموا انما انزل بعلم الله وان ليس معبود غير الله بل لما انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وازلك الله
هو يعني الذي انزل القرآن هو الذي الذي لا اله الا هو الا من تعرون من دونه فهل انتم مسلمون فيه معنى الامر اي
اسلموا واخلصوا لله العبادة وانما دخلت مع الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان مع قوله فهل انتم مسلمون الترغيب
والحث والامر على ما انتم عليه من الاسلام قوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها يعني بعلمه الذي يعلم من
اعمال البر تزلف به وان عمل عملا يبتغي به غير الله عز وجل نوف اليهم اعمالهم فيها يعني اجر اعمالهم التي عملوا
لطلب الدنيا وذلك ان الله عز وجل يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاره في الدنيا وما اشبه ذلك وهم فيها لا
يبخسون يعني انهم لا ينقصون من اجر اعمالهم التي عملوها في الدنيا بل يعطون اجر اعمالهم في الدنيا كاملة
موفرة اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من اعمال
البر وباطل ما كانوا يعملون لانهم لم يريدوا بها وجه الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن انس انها في اليهود
والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا يعني تقوى يعني اهل الشرك اعطي على ذلك اجرا في الدنيا وهو
ان يصل رحما او يعطي سائلا او يرحم مضطرا ونحو هذا من اعمال البر يعجل الله ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة
والرزق ويقيه عنه بها حوله ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ويدل على هذا القول سياق الآية وهو
قوله اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يغزون
يغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم كانوا كما يزعمون ثواب الآخرة وقيل ان حمل الآية على العموم نزلت يندرج الرياء
والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعة واعمال البر على وجه الرياء والسمعة فالآية في حق هذه
الآية هم اهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا
ان تلك الاعمال الباطلة لعمله اذا ما تت يعني الله تعالى استحق بها عليه الوعيد الشديد وهو عذاب
النار ويدل على هذا ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى
انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه اخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد
عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا
بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله ما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من
يدخله قال القراء المراؤون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انا نخوف ما اخاف عليكم
الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء اخرجه بغير سند والرياء هو ان يظهر الانسان اعماله الصالحات ليحمده
الناس عليها ويتعمد ذلك الصلاح او ليقصد به الاعمال فهذا العمل الذي هو لغير الله نعوذ بالله من الخذلان قال البغوي وقيل
هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها اما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها
في الآخرة وروينا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة واما
الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا اخرجه البغوي بغير سنده قوله تعالى افمن كان
على بينة من ربه الفاء في الآية الثانية عاطفة على الآية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله
وجه الله والدار الآخرة فقال تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة الا النار وانما حذف
هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه افمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون كمن هو في ضلالة
وكفر والمراد بالبينة الدين الذي امر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعني انه على يقين من ربه انه على الحق ويتلوه
اي يتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة
والضحاك واكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد ان جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن

وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعني علي بن ابي طالب رضي الله عنه انت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال ودت اني هو ولكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان لسان هو الة البصل والبيان وبه تتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحرسه النبي صلى الله عليه وسلم ويشده وقال الحسن ابن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه تشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه اعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو الملك الى محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه تلا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تاما من رجل من بني آدم وقد نزلت فيه الآية والله ان قال رجل وانت ايها نزلت فيك فقال علي ما تفقأ الدنيا الى يوم القيامة ويتلوه شاهد منه يعني هذا القول يكون الشاهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالتفسير هذا الشاهد وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه لانه آله بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى انه يجيء القرآن بتصديق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن وقوله تعالى ومن قبله يعني ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم كتاب موسى يعني التوراة اماما ورحمة يعني انه امام لهم يرجعون اليه في امور الدين والاحكام والشرايع وكونه رحمة لانه النجاة من الضلال وذلك بسبب حصول الرحمة وقوله تعالى اولئك يؤمنون به يعني ان الذين وصفهم الله بالنعم على البينة من ربه نعم المشار اليهم بقوله اولئك يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين اسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن يكفر به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم من الاحزاب يعني جميع الكفار واصحاب الاديان المختلفة ليدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء فالنار موعده يعني في الاخرة روى البغوي بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار قال سعيد بن جبير تلا هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي احد من هذه الامة الحديث قال سعيد فبلغت ابن عباس فما انتهى حتى اتيت على هذه الاية ومن قبله كتاب موسى الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فما الاحزاب اهل الملل كلهم ثم قال تعالى فلا تك في مرية منه انه الحق الآية فيه قولان احدهما ان معناه فلا تك يا محمد في شك من هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله تعالى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى او يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في شك من ان النار موعد من كفر من الاحزاب والخطاب وان كان في ظاهره للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكا قط ويعضد هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون يعني لا يصدقون بما اوحينا اليك ومن اوعده الكفار بالنار فقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني اي الناس اشد تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا بان زعم انه بعثني نبيا او نزل عليه وهو لم ينزل عليه دليل على ان الكذب على الله من اعظم انواع الظلم لان قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ورد في معرض المبالغة اولئك يعني المفترين على الله الكذب يعرضون على ربهم يعني يوم القيامة فيسئل عنهم النبي والذين ويقول الاشهاد يعني الملائكة الذين يحفظون اعمال بني آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يعني في الدنيا وهذه البضعة تكون في الاخرة لكل من كذب على الله الا لعنة الله على الظالمين يعني يقول الشهداء يوم القيامة هذا فلان بن فلان ليفضحوه ويكبتوه فهم رجعته فاعمى صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمان اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه يقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب مرتين فيقول سترتها عليك وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادي بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله هذه الاية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الكاذبين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول في دين الله الذي هو الاسلام ويبغونها عوجا يعني ويطلبون لها في قلوب الناس وتعويج الدلايل الدالة على صحة دين الاسلام

وهم بالاخرة هم كافرون يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت منكرون له اولئك يعني
من هذه صفته لم يكونوا معجزين في الاخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني سابقين وقيل فائتين وقيل في الارض والمعنى لا يعجزون
الله اذا اراد هم بالعقاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم وما كان لهم
من دون الله من اولياء يعني وما لهؤلاء الصنف الكفار من انصار يمنعونهم من الله اذا اراد بهم سوءا وعذابا
يضاعف لهم العذاب يعني في الاخرة بزيادة عذابهم بتضعيف صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به وعمي لا يبصرون
خيرا ويأخذوا به وقال ابن عباس رضي الله عنهما اخبر الله انه احال بين اهل الشرك وبين طاعته في الدنيا وفي الاخرة اما في الدنيا فانه قال
ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون واما في الاخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة ابصارهم
اولئك الذين خسروا انفسهم يعني ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة
الله وضاع عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل كذبهم وافكهم وبريتهم على الله وادعاؤهم انه للملائكة والاصنام
تشفع لهم لا جرم يعني حقا وقال ابو العالية لا محالة انهم في الاخرة هم الاخسرون لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا
عوضها منازلهم في النار وهذا هو الخسران المبين فوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الاخرة اتبعه بذكر احوال المؤمنين في الدنيا ومرجعهم
في الاخرة والاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وكل بقعة الغلب وكل الاخبات يتعدى بالى وباللام فان قلت
اخبت جاء في الكلام بمعناه كما ان اليه واذا قلت اخبت له بمعناه خشع وخضع له وقوله ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح وقوله واخبتوا اشارة الى اعمال وهي الخضوع والخشوع لله عز وجل وان هذه
الاعمال الصالحات لا تنفع في الاخرة الا مع اعمال القلب وهي الخشوع والخضوع فاذا بشرنا الاخبات بالكلمة تبين كان معنى
الكلام انهم يأتون بالاعمال الصالحة مخلصين الى حد فوعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال الصالحة او يكونون مخلصين
الى ذكر الله سبحانه وتعالى واذا بشرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين
ان لا تكون مقبولة وهي الخشوع والخضوع اولئك يعني الذين هذه صفتهم اصحاب الجنة هم فيها خالدون اخبر عن حالهم
في الاخرة بانهم من اهل الجنة التي لا انقطاع لنعيمها والازواج قوله عز وجل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
لما ذكر الله سبحانه وتعالى احوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الحق ومن الصمم عن سماعه وذكر احوال المؤمنين
وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة وضرب لهم مثلا فقال تعالى مثل الفريقين يعني مثل الفريق المؤمنين وفريق الكافرين
كالاعمى وهو الذي لا يهتدي لرشده والاصم وهو الذي لا يسمع شيئا البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشياء على
حقيقتها والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويجيب الداعي فمثل المؤمن الذي يسمع ويبصر وهو العامل بقضيته ومثل
الكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو المخالف لقضيته هل يستويان مثلا قال البر لم يقل يستوون لان الاعمى والاصم
في حيز كل واحد وهما من وصف الكافر والسميع والبصير في حيز كل واحد وهما من وصف المؤمن افلا تذكرون يعني فتتعظون
قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين يعني ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين ارسله الله اليهم اني لكم ايها
القوم نذير بين من النذارة احذركم من العقاب من خالف امر الله وغير غيره وهو قوله ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم يعني مؤلم موجع قال ابن عباس رضي الله عنهما بين يدي نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة سنة وخمسين وعاش بعد
الطوفان ستين سنة فكان تمام العمر ستة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل ابن خمسين سنة وقيل ولد له
ابن مائتي سنة فمكث يدعو قومه تسعمائة سنة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان تمام العمر ستة
واربعمائة وخمسين سنة فقال الملا الذين كفروا من قومه يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح ما نراك يعني يا نوح الا بشرا مثلنا
يعني آدميا مثلنا لا فضل لك علينا لا تفاوت الحاصل بين احاد البشر يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة
على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول ان يبلغ الامة بالدعوة
الى الله بإقامة الدلائل والبراهين على ذلك ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يأتي ذلك الا من اختاره الله بذلك اكرمه الله بنبوته وارسله الى عباده ثم قال الاخبار عن قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعني سقلتنا

الرذال الدون

الرذالة دون من كان شريفا فيلزمهم الحاكة والاساكفة واصحاب الصنايع الخسيسة وانما ذكر جملة منهم ايضا لان الرفعة في الدنيا ومتابعة الرسل لا تكون بالشرف والمال والمناصب العالية بل الضعفاء الخاملين وهم اتباع الرسل ولانهم خمسة صنايعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين يأدي الى الرأي يعني انهم اتبعوك كما هو من غير ان تبحث وابا الهنا وما نرى لكم علينا من فضل يعني بالمال والشرف والجاه وهذا القول ايضا جهل منهم لان الفضيلة عند الله الايمان والكفاءة لا بالشرف والرياسة بل نظنكم كاذبين فيما خاطب نوح ومن امن معه من قومه قبل نوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد وهو على سبيل التعظيم قال نوح يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي يعني على بيان ويقين من ربي بالذي انذركم به وآتاني رحمة من عنده يعني نبوة وهي النبوة فعميت عليكم اي خفيت والتبست عليكم انلزمكموها ان لم تريدوها والمعنى انلزمكم ايها القوم قبول الرحمة يعني انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند انفسنا وانتم لها كارهون وهذا استفهام معناه الانكار اي لا نقدر على ذلك والذي اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس لي ان اضطركم الى ذلك فالاضافة الى الله لو استصحاب بني لالزمكموها قومه ولكنه لم يملك ذلك ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا وذلك انهم طلبوا من نوح ان يطرد الذين امنوا وهم الاراذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك لانهم فيما يظهر منهم مخلصون انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون يعني عظمة الله تعالى ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون هؤلاء المؤمنين خيرا منكم ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم يعني من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم يعني انهم مؤمنون مخلصون افلا تذكرون يعني تتعظون ولا اقول لكم عندي خزائن الله هذا جواب قولهم ولا اسئلكم عليه مالا ولا اقول لكم عندي خزائن الله يعني التي لا يعلمها غيري فاجازيكم بها على ايماني واتباعكم اياي ولا اعلم الغيب يعني ما غاب عني مما يسرونه في انفسهم فيسبيل فيما بيني وبينهم ولا اقول اني ملك وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا اي لا ادعي اني من الملائكة بل انا بشر مثلكم ادعوكم الى الله وابلغكم ما ارسلت به اليكم فضل استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء فانه لو كان نوح عليه السلام افضل لقال ولا اقول لكم اني ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعي شيئا وكذا لا يحسن الا اذا كان الشيء الذي اشرف وافضل من احوال ذلك الغير فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب ان يكون الملك افضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة جوابا لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم ان الرسول لا يكون من البشر بل يكون من الملائكة فأعلمهم ان هذا الظن باطل وان الرسول الى البشر انما يكون من البشر فلهذا قال ولا اقول اني ملك ولم يرد ان درجة الملائكة افضل من درجة الانبياء والله اعلم قوله تعالى ولا اقول للذين تزدري اعينكم يعني تحتقرونهم تستصغر اعينكم يعني المؤمنين وذلك لما قالوا انهم اراذلنا من الرذالة وهي الخسة لن يؤتيهم الله خيرا يعني توفيقا وهداية وايمانا واجرا الله اعلم بما في انفسهم يعني من الخير والشر انا اذا لمن الظالمين يعني انكم تهمونهم بالكذب في ظاهرهم ومثبطا لايمانهم يعني ان فعلت هذا فاكون قد ظلمتهم وانا لا اعلم بما انا من الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا يعني خاصمتنا فاكثرت جدالنا يعني خصومتنا فاتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني في دعواك انك رسول الله قال انما يأتيكم به الله يعني قال نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الي انما هو الى الله ينزله متى شاء وعلى من يشاء وما انتم بمعجزين يعني بفائتين ان اراد انزال العذاب بكم ولا ينفعكم نصحي يعني ولا ينفعكم انذاري وتحذيري اياكم غفرانه ونزول العذاب بكم ان اردت ان انصح لكم يعني ان اردت ان ابين لكم ان الله يريد ان يغويكم يعني يضلكم ويهلكم وقيل يعذبكم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدي الى الهلاك هو ربكم يعني انه صانعكم ومليككم وبالقدرة على الخروج من تحت ملكه واليه ترجعون يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم ام يقولون افتراه يعني اختلق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاء به قل ان افتريته فعلي اجرامي اي ان اختلقته فعلي جزاء اجرامي والاجرام اقتراف السيئة وانا بريء مما تجرمون يعني من الكفر والتكذيب واكثر المفسرين على ان هذه من تمام قصة نوح وقوله فعلي اجرامي اقتراف السيئة يعني العشر التي كانت بمكة افتراه يعني محمد صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون الآية معترضة في قصة نوح ثم رجع الى القصة بقوله تعالى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن حتى تسوء بما يفعلونه به بيت يكفون انه قد مات فخرج في اليوم الثالث ويدعو الى الله وروي ان شيخا منهم جاء متوكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني

انك هذا الشيخ المجنون فقال الشيخ شجة منكرة فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس يعني فلا تحزن عليهم
بما كانوا يفعلون يعني بسبب كفرهم وافعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا وحكى محمد بن اسحاق عن عبيد بن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا ليستهزون بنوح فيفتنونه حتى يقضي عليه فاذا قاموا قال
رب اغفر لقومي انهم لا يعلمون حتى تقادم به المعصية واشتد عليهم منهم البلاء وهو يستكين الى الجبل بعد الجبل والبلاء قرن الكافر اشد
الخلق من الذئب قبله والقرد كان بلاء القرن الذي منهم فكان هذا الشيخ مع ابائنا واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلوا منه شيئا فشكا
نوح عليه السلام الى الله عز وجل فقال رب انه دعوت قومي ليلا ونهارا الايات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله
اليه ان اصنع الفلك يعني السفينة والفلك جمع يكلق على الواحد والجمع بالعين قال ابن عباس بعراي منا وقيل بعلمنا وقيل
بحفظنا ووحينا وقيل بامرنا وايانا فسميت السفينة الذي صنع الفلك يعني بالكوفان والمعنى اصنع السفينة بامرنا واعيننا
واغلة بانهيها لكان مع الغرور وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها وانت بالفعال
له ان ربك يقول اصنع وانك باعيننا فاخذ الفدوم وجعل ينحرو الله يحكي مصنعها مثل موجز الكبير وهو قوله تعالى واصنع الفلك
يعني كما امره الله تعالى قال اهل السير لما امر الله نوحا بعمل السفينة اتى على عملها وكف عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب
الحديد ويهيء القار وكلما احتاج اليه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعظم الله ارحام النساء فلا تلد لهم ولدا وزعم
اهل التوراة ان الله امره ان يصنع الفلك من خشب الشاج وان يصنعها زورا وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله
ثلاثين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاثة اكباق سفلي ووسطى
وعليا وان يجعل بيوتا كما امره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة بسنتين وكان طولها ثلاث مائة
ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الشاج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن
الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى ومعهم ما يحتاج
اليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن انه كان طولها الف ذراع وماتي ذراع وعرضها سبعمائة
ذراع والقول الاول اشهر ان طولها ثلاثمائة ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة
تصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل السفينة نوح في ثلاثين سنة وروي انها ثلاثة اميال الطبقة السفلى للدواب والوحوش
والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثرت الدواب عليه وحتى انه نوح ان اغصر ذنب الفيل فمسحه بوضع
منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فخرج منه الفار فاقبلا على الروث فاكلوه فلما فسد الفار على السفينة فجعل يقرض
ويقرض حبالها فاوحى الله ان اضرب بين عينيه الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهي الفوة فاقبلا على الفار فاكلاه
فذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه يعني الجماعة من قومه سخروا منه يعني استهزؤا وامنوا به وذلك انهم
قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي صار نجارا وقيل قالوا يا نوح لما اتصنع قال اصنع بيتا يمشي على الماء فيضحكون منه يعني
نوح لقومه ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون يعني ان تستجهلونا في صنعنا فان نستجهلكم عند نزول عذاب الله بكم
فيما يوجب سخط الله وعذابه وان قالت الشعبية لما نسبوه الى الجنون بسبب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل المزاوجة في اللفظ كما في قوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها والمعنى ان ترغبوا سخرية منكم اذا انزل بكم العذاب وهو قوله فسوف تعلمون يعني ما تستوجبون به
يعني اياتيه الخزي وانتم عذاب مقيم يعني يقيمه وحل عليهم عذاب مقيم يعني في الاخرة والمراد بالعذاب الاول عذاب
الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار التي لا انقطاع لها قوله عز وجل حتى اذا جاء امرنا
وفار التنور يعني وغلا والتنور الفليان ومنه قارت القدر اذا غلت والتنور معرب لا تنور له العرب لعمما غير هذا وكذلك جاء في
القرآن بلغة اللغة فجرى مجرى ايما كيفما وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لسان عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور اصلا
اعجميا فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الياسمين ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهري هو
وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون فجعل يفور ان
التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال علي بن ابي طالب التنور اسم لكل وجه الارض وقال ابن عباس التنور
وقال الحسن وابو العالية والشعبي ان التنور هو الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس ايضا وهذا

الفرا ٤

الفوائد لان اللفظ دار بين الحقيقة والمجاز فكان حمله على الحقيقة اولى ولعل التنور حقيقة باسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب
حمل اللفظ عليه بان فاز الله والله يفيض التنور للقعود ليس فيها معهود سابق عند المخاطب فوجب حمله على غيره
وهو شدة الامر والمعنى اذا رايت الماء ينبع فاخبر به غيرك ومن معك فانه لا يبعد ان يكون ذلك التنور
معلوما عند نوح عليه السلام فقال الحسن كان التنور من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار الى نوح وقيل انما رايته الماء يفور
من التنور بادر به واحمله ثم اختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد بعد نبع الماء في التنور فعلمته به امراته فاخبرته وكان ذلك
في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي انما نوح السفينة بوجه مسجد
الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل من باب كندة كان فوران التنور علامة نوح عليه السلام وقال مقاتل كان فلق التنور تنور
آدم وكان بالقرب موضع يقال له عين وردة وروى عطية عن ابن عباس انه كان بالهند فاول الفوران الغليان فلما احملنا فيها يعني فلما
ادخل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين الزوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن الآخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما
زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وانثى يعني الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيده في كل جنس
منها فيقع الذكر بيده اليمنى والانثى بيده اليسرى فجعلها في السفينة واهل الا من سبق عليه القول يعني اهلك واحمل اهلك وولدك وعيالك
ممن سبق عليه القول يعني من الهلاك وهو ابنه كنعان وامراته واعلة وابنه كنعان ومن امن يعني واحمل معك من امن بك من
قومك وما امن معه الا قليل اختلفوا في عدد من حمل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب
القرظي لم يكن معه في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال
عكرمة كانوا تسعة نوح وبنوه وثلاث كنات له وقال محمد بن اسحاق وكانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام
وحام ويافث وستة نفر ممن آمن بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كان اثنين وسبعين نفسا رجالا ونساء وقال
ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم وقال الكلبي والضحاك من الطير في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل
وما آمن معه الا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد عددا يصفه او بلا ينبغي ان يجاوز في ذلك حد الله تعالى اذ لم يرد ذلك
في كتاب ولا نبي فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معنى ما
بين الرجال والنساء وقصد نوح جميع الطير والدواب والهوام فجعلها ازواجا قال ابن عباس اول ما احمل نوح الذرة واخر من حمل
الحمار فلما ادخل الحمار ان يدخل صدره تقدم ابليس بذنبه فلم تستقر رجلاه وجعل نوح يقول ويحك ادخل فيتقهقر
فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك فلما زلت عن لسانه فلما قالها نوح دخل فسبيل الحمار ودخل
ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما اخذك على ياعدو الله قال الم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج عني
ياعدو الله قال لا بد ان تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي قال الامام فخر الدين
الرازي اما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة بعيد لانه من الجن وهو جسم ناري وهو لطيف يعبر من الفرق
وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح والاولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروى عن بعضهم ان الحية
والعقرب انتا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك فقال نوح انكما تسببان البلاء فلا احملكما فمن ضمن منكما ان لا يضر
احدا ذكر منكما حملته فرأيتني بادرت انا فحملته على نوح في العالية وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة
الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك مما يتولد من الكبيس من خشارات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا قوله
تعالى وفار التنور قيل نبع يقال فار الماء يفور فورا وفورانا وقيل فار التنور علم لهم بالليل وقيل طلع الفجر يعني بلغ الماء اجازهم
وارتفع قال الضحاك كان نوح اذا اراد ان يجري السفينة قال بسم الله فتجري وان اذا اراد ان ترسو يعني تقف قال
بسم الله فترسو اذ تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغي له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت
الشروع حتى يكون ذلك سبب النجاح والفلاح في سائر الامور وقيل الفوح ما ارتفع من الماء اذا اشتدت
عليه الريح فشبه به الجبال في عظمه وارتفاعه على العقل قال العلماء بالسير ارسل السماء اربعين يوما وليلة وخرج الماء من
الارض بذلك فوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر فيه خرج الماء
خمسين يوما من السماء وخمسين من الارض وارتفع الماء على اعلى جبل في الارض اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى غرق
كل شيء وروي انه لما كثر الماء في السفينة خافت ان تغرق فالقت ثم جبة جبة حتى مشى بها الى الجارق

ثلثها لعنق الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الرفيتها
وقعت الصبي بين يديها حتى ذهب الماء بقي فارغ فقص فلم يرحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي ونادى نوح ابنه يعني كنعان
وكان كافرا وكان في معزل اي عن نوح لم يركب معه يا بني اركب معنا يعني في السفينة ولا تكن مع الكافرين يعني
بعقلك معهم قال اي قال كنعان سآوي يعني سآتي واصير الى جبل يعصمني يعني يمنعني من الماء قال اي قال نوح
لا عاصم يعني لا مانع اليوم من امر الله الا من رحم يعني من ركب السفينة يعني الآمن رحمه بنجيه من الغرق وحال بينهما الموج فكان
من المغرقين يعني كنعان وقيل اي بعد ما تناهى الطوفان وانحسر فقرر نوح يا ارض ابلعي ماءك اشربيه ويا سماء اقلعي
اي امسكي وغيض الماء اي ونقص ونضب يقال غاض الماء اذا ذهب وقضي الامر يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح واستوت
يعني واستوت السفينة على الجودي وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل وقيل بعدا يعني هلاكا للقوم الظالمين قال العلماء بالسير
لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها
ولكخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فكان لا يألف البيوت وخوف الحمامة بالحرم التي
في عنقها ودعا لها بالامان فلم تزل تألف البيوت وروي ان نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر خلون من رجب وجرت بهم
السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه بطاف السفينة به سبعا واودع الجبل
جبل ابي قبيس وهبك نوح ومن معه من السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح وامر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبقوا
فرسخا فوق الجبل فسميت سوق ما بين بلخ الى ترمذ عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار من الغرق
غير عوج بن عناق وكان الماء يصل الى حجرته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج للاجل السفينة
فلم تمكنه قطعه لحمله عوج من الشام الى نوح فنجا من الغرق لذلك فان قلت كيف اغفلت الحكمة الالهية اغراق من
لم يبلغ الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت قد ذكر بعض المفسرين ان الله اعقم ارحام
نسائهم اربعين سنة فلم تولد لهم ولد تلك المدة والجواب ليس بقوي لانه يرد عليه اغراق جميع الهوام والدواب والصبيان
وغير ذلك من الحيوان ويرد عليه ايضا اهلاك الاطفال المسلمين مع الكفار ومع ابائهم غير قوم نوح والجواب عن الشبهة عن هذا
كله ان الله تعالى منزه في خلقه وفعله المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فوله عدل
وجل نادى نوح ربه اي دعا وسأله فقال رب ان ابني من اهلي يعني وقد وعدتني ان تنجي اهلي وانك وعدك الحق
يعني الصدق الذي لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين يعني انت حكمت بالنجاة لقوم وعلمت هلاك قال اي قال الله يا
نوح انه يعني هذا الابن الذي تسألني نجاته ليس من اهلك اختلف علماء التفسير في هذا فقال بعضهم كان هذا الولد ابن نوح لصلبه
انكروا هذا القول وقالوا لم يكن قط ولد خبث من غير نوح ولم يعلم به ولذلك قال الله له انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر
كان ابن امرأة نوح وكان يشبه نوحا ولذلك قال من اهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر
المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان باطلان ويدل على صحة قول الجمهور ما روي عن ابن عباس
انه قال بغت امرأة نبي قط وكان الله تعالى نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه ونوح انبأ نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص
في الدلالة وحمل الكلام على الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما طالب هذا الكافر من خالقه انه استبعد ان يكون ولد
نبي كافرا وهذا حكم معتزلي قاله لان الله خلق خلقه بريئا في الجنة ونعم القوم ونعم الشيعي ونعم الكفار والمنافق يخرج
الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله اخرج غاويا من قلب اهدى عليه السلام وهو نبي
وكان فاسقا كافرا واخرج ابراهيم عليه السلام وهو من صلب آزر وكان كافرا وكذلك اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو
نبي يفعل المتصرف في خلقه كيف يشاء فان قلت على هذا كيف نادى نوح فقال اركب معنا وسأله النجاة مع قوله رب لا
تذر على الارض من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يعلم بكون ابنه كافرا قبل ذلك نادى على تقدير انه
يفعل انما حمله على ان نادى رقة الابوة ولعله اذا رأى انك لا هوال ان يصلح فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله
انه ليس من اهلك يعني ليس هو من اهل دينك لان اهل الرجل من يجمعه وايا هم نسب او دين او مناجي فجرا هي ولهذا حكمت الشريعة
برفع حكم النسب في كثير من الاحكام وبين المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح قرأ الكسائي ويعقوب
عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عمود الفعل على الابن ومعناه انه عمل العمل والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ

الباقون

الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين غير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياي ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب
نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح ايضا ويكون التقدير
على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء وانما هي اقبال وادبار وقال الواحدي وهذا
قول ابي اسحاق يعني الزجاج وابي بكر بن الانباري وابي علي الفارسي قال ابو علي ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح كما يفعل الشيء
نفسه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا لا خلاف فلا تسئلن ما ليس لي به علم يعني انك انت علام
الغيوب وانا لا اعلم وذلك ان نوحا عليه السلام سال ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم ان
ذلك محظور الا مرار ولده على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه المسالة واعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسئلني
ما ليس لك به علم بجواز مسئلته اني اعظك يعني انهاك ان تكون من الجاهلين يعني لمثل هذا السؤال قال يعني قال نوح
رب اني اعوذ بك يعني الجا اليك واعتذر اليك ان اسئلك ما ليس لي به علم يعني انك انت علام الغيوب وانا لا اعلم ما غاب
عني فاعتذر اليك من مسئلتي ما ليس لي به علم والا تغفر لي يعني جهلي واقدامي على سؤال ما ليس لي به علم وترحمني يعني رحمتك
التي وسعت كل شيء اكن من الخاسرين فصل وقد استدل بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبياء عليهم السلام
وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسئلني ما ليس لك به علم اني اعظك
ان تكون من الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة يدل على صدور الذنب
منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا
الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له
به علم وبين له انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق مع الذين ظلموا
ونهاه عنه مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم ياذن له فيه فخاف نوح من ذلك فلجا الى الله عز وجل وخضع
له وعاذ به وساله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيئات المقربين وليس في الايات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح
عليه السلام سوى تاويله واقدامه على سؤال ما لم ياذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله اعلم قوله تعالى قيل يا نوح
اهبط اي انزل من السفينة او من الجبل الى الارض بسلام اي بامن وسلامة منا وبركات البركة هي ثبوت الخير وبقاؤه وزيادته
وقيل المراد بالبركة هنا ان شاء الله جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية اولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه
في السفينة غيرهم عليك وعلى امم ممن معك يعني وعلى ذرية امم ممن معك في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجيء
من بعدك من ذرية اولادك وامم سنمتعهم هذا ابتداء كلام اي وامم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى
اجالهم ثم يمسهم منا عذاب اليم يعني في الاخرة تلك من انباء الغيب هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي
اخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبره وخبر قومه من انباء الغيب يعني من اخبار الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا يعني من قبل نزول القران عليك فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها مجملا فنزل القران بتفصيلها وبيانها وجواب
اخر وهو انه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرا الكتاب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت امته فصح قوله ما كنت تعلمها انت ولا
قومك من قبل نزول القران بها فاصبر يا محمد على اذاء مشركي قومك كما صبر نوح على اذاء قومه ان العاقبة يعني الظفر والنصر على الاعداء
والفوز بالسعادة الاخروية للمتقين يعني المومنين قوله عز وجل والى عاد يعني وارسلنا الى عاد اخاهم هودا يعني انه اخوهم
في النسب لا في الدين قال يا قوم اعبدوا الله يعني وحدوا الله ولا تشركوا معه شيئا في العبادة ما لكم من اله غيره يعني انه تعالى هو الهكم
لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع ان انتم الا مفترون يعني ما انتم الا كاذبون في عبادتكم غيره يا قوم لا
اسئلكم عليه يعني على تبليغ الرسالة اجرا يعني جعلا اخذه منكم ان اجري يعني ثوابي الا على الذي فطرني يعني خلقني فانه هو الذي يرزقني
في الدنيا ويثيبني في الاخرة افلا تعقلون يعني فتتعظون ويا قوم استغفروا ربكم اي امنوا به بالاستغفار هنا بمعنى الايواء لانه
هو المطلوب ازلا ثم توبوا اليه يعني من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم يرسل السماء عليكم مدرارا يعني ينزل المطر عليكم
متتابعا مرة بعد مرة في اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين

لعله فعل هذه الاخلاق

صدور

بلادهم

BULAC

بما جئت بكاذبهم وفحمت بسبب كفرهم فأخبرهم هود عليه السلام انهم ان داموا على الله وصدقوه ارسل الله عليهم المحى وباعدا بكاذبهم
كما كانت عادة الامم ويزدكم قوة الى قوتكم يعني شدة الى شدتكم وقيل انكم ان امنتم يقويكم بالاموال والاولاد وذلك انه تعالى اعقم
ارحام نسائهم قبل بلوغ قول هود عليه السلام ان امنتم ارسل الله المطر عليهم بتتابعون مدرارا ويعيد ارحام النساء الى ما كانت
عليه فتلدن بتتابعون فوق بالامراء والاولاد وقيل تزدادون في الدنيا الى الدنيا والابدان ولا تتولوا مجرمين يعني ولا تعرضوا عن
قبول قوله ونصيحته حال كونكم مشبهين فما لوا هود ما جئتنا ببينة يعني ببرهان وحجة واضحة على صحة ما تقول وما نحن بتاركي الهتنا
عن قولك يعني وما نترك عبادة الهتنا لاجل قولك وما نحن لك بمؤمنين يعني بمصدقين ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسوء يعني انك يا هود لست تتعاطى مما تتعاطاه من ذم الهتنا وسبها الا ان بعض الهتنا اصابك بخبل وجنون لانك
سببتهم وانتقصتهم بذلك والاجل امرك الاعلى هذا اقول اني اشهد الله يعني هود اجيبكم اني اشهد الله على نفسي واشهدوا يعني اشهدوا
انتم ايضا علي اني بريء مما تشركون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها فكيدوني جميعا يعني احتالوا بي كيدا
وضروا انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع وانها لا تقضي ولا تنفع ثم لا تنظرون يعني ثم لا تمهلون وهذا ايضا معجزة
عظيمة لهم عليه السلام وذلك انه كان وحيدا في قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يقبلهم ولم يخف منهم مع ما لهم من الكثرة
والجبروت والشقاوة بالتعزز وجل وتوكله عليه وهو قوله اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انه يفوض امره الى الله واعتمد عليه ما من
دابة يعني تدب على الارض ويدخل تحت هذا جميع بني آدم والحيوان كلهم يدبون على الارض الا هو آخذ بناصيتها يعني انه تعالى هو المالك
والقادر عليها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الرأس وسمي الشعر الذي عليها ناصية للمجاورة فيقال انما خص الناصية
بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامها واذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون بلان وبيد بلان وكانوا اذا اسروا اسيرا
واراد واطلاقه جزوا ناصيته ليعتبر اعليه ويعتقدوا بذلك فيه اعليه فخاطبهم الله بما يعرفونه من كلامهم ان ربي على صراط مستقيم يعني ان ربي
وان كان قادرا وانتم في قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يفعل بكم ولا يعاملكم الا بالاحسان والانعطاف والعدل والجزاء
المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملكم على صراط
مستقيم فان تولوا يعني تتولوا يعني تعرضوا عن الايمان بعد ارسالنا به اليكم فلم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما
التقصير منكم في قبول ذلك ويستخلف ربي قوما غيركم يعني انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل
بكم قوما غيركم وانكم منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال وهو وعيد وتهديد ولا تضرونه شيئا يعني
بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئا اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء ان ربي على كل شيء حفيظ
يعني انه تعالى حافظ لكل شيء يحفظني من ان تناله بسوء قوله تعالى ولما جاء امرنا يعني باهلاكهم وعذابهم نجينا هودا والذين
امنوا معه برحمة منا وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم العموم والكل فلما اتى الله المؤمنين منهم
ذلك العذاب بكرمه وبفضله وكرمه نجيناهم من عذاب غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عادا وذلك ان الله تعالى ارسل على عاد
الريح بشدة غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام المنحسات باهلاكهم جميعا وانجى الله المؤمنين منهم بفضله
وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا وتلك عاد جحدوا
بآيات ربهم يعني ان عادا لما بزغ من ذكر قصة عاد خاطب امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم يعني الى القبلة
وفيه اشارة الى ضعف رأيهم وانكارهم عاد فلا يسيروا في الارض فينظروا اليها ويعتبروا بها فكأنه وصف حالهم بقوله وجحدوا بآيات ربهم
يعني المعجزات التي اتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما اتى بلفظ الجمع اما لتعظيمه او لان من
كذب رسولا فقد كذب كل الرسل واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني ان السفلة منهم اتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الزوج بالفتح
العنود على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه واتبعوا في هذه الدنيا لعنة يعني اردفوا لعنة تلحقهم
وتتقدم معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله ويوم القيامة يعني وفي الغيامة ايضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا
ثم ذكر السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال تعالى الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود يعني تعالى
لهم وقيل بعدا من الرحمة وان قلت اللعنة معناها الابعاد لان التأويل هو الاول بعينه فلم اعيدت العبارة
فيه ان التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيد وانهم كانوا مستحقين له فوق هود عليه بيان لعاد وان قلت
لهذا البيان حاصل مجموع بما البداية في قوله فوق هود فلم ان عادا كانوا قبيلتين عادا الاولى القديمة التي هي

نوح هود

قوم هود وعاد الثانية وهم ارم ذات العماد وهو اتى بقوله قوم هود ليزيل الاشتباه وجواب اخا وهو ان المبالغة في
التشخيص تدعو الى تقوية التاكيد قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا اى وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا
يعني في النسب لا في الدين فقال يا قوم اعبدوا الله اى وحدوا الله وخصوه بالعبادة ما لكم من اله غيره يعني هو المعبود المستحق
للعبادة لا الاصنام ثم ذكر الدليل الذي دل على وحدانيته وعدم الغير فقال تعالى هو انشاكم من الارض يعني هو
الذي ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من ادم وادم مخلوق من الارض واستعمركم فيها يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك
اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثمانين سنة الى المائة سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم من
العمر اى جعلكم لم ما عشتم فاستغفروه يعني من الشرك ثم توبوا اليه يعني من الشرك ان ربي قريب يعني من المومنين مجيب
لدعا يهم قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا يعني قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجوا ان تكون فينا
سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعيش معهم ويقضي فيهم وقيل معناه كنا نطمع ان تعود الى ديننا فلما ادعى
دعاهم الى الله تقطع وخاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا يعني الكاهنة وانا لفي شك
مما تدعونا اليه مريب من عبادة الله مريب يعني انا مرتابون في قولك مرتابة اذا وقعت في الريبة وهي قلق النفس
ووقوعها في التهمة فقال يا قوم يعني فقال صالح مجيبا لقومه يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني على يقين وبرهان
واتاني منه رحمة يعني نبوة وحكمة فمن ينصرني من الله اى فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته يعني ان خالفت امره فما تزيدونني
غير تخسير قال ابن عباس غير مضارة في خسارتكم وقال الحسين بن الفضل غير تكم وقال ابن كيسان غير تخسيس بفوز ما تزيدونني غير تخسيس وانما المعنى
فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتكم اياي الى الخسارة ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية وذلك ان قومه طلبوا منه ان يخرج لهم ناقة
من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت قبالها يشبهها وقوله ناقة الله
اضافها تشريفا كبيت الله وعبد الله فكانت لهذه الناقة يوم ولهم يوم معلوم صالح عليه السلام فذروها تاكل في ارض الله يعني من العشب
والنبات ولا تمسوها بسوء يعني بعقر فياخذكم عذاب قريب يعني ان قتلتموها عذاب قريب يعني
في الدنيا فعقروها يعني فخالفوا امر ربهم فعقروها فقال لهم صالح تمتعوا يعني عيشوا في داركم اى في بلدكم ثلاثة
ايام يعني ثم تهلكون فاما يعني العذاب الذي وعدهم به بعد ثلاثة ايام وعد غير مكذوب اى هو غير مكذوب ثم قرر انه قال لهم ياتيكم
العذاب بعد ثلاثة ايام فتبجحون في اليوم الاول وجوهكم مصفرة وفي الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كما قال واتاهم العذاب
في اليوم الرابع وهو قوله تعالى فلما جاء امرنا يعني العذاب نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا اى بنعمة منا بان هديناهم الى
الايمان فامنوا ومن خزي يومئذ يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ بتسعة خزيا لان فيه خزي الابد ان ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني ان ربك يا محمد هو القوي يعني هو القادر على انجاء المومنين والعلاء الكفار العزيز يعني الغالب الذي لا يغلبه شيء ثم اخبر
عن عذاب قوم صالح فقال تعالى واخذ الذين ظلموا الصيحة وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فعطبوا جميعا وقيل
اشتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا فاصبحوا في ديارهم
جاثمين يعني صرعى هلكى كانهم لم يغنوا فيها يعني كان لم يقيموا في تلك الديار ولم يتمتعوا فيها مدة من الدهر فقال غنيت بالمكان
اذا اقمت فيه الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود وهذه القصة قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف قوله عز وجل
ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اراد برسل الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة
جبريل وميكائيل واسرافيل قال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر وقال محمد بن كعب الفي كان جبريل ومعه تسعة
املاك وقال السدي كانوا احد عشر ملكا على صورة الغلمان المرد وقول ابن عباس هو الاولى لان اهل الجمع ثلاثة وقوله
رسلنا جمع يحمل على الاقل وما جمعه غير مذكور به بالبشرى يعني بالبشارة باسحاق ويعقوب وقيل بالاهلاك فمع لوط قالوا
سلاما يعني ان الملائكة سلموا سلاما قال يعني ابراهيم سلام اى عليكم ما لبث ان جاء بعجل حنيذ يعني مشوي والحنيذ
هو المشوي على الحجارة المحماة بخبزة وهو من بقر اهل البادية كان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة وعكرمة كان من مال
ابراهيم عليه السلام البقر وقيل ملك ابراهيم خمس عشرة ليلة لم ياته ضيف فاغتم لذلك وكان يجب الضيف واياكل الا معه
فلما جاءه الملائكة رد الفيا فلم ير مثلهم فلم يعجل فراهم وجاءهم بعجل سمين مشوي فلما رآ ايديهم يعني ايدي الاضياف
لا تصل اليه يعني الى العجل المشوي نكرهم يعني انكرهم وانكر حالهم لامتناعهم من الطعام وايجس منهم

BULAC

خيفة يعني وقع في قلبه وحشة منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم عليه السلام منهم لانه كان يتزل ناحيته خاف ان ينزلوا به مكروها لا امتناعه من طعامه ولم يعرفهم انهم ملايكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملايكة وانما خاف ان يكونوا اتوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب اذ ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملايكة لان الامر مبني على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولم يعرف انهم ملايكة بما قدمه اليهم لعلمه ان الملايكة لا ياكلون ولا يشربون ولانه خاف منهم فلما رات الملايكة خوف ابراهيم عليه السلام قالوا لا تخف يا ابراهيم انا ملايكة الله ارسلنا الى قوم لوط وامراته يعني سارة زوجة ابراهيم عليه السلام وهي بنت ابراهيم زاذور وهي ابنة عم ابراهيم قايمة يعني من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قايمة تخدمة الرسل وابراهيم جالس معهم فضحكت اصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس والظهور الاسنان عنده سمي مقدمات الاسنان ضواحك ويستعمل في السرور والتعجب وفي التعجب اكثر ايضا تم للعلماء في تفسير هذا الضحك قولان احدهما انه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال اكثر المفسرين لما قدم ابراهيم الطعام الى اضيافه فلم ياكلوا خاف ابراهيم منهم فقالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فقالت امراته لما رات ان الملايكة لا ياكلون طعامنا ولا نخافهم نحن فلما اخبروا بهلاك قوم لوط ضحكت سرورا بزوال الخوف عنها وقيل ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقيل ضحكت من نزول العذاب بالكافر وقيل ضحكت من نزول العذاب بقوم لوط وهو بيعد ابن خدمه وخواصه وقيل ضحكت سرورا بالنجاة لوط منهم وقال ابن عباس وهب ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وكبر زوجها على هذا القول يكون الاية تقديم وتاخير اي تقديرها فبشرناها باسحاق فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انما قالت يا ابراهيم اضمم الشيخ ابراحيك لوما ان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعد ايمن سرت بذلك سارة لما ايقنت ما ظننت النور الزجاج يعني قوله فضحكت قراءة مجاهد ايجاءت بالوقف وانكر بعض اهل اللغة ذلك قال الزجاج وقول من قال جاءت بليس ذلك تفسير القوله فضحكت كما تقول بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانكر ذلك تنصيحا لها قال ان جعل ذلك امارة لما بشرت به جاءت في الوقت الذي علم ان حملها ليس بمنكر اذا كانت المراة ممن تحيض فانها تحمل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت ولم اسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس في شيء ضحكت بمعنى حاضت قال ابن الانباري فان كان الفراء ابو عبيدة انكر ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد جاء فيه عن بعض العرب انشد تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذيب بها يستهل قال واراد انها تحيض فيرحلون قال الليثي في هذه الاية ضحكت بمعنى كمعنت وذكر الازهري عن بعضهم في قوله فضحكت اي حاضت قال وقيل اصله من ضحاك الكمءة اذا انشقت قال وقال الاخفش فيه بمعنى الحيض تضحك الضبع من دماء سليم اذا رات الكمء على الخراب تثور وقال ابو الهيثم ضحكت المراة حاضت وبه فسر قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحاق وضحكت الارنب فحاضت قال ابو زيد الكمء الارنب بوزن الضبع كمثل الجوبر يدل الفاء يعني الحيض ربما يزعم بعضهم ما اجاب عن هذا من انكر ان يكون الضحك بمعنى الحيض كان ابو زيد يقول انما يشاهد الضبع عند حيضها فيعلم انها تحيض وانما اراد الشاعر انها تكثر الاكل اللبوء وهذا استهزاء منه لانه جعل كثرة اكلها ضحكا وقيل معناه انها تستحثي بالفتلي اذا الحلتي يعني يعضها على بعض لجعل هريقها ضحكا وقيل لانها تستر بهم جعل سرورها ضحكا فلما ان قال ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكان القولين محتملا معنى الضحك بالله اعلم اي ذلك كان فبقوله تعالى فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد ضحكت وجهها اي حاضت وهو من صميم الضحك وعاد تعني وانما بعثته لك تعجبا فيا ويلتى نداء ندبة واصلها يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند رويته ما يتعجب منه قاله يا عجبا الدا وانا عجوز وكانت بنت تسعين سنة قاله ابن اسحاق وقال مجاهد كانت تسع وتسعين سنة وهذا بعلي يعني زوجي والبعل هو المستعلي على غيره ولما كان زوج المراة مستعلي عليها قال يا مرها سمي بعلا لذلك شيخا وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرون سنة قول محمد بن اسحاق وقال في مجاهد كانت مائة سنة وكان بين البشارة والولادة تسعة اشهر هذا شيء عجيب لم تذكر قدرة الله تعالى وانها تعجبت من كون الشيخ الكبير العجوز الكبيرة يولد لهما فقالوا لها قالت الملايكة لسارة اتعجبين من امر الله معناه لا

تعجبين

تعجبين من ذلك بان الله تعالى قادر على كل شيء، فاذا اراد شيئا كان سريعا رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت
يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهذا اصعب الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من اهل بيته انه حميد
اي ذو الحمد والذي يحمد على افعاله كلها وهو المستحق لان يحمد بالسراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال
مجيد ومعناه الصنيع الذي لا يراء وقال الخليل المجيد الواسع الكرم واصل المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان
سخيا والرباح واسع الحمل وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم قوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع يعني الفزع الذي
حصل عنده امتناع الرسل من الاكل وجاءته البشرى يعني زال عنه الخوف بسبب البشرى التي جاءته وهي البشارة بالولد
يجادلنا يبدأ اضمار تقديره اخذ يجادلنا او جعل يجادلنا قيل معناه يخاصمنا ويستأنفنا في نزول لوط لان العبد لا يقدر ان يجادل
ربه وقال الجمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة انه قال لهم ارأيتم لو كان في هذه
القرية خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لا قال اربعون قالوا لا قال ثلاثون قالوا لا قال عشرة قالوا لا قال لكن حتى قال خمسة
قالوا لا قال ارأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين وقيل انما كلب ابراهيم تأخير العذاب عنهم لعلهم يرجعون او يرجعون عما هم فيه
من الكفر والتعالي قال ابن جريج وكان في قول لوط اربعة الاف انه ان ابراهيم لحليم اواه منيب تقدم تفسيره في سورة
التوبة بعضها قالت الملائكة لابراهيم يا ابراهيم اعرض عن هذا اي اعرض عن هذا الجدال واترك هذا المقال واعلم ان
انه قد جاء امر ربك يعني ان ربك حكم بهذا بهم قد نفذ امره فيهم وهو قوله وانهم اتيهم عذاب غير مردود يعني ان العذاب
الذي نزل بهم لا يمكن مصروفا ولا احد يمنعهم منه ولما جاءت رسلنا لوطا يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا
عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسان الوجوه سيء بهم يعني حزن لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه وضاق
بهم ذرعا قال الكلبي ضاق الذرع يوضع موضع الكفاية والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا فاذا سرع ذرعا فاذا بطئ
قل ذرعه فجعل على اكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والكفاية
بمعنى قوله ضاق بهم ذرعا اذا لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يوجب
اصله الا ان يقال ان الذرع كناية عن الوسع والقرب تقول ليس هذا في يدي يعني ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد
وقيل ضاق بمكان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم
وطيب روائحهم اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم بمكروه او فاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم وقال
لهم لوطا هذا يوم عصيب شديد كانه قد غصب به الشر والبلاء بشدته مأخوذ من العصابة التي تشد بها
الرأس فالعصابة والشدة تعصب الرأس وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال الحسن الاهراع هو
المشي بين المشيين وقال هو من العرولة العدو ومن قبل يعني من قبل مجيء الرسل اليهم وقيل من قبل مجيئهم الى لوط كانوا يعملون السيئات يعني البعلات القبيحة والفاحشة
الخبيثة وهو اتيان الرجال في ادبارهم قال اليهم قال لقومه حين قصدوا اضيافه وكرهوا انهم غلمان من بني آدم هؤلاء
بناتي هن يعني ان زوجتي ابو الهن اضافهن اليه بيانه قيل انه كان يجوز في ذلك الوقت في تلك الشريعة مباحا تزويج المسلمة بالكافر
وقال الحسن بن الفضل عرض بناتهم عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد ونبيه ابن وهب اراد بناته نساء قومه واضافهن الى
نفسه لان كل نبي ابو امته وكذا الوالد لهم وهذا القول هو الصحيح والشبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه

ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بجميع البنات والبنات من العرب ان يعرض الرجل بناته على اعدائه ليزوجهن اياهم بكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء ان يعرض ضوابنا تهم على الكبار وقيل انما اذن لوط على سبيل الدفع لغرمه لا على سبيل التخيير وقوله تعالى هن اطهر سؤال وجواب اما السؤال فهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب افعل التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم انه لم يكن فيما سدوم طاهرة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم واما الجواب عن هذا السؤال ان هذا اخبار بحسب قوله تعالى اذلك خير نزلا امر شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم احد على نعمل قال الله اعلى واجل انا لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم بل انما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا اسه نظائر كثيرة وقوله تعالى فاتقوا الله اي تجنبوا غضبه وعذابه واتركوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان ولا تخزون في ضيفي اي لا تسوؤني في اضيافي بفعلكم بعضهم ليس منكم رجل رشيد اي عاقل سديد عما قال عكرمة قال رجل يقول الله ان الله وقال محمد بن الضحاك رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينتهي عن هذا الفعل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق اي ليس لنا بهن حاجة وكانوا يعلمون ذلك وقيل معناه ليست بناتك لنا بأزواج ولا مستحقين لنا حتى وقيل معناه ما لنا في بناتك من حاجة لانك تدعونا الى ما يحق بشرك الا بهان ولا نريد ذلك وانك لتعلم ما نريد يعني به اتيان الرجال في ادبارهم بعد ذلك قال لوط عليه السلام لو ان لي بكم قوة اي لو انا قدران نقوى عليكم او آوي الى ركن شديد او انضم الى عشيرة يمنعونني وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لمنعتكم او لو وجدت عشيرة انضممت اليها فقال ابو هريرة رضي الله عنه ما بعث الله بعده نبيا الا في منعة من عشيرته فعن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم اتاني الداعي لاجبته قال الشيخ محي الدين النووي المراد بالركن الشديد هو الله تعالى فانه اشد الاركان وانواعها منعا ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم تكن لهم عشيرة تمنعهم من الكفار ميز ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال تلك الحال لو انا يكن قوتي في الدفع بنفسي او آوي الى عشيرة تمنعني وقصد لوط بالاظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى يأوي في الحديث يعتصم يتعلق يوسف عليه السلام اي في قوله من سورة يوسف ان شاء الله قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل يناظر قومه وهم يتسورون عليه الجدران فلما رأت الملائكة ما يلقى لوط بسببهم قالوا يا لوط ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك يعني فيما يروى فافتح الباب ودعنا واياهم فعند ذلك فتح الباب ودخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه فرعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين وارسحه جبك مثل المرجان كأنه الثلج بياضا فقد ماه الى المخصرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى البيوت فهم وهم يقولون النجاة النجاة فبيت لوط اسمع قومه في الدار قد تحيروا وهم لا يقدرون على الخروج فقالوا يا لوط كما انت حتى نصبح ونسمر ما تلقى منا غدا بوعد ونزل يا رسل ربك يعني بيننا وبينك فاخرج من الليل وقال ابن عباس بكابية من الليل وقال الضحاك بعقبة من الليل وقال قتادة بعد ما مضى اوله وقيل انه الشطر الاول ولا يلتفت منكم احد يعني ولا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه الا امرأتك يعني بالنون من التغلتغلات بنتعلك مع من تعلك من قومك وهو قوله انه مصيبها ما اصابهم وقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا انه موعدهم الصبح قال انه بعيد اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما خرج لوط من قريته واخذ اهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فيقولوا منه الا امرأته بالنون لما سمعت هذا العذاب وعرفت انها تهلك مع قومها التفتت وقالت واقوماه يأخذني ما اخذهم فهلكت معهم فلما جاء امرنا يعني امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى لوط وهي خمس مدائن اكبرها سدوم وهي التي تحت فيها ذكره الله في سورة براءة وقيل كان فيها اربعة آلاف الف انسان قلبها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب فلم يكفها انها، ولم ينته نابها ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وامطر عليها يعني على شذاذها ومن كان خارجا منها من قومها فيما يزعمون وقيل بعد ما بعد ما قلبناها امطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه منضود وكيد بارسيد معرب لان العرب اذا تكلمت بشيء من الفارسية مارغة العرب ولا يخاب الى الفارسية مثل قولهم استبرق واستدوس ونحو ذلك وكل هذه الالفاظ فارسية وتكلمت بها العرب واستعملتها في القرآن فصارت عربية وقال قتادة وعكرمة السجيل

الطين وقيل لون

اليمن دليله فوله بمومع اخر حجارة من يمن وقال ابن عباس اولها حجر واخرها كبريت وقال الحسن كان اهل الجنة طيبا بعضهم وقال
الضحاك يعني الاجر وقيل السجيل اسم الديك وقيل لعوجبار يسمى الديك منضود قال ابن عباس متتابع يتبع بعضه بعضا معمول
من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض مسومة صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة
الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها امثال الخواتم وقيل
كان مكتوبا على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى بها عند ربك وهو يعني تلك الحجارة من الظالمين يعني من مشركي مكة ببعيد
قال قتادة وعكرمة يعني كما اليوم هذه الامة والله ما اجار الله منكم من احد بعده وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو يرى عليه
حجر ينتظره ساعة بعد ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت سراة قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم وبقي الحجر معلقا
في السماء اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير وارسلنا الى مدين اخاهم
شعيبا ومدين اسم ابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن
ابراهيم فسمي بها اهلها فان قيل كيف يكون النبي من العرب وارسلنا الى اهل مدين بعد قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا ما لكم من
اله غيره يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره وهذا كان عادة الانبياء عليهم السلام قبله، وان بالاقم والاقم ولما كانت
الدعوة الى توحيد الله وعبادته اتم الاشياء قبلها قال شعيب اعبدوا الله مالكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد
شرع بما لهم فيه ولهذا كان المعتاد من اهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه القبيحة وهي تطفيف
الكيل والوزن فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما ان يكون الاستيفاء من
قبلهم فيكيلون ويزنون للمغبن ناقصا والوجه الاخر وهو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زايدا على حقهم فيكون نقصا في مال
الغير وكلا الوجهين مذموم ولهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير قال ابن
عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول النقمة ان لم
يتوبوا وهو قوله واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط يعني يحيط بكم فيهلكم جميعا وهو عذاب الاستيصال في الدنيا او
حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله ان جهنم لمحيطة بالكافرين ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اي اتموهما ولا تكيلوا لهم
بالنقص اي بالعدل وقيل بتوفير لسان الميزان وتعديل المكيال ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوا الناس اشياءهم يعني
اموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال اولا لا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال اوفوا
المكيال والميزان وهذا يجب الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهذا اعم مما تقدم فما الفايدة في هذا التكرار قلت
ان العرب لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومع الناس حقوقهم فلما حقيق في المنع منه الى المبالغة
في التاكيد والتكرير تبعيد لشدة الاهتمام والعناية بالتاكيد ولهذا كرر ذلك ليغري الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله
ولا تنقصوا المكيال والميزان جليس بتكرار ايضا لانه نهي لما خص النهي عن التنقيص والامر بايفاء الحق في الكيل والوزن
عم بعد في جميع الاشياء التي يجب استيفاؤها الحقوق بها فيدخل بها الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فكان بعد البيان
بايده هذا التكرار والله اعلم وقوله بقيت الله خير لكم يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم
بقيت الله خير لكم قال ابن عباس ما ابقى الله لكم من الحلال بعد استيفاء الكيل والوزن خير لكم مما تاخذونه من التطفيف وقال
مجاهد بقيت الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقيت الله ما ابقاه لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من الحرام
ان كنتم مومنين يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم عنه وما انا عليكم بحفيظ يعني احفظ اعمالكم فاجازيكم بها انما
قال لهم شعيب ذلك لانه لم يومر بقتالهم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا يعني من الاصنام او ان
نفعل في اموالنا ما نشاء يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا
يمرون به فيسخرون منه يصلي فيستهزئون به ويغمزون هذه المقالة وقال الاعمش قرات في كتاب ان الصلاة تنهى عن الفواحش والمنكر
وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني انه يامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا
يبخسون الكيل والوزن فامرهم الله تعالى بالايفاء فكان شعيب ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه يجري عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من شعاير الدين
انك لانت الحليم الرشيد قال ابن عباس اراد والله اعلم انك السفيه الضال وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والشتم وقيل معناه انك كنا نعتقد
فيك الحلم والرشد

RUAG

في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة ومعناه انت يا شعيب يا حليم رشيد فلا تجهل شفق على قومك ولا تخالفهم فينزل
فقال لهم شعيب ارأيتم ان كنت على بينة من ربي يعني على بصيرة وعداية وبيان ورزقني منه رزقا حسنا يعني حلالا
وقيل كان شعيب كثير المال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والعداية والنبوة والفهم فيه وجوابان وهو الذي طيبه
تعزوه وتقديره ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والعداية والنبوة والفهم فيه فهل يسعني مع هذه النعم
العظيمة ان أخون في وحيه او ان اخالف امره واتبع الضلال او اجنس الناس اشيلهم وهذا الجواب سد باب المكابرة تماما
تفيد وذلك انهم قالوا انك كنت الحليم الرشيد والمعنى كيف يليق بالحليم الرشيد ان يأمرنا بما ولم علينا نعم كثير وقوله
عز وجل وما اريد اخالفكم الى ما انهاكم فقال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مولع عنه
وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويقال الرجل اذا راعى الماء فتحمله عن صاحبه يقول خالفني الى الماء يريد انه
قد ذهب اليه وارد وانا ذاهب عنه صادر ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اركبكم الى شهواتكم
التي نهيتكم عنها كالمستبد بها دونكم قال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان العقوا عترفوا بانه حليم رشيد
وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الكمي في الامور الاصلح فكان على السلام قال لهم لقد
عشتم بكمال عقلي واعلموا انه الكمي بقي الدنيا حتى تدعوني لتتبعني هو اصوب الطرق واصلحها وهو الدعاء الى توحيد الله
وترك البخس والنقصان فإن اصوب عليه يعني غير تارك لها واعلموا ان هذه الكمية حتى الكمرة واشرفها كما انتم عليه وقال
الزجاج معناه اني لست انهاكم عن شيء واخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسي وقال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من
اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينفر عنه كما عليه بكان هذا محض النصيحة لهم ان اريد
يعني انما اردت الاصلاح يعني فيما بيني وبينكم ما استطعت يعني ما استطعت الاصلاح وهو الابلاغ والانذار
فقط ولما استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وما توفيقي التوفيق
تسهيل الخير والطاعة على العبد والخذلان على ذلك الا بالله تعالى فإن ذلك فإن وما توفيقي الا بالله عليه توكلت يعني على الله
اعتمدت في جميع امري واليه انيب يعني واليه ارجع فيما ينزل من العواقب وقيل اليه ارجع في معاده وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذاك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وقوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان
يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح يعني ان يحملكم خلافي وعداوتي ان يصيبكم يعني عذاب العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة مثل ما اصاب قوم نوح يعني
من الغرق وقوم هود يعني الريح التي اهلكتهم وقوم صالح يعني ما اصابهم من الصيحة حتى تهلكوا جميعا وما قوم لوط
منكم ببعيد وذلك انهم كانوا حديثي عهد بالهلاك وقيل معناه وما هلاك قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط
وبلادهم قريبة من بلادهم واستغفروا ربكم يعني من عبادة الاصنام ثم توبوا اليه يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن ان
ربي رحيم بعباده اذا تابوا واستغفروه ودود قال ابن عباس الودود الحبيب لعباده المؤمنين وهو من قولهم ودد الرجل
اذا احبته محبته وقيل يحتمل ان يكون ودود بمعنى مودود ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله
واحسانه اليهم وقال الحليمي قد قيل هو الواحد الماجد الكامل عنده اهل الولاية عنه بما لهم والمحسن اليهم للاطف والمادح لهم
بها وقال ابو سليمان الخطابي وقد يكون معناه ان تودد هم الى خلقه فالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول يعني ما نفهم
ما تقوله علينا وذلك ان الله ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا يسمعون الكلام ويفهمون وانا لنراك
فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة كان اعمى قال الزجاج ويقال ان ضرير يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن ابرص وقال
يعني ذليلا قال ابن عباس وقتادة انه لم يبعث نبيا اعمى ولا ابرص بعده زمانه وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن
الكسب والنقص وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله ولولا رهطك
يعني جماعتك وعشيرتك وقيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة لرجمناك يعني لقتلناك بالحجارة ورجم بالحجارة اسوأ القتلات
واشقها وقيل معناه لشتمناك واغلظنا لك القول وما انت علينا بعزيز يعني بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام
وحاصله انهم ليس لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولو وقع له مكروه انهم انما يقتلوه ولم يبالوه الكلام
الغليظ الواقع لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك انهم كانوا على دينهم ولما تركهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه
المقالة اجابهم بقوله قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا فتتركوني لاجل رهطي عندكم بقولوا ان يخطفوني في الارض

والاجل الس

ولاجل القه لا الرهط لان الله عز وجل اعظم واخذتموه وراءكم ظهريا يعني ونبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه
كالشيء الملقى الذي لا يلتفت اليه ان ربي بما تعملون محيط يعني انه عالم بجميع اعمالكم لا يخفى عليه منها شيء فيجازيكم بها
يوم القيامة ويا قوم اعملوا على مكانتكم يعني على ناحيتكم وطريقتكم من عملكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا ما انتم عليه
بغاية التمكنة والقدرة من الشر اني عامل يعني انا اقدر عليه من الكناعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم
ويدل على ذلك قوله سوف تعلمون يعني اننا الجزاء المحض على افعاله المخبث في بعله فان قلت اي مرفوع يزاد دخول الباء وتزعم
في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الباء في قوله وسوف تعلمون وصل الكلام الذي هو موضوع الوصل وتزعم في قوله سوف
تعلمون وصل في تقدير بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فما يكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعملنا
انت فقال سوف تعلمون عاقبة ذلك يوصل تارة بالباء وتارة بالاستيناف للتعجيز في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب
واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تكاثر محاسنه والمعنى بسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه بسبب عمله السيء او اتينا الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب يعني فيما يتوقف وارتقبوا
يعني وانتظروا العاقبة وما بنا الله امركم امر مكم ومن رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الحارس ولما جاء امرنا
يعني بعذابهم واهلاكهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا يعني بفضل منا بأن هديناهم للايمان ووفقناهم للعمل .. عنه
واخذت الذين ظلموا اسقطتهم بالشرك والبخس الصيحة وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم فماتوا خرجت ارواحهم
وماتوا جميعا وقيل اتتهم صيحة من السماء فماتوا جميعا فاصبحوا في ديارهم جاثمين يعني ميتين وهو استعارة من
قولهم جثم الطير اذا قعد ولصق بالارض كان لم يغنوا فيها يعني كانهم لم يقيموا في ديارهم شبهت الدار بالمكان
بالمكان اذا اقام فيه مستغن بهم عن غيره الا بعدا يعني هلاكا لمدين كما بعدت ثمود فان قيل ما الفائدة في ذكر عاد
وثمود بعذاب واحد الامر شعيب وقوم صالح واما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم من فوقهم
قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى بآياتنا يعني بحجتنا والبراهين التي اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته وسلطان
مبين يعني ومعجزة قاهرة تدل على صدقه ايضا قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يتعلى
من الحجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة ومعنى السلطان سلطانا لانه حجة التنبيه الى قوله
الى فرعون وملائه يعني اتباعه واشراف قومه فاتبعوا امر فرعون يعني ما دعوه عليه من الكفر وترك الايمان بما جاء هم
به موسى وما امر فرعون برشيد يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بتسديد والرشيد الهادي الى خير فيتبع
قومه يوم القيامة فاوردهم النار يعني كما تقدم قومه فادخلهم النار في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فادخلهم
النار ويدخلهم اياها والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا كذلك هو قدوتهم واما هم في النار وبئس
الورد المورود يعني وبئس المدخل المدخول اليه وقيل تشبيه الله فرعون في تقدمه على قومه الى النار كمن يتقدم على الوارد
الى الماء وتشبيه اتباعه الواردين بعده والماء كان وراء الماء هو ذا عند الواردين لانه يلتمس فلا يوجد فان فرعون
واتباعه مروا وهم النار فبئس الورد المورود لان الاصابيع فقد الماء والمستغاث في ورود النار على سبيل الفجاعة
واتبعوا في هذه يعني في هذه الدنيا لعنة يعني طردا وبعدا عن الرحمة ويوم القيامة يعني واتبعوا لعنة اخرى
يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا بئس الرفد المرفود يعني بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في
الدنيا رفدة اللعنة في الاخرة وقيل معناه بئس العطى المعطى وذلك انهم ترادفت عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة
في الاخرة قوله تعالى ذلك من انباء القرى يعني اخبار القرى وهي الامم السالفة والقرون الخالية نقصه عليك
يعني نخبر به يا محمد لتخبر قومك اخبارهم لعلهم يعتبرون به فيرجعوا عن كفرهم فيحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب منها
يعني من القرى التي اهلكنا قائم وحصيد يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم اي باق يعني البنيان يقال سقوف
ومنها ما قد فنيت اثاره بالكلية شبهها في ذهاب اثرها بالزرع الذي بعضه قائم على ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره وحصيد
بمعنى محصود وما ظلمناهم يعني بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي فما اغنت
عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك يعني بعذابهم لم تنفعهم اصنامهم ولم
تمنع عنهم العذاب وما زادوهم غير تتبيب يعني غير تخسير وقيل غير تدمير وكذلك اخذ ربك يعني وهكذا اخذ ربك

BULAC

اذا اخذ القرى وهي ظالمة الضمير وهو عايد على القرى والمراد اهلها ان اخذه اليم شديد وعزا بموسى الاية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان
اخذه اليم شديد رواه الائمة الاربعة والحديث دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يبادر ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق
الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يكفر ان هذه الاية على ظاهرها مختص بكمال
الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويؤيده الحديث والله اعلم قوله عز وجل ان في ذلك لاية يعني ما ذكر من عذاب الامم الخالية
والهلاك الماضية وموعظة لمن خاف عذاب الاخرة يعني ان هلاك اولئك عبرة يعتبر بها وموعظة ينزجر بها عن ارتكاب ما يخشى
الله وعذابه في الاخرة فالذي اذا تفكر ما حل بهم بارتكابهم الكفر في الدنيا من اليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالاجوبة عما اعد
لهم في الاخرة اعني به ليكون زيادة في خوفه وخشيته من الله ذلك يوم مجموع له الناس يعني يوم القيامة يوم يجمع فيه
الخلايق من الاولين والاخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين وذلك يوم مشهود يعني يشهده اهل السموات
والعالم فيه وما نؤخره الا لاجل معدود يعني وما نؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك
الوقت لا يعلمه احد الا الله تعالى يوم يات يعني ذلك اليوم لا تكلم نفس الا باذنه فيه ان جميع الخلق يشتركون في ذلك
اليوم فلا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى يوم تاتي كل نفس
تجادل عن نفسها وبين قوله اخبارا عن اصحاب الكفار وهو قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا بدعاء الكل في
ذلك اليوم قلت يوم القيامة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام
لشدة الاهوال وفي بعض الاهوال يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها يجب عنهم ذلك الهول فيجادلون ويحاجون
وينكرون وقيل المراد بقوله لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس الا باذن الله تعالى في الشفاعة
فمنهم يعني من اهل الموقف شقي وسعيد الشقاء خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية وسعادته
على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على قسمين سعادة دنيوية اخروية وهي السعادة القصوى لانها تلك يتلقى
الجنة وكذلك الشقاوة على قسمين شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة القصوى لانها تلقى النار والشقي
من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة
في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم
من احد الا وكتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له
اما من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية فبقضي العرف هو مقبرة اهل المدينة الشريفة ومدفن فيه والصخرة بد
كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق والنكت هو التاثير من الشيء
او باليد ونحو ذلك حتى يوثر فيه استدل بعض العلماء بهذه الاية ونحو هذا الحديث على ان اهل الموقف قسمان شقي وسعيد
لا ثالث لهما وكما هو الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم اخر مسكوت عنه وهو الذين خلطوا عملا صالحا وسيئا وهو اهل الاعراف
المذكورون في قوله والاخرون اعترفوا بذنوبهم الاية خلطوا عملا صالحا بسيئ وهو قوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم
يحكم بما يشاء ويخص هذين القسمين بالذكر يدل على ان القسم الثالث خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
وتشقيق اصل الزفير ترديد النفس حتى تنتفخ منه الضلوع والتشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مده واخراجه
من الصدر قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والتشهيق الضعيف وقال الخليل ومقاتل الزفير اول صوت الحمار والتشهيق اخره
اذا رد نفسه في جوفه وقال ابو العالية الزفير في الحلق والتشهيق في الصدر خالدين فيها يعني الاشقياء مقيمين في النار ما دامت
السموات والارض قال الضحاك يعني ما دامت سموات الجنة والارض لاهل الجنة واهل الارض تظلهم وارض تظلهم وكل
ما علاك فاظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو ارض وقال اهل المعاني هذا عبارة عن التابيد وذلك عادة العرب
قايم يقولون ما اتيتك ما دامت السموت والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التابيد وقوله تعالى الا ما شاء ربك
اختلف العلماء في معنى هذين الاستثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور في اهل الشقاء يرجع الى العصاة من
المؤمنين يدخلهم النار بذنوبهم ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين اخرجوا من النار سعداء في الحقيقة

استثناء

استثناهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن جابر فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يخرج مما شاء من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخاري ومسلم خ عز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميون وأما الاستثناء الثاني المذكور في اهل الشقاوة فيرجع الى مدة لبثهم في النار قبل دخولهم الجنة وعلى هذا القول يكون معنى الآية واما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان يدخلهم النار اولا ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثناء يرجع الى قوم مخصوصين من الطائفة السعداء اصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة تليق بها النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة والذي اجمع الامة على انه من دخل الجنة لا يخرج منها ابدا وقيل ان الاستثناء يرجع الى الفريقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعمير هذا الدنيا واختلافهم في البرزخ وهو ما بين الموت والبعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار لهذا المقدار وقيل معنى الا ما شاء ربك ... ما شاء ربك من الزيادة على ذلك بعد خلودهم فيهما وقيل ان على بمعنى في اي في الوقت الذي تقدمتا وقيل الا بمعنى الواو اي وقد شاء ربك خلودهم في النار وهم في الجنة يعني قوله ليلا يكون المستثنى عليه داخلا في المستثنى منه وقيل الا بمعنى الواو اي والذين كملوا وقيل معناه ولو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لم يشأ لعلمه بانهم يستحقون الخلود فيها قال البراهذا الاستثناء استثناه الله ولم يفعله كقوله والله لاضربنك الا ان اراني غير ذلك وغرضه ان نفي به بعد الافراد في معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول ويدل عليه قوله عطاء غير مجذوذ اي الآية ان ربك فعال لما يريد يعني في اخراج من اراد من النار واخذا لهم الجنة بفضله على الاحوال في حال التقريرين واما على التفصيل في قوله الا ما شاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقديره ان يحيط حصول الزفير والشهيق مع الخلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب ان يحمل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعني الا ما شاء ربك من الزيادة لهم في النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب الاشقياء معناه الا ما شاء ربك ان يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفي جانب السعداء معناه الا ما شاء ربك ان يرجع بعضهم الى منازل اعلا من منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود اهل الجنة في الجنة وهو ان الامة مجتمعة على انه من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو الذي فعله تعالى في جانب السعداء عطاء غير مجذوذ يعني غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يفعل لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يفعل لاهل النار وروى عن ابن مسعود انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة رضي الله عنه نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على اقل اما ان المؤمنين الذين يدخلون النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى البرد الزمهرير ليزداد وا عذابا فوق عذابهم والله اعلم فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء يعني فلا تك يا محمد في شك من هذه الاصنام التي يعبد هؤلاء الكفار بانها لا تضر ولا تنفع وما يعبدون الا كما يعبد ابا ؤهم من قبل يعني انهم ليسوا في عبادة هذه الاصنام مستندين الا الى تقليد اسلافهم الذين رأوا اباء هم يعبدونها فاتبعوهم وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص يعني وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نوفر لهم الرزق الذي قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد من توفية نصيبهم يعني من العذاب الذي قدر لهم في الآخرة كما مر في تأويل قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف فيه يعني في الكتاب فمن مصدق به ومن مكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك يعني تأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله لقضي بينهم يعني لعذبوا في الحال ولوقع عذابهم واهلاكهم والله لفي شك منه يعني من القرآن ونزوله عليك يا محمد مريب يعني انهم قد وقعوا في الريب وان اليهود والمختلفين المتخالفين العصف والعكس لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام في اللام للقسم تقديره والله ليوفينهم جزاء اعمالهم في القيامة من الجزاء الصدق على تصديقه والجزاء الكذب على تكذيبه النار انه بما يعملون خبير يعني انه لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده وان دقت فيجازيهم وعد المحسنين الصدقين ووعيد وتهديد للكفرة بين قوله تعالى فاستقم كما امرت الخطاب فيه

وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء.

للنبي صلى الله عليه وسلم يعني يا محمد على دينك والعمل به والدعاء له كما امرك ربك والامر به واستقم للتاكيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها ويحتمل ان يكون خطابا للمخاطبين فهم حث على ما انت عليه من الغيام حتى اتيك ومن تاب معك يعني ومن امن معك من امتك وليستقيموا ايضا على دين الله والعمل به كما عنه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ عنه روغان الثعلب وعن شعبان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسئل عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم ولا تطغوا اي ولا تجاوزوا امره الى غيره بالتعصب وقيل معناه ولا تقولوا في الدين فجاوزوا ما امرتكم به ونهيتكم عنه انه بما تعملون بصير يعني انه لقطع عالم باعمالكم ايكم لا يخفى عليه شيء منكم قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية ولذلك قال شيبتني هود واخواتها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر واراد به التسهل في الدين وترك التشدد بان هذا الدين مبني على اليسر ويشرع في كل باب ولن يغالب ولن يغالب احد هذا الدين فيتركه الا عجز عنه فقوي بل

اذا اجتنبت الكبائر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون في ذلك يبقى من درنه شيء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصدقة والذكر والصلاة والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما الكبائر من الذنوب فلا تكفرها الا التوبة النصوح التي وجوهها الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم والثبات ان لا يعود اليه المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط حصلت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله وقال ابن عباد في تفسير سيئات الحسنات انها قرنت بهما ان الله والحمد لله والله اكبر والقول الاول اصح انتهى الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والنخعي والضحاك وجمهور المفسرين ذلك اشارة الى ما تقدم من ذكر الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن ذكرى للذاكرين يعني عظة للمؤمنين المطيعين وهو الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل معناه واصبر على الصلاة يا محمد ان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اعمالهم وقال ابن عباس يعني المصلين قوله تعالى فلولا كان من القرون يعني بعضا كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم بالامة محمد اولوا بقية يعني اولوا تمييز وكياسة وخير يقال للرجل ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه اولوا بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة ينهون عن الفساد في الارض يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والاية للتشريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض بذلك اهلكناهم الا قليلا هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا ممن انجينا منهم يعني من امن من الامم وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في الارض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه يعني واتبع الذين كفروا انعمهم بالكفر والمعاصي ما تنعموا فيه والترفه التنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا فيه من النعم وايثار اللذات على الاخرة وفيها وكانوا مجرمين يعني كافرين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم يعني لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون يعني في اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل بمعنى الاية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعني يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستيصال في الدنيا اما عذاب الاخرة فهو لازم ولقد ذرأنا لجهنم الاية ان خوف الله مبناها على المسامحة وخوف العباد مبناها على المضايقة والتشديد قوله عز وجل ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني كلهم على دين واحد وشريعة واحدة يعني على اديان شتى مختلفين كما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل الخلق من هذه الاديان اختلفوا في دينهم ايضا اختلافا كثيرا الا من عصمه الله منهم فاذا

والنصارى مثل ذلك وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذي بنحوه عن معاوية قال فلم يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة اخرجه ابو داود قال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي فيه دليل على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدينونة جعلهم من امته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا واظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل الاهواء والمراد بالواحدة هي فرقة اهل السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله وافعاله وقوله تعالى الا من رحم ربك يعني الخارجين عن الفرق الضالة من رحم ربك بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون ولذلك خلقهم قال الحسن وعطاء والاختلاف خلقهم قال الشهاب سألت مالكا بن انس عن هذه الاية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والرحمة خلقهم يعني للجنة وقال ابو اسحاق خلقهم لرحمته وخلقهم للاختلاف وقيل خلق السعداء اهل الرحمة ليلا يختلفوا وخلق اهل العذاب ليان يختلفوا وخلق لهذا اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فجاء في الاية انه خلقهم اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم متفقين لحق على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحق على بعضهم بالرحمة وهم اهل الحق ومصيرهم الى الجنة وبذلك عمت هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا صريح بان الله تعالى خلق فريقا للجنة والرحمة بعدله وفضله لاعمال اهل الجنة وخلق فريقا للضلالة والنار بخذلانه لهم ومنعهم من لطفه بهم وكما نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك لما ذكر الله عز وجل

في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية ومجرى لهم مع انبيائهم فخاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على اذى قومك وتقتدي بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك انه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا القصص وعلم ان ذلك جميع الانبياء مع انباعهم فكذا تحمل عليه تحمل هذا من قومه والهمنه الصبر عليه وجاءك يا محمد في هذه الحق اختلفوا في هذا القصص الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجئ للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليه وقيل في هذه الاية وقيل في هذه السورة وهو الاولى وهو قول الاكثرين فان قلت فقد جاءه الحق في سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون في غيرها من السور بل القرآن كله موعظة وانما خصت هذه بالذكر تشريفا لها وموعظة وذكرى للمؤمنين اي وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تفكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم اي على وعيد وتهديد يعني اعملوا ما انتم عاملون واستعملوا عاقبة ذلك العمل انا عاملون نحو قوله اعملوا ما شئتم انا عاملون يعني امرناه ربنا وانتظروا يعني ما يعدكم به الشيطان انا منتظرون يعني ما يأيدكم من نقمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الاخرة ولله غيب السموات والارض يعني علم ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه شيء لا يتوقع فانه في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها وغايبها لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء واليه يرجع الامر كله يعني الى الله يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والاخرة فاعبده يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غير وتوكل عليه يعني وثق في جميع امورك فانه يكفيك وما ربك بغافل عما تعملون قال اهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والجميع المخلوقون معناه وكما ترهم والمعنى انه تعالى يجزي على الطاعات والمعاصي لا يخفى عليه منها شيء يجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته تم الكلام في الخبر اذا تمت السورة خاتمة السور اكمل الله اعلم بمراده واسرار كتابه وهو حسبنا ونعم الوكيل ليس الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يوسف عليه السلام

وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحد عشر اية والف وستمائة كلمة وسبعة الاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي وفي سبب نزولها قولان احدهما روى عن سعيد بن ابي وقاص قال انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى تلك اي تلك الايات الكتاب المبين نحن نقص عليك احسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن امر يعقوب وولده وشانه فبلغ ذلك رسول الله عز وجل فانزل الله تعالى تلك اي تلك الايات الكتاب المبين الاية بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر قد مضى تفسيره في اول سورة يونس تلك اشارة الى ايات هذه السورة المسماة بالراء يعني هذه ايات الكتاب المبين هو القرآن اي المبين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه وقال قتادة مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام وقيل معناه ان ايات القرآن بعضها مفسر وقيل انه بين فيه قصص الاولين وشرح احوال المتقدمين انا انزلناه يعني هذا الكتاب قرآنا عربيا اي انزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركي مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصته يوسف بالقرآن ليبهتوه فانزل الله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا على ما وصفتم والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف حال كونه عربيا على هذا الوجه لعلكم اي كلاكم ايها القرآن على بعضه لان اسم الجنس يقع على الكل وعلى البعض واختلف العلماء هل يصح ان يقال في القرآن شيء ليس بعربي فقال ابو عبيدة من زعم ان في القرآن لسانا غير العربية فقد اعظم على الله القول واحتج بهذه الاية انا انزلناه قرآنا عربيا وروي عن ابن عباس وما بعدها ان فيه من غير لسان العرب مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء العلماء من ابي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى والجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على السنتهم صارت عربية صحيحة وان كانت غير عربية في الاصل الا انها لما تكلمت بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فكلهى بها البيان صحة القولين وامكن الجمع بينهما لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا ايها العرب علانه نازل بلغتكم قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الاصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه واصله في اللغة من قص الاثر اذا تتبعه وانما سمي الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا بعد شيء والمعنى نحن نبين لك يا محمد اخبار الامم السالفة والقرون الماضية احسن البيان وقيل العلماء منه قصة يوسف عليه السلام خاصة سماها احسن القصص لما فيها من سير الملوك والمماليك والفقهاء وملك الملوك والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عند القدرة وغير ذلك من الفوايد المذكورة في هذه السورة التي بقية قال الخازن معنى ان سورة يوسف وسورة مريم تبكي عنهما اهل الجنة في الجنة قال علماء المعاني سورة يوسف

محزون لاستراح اليك وقوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت الخ اي وقد كنت من قبله يعني من قبل وحينا اليك لمن الغافلين يعني عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعيد بن ابي وقاص انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم فقالوا لو اخبار رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص فذكر لهم ما انزل الله عليه ثم انزل الله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فلما عز وجل اذ قال يوسف لابيه اي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليه وعليهم اجمعين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم ويوسف اسم عبراني وكذلك الياذ به قيل هو عربي سمي ابا الحسن الافكع عن يوسف قال الاسف الحزن والاسيف العبد واخ تعلى يوسف يسمى به يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال اهل التفسير اي يوسف في منامه كان احد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر يتجسسون له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة الغد ويوم النحر وقيل التاويل اخوانه وكانوا احد عشر رجلا يشتملهم كما يشتمل بالجمع والشمس ابوه والقمر امه وقول قتادة وقال الشيخ الفهامة لان امه راحيل كانت قد ماتت وقال ابن جريج الشمس ابوه والقمر امه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام ابن اثني عشر سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وارادوا السجود تواضعهم له ودخولهم تحت امره وقيل اراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود وان فلت ان الكواكب جماد كالنخل فكيف عقل يكون من يعقل في قوله رايتهم ولم يقل رايتهن وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما اجرى لها هنا منها بعض من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل وهو قوله يا ابت الخ وقيل ان الفعل لبعضها والتعجيم يزعمون ان الكواكب احياء ناطقة حساسة يجوز ان يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا الوجه اليس بشيء والاولى والاحرى بان قلت فذكر اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرؤية في ثانية فقال رايتهم لي ساجدين فما فائدة هذا التكرار قلت معنى الرؤية الاولى انه راى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤية الثانية انه اخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر كانه قيل له وكيف رايتهم لك ساجدين فقال رايتهم لي ساجدين وانما اعاد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب الذي عطفها وشرفها على سائر الكواكب قال اهل التعبير ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف عليه السلام لمحاسنه اخوته لهذا السبب وكذلك لما راى يوسف هذه الرؤيا كان تاويلها ان اخوته وابويه يخضعون له بالعبد فقال يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك اي لا تخبر برؤياك فيعبرون تاويلها فيعبرون الكيد ايجيئوا الى هلاكك بامره بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحي وحق واللام في ليكيدوا للكيد والكيد اتاكيد للعلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك ان الشيطان للانسان عدو مبين يعني كما بين العداوة لان عداوته قديمة منهم ان افرد واعالكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته وعزاه فقال لا تحدث ارى الرؤيا تمرضي حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان فاذا راى احدكم ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا ويتعوذ بالله من الشيطان وشرها فانها لن تضره ع عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره ع عن جابر بن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا راى احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه ترى زين العابدين فلا فلان رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال واحسبه قال الرؤيا الحسنة بشرى من الله والرؤيا السوء من الشيطان فمن رؤيا يحدث بها فلا يحدث الا لبيبا او حبيبا اخرجه الترمذي والبيهقي ورواه غيره قال الشيخ محي الدين النووي قال العلماء يذهب اهل السنة في حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة واذا خلق في هذه الاعتقادات بان جعلها علما على امور اخر بجعلها كذلك والجميع خلق الله تعالى ولكن خلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها علما على ما يجيء يقع حتى ان الشيطان واذا خلق ما هو علم على ما يبغض يكون بخلق الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة فبهذا معنى قوله فليتعوذ بالله من الشيطان والحلم من الشيطان لا على ان الشيطان يفعل ما يشاء والرؤيا اسم للمحمود والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضافة الرؤيا المحمودة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وانكانت جميعا

من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروه ويرتضيها فيستحب اذا راى الرجل في منامه ما يحب
فليحدث به من يحب واذا راى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها وليتفل ثلاثا وليتحول
عن جنبه الاخر فانها لا تضره لان الله تعالى جعل هذه الاسباب تسببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية
المال وغيره من البلاء والله اعلم قوله تعالى **وكذلك يجتبيك ربك** يعني بقوله يعقوب ليوسف عليهما السلام اي وكما رفع
منزلك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك يعني يصطفيك ربك واجتباء الله العبد تخصيصه اياه بفيض
الهي فيحصل له منه انواع من الكرامات بلا سعي من العبد وذلك يختص بالانبياء وببعض من يقاربهم من الصديقين
والشهداء والصالحين **ويعلمك من تاويل الاحاديث** يعني به تعبير الرؤيا سمي تاويلا لانه يؤول امره الى ما رأى في منامه
اي يعلمك تاويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه السلام اعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تاويل
احاديث الانبياء والامم الخالية والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة **ويتم نعمته عليك** يعني بالنبوة
قال ابن عباس لان منصب النبوة اعلا من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان
جميع الخلق دونهم في المراتب والمناصب **وعلى ال يعقوب** المراد بال يعقوب اولاده فانهم كانوا انبياء وهو المراد من
تمام النعمة عليهم **كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق** بان جعلهما نبيين وهو المراد من اتمام
النعمة عليهما وقيل المراد من اتمام النعمة على ابراهيم عليه السلام بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من تمام النعمة
على اسحاق بان خلصه من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحاق هو الذبيح وليس بنبي والقول الاول اصح بان اتمام النعمة عليهما
بالنبوة لانه لا اعلى من منصب النبوة فهو من اعظم النعم على العبد **ان ربك عليم** يعني بمصالح خلقه **حكيم** يعني انه تعالى لا
يفعل شيئا الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كان بين رؤيا يوسف
هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابيه واخوانه اربعون سنة وهذا قول اكثر المفسرين قال الحسن البصري كان بينهما
ثمانون سنة فلما بلغ هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه قوله عز وجل
لقد كان في يوسف واخوته يعني في خبره وخبر اخوته واسمائهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي ويهودا وريالون
ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين احدهما زلفة والاخرى تلهمة اربعة
اولاد واسماؤهم دان ومعالي وحاد وابشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت يوسف وبنيامين فهؤلاء
بنوا يعقوب وهم الاسباط وعددهم اثني عشر نفرا **ايات للسائلين** وذلك ان اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
قصة يوسف وقيل سالوه على سبب انتقال ولد يعقوب من ارض كنعان الى ارض مصر فذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة
في التوراة فعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دلت على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يجالس
العلماء واصحاب الاخبار ولم ياخذ على احدهم شيئا فدل ذلك على انه ما اتى به وحي سماوي وعلم لدني اوحاه الله اليه وعرفه به ومعنى
ايات للسائلين اي عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على انواع من العبر والمواعظ والحكم منها رؤيا يوسف وما خلق
الله فيها ومنها حسد اخوانه له وما ال اليه امرهم في الحسد ومنها صبر يوسف على بلواه مثل القائه في الجب وبيعه عبدا وسجنه
بعد ذلك وما ال اليه امره من الملك ومنها ما اشتمل على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما ال اليه امره من بلوغ المراد وغير ذلك
من الايات الذي اذا فكر فيها الانسان اتعظ واعتبر **اذ قالوا ليوسف** اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف **واخوه** يعني
بنيامين وهما من ام واحدة **احب الى ابينا منا ونحن عصبة** انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف واخيه لما راوا
من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبة هي العشرة فما زاد وقيل هي ما بين
الواحد الى العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين والاصل فيها ان كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض يسمون عصبة والعصبة
لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر **ان ابانا لفي ضلال مبين** يعني انه لفي خطا بين في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع
فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من امر دنياه واصلاح امر مواشيه وليس المراد بذكر هذا الضلال هو الضلال عن الدين اذ لو
ارادوا ذلك لكفروا به لكن ارادوا به الخطا في تدبير امر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن انفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف
محبته اليه لانا اكبر منه سنا واشد قوة واكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو ان يعقوب عليه السلام ما فضل يوسف
عليه السلام واجله على سائر اخوته الا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل ان يعقوب انما

بحكمة

خص يوسف

خصّ يوسف بمزيد المحبّة والشفقة لان امّه ماتت وهو صغير ولما رأى فيه من آثار الرشد والنجابة مالم يره في سائر اخوته فان
فلت الذي جعله اخوة ليوسف بيوسف هو نفس الحسد والحسد من المهلكات الكبائر وكذلك نسبتهم اليهم الى الضلال هو نفس
العقوق وهو من الكبائر وكل ذلك قادح في عصمة الانبياء بما الجواب عنه قلت ان هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف
قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين
غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة في عصمة الانبياء فوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف
اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لما نزل الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بدّ من تبعيد
يوسف عن ابيه وذلك لا يحصل الا باحد امرين اما القتل مرة واحدة او التغريب الدائم من اجتماعه بأبيه بأن يقيم بين
السباع او بصوب تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهو قولهم يخل لكم وجه ابيكم والمعنى انه قد تشاغل قلب
يوسف عنكم واذا ابعدتم ذلك يوسف اقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم وقولوا من بعده اي من بعد قتل يوسف
وابعاده عن ابيه قوما صالحين اي تائبين فتتوبوا الى الله يعفو عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لقنا علموا ان الذي عزموا
عليه من الذنوب الكبائر فلهذا قالوا فتوبوا الى الله من هذا الفعل وتكونوا من القوم الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه تصلح
لكم امركم فيما بينكم وبين ابيكم قال فلت كيف يليق ان تصدر هذه الافعال وهم انبياء قلت الجواب ما تقدم انهم
لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت حتى يكون هذا العمل قادحا في عصمة الانبياء وانما اقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان
القائل انما اشار في قتل يوسف كان اجنبيا شاوروه بذلك قال فاما ان كنتم فاعلين ليوسف يعني قال قائل من اخوة يوسف
وهو يهوذا او قال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان اكبرهم واحسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاولى
ان قائل هذا كان يهوذا لانه كان قد اخذ منهم الميثاق والعهد ان لا يقتلوا يوسف يعني القوه في اسفل الجب وملئته والجباية
كل موضع بقي عن الماء والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب اي قطع ولم يطو واذا ذكر الغيابة مع الجب ان المشبهة
اشاروا بكم حتى في موضع من الجب مظلم لا يراه فيه احد واختلفوا في مكان ذلك الجب قال مقاتل هو ببيت المقدس وقال وهب
بقرب ارض الاردن وقال مقاتل هو في ارض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب للعلة التي ذكروها وهي
قولهم يلتقطه بعض السيارة وذلك لان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والتقاط الشيء اخذ الشيء
من الطريق او من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة يعني يأخذه بعض المسافرين يذهب الى ناحية اخرى
فتستريحوا منه ان كنتم فاعلين فيه اشارة الى ترك الفعل وكأنه قال لا تفعلوا شيئا من ذلك وان عزم على هذا الفعل
فاجعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال يعقوب ما تواريتم بالغين ولم يكونوا قبل بعده وقيل لم يكونوا
بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين قالوا يعني قال اخوة يوسف
أتأمنا على يوسف بدؤوا بالانكار عليه في ترك ارسال يوسف معهم انهم قالوا الخائف عليه اذا ارسلته معنا وانا
له لناصحون المراد بالنصح هنا الغياث بالمصلحة وقيل البر والعطف والتحنن لعلمهم ان يعقوب عليه السلام كان يبين بمصلحته
ويحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك انهم قالوا مالك لا تأمنا على يوسف معنا فقال يعقوب انما لم أجز نسيانكم ان تذهبوا
به فحينئذ قالوا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا ارسله معنا غدا يعني الى الصحراء نرتع
نرتع الانتشاع في الطاعة يقال ارتع فلان في ماله اذا انفقه في شهواته والاصل في الرتع اكل البهائم في الخصيب من الربيع
ويستعار للانسان اذا اريد به الاكل الكثير ونلعب اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا فعل فعلا لا يقصد به مقصدا صحيحا
سئل ابو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم انبياء فقال لم يكونوا يومئذ انبياء ويحتمل ان
يكون المراد من اللعب هنا الافعال على المباح لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لحيابر هلا بكرا
تلاعبها وتلاعبك وايضا فالجميع كان الاستباق وهو عرض صحيح مباح لما فيه من الممارسة والاقدام على الاقران
في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل معناه نرتع ونلعب ونأكل ونلهو ونتسبق
وانا له لحافظون يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما قال يعقوب اني ليحزنني
ان تذهبوا به اي ذهابكم به والحزن هنا الغلب يقال احزنني الامر اذا غلبني ومعنى الاية انه لما طلبوا منه ان يرسل معهم
يوسف اعتذر يعقوب عليه السلام بعذرين احدهما ان ذهابهم ومفارقته اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر

عشرة ساعة والثاني قوله واذا ذهبوا به الى غيابت الجب وانتم عنه غافلون يعني اذا عملوا برأيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه السلام كان يراه في المنام ان ذئبا شد على يوسف وكان يعقوب يحاذر عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب في ارضهم كثيرة فلذلك يعني قال اخوة يوسف لئن اكله الذئب ونحن عصبة يعني جماعة عشرة رجال انا اذا لخاسرون يعني عجزة ضعفا. وقيل انهم خافوا ان يدعوا عليهم يعقوب بالخسارة والبوار وقيل معناه كنا اذا لم نقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا خاسرون فوله عز وجل فلما ذهبوا به فيه اضمار تقديره فارسلوه معهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب يعني وعزموا ان يلقوه في غيابات الجب ذكر قصة هابيل يوسف عليه السلام قال وهب وغيره من اهل التفسير والاخبار ان اخوة يوسف عليه السلام ما تشاوروا ان يخرج معنا الى معايشنا ننصيد ونستبق قال بلى قالوا له بشرط ان ترسل معنا قال ليوسف بعد ان خلوا بجماعتهم عن ابيهم يعقوب قولوا يا ابانا ان يوسف احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال يا ابت اني ارى مراعي الغنم والكلب واحب ان تأذن لي وكان يعقوب يحب معرفته ويحب مضاته فاذن له وارسله معهم فلما خرجوا من عند يعقوب جعلوا يجملون نعالهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى موضع الفلوة القوه على الارض واظهروا له ما في انفسهم من العداوة واظهروا له الفراق وجعلوا يتمثلون به فجعل كلما جاء الرجل منهم واستغاث به ضربه بالسيف حتى ما بقي منهم احد الا ضربه فلما رأى يوسف ما نزل بهم من اخوته لاحق ذلك وابكاه يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك ويجعل يبكي بكاء شديدا فاخذه ويجعل يجلد به الارض فجثم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مهلا يا اخي لا تقتلني فقال له يا بن راحيل قد حان الاجل فقال له يوسف تخلصني من يديك ولوي عنقه فاستغاث يوسف بيهودا فقال له انت اخي وبيني وبينه من يريد قتلي فادركته رحمة له فقال يا اخوة ما على هذا اعاهدتموني الا ادلكم على ما هو اهون لكم وارفق به فقالوا وما هو فقال تلقونه في هذا الجب اما ان يموت او تلقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بير هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الراس يجعلون يدلونه في البير يتعلق بشفيرها بروس اصابعه وينزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي استتر به فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال اني لم ار شيئا قالوه قبلك وقيل جعلوه في دلو ثم ارسلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه اراد ان يموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت في البير فقام عليها وقيل نزل اليه ملك فحل يديه واخرج له حوتا في البير واجلسه وقيل انهم لما القوه في الجب جعل يبكي فنادوه بكلمات ارحمة ادركني واجابهم باراده ان يرضخوه بحجارة ليقتلوه فمنعهم يهودا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بقي مع اخوته اخرج له نبي الله ابراهيم عليه السلام الذي فداه الله اياه من الجنة جبة الفوه في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف بعد البسه الملك اياه حتى الفي في الجب وقال السدي لما القي يوسف في الجب غدت ماوه فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل عليه السلام فاستأنس به فلما امسوا نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رهبت شيئا فقل يا صاحب المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج عن المكروبين فدونك مكانك وتعلق جناحه فكان يطير به حتى يأتيه بالطعام كل يوم فلما القي يوسف في الجب قال يا شاهد غير غائب ويا قريب غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امرك فرجا ومخرجا انك على ما تشاء قدير فجعل الله ذلك الجب له مؤنسا ومن وحشته سلاما وشفاء وقيل اوحى الله تعالى الى الجب لا تهوله ظلمة البئر ولا تكلمه وحدته فاني سأجعله نبيا ورحمة للعالمين في وقت الرخاء وكما جعلت النار على ابراهيم بردا وسلاما كذلك اجعلك له مؤنسا ورحمة

ستخبرهم بصنيعهم هذا والعبارة بإخبار ذلك اخبار الوحي عنهم انهم اذا بوه قريبا ازداد حسدهم له وقيل
ان الله اوحى الى يوسف لتخبرنّ اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون يا ابت انت يوسف والمقصود من
ذلك تقوية قلب يوسف عليه السلام واذ تستعلم مما هو فيه من المحنة ويصير ملتوليا عليهم ويصيرون تحت امره
وقهره قوله تعالى وجاءوا ابا هم عشاء يبكون قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا الى ابيهم وقت العشاء
ليبكون في الظلمة ايراءا على الاعتذار بالكذب ولما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصيحون ليسمع اصواتهم فيجزع لذلك
ويخرج اليهم فلما سمعهم قال لهم ما لكم يا بنيّ اصابكم شيء فقالوا انا ذهبنا نستبق قال ابن عباس رضي الله عنهما نتسابق وقال الزجاج ينتضل بعضنا بعضا
والاصل في الاستباق الاستباق بالاقدام يقال استبقا الرجلان اذا تسابقا على الاقدام ليتبين ايهما ابعد سبقا وقال الليث يقال
نشتد ونعدو والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين اينا اسرع عدوا واجود رمية وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد
وتركنا يوسف عند متاعنا اي عند ثيابنا فاكله الذئب اي جاء الذئب فاكله وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا
يعني ما انت بمصدق لنا ولو كنا صادقين اي في قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لاتهمك لانك لا تصدقنا لشدة محبتك ليوسف
فانك تتهمنا في قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين بانك لا تصدقنا لانه لم يظهر عندك امارة تدل على صدقنا وجاءوا
على قميصه اي قميص يوسف بدم كذب اي مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا يلطخون قميص يوسف
ثم جاءوا ابا هم وقد انتبه الذئب ولم يشقوه فقال يعقوب كيف اكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم
بذلك وقيل انهم اتوه بذئب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب ايها الذئب انت اكلت ولدي وثمرة فؤادي فافترسته
الله عز وجل وقال والله ما اظنك ولا رأيت ولدك قط ولا بلغنا ان تأكل لحوم الانبياء فقال يعقوب كيف وقعت بارض
كنعان بين اهلة فرابة فاخذوني واتوا بي اليك فاطلقه يعقوب ولما تركي اخوته يوسف ليعقوب هذا الكلام واختبروا
عما فيه بالتعريض التعليق بالذئب قال يعقوب بل سولت لكم انفسكم امرا اي زينت لكم انفسكم امرا واصل
التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه قال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء
الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما وكتمتموه مني يوسف وهو نقيه في عينك بعد هذا فيكون معنى قوله
بل سولت لكم انفسكم اكله الذئب بل سولت لكم انفسكم امرا آخر غير ما تصفون فصبر جميل اي فشأني صبر جميل وقيل معناه
فصبري صبر جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل هو الصبر الذي لا تحدث فيه بينك ولا تزكي نفسك والله
المستعان على ما تصفون اي من الغدر والكذب وقيل معناه والله المستعان على عمل ما تصفون فوله عز وجل وجاءت
سيارة وهي القوم المسافرون سموا سيارة لمسيرهم في الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطؤا الطريق
فنزلوا قريبا من الجب الذي فيه يوسف وكان في قعره ماء فلما دلوا فيه دلوهم تعلق يوسف بالحبل فاخرجه فلما رأى
فيه يوسف غلاما امرد حسن الوجه جعد الشعر نحم العينين معتدل الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والكتفين
صحيح الجسم صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور في ثناياه وحواليه واذا تكلم رأيت شعاع النور من لثاياه لا يستطيع
احد وصفه كان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه وصوره وقيل ان يعقوب الخطيئة
قالوا فلما اخرج يوسف ورآه مالك بن ذعر الخزاعي احسن ما يكون من الغلمان ما يقع الوارد وهو الذي يرد الماء ليستقي لهم
يقال الوارد لصاحبه ابشروا هذا غلام وقرئ يا بشرى بغير اضافة ومعناه انا لوارد ونادى رجل من اصحابه اسمه بشرى
كما تقول يا زيد يقول ان جدران البير تكيف على يوسف حين خرج منها واضمروه بضاعة فقال اخوته هذا مال لنا
خلفناه في البير فقال التجار الذين رأوا معه ما قالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض اهل الماء الرمي وانما قالوا ذلك

BIBLIA

خيفة ان يكبروا منهم الذي كان فيه وقيل ان اخوة يوسف اسروا شأن يوسف يعني انهم اخفوا امر يوسف وكونه اخاهم بل قالوا هو
عبدنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن ذاعر والمحابه والقول الاول اصح ان مالك بن ذاعر
هو الذي اسره بضاعة من اصحابه والله عليم بما يعملون يعني من ارادة العلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا لرؤياه
انه يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا قال صاحب الاخبار ان يعقوب كان يأتيه يوسف بالكعك فاتاه فلم يجده في البيت فاخبر
اخوته بذلك فطلبوه فلم يدروا اين ذهب مالك بن ذاعر نزل قريبا من البير فلما توسم فلما رأى يوسف قال والله هذا عبدنا ابق منا
وقال انهم هذروا يوسف حتى تم حاله والذي بقي وقال انهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم وذلك قوله فباعوه وشروه اي
باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى بعته ولهذا وجب حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في
وشروه في وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير في وشروه يعود
على مالك بن ذاعر والمحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على بابه بثمن بخس قال الضحاك ومقاتل والكلبي بخس حرام
لان ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخسا لانه ممحوق البركة يعني منقوص وقال ابن مسعود وابن عباس بخس زيوف
يعني ناقصة العيار وقال قتادة بخس ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخس اي
قليل وعلى الاقوال كلها البخس في اللغة نقصان الشيء على سبيل الظلم والبخس والباخس الشيء الطفيف دراهم معدودة
فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان كانوا لا يزنون اقل من اربعين درهما انما كانوا يأخذون مثلثي عدد
فاذا بلغت اربعين وقية وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما كانت عشرين
درهما فلم تسو عندهم اكثر من عشرين درهما في هذا القول لم يأخذوه مزامه وابيه شيئا منها وقال في رواية اخرى كانت اثنين
وعشرين درهما وعلى هذا اخذوه منه بعشرة دراهم لانهم كانوا احد عشر انسانا وقال عكرمة كانت اربعين درهما وكانوا فيه من
الزاهدين يعني وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين واصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه
رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة
الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل ان يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد ابق الملك المطلع قلة الرغبة فيه لهذا
السبب فالاحباء الاخبار ثم ان مالك بن ذاعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا
منه لا يأبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر يعني فعرضه مالك على البيع واشتراه فطير قال ابن عباس وكان فطيس صاحب امر الملك
وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد بن ثروان وكان من العمالقة وقيل ان
هذا الملك لم يعش حتى آمن بيوسف واتبعه عاديته ثم مات ويوسف عليه السلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر نفى فطيس مالك
ابن ذاعر واشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعلين وثوبين ابيضين قال وهب بن منبه فدت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به
السوق يعرضونه للبيع فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة رطل وكان
ثمنه يومئذ ثلاث عشرة سنة فاشتراه فطيس بعد ذلك فولاه على بيته وقال لامرأته اكرمي مثواه يعني تفقدي من امر مصر
وكان اسمها راعيل وقيل زليخا اكرمي مثواه يعني اجعلي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل الكسوة والمطعم
والملبس والمقام عسى ان ينفعنا يعني ان اردنا بيعه بعناه بربح او يكبر بعض امورنا ومصالحنا اذا قوي وبلغ او نتخذه
ولدا يعني نتبناه وكان عقيما لا يولد له وقال ابن مسعود ابو بني افراييم وكان اسن من ابي يوسف حين اشتراه العزيز يوسف حين
عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب في موسى حين قالت لابيها استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وكذلك
مكنا ليوسف في الارض يعني كما مكنا على يوسف بان انقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك مكنا له في الارض يعني ارض مصر
فجعلناه على خزائنها ولنعلمه من تأويل الاحاديث اي مكنا له في الارض لكي نعلمه من تأويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا
تفسيرها والله غالب على امره قيل الكناية في امره راجعة الى يوسف ومعناه ان الله تعالى مستول على امر يوسف بالتدبير
والاحاطة لا يكله الى احد سواه حتى يبلغ منتهى علمه فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه
ولما بلغ اشده يعني منتهى شبابه وقوته قال قتادة هو ما بين ثلاثين سنة الى اربعين سنة وقال السدي ثلاث وثلاثين سنة وقال المجاهد ثنتين وعشرين سنة وقال الكلبي الاشد
ما بين ثمانية عشر سنة الى ثلاثين وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم آتيناه حكما وعلما يعني اتينا يوسف بعد بلوغ
الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل البرهين الحكم والعلم ان العالم هو الذي

يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري. وكذلك يجزي المحسنين يعني وكما انعمنا على يوسف بهذه النعم كذلك نجزي المحسنين قال ابن عباس من يتق المعاصي ويصبر على المصائب وعنه ايضا المتهجدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف وراودته التي هو في بيتها عن نفسه يعني ان امرأة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها لتواقعها وغلقت الابواب اي اغلقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية او انها اغلقت ليشتد خوفها وقالت هيت لك اي بعلم وافبل قال ابو عبيدة كان الكسائي يقول هي لغة كما هما حوران ربضت الى الحجاز معناها تعالي وقال عكرمة بالحورانية ايضا تعال وقال مجاهد وغيره لغة عربية هي كلمة حث واقبال على الشيء وقيل هي بالعبرانية واصلها هيت الخ اي تعال وهيت بفتح الهاء وكسرها لكم وقال الهيت بفتح الهاء لغة القوم يقول ان القوم وافقت الحبشة بهذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في الفسطاس ولغة العرب للناس والقسطار ولغة العرب للشرك في القسطاس ولغة العرب المتعبشة يا نكيثة الليل والجملة بان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لهم وفرت هيت بكسر الهاء مع الهمزة ومعناه تهيأت لك قال يوسب قال يوسف معاذ الله اي اعوذ بالله واعتصم به والجأ اليه فيما اراد مني انه ربي يعني العزيز فصير سيدي احسن مثواي اي اكرم منزلتي ولا اخونه وقيل ان الهاء انه ويعود راجعة الى الله تعالى يقول ان الله ربي احسن مثواي يعني انه هداني ورباني انه لا يفلح الظالمون يعني ان بعلة هذا الفعل قال الظالم والظالمون وقيل معناه لا يسعد الزناة قوله عز وجل ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه الاية هذه الاية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها ومقامين الاول في اقوال المفسرين في هذه الاية قال المفسرون الهم هما المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر همت الشيء اذا اردته وحدثت نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به اي اردته وقصدته بحيث لو لم يمنعها عنه لفعلت المعصية والزنى قال الزجاج معنى همت به اي اشتهت الامر اذا قصده وعزمت عليه قال الشاعر وعجبت مني اذ رأتني طاويا ** همت ولم افعل وكدت واميت ** تركت عادتها ان تبكي حليلة ** وقوله ولقد همت به معناه ولقد هجمت بخاطر الهمة وهم بها وهم بخاطر الهمة لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لخالطها فاما الهم بها فهو ما روي عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين ومنهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيديه الى جيب يوسف وبيده الاخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال ابو عبيدة العالمي بن سلام وقد انكر قوم هذا القول قال البغوي والقول ما قاله المتقدمون من هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي وابن الانباري لما اراد امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسها وتعرضه الى نفسها فقالت يا يوسف ما احسن شعرك فقال هو اول ما ينتثر من جسدي قالت ما احسن عينيك قال هو اول ما يسيل على خدي قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط فهلم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تكلمه وتدعوه الى نفسها وهو شاب يحدث نفسه بشبابه ما يهيجه الرجال وهي امرأة حسناء جميلة حتى قال لها ما يريد ان يفعل به فهم بها اي اشتهى ان يقع بها ثم انه تذكر عند ذلك برهان ربه فلم يقع بها وهو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها بعشر امثالها وفي رواية عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة وان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات وان هم بها وعملها كتبها الله له بسبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له حسنة وان هم بها وعملها كتبها الله له بسيئة واحدة زاد في رواية ومحاها ولا يهلك على الله الا هالك قال الفارسي في كتابه الينبوع فهذا مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم الغير المؤاخذ به ولبست سيئة وذكر المحدثين المتقدم ولا معصية. وهم يوسف اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين بان الهم انما وقعت عليه النفس كان

بشبه واما ما تهوى عليه النفس كان همومها وغمومها فهو المعفو عنه هذا هو الحق ويمكن ان شاء الله تعالى يوسف من هذا
ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اما ابرئ من هذا الهم او يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بالمخالفة النفس لما ذكر قبل
كيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف عليه السلام لم يهم واذا الكلام فيه تقديم وتاخير ولقد همت به ولولا ان را برهان
ربه لهم بها وقال ابن قتيبة حكاية عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال ايضا كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال
ايضا وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الاية وقيل في قوله وهم بها ليزجرها ووعظها وقيل هم بقتلها
امتناعه منها وقيل ابتدا بالضرب وقيل هم بفعل بعد وقعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء
يحملن الرجال مثل شهوة حتى تبداه الى بالذي عليه هيبة النبوة بشغلت هيبته كل من راه عن حسنه هذا اخر كلام القاضي
عياض واما الامام فخر الدين فانه بعد هذا القول كلاما كثيرا مبسوطا وانا اذكر بعضه ملخصا بانوار قال الامام فخر الدين ان يوسف
عليه السلام كان يريد من العمل الباطل وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول ومنه نذب بيان الدليل قد دلت
على عصمة الانبياء عليهم السلام حتى قدرت منهم صغيرة اوزلة استحقوا بها اعظم الذم والتوبة والاستغفار كما ذكر عن ادم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقال حواء عليه السلام فاستغفر ربه وخر راكعا
واناب واما يوسف عليه السلام فلم يحط عنه شيا من تلك الواقعة اذ لو صدر منه شيء لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو
اتى بالتوبة لحكى الله ذلك في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيا علمنا براءته مما قيل ولم يصدر عنه شيء
كما نقله اصحاب الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من قال ان قوله تعالى بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب
اليه واعلم ان الذين لم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمراة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن ايديهن والمولود الذي شهد على الفريق
والله تعالى شهد ببراءته من الذنب ايضا اما بيان ان يوسف انما برا ته مما نسب اليه فقوله تعالى براودته عن نفسه وقوله رب السجن احب
الي مما يدعونني اليه واما بيان ان المراة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته فقولها انا راودته عن نفسه
واستعصم وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المراة اعترف ايضا ببراءة
يوسف قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم الى قوله الخاطئين واما شهادة الشاهد ببراءته فقوله وشهد شاهد من اهلها الاية
واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه
سلطان بدليل قوله الا من غوى بينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهم حتى اتخذ بيده
وجيد المراة حتى جمع بينهم بانه قول من لم يجوز الصغائر لاحد ان يقول ذلك واما ما روي عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخاتن فما روي عن ابن عباس
انه قول مثل هذا عن يوسف عليه السلام ولعل بعض القصاص او اصحاب الاخبار وضعوه عن ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره انها
بانه لا يصح بسند صحيح وبكل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه السلام من هذه الرذيلة والله اعلم ببراءة سر
واسرار كتابه وما صح عن انبيائه عليهم السلام واما قوله تعالى بعد هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل ولولا ان را برهان ربه الاية
فلقد فيه اعظم الفوائد وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى اعلم يوسف انه لو لم هم بها بعد ما تبين له بالعلم ان
الامتناع من عربها اولى من ان يهم بها للنفس عن الهلاك الوجه الثاني انه عليه السلام لو اشتغل بها بعد ما عن نفسه لتعلقت بهو كان
في ذلك ان تتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام كان يوسف هو الجاني واذا تمزق من خلف
كانت هي الجانية واعلمه بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بعدها عن نفسه بل ولى هاربا فشهد بذلك الشاهد
حجة له لا عليه واما تعيين البرهان على ما ذكره المفسرون فقوله عز وجل ولولا ان را برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين
ان يوسف را صورة يعقوب وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير
ومجاهد وعكرمة والضحاك انه جاء له ليضرب البيت فرا يعقوب عاضا على اصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب
فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقال السدي ناداه يعقوب يا يوسف تواقعها فاما مثلك مثل الطير
جاء السفاد فان كان عليه ريش طار وان لم يكن عليه ريش وقع فاما مثلك اذا وقعت على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيا ومثلك مثل
لم يواقعها مثل البهيمة الذي لا يكلف ومثلك ان واقعتها كمثله اذا مات ودخل النمل في فرجه لا يستطيع ان يدفع عن
نفسه وقيل انه را معصما بالعصمة عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فجاء
المعصم وعليه مكتوب والتفريط الزنى انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فراى ذلك الكف وعليه

مكتوب

مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية ثم عاد فقال تعالى لجبريل ادرك عبدي يوسف فبادر ان يصيب الخطيئة فاخذ
جبريل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله في الانبياء وقيل انه متحه بجناحه فخرجت
شهوته من انامله وقال محمد بن كعب الغرضي رفع يوسف راسه الى سقف البيت فرأى كتابا في حايط ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وساء سبيلا وفي رواية عن ابن عباس انه رأى شاك العلك وعن علي بن الحسين قال كان البيت صنم فقامت المراة اليه
وستر ته بثوب فقال لها يوسف لم فعلت هذا فقالت استحييت منه ان يرى على معصية فقال لها يوسف تستحيين من هذا
يسمع ولا يبصر فانا احق ان استحيي منه وهرب وذلك قوله لولا ان رأى برهان ربه اما المحققون فقد فسروا البرهان
بوجوه قال الجبائي بن محمد الصائغ في البرهان النبوة التي جعلها في قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثاني البرهان
حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنا والعلم بما في الزنا من العقاب الثالث ان الله عز وجل اطلعه على قبح الابتلاء عليهم السلام عن الاخلاق
الذميمة والافعال الرديئة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الكاملة المقدسة فتلك الاخلاق الكاملة الشريفة تحجزهم عن فعل ما
لا يليق بفعلهم كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء يعني كما اريناه البرهان لنصرف عنه السوء يعني الاثم والفحشاء يعني الزنى
وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء القتل والفحشاء الضرب وقرأ السوء عنه ذلك وجعله من عباده المخلصين وهو قوله انه يعني
يوسف من عبادنا المخلصين قرأ يفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على جميع الخلق
وقرأ بكسر اللام ومعناه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل فوله تعالى واستبقا الباب وذلك ان يوسف عليه السلام
لما ان رأى برهان ربه فر هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المراة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والتقميص تابعة كالقباء
يسبق يوسف وادركته المراة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج بذلك قوله وقدت قميصه من دبر يعني شقته
من خلف والفيا سيدها لدى الباب يعني وجدا زوجها وهو العزيز عند الباب عجلا يستبقان مع ابن عم
المراة فلما رأته المراة قالت ما جزاء من اراد بامراتك سوءا يعني الزنا قالت يعني زوجها ما جزاء من اراد بامراتك سوءا
يعني الفاحشة ثم خافت عليه ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت الا ان يسجن يعني يحبس بالسجن ويمنع التصرف وعذاب
اليم يعني الضرب بالسياط وانما بدات بالسجن على العذاب لان المحب لا يشتهي ان يلقى المحبوب وانما اردت ان يسجن
عندها يوما او يومين ولم ترد السجن الطويل وعذابه فلما سمع يوسف مقالتها اراد ان يبرء عن نفسه فقال هي
راودتني عن نفسي يعني طلبت مني الفاحشة فابيت وبرئت وذلك ان يوسف عليه السلام لما كان يريد ان يذكر
هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت ما قالت وكتمت عرضها احتاج الى ازالة التهمة عن نفسه فقال هي
راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها يعني وحكم حاكم من اهل المراة واختلفوا في ذلك فقال سعيد بن جبير
والضحاك كان صبيا في المهد انطقه الله عز وجل وهو رواية عطاء عن ابن عباس وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تكلمت اربع وهم صغار يوسف شاهد امراة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وذكر البغوي بغير
سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المراة وفضلهم في حجة الصحيح قبل ان هذا الغيب
شاهد يوسف من اهل المراة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما اذا راى وقال الشعبي
هو ابن عم المراة لما قال ان كان قميصه قد من قبل الى من قدام يعني فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه
قد من دبر الى من خلف يعني وهو صادق فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن يعني التهمة عن يوسف
وانما كان هذا الشاهد من اهل المراة ليكون ادعى الى نفي التهمة عن يوسف عليه السلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدقه ويوسف عليه السلام ونفي النفعة عنه منها انه كان في
الظاهر مملوك هذه المراة والمملوك لا تتسع يده الى سيدته ومنها انهم شاهد ويوسف يفر والهارب يقفو والطالب لا يهرب ومنها انهم راوا المراة وقد تزينت باجمل الوجوه فكان الحامل والتهمة بها اولى ومنها انهم رأوا يوسف
في العدة الطويلة بلا ريح عليه حالة تنابيب افذا سمع مثل هذه الحالة فكان في خروج هذه العلامات الدالة على صدقه
مع شهادة الشاهد له بصدقه ايضا فلما راى قميصه قد من دبر يعني فلما راى الشاهد زوج المراة قميص يوسف عليه
السلام قد من خلفه عرف خيانة المراة وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن يعني قال الشاهد زوجها يعني من هذا الصنيع من كيدكن
يعني من حيلكن ومكركن ان كيدكن عظيم يعني بان فتنة كيدكن ومكركن عظيم مع قوله تعالى خلق الانسان
ضعيفا ولما كان كيد الرجال اعظم من كيد النساء قال انما كيد الانسان خلق ضعيفا يعني بالنسبة

ان خلق ما هو اعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال وغير ذلك واما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب
اعظم من كيد جميع البشر لان كيد الجبابرة والمتكبرين انما هو مراد هن ما يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن
ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المراة وبراءة يوسف عليه السلام قال هذه الكلمة ليوسف
يعني يا يوسف اعرض عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى يفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف
لا تطرب لهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المراة فقال واستغفري لذنبك يعني توبي الى الله مما
رميتني به من الخيانة وهو بريء منها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول للمراة سيأتي زوجك ان يصالحك ولا يعاقبك
بسبب ذنبك انك كنت من الخاطئين يعني من المذنبين حين خنتي زوجك ورميتي يوسف بالتهمة وهو بريء وانما قال
من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن نفسها
بفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين وهو كقوله تعالى وكانت من القانتين قوله عز وجل وقال نسوة في المدينة
امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه يعني وقال جماعة من النساء وكن خمسا وقيل كن اربعا وذلك انما اشاع خبر يوسف
والمراة بمدينة مصر وقيل هي مدينة غير مصر وانما قلن ذلك لان النساء بقيا ينتهين بذلك وهن امرأة صاحب الملك وامرأة صاحب
دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه وقيل انهن نسوة من اشراف مصر امرأة العزيز يعني زليخا تراود فتاها عن
نفسه يعني تراود عبدها الكنعاني عن نفسه بان تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها وابتلي الشاب الحدث فخ
شغفها حبا يعني قد علقها حبا والشغاف جلدة فحيفة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة
حتى اصاب القلب قال الكلبي حجب حبه قلبها عن الالتفات الى سواه انا لنراها في ضلال مبين يعني في خطا بين ظاهر حيث
تركت ما يجب على امثالها من العفاف والستر واحبت فتاها فلما سمعت بمكرهن يعني فلما سمعت زليخا بقولهن
وما تحدثن به وانما سمي قولهن في ذلك مكرا لانهن طلبن بذلك مرضاة يوسف عليه السلام وكان يوسف حسنه
وجماله بقصدان يرينه وقيل ان امراة العزيز اجلست اليهن متكا واستعتهن به وبشيرذلك عليهن بذلك سماه
مكرا ارسلت اليهن يعني انها لما سمعت بانهن يلمنها على محبتها ليوسف اردات ان تقيم عذرها عندهن فاوهمهن
انها دعتهن لتضيفهن واعتدت لهن طعاما يعني صنعت وليمة وضيافة واعتدت اربعين امراة من اشراف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتي عيرنها واعتدت
لهن متكا يعني ووضعت لهن ما يتكئن عليه من فواكه وما يستاندن اليه ليتكين عليه وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكا
يعني طعاما وانما سمي الطعام متكا لان من دعوته ليطعم عنده فقد اعتدله وساعده يجلس عليه ويتكئ عليه ويسمى
الطعام متكا على الاستعارة وقيل انما سماه بذلك لانه يقطع عنده والقطع ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث
ولذلك جاء النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا اكل متكئا وقيل المتكا الاترج وقيل كل شيء يقطع بالسكين او نحوها
يقال ان المراة زينت البيت الذي جلسن فيه بانواع الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتي عيرنها فلما رأين يوسف
واتت كل واحدة منهن سكينا لتاكل بها وكان هذا اول ما تكلمن ان قلن ليوسف اخرج عليهن يعني واعطت كل واحدة من النساء سكينا لتاكل بها وكان هذا تكلفن ان ياكلن
اللحم والفواكه بالسكين فلما خرج عليهن يوسف وكانت قد زينته واحسنت اليه في مكان اخر فلما رأينه يعني النسوة اكبرنه يعني اعظمنه
وهبنه عند رؤيته وكان يوسف اعطي شطر الحسن وقيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر
ليلة البدر على سائر النجوم روي ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي الى السماء يوسف
كالقمر ليلة ذكره البغوي بغير سند قال السعاني بزاي يريد كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يتبين الوجه على الجدران ويقال
انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية اعطي الثلث امره ويقال اليه وفي رواية عن ابن عباس
قال اكبرنه اي حضن وتحوه عن مجاهد والضحاك قال الحضن في الفرج وانكر اكثر اهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه
اللفظة ليست معروفة في اللغة والعلماء في اكبرنه تمتنع من هذا لانه لا يجوز ان يقال النساء قد حضن لان حضن لا يتعدى
الى مفعول قال الازهري ان صحت هذه اللفظة فيقال لها اكبرت او حاضت على هذا المعنى قال الازهري وبان لي صحة الرواية عن ابن عباس
سلم له وجعلنا الهاء في قوله اكبرنه هاء الوقف كالهاء في الكناية وقيل المراة اذا حاضت او نفرت قريبا استغلظت ولدها او
تحيض وان كان ثم حيض قريبا كان بزعمهن وما هذا الهن عن امر يوسف عليه السلام حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازي

واعضاء انفيختمل

ليست في اللغة بهذا المعنى فيجوز ان المراة اذا حاضت او نفرت فرحا بولد او غيره فقد حضن فيجوز ان يقال حضن بهذا المعنى

وعندي انه يحتمل وجها اخر وهو انهن انما اكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخشوع والاخبار به
وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملائكية وهي عدم الالتفات الى المكروه والقبوح وعدم الاعتداد للعزو وكان الجمال العظيم
صفورنا بتلك الهيئة والتعبية فتعين من تلك الحالة بالاجر اكبرنه وعظمنه ووقع الرعب والمهابة فلو يقطعن فلا وجل
الآية على هذا الوجه اولى وقطعن ايديهن يعني وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التي معهن وعن الحسين انهن يقطعن
الانرج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد ما احسسن الا بالدم وقال الفراء أبن ايديهن
حتى القينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال وهب مات ثمانية معهن وقلن يعني النسوة ما هذا بشرا
اي بمعانة الله ان يكون هذا البشر هذا الا ملك كريم يعني على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المجرد ليوسف
لانه تذكر في التوراة ان كل شيء احسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مقهورا من نزاعت الشهوة
وجميع الافات والحوادث التي تحمل البشر وصفن يوسف بذلك قوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه يعني قالت امرأة
العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذي لمتنني فيه فحبته وانما قالت لهن اقامة عذرها عندهن
حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها حبا فانها لكفعل جميلا وانما قالت ذلك الكي بعد ما قمن من المجلس وذهب قال
صاحب الكشاف والاستفهام ان يجب ويقبح به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى يقول لهن عشقت عبدها الكنعاني ثم لما
الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امرأة العزيز مدحت بما فعلت فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي لمتنني منه وانصاع حتى بذلك لانها علمت انه لا مانة عليها منهن واتهن قد اصابهن
اصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت ولئن لم يفعل ما آمره يعني وان لم تجابوني فيما دعوته اليه ليسجنن اي
ليعاقبن بالسجن والحبس وليكونن من الصاغرين يعني من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعتك
اليه فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة بذلك فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
قيل ان الدعاء كان منه خاصة وانما اضافه الى النسوة جميعا فقال بعضهم الم يقل السجن احب الي لم يتنبأ بالسجن والاولى
بالبعد ان يسئل الله العافية ولا احتياج عليه لهن يعني ما اردن مني احب الي مما يدعونني اليه يقال صبا فلان الى كذا اذا مال
اليه واشتاقه واصبو اليه اميل يعني من المذنبين وفيل معناه اكن ممن صبا الى الذنب بالجهل وفيه ليل على ان من ارتكب ذنبا انما
يرتكبه عن جهالة فان قلت ما الفائدة في قوله يعني لدعاء يوسف وغيره العليم يعني بحاله وفي الآية ليل على ان يوسف عليه السلام لقاه اظلمة التهمة بكيد النساء ومكرهن فتوقى بما
يليق بحاله مما الى الله وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه من المعصية
وفعلها فان ذلك على انه لا يقدر احد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به فوله عز وجل ثم بدا لهم يعني للعزيز
واصحابه في الرأي وذلك انهم ارادوا ان يقتصروا من امر يوسف بالاعراض وكتمان الحال زعموا ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد
العبراني قد فضحني بخبرهم بذلك قدر اودته عن نفسه فاما ان تأذن لي ان اخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فرأى حبسه من
رأوا الآيات يعني الدالة على صدق يوسف وبراءته من زيف الفضيحة وكلام الصبي وقد النساء ايديهن وذهاب عقولهن عند
رؤيته ليسجننه اي ليجعلنه في السجن يعني الى مدة يرون رأيهم فيه وقال اصحاب الرأي كرمة الرسم سنين وقال الكلبي خمس سنين ليسجننه قال الشعبي جعل العذاب للحبس تكذيبا ليوسف من فعله بالمرأة وقال مقاتل
السجن قيدا وهما غلامان كانا للوليد بن تورات العمليقي ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه والاخر ساقيه
وصاحب شرابه وكان غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك ان جماعة من اشراف مصر اراد والغدر بالملك واغتياله
وقتله فجعلوا لهذين الغلامين الرشا ليسما الطعام والشراب ففعلا وسئل ابو جاد بابا الى ذلك ثم ان الساقي ندم ورجع عن ذلك وقبل
الخباز الرشوة وسم الطعام فلما جاء الطعام بين يدي الملك قال الساقي لا تأكل ايها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز لا تشرب
فان الشراب مسموم فقال للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل طعامك يا فاجر فاكله فمات فامر الملك
بحبسهما فسمع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اي أعبر الاحلام فقال احد الفتيان لصاحبه قد سر
بمحدث هذا الفتى العبراني يزوي الم فرهما يسألا كاهنا من غير ان يكونا قد رايا شيئا فقال ابن مسعود ما رايا شيئا انما قالا لما يجربا يوسف
وقال قوم بل كانا قد رايا فقالا قد رأينا رؤيا فعبرنا فقال يوسف قضي علي ما رأيتما فعبرا عليه ما رأيا وذلك قوله تعالى

قال احدهما

وهو صاحب شراب الملك اني اراني اعصر خمرا يعني عنبا سمي العنب خمرا بالثم ما يؤول اليه يقال للذي يعصر الخمر اي يعصر العنب حتى يصير اجرا وقيل الخمر العنب بلغة عثمان وذلك انه قال الخمر رايت كاني في بستان واذا فيه اشجار عنب وعليها ثلاثة عناقيد عنب بحضرتها وكان كاس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال الاخر هو صاحب طعام الملك اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه وذلك انه قال رايت في المنام كان فوق راسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير ينهش منها نبئنا بتاويله اي اخبرنا بتفسيره ما رايتا وما يؤول اليه امر هذا الرؤيا انا نراك من المحسنين يعني من العالمين يعني بعبارة الرؤيا والاحسان ههنا بمعنى العلم ويسمى العالم محسنا ان احسانه فاذا كان اذا مرض انسان عاده وقام عليه واذا اقام على احد وسع عليه واذا احتاج احد جمع له شيئا وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لقلة النعيس وجد به قوما اشتد بلاؤهم وانفكع رجاؤهم وكم اخر نعم فيعلل يسئلني ويقول اصبروا وابشروا فانا نراك الله فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لعل بورك لنا في جوارك فمن انت فقال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سار فومك واحسن جوارك واختر اي بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رايا يوسف قالا انا فداحبيناك منذ ابتداك فقال لهما يوسف انشدكما بالله لما اخبرتماني يوالله ما اجيء احد قط الا دخل علي من جبه بلاء لقد اتيت عجبي فدخل علي من ذلك بلاء واجيء اي بالفتيت في الجب واجيء امرات العزيز فحبست ولقد قص علي رؤيا هما كما يوسف ان يعبر لهما حين سالاه لما علم في ذلك من المكروه لهما حبهما واعرض عن سؤالهما واخذ في غيره من اظهار المعجزة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام اراد ان يبين لهما ازدراجه في العلم اعلاما واعلمهم مما اعتقدا فيه وذلك انهما كانا متهمين على التعبير ولا شك ان هذا العلم يعني عن الكهانة والتنجيم فاراد ان يبين لهما انه يمكنه الاخبار على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيب كان اقدر على تعبير الرؤيا بكل يقين الاولى وقيل انما عدل الى تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم انا احدهما سيصلب فاراد ان يدخله في السلك ويخلصه من الكفر ودخول النار فاظهر له المعجزة لهذا السبب قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما اراد به الترغيب يقول لا ياتيكما طعام من منازلكما ترزقانه الا اخبرتكما خبره في اليقظة قبل ان يصل اليكما وان كان في الكتم وكم الفتم وهذا امثل معجزة عيسى عليه السلام وهذا من علم العارفين والطفنة فيه ازيد لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولا منجم واتما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي اخبرهما به ذلكما مما علمني ربي يعني ان هذا النوع من اخبر تكما به وحي من الله اوحاه الي وعلمنيه اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وان فلانة كافرة بقوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه كان عليه السلام داخلا في هذه المسئلة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم السلام من حين ولدوا ظهروا الى الوجود وهم على التوحيد بما معنى هذا الترك في قوله تركت فلانة الجواب من وجهين الاول الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون داخلا فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثاني وهو الاقرب ان يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كان من جملة من عنده كذلك وقد كان بينهم يوسف كان على التوحيد والايمان الخفي فقوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون التوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله تعالى واتبعت ملة ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب لما ادعى يوسف النبوة ذكر هم المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان اباءه كلهم انبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحاق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا والمنزلة الرفيعة عند الخلق اظهر يوسف عليه السلام انه من اولاد هم وانه من اهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء معناه ان الله تعالى لما اختارنا للنبوة واصطفانا برسالته وعصمنا من الشرك فما ينبغي لنا ان نشرك بالله مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها فان الواحد لبعظمة من فوقه من شيء زايدة مؤكدة كقوله ما جاءني من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ذلك من فضل الله يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الغزير فنا من فضل الله علينا وعلى الناس يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته ويسر لهم من الهداية اليه وذلك من فضل الله على عباده ولكن اكثر الناس لا يشكرون

يعني انا عشرة

يعني ان اكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي انعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهم الى الاسلام فقال
يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروق
ويجوز ان يريد يا اهل السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ءأرباب متفرقون اي الهة شتى من ذهب او فضة وصفر وحديد
وخشب وحجارة وغير ذلك ومغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تنفع ولا تضر ام الله الواحد
القهار اي اهذه الاصنام اعظم صفة في الضر والنفع ان الالهية والعبادة ام الله الواحد القهار قال الخليل في العرد هو
الواحد الذي لم يزاوجه وقيل هو المنفرد عن المعروف الشريك والنظير وليس هو كسائر الاحاد من الاجتماع المؤلفة
لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك جل ربنا الواحد الذي لا مثل له ولا شبيه بشيء يخلقه القهار
قال الخليل هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالقضرة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء
بذلته واستسلم وانقاد بذله والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها كذلك اذا اراد الانسان كسرها واتلافها
قدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ثم عجز
الاصنام وانها لا شيء البتة فقال ما تعبدون من دونه يعني من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ
بالتثنية في المتن كلمة لانه اراد جميع من في السجن من المجتمعين إلا اسماء سميتموها يعني تسمونها انتم الهة وارباباً
وهي حجارة عما دخالية عن المعنى لا حقيقة لها انتم وآباؤكم يعني من قبلكم سموها الهة ما انزل الله بها
من سلطان يعني ان تسميتها الاصنام الهة لا حجة لكم ولا برهان ولا امر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله امرنا
بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله يعني ان الحكم والفضل والامر والنهي
انما تعبد الا شيء لم يذلك امر ألا تعبدوا الا اياه لانه هو المستحق للعبادة لا الاصنام التي تسمونها
الهة ذلك الدين القيم يعني عبادة الله هو الدين المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما فرغ يوسف عليه
السلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما فقال يا صاحبي السجن أما احدكما فيسقي ربه خمراً يعني ان
صاحب الشراب الملك يرجع الى منزله ويسقي الملك خمراً كما كان يسقيه اول مرة والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة ايام يبقى في السجن
ثم يدعوا به الملك ويرده الى المنزلة التي كان عليها وأما الآخر فيصلب يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة
ايام ثم يدعوا به الملك فيصلبه فتأكل الطير من رأسه قال ابن مسعود لما سمعوا قول يوسف عليه السلام فالا ما رأينا
شيئاً انا كنا نلعب فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان يعني فرغ من الامر الذي يسألاني عنه ووجب حكم الله عليكما
بالذي اخبرتكما به رأيتما او لم تريا شيئاً وقال يعني يوسف للذي ظن يعني علم وتحقق الظن بمعنى العلم انه ناج منهما
يعني يسأي الملك اذكرني عند ربك يعني عند سيدك وهو الملك الاكبر فانه اراد في السجن بلا ذنب مجوساً مظلوماً فلما رجع
فأنساه الشيطان ذكر ربه اختلفوا في هاء الكناية التي في تعود قولان احدهما انها ترجع الى الناجي وهو قول عامة المفسرين
والمعنى فانسى الشيطان الناجي ان يذكر يوسف عند الملك فلبث في السجن بضع سنين والثاني ان الشيطان انسى يوسف
حتى استعان بذكر يوسف اول من دعا الى يوسف والقول الاول وهو قول اكثر المفسرين يدل عليه ان الهاء والكناية ترجع الى يوسف والمعنى
ان الشيطان انسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله وذلك غفلة عرضت ليوسف
عليه السلام وان كان الاستعانة بمخلوق في دفع الضر جائزة الا انه لما كان مفوضاً يوسف اعلا المقامات وتورث تعتم الغرف
السراتب وهي منصب النبوة والرسالة الاجر عظيم يوسف مواخذ بهذه الغدرة وان حسنات الابرار سيئات المقربين
وان فلتة كيف تعكن الشيطان من يوسف حتى انساه ذكر ربه فلبث بضع سنين يشتغل الخائف والغلو الوسوسة
بانه قد جاء في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وبان النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالة عن القلب
بالكلية لا يجوز عليه فلبث في السجن بضع سنين اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى التسع
وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية
سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبل ذلك في السجن ضعف سبع سنين فجملة ذلك اثنتي عشرة سنة وقال وهب اصاب ايوب البلاء
سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قال له يا يوسف
اتخذت من دوني وكيلا اللهم حبسته بضع يوسف وقال ابن عباس انسى فلبث في السجن بضع سنين فلما سمع يوسف الثناء

رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن طول الذي في قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال الخزاعي انزل بنا
امر فرعنا الى الناسخ كذا الثعلبي مرسلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف قام له فقال
له يوسف يا اخا المنذرين ما الذي اراك بين اخوتك الجبين بالهوان بين يفراعليك السلام ربك العالمين ويقول لك اما استحييت مني
ان استعنت بالمخلوقين بعزتي لاطيلن حبسك في السجن بضع سنين فقال يوسف وهو في ذلك يحيى راضيا فقال نعم فقال اذ لا اباليك وقال
كعب فاتى جبريل يوسف يقول الله عز وجل من خلقك قال الله تعالى قال الله فمن يرزقك قال الله قال الله فمن يجيبك قال الله قال من فعل ذلك
من يكرب البيت قال الله قال فمن علمك تاويل الرؤيا قال الله قال صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال كيف استعنت بالله في ذلك
قال لما علمت ان الخلق كلهم بيد الله الكليم وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف واراد
الله عز وجل اخراجه من السجن راى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك انه رأى في منامه سبع بقرات سمان فخرجن في
اليبس ثم عقبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم يرَ منهن شيء، ولم يتبين على
العجاف منهن شيء، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت والتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليهن ولم يبق من خضرتهن شيء، جمع السحرة والكهنة والمعبرين فقص عليهم الرؤيا التي رآها
فذلك قوله وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها
الملأ افتوني في رؤياي اي بينوا لي الرؤيا وقيل بينوا لي تاويل رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون اي ان كنتم تحسنون علم العبارة
وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمي هذا العلم تعبيرا لان المعبر للرؤيا عابر من الشيء الى اشباهه ليستخرج
معناها ولهذا اخذ من التاويل يقال تاول وتاوب وفي غيره قال الزجاج يقال عبرت الرؤيا اعبرها عبرا وعبارة
والمعبرون فسروا للملك اضغاث احلام اي اخلاط منتشبهة واحدها ضغث واصله الحزمة من انواع
الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لما جعل
الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف من السجن وذلك ان الملك لما رآها فلم ير اضغث منها وذلك لانه شاهد التفاوت
الفاحش فاستولى عليه الفزع الكامل حتى غلبه وفهره فاراد ان يعبر تاويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه
واخبرهم بما راى في منامه فيسر الله عليهم عن تاويلها بعجز الله بفترتهم جماعة الكهنة والمعبرين عن تاويل هذه الرؤيا
ومنعهم من الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه السلام من السجن وذلك قوله تعالى وقال الذي نجا منهما يعني
وقال الساقي الذي نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز وادكر بعد امة يعني انه تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك
بعد امة يعني بعد حين وهو سبع سنين سمي الحين من الزمان امة لانه جماعة ايام لامة الجماعة انا انبئكم يعني اخبركم
بتاويله وقوله انا انبئكم بلفظ الجمع انما اراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين او اراد الملك وخاصته
بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان العرب تستعمل في الرئيس المطاع يريد به الملك وقال ابن السمين رجعا لما يعبر الرؤيا
فارسلون فيه اختصار تقديره فارسلوني الى يوسف فارسله فجاء السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة يومئذ
اصدق من يوسف ايها الصديق وانما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذب قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يجرب
قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع
عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات قال الملك رأى هذه الرؤيا لفرعون الريان بن الوليد الذي رجع الى الناس في ارجع بتاويل
هذه الرؤيا الى الملك وجماعته لعلهم يعلمون يعني بتاويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك في العلم فان قيل
يوسف معبر لتلك الرؤيا البقرات للسمان والسنبلات الخضر سبع سنين مخصبات واما البقرات العجاف والسنبلات
اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تزرعون يعني اخبر بمعنى الامر اي ازرعوا سبع سنين دأبا يعني عادتكم في الزراعة
والداب العادة وقيل ازرعوا بالجد والاجتهاد فما حصدتم فذروه في سنبله انما امرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في
السنبلة ليبقى بلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان الا قليلا مما تاكلون يعني ادخروا قليلا من الحنطة
للاكل بقدر الحاجة وامرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله ثم يأتي من بعد ذلك يعني من بعد
السنين المخصبة سبع شداد يعني سبع سنين مجدبة شديدة سميت بالشداد لان الناس يأكلن يعني في السنين ما قدمتم لهن
يعني يأكلن فيها ما عددتم واذخرتم لهن من الطعام وانما اضاف الاكل الى السنين على معنى في على التوسع في الكلام

لا قليلا

إلا قليلا مما تحصنون يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن ليحرز ولا يضيع
ثم يأتي من بعد ذلك يعني من بعد هذه السنين المجدبة عام فيه يغاث الناس أي يمطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل معناه
قولهم استغاث فلان بأغاثني من الغوث وفيه يعصرون يعني يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والمعصرات هنا أراد به
كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعني من معناه ينجون من الكرب والشدة والجدب قوله عز
وجل وقال الملك ائتوني به وذلك ان الساقي لما رجع الى الملك واخبره بتعبا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه
الملك وعجب ان الذي قاله كائنا لا محالة فقال ائتوني به حتى ابصر هذا الرجل الذي عبر رؤياي هذه العبارة فرجع الساقي
الى يوسف وقال اجب الملك فولى تقفا فلما الرسول بأبان يخرج معه حتى يظهر براءته للملك ولما براه بعين الفطن
قال ارجع يوسف للرسول ارجع الى ربك يعني الى سيدك وهو الملك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن
ولم يذكر بذكر امرأة العزيز ادبا واحتراما لها وقيل انما لها قطعن اي تقريرا وتوبيخا لها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لبثت
في السجن لما لبث يوسف لاجبت الداعي اخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فسئله
ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه السلام وبيان قوة صبره وثباته المراد
بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة مبادرة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل
يثبت في السجن رسل الملك يكشف امره الذي سجن بسببه ليتظهر براءته عند الملك فاثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على يوسف ونبه على فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله تعالى إن ربي بكيدهن عليم يعني ان الله تعالى عالم
بضيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل الكثيفة يرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة
فجمع الملك النسوة وامرات العزيز معهن وقال لهن فما خطبكن يعني ما شأنكن وما امركن اذ راودتن يوسف
عن نفسه انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرات العزيز وحدها ليكون استقصاء لها وقيل ان امرات العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة امرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا
الخطاب قلن يعني النسوة جميعا تنزيها للملك حاش لله معاذ الله ما علمنا عليه من سوء يعني من خيانة
شيء من الاشياء قالت امرات العزيز الان حصحص الحق يعني ظهر وتبين وقيل النسوة اقبلن على امرأة العزيز يقرعنها
وقيل خاطبت ان يشهدن عليها فاعترفت فقالت أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين يعني في قوله هي راودتني
عن نفسي واختلفوا في قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب على قولين احدهما انه من قول المرأة ووجه هذا القول
ان الكلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قال ذلك
ليعلم اني لم اخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف اني لم اخنه في غيبته وهو في السجن ولم اكذب عليه بل قلت
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تأكيد هذا القول فقالت
وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لما اقدمت على هذا الكيد والمكر لم اجر واني انتصحت لكان الله لا يرشد
ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول يوسف عليه السلام وهو قول الاكثرين من المفسرين والعلماء
ووجه هذا القول انه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان اخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية
انه لما بلغ يوسف قول المرأة انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك اي ذلك الذي فعلت من رد
رسول الملك الينا ليعلم العزيز اني لم اخنه يعني في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف
اتصل بكلام امرأة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين الشاهدين كذلك مع غموض فيه لانه ذكى
كلام انسان ثم اتبعه بكلام اخر من غير فصل بين الكلامين وتكثير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا من قول
الملا بعضهم لبعض ائتمروا من قول فرعون وسلم قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا من قول الله تعالى وكذلك يفعلون من
قوله عز وجل تصديقا لها وعلى هذا القول يكون ان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين احدهما انه كان في
السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو في السجن واخبره بجواب امرأة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم
اني لم اخنه بالغيب وهذه رواية صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثاني انه قال هذه المقالة عند
حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس وان قلت على هذا القول كيف ذكر يوسف ذلك

EDLAP

وفي اشارة الغائب حضور عندهم فلت قال ابن الانباري قال المغربون هذا وذلك يصلحان في هذا
الموضع لقرب الغيبة من الحاضر به فصار بالشاهد الذي يشار اليه فبدا وفيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته
من تردادك الرسول يعلم الملك اني لم اخنه بالغيب اي لم اخن العزيز في حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله
لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت خائنا لما هداني الله من هذه الورطة التي وقعت ان الله لا يهدي الخائنين ولا يسدد
ولا يوفق كيدهم واختلفوا في قوله وما ابرئ نفسي من قول من هو فمن قال انه من قول امرأة العزيز وهذا
التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب من قول المرأة فيكون هذا هو المعنى وما ابرئ نفسي من مراودتي
يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس
وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف انما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب فانه ان يكن قد رماه بنفسه فقد رماه ابرئ نفسي عصمة
للنفس وانتشار وتواضع لله عز وجل فان ربنا النفس بمعنى العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ان ينفي ذلك عن نفسه فان في
حسنات الابرار سيئات المقربين ان النفس لامارة بالسوء والسوء لغة جامع لكل ما يهم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والشيمة الجبلية
واختلفوا في النفس هل هي شيء واحد او اشياء على اقوال فقيل ان النفس الامارة بالسوء هي الذي عليه اكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم
ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالشر ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث مراتب
هي صفة لنفس واحدة فاذا اطمأنت النفس الى شهواتها ولذاتها ومالت اليها هي النفس الامارة بالشر فاذا فعلتها ثم ندمت
ولامت عليها ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات فهي حينئذ النفس اللوامة فاذا تركت تلك الشهوات فهي حينئذ
المطمئنة وقيل ان النفس الامارة بالشر بطبعها فاذا تزلت وصقلت من خلائقها الذميمة مطمئنة يا ايتها النفس المطمئنة
قال ابن عباس معناه الا من عصم ربي فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لكم من النساء اي من كان طيبا لكم وقيل هذا استثناء منقطع اي
لكن من رحم ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء ان ربي غفور رحيم اي يغفر الذنوب عباده رحيم بهم فلما قال
الملك ايتوني به استخلصه لنفسي وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وعلم كيد صاحبته ايه قال
ايتوني به يعني يوسف لاستخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لنفسي والاستخلاص كالخلوص الشيء عن جميع شوائب الاشتراك
وانما طلب الملك ان يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك ان ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها احد من
الناس وانما قال الملك ذلك لما علم من اعتقاده في يوسف لما علم من غزارته علم يوسف وحسن تصرفه في السجن واحسانه الى
اهل السجن وحسن ادبه وثباته عند المحن كلها فلهذا احسن اعتقاد الملك فيه واذا اراد الله تعالى امرا هيأ اسبابه بالهام
الملك ذلك فقال ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له اجب الملك
فخلان بلا معاودة روي ان يوسف لما قال ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم
الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وتجربة الاصدقاء
وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك وقال وهب فلما وقف ببابه
الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصره الملك قال
اللهم اني اسئلك خيره من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما كلمه سلم يوسف عليه بالعبرانية فقال الملك ما هذا
اللسان فقال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له ما هذا اللسان ايضا فقال لسان ابائي قال وهب
الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يزل يكلمه بها ذا واحدة بعد واحدة يكلمه بلسان اجابه يوسف وزاد عليه الى ان بلغ
العبرانية فلما رأى الملك منه ذلك اعجبه ما رأى لحداثة يوسف وكان له من العمر يومئذ ثلاثين سنة فاجلسه الى جنبه
فذلك قوله تعالى فلما كلمه قيل فلما كلم الملك يوسف لان مجاز اسم المملوك لا يحسن للحدثان يبدأ بالكلام فيقال وانما يبدأ
الملك بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك فالمكلم في الحقيقة هو الملك هذا الذي علم تأويل رؤياك مع بقي السجن
والكلفة عنها واقبل عليه الملك قال انك اليوم لدينا مكين امين يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اي منزلة وهي
الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكان المنزلة والجاه والمعنى قد رفعت اما منزلتك ومنزلتك وصدقت وبراءتك
مما نسبت اليه وقوله مكين امين كلمة جامعة لكل ما يحتاج من الفضائل والمناقب في امر الدين والدنيا وروي ان الملك

قال ليوسف

قال ليوسف عليه السلام احب ان اسمع تاويل رؤياي منك فقال نعم ابقاك الله رايت سبع بقرات سمان حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن اليك من شاطيه يشتجر احداهن في الاخرى فبينما انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل بعد ماء وبدا يبيسه فخرج من جحراه سبع بقرات عجاف شعث غبر مجدلات الفخذ وليس لهن ضروع ولا احلاب ولهن انياب واضراس كاكلب الكلاب وخراطيم كاخراطيم السباع فافترسن السمان حافترسن السبع واكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن بينما انت تنظر اليهن وتتعجب اذا سبع سنبلات خضر وسبع اخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء بينما انت تقول في نفسك اي شيء هذا فاذا السود قد غلبن الخضر واحرقتهن فصرن سودا هولهن في الماء اذهبت ريح بذرت اوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت بهن النار فاحرقتهن فصرن سودا هذا ما رايت ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطأت منها شيئا فما شان هذه الرؤيا وان كانت عجبا فما هي يا عجب ما سمعت منك وما ترى في تاويل رؤياي ايها الصديق فقال يوسف عليه السلام اراى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فانه ابقى له ويكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتامر الناس بزرعها الخمس من زرعهم ايما يكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها فتاتيك الخلق من سائر النواحي للميرة ويجتمع عندك من الخزوز والاموال ما لم يجتمع لاحد من قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويصيره فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض يعني على خزائن الطعام والاموال واحد الارض ارض مصر اي اجعلني على خزائن ارضك التي تحت يدك وقال الربيع بن انس اجعلني على خزائن خراج مصر ودخلها اني حفيظ عليم اي حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه اني حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بما ولليتني وقيل حفيظ للمحتاج عليما علم لغة من يأتيني وقال الكلبي حفيظ لتقديره في التسعين المخصبة للتسعين الجدبة عليم بوقت السجوح حين يبيع ويفعل ذلك قال الملك ومن احق بذلك منك وروى ذلك مرفوعا الى النبي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمل من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة وان فتنة كعب كعب يوسف عليه السلام في الامارة والولاية مع ما ورد من كراهة كعب وكعب في حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسئل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها اخرجاه في الصحيحين فلعل انما يكره كعب الامارة اذا لم يتعين عليه كعبها واذا تعين عليه كعبها وجب ذلك عليه وكراهته فيه بما ان يوسف عليه السلام كان متعينا عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله والرسول اعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان متعينا بعناية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لعلمه انه لا سبيل الى تحصيل فتح رشده الا بالتمكين في الوجيه من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان في طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد بها الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل وبعد الغدر منه موهما تزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع للغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعلم به فانه يجب عليه ان يفرغ انا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدنيا بتفهيم يوسف بقوله اني حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين قوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكما انعمنا على يوسف ان نجيناه من الجب وخلصناه من السجن ورفعنا قدره واريناه في عين الملك حتى فرج عنه واذناه منزلته كذلك مكنا له في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله تبوأ منها حيث يشاء لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وتزاه بثيابه وحلاه بخاتمه ووضع له سرير امر مذهب مكللا بالدر والياقوت وقال له انزل منه ذراعا وعرضه عشرة اذرع وضع له عليه ثلاثين فراشا وستون مجمة وضرب له عليه حلة من استبرق وامره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر بين النهار ووجهه فيه من صفاء لونه فانكفأ حتى جلس على ذلك السرير وداخنه ليوسف السلام وبوأ له الملك الاكبر اي ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحاق قال ابن عباس وكان للملك يومئذ خزائن كثيرة فسلمها الريان بن الوليد الى يوسف وسلم اليه سلطانه كله وجعل امره ونفاذه نافذا في مملكته قال

BIBLIOTECA

ثم قيل ان قطفير عزيز مصر في تلك الليلة زوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال
ايس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت له ايها الصديق لا تلمني فانك كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى في ملك
ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله من حسنك وبهيئتك فغلبتني نفسي وعصمك الله فلما
وجدها يوسف عذراء بادمايها فولدت له منه ذكرين ابراثيم وميشا وهما ابناء يوسف واقتسموا ليوسف تلك مصر
واقبل يبعها العدد واحية الرجال والنساء فلما استقر يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام احسن التدبير فبنى الحصون
والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المخصبة ودخلت
السنين المجدبة بعوارضها فلم ير الناس مثله وقيل انه دبر في اطعام الملك وحاشيته في كل يوم مرة واحدة نصف النهار
فلما دخلت سنة القحط كان اول من اطعمه الجوع الملك فجاء نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف
هذا اول ايام القحط فهلك في السنة الاولى من سنين القحط خلق اعدوه في السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون
الطعام من اهل مصر بيوسف فباعهم في السنة الاولى بالنقود حتى لم تبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم في
السنة الثانية بالحلي والحوائج حتى استوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق في
الناس عبد ولا امة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى استوى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة
بالدواب حتى استوفى وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعا عبيدا
ليوسف عليه السلام فذلك اهل مصر ما رأينا ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت
صنع الله بي فيما خولني فيما ترى في هولاء فقال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع فقال اني اشهد الله واشهدك انه قد اعتقت
اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم اموالهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له الجوع ويدك
خزائن الارض فقال اخاف ان اشبعت ان انسى الجايع وامر يوسف كمباني الملك ان يجعلوا له غداء نصف النهار واراد بذلك ان
يتعرف الملك كعهم الجوع فلا ينسى الجايع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقال فلما شبع ولم ير يوسف يجوع
الملك الا يسيرا وبتلطف بحيث لا يشعر الملك وكيس من الناس بذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها
حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء اي نخص بنعمتنا وهي النبوة من نشاء يعني من عبادنا ولا نضيع اجر المحسنين
قال ابن عباس رضي الله عنهما وكما في الآخرة يعني ولثواب الآخرة خير اي افضل من اجر الدنيا للذين امنوا وكانوا يتقون
يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل ان الذي اعده الله عز وجل ليوسف في الآخرة من الاجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه
الله في الدنيا من الملك فوله عز وجل وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال العلماء لما اشتد الغلاء
وعظم البلاء عم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام فبعث الناس من مصر من كان للميرة ويوسف لا يعطي احدا اكثر
من حمل بعير واحد ولو كان عظيما تفسيرها ومواقعات بين الناس وتنزل ابن يعقوب ما نزل بالناس من المجاعة يبعث بنيه الى مصر
للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه وارسل عشرة بذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة
وكان مسكنهم بالعريات من ارض فلسطين ثغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشاء يدعاهم يعقوب عليه السلام وقال بلغني
ان بمصر ملكا ظالما لا يبيع الطعام فتجهزوا اليه وافصدوا وتشعثوا وامنه ما لحنا بون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر
فدخلوا على يوسف بن يعقوب فال ابن عباس رضي الله عنهما وهو اول يوم رأوه فعرفهم يوسف حين رآهم وهم له منكرون
يعني لم يعرفوه فال ابن عباس كان بينه وبين ان فارقوه في الجب وبين دخولهم عليه مدة اربعين سنة فلذلك انكروه وقال
العلماء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك كان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب
حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة وكيف وقد اجتمعت وقيل العرفان
انما يقع في القلب بخلق الله تعالى لها فيه وان الله تعالى يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تخفيفا لما اجرى الله
سبحانه بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وكان ذلك معجزة ليوسف عليه السلام بلقائه اليهم يوسف وكلموه
بالعبرانية كلمهم بالسانهم وقال اخبروني من انتم وما امركم فاني قد انكرت حالكم فوصفوا له الجدب الذي وقع بأرض الشام وعاب قد
اما بنا من الجهد ما قد رأى الناس فجيئنا لنمتار فقال يوسف لعلكم جيتم تنظرون عورة بلادي فقالوا والله ما نحن بجواسيس
انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من انبياء الله فقال وكم انتم فقالوا اثنا عشر

فذهب احد ابنا

وذهب اخ لنا معنا الى البرية يعلف بها وكان اخانا الى ابينا فقالوا بعضهم لبعض هوذا
عند ابينا الله اخوا الذي هلك لامه فابوا ان يتسمى به فالوا بعضهم الذي يعلم الذي تقولون
ايي فنا بيعها احد فقال ابا توني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صدقين وانا ارد ذلك منكم فقالوا ان ابانا عجوز كبير فرافه وشيوخ
عنه اباه فقال بعضهم عندي رهينة حتى تاتوني به فافترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان اصغرهم
وابا يوسف يغلبونه عنده فذلك قوله تعالى ولما جئتمونا بجهازنا يقول فلما جهزت القوم بجهازهم اذا تخلفت
لهم جهازهم وهو ما يحتاجون اليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الجيدة الفصيحة وعليها
الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قيل حمل كل واحد منهم بعيرا من الطعام واكرمهم في النزول واحسنهم
ضيافتهم واعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم يعني الذي خلفتموه عندكم وهو بنيامين
الا ترون انى اوفي الكيل يعني اتمه ولا انجس منه شيئا وازيدكم حمل بعير اخي لاجل اخيكم اكرمكم بذلك وانا خير
المنزلين يعني خير المضيفين لانه كان احسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال اللام في لاجل الدين الزائد هذا الكلام
يضعف قول من يقول المفسرين انه انتهرهم ونسبهم بعيرف وجوا سيس ومن يشتل بهم بهذا الكلام فلا يليق
به الاترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين وايضا يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا ان يقول انتم جواسيس
وعيون مع انه يعلم براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصديق ثم قال يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي
يعني ليس اكيل لكم طعاما ولا تقربون يعني ولا ترجعوا تقربوا بلادي وهذا هو نهاية التهويل والترغيب الاتم
كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من القرب كان قد ضيق عليهم
بعد ذلك قالوا يعني اخوة يوسف سنراود عنه ابانا يعني سنجتهد ونحتال حتى نفرعه من عنده وانا لفاعلون
يعني ما امر تنا به فوله عز وجل وقال يوسف لفتيانه يعني لغلمانه وهم غلمانه واتباعه اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم اراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي اعطوه ليوسف وكان دراهم وحكى الضحاك عن
ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره لعلهم
يعني يونفا يعني في بضاعتهم اذا انقلبوا الى اهلهم يعني اذا رجعوا الى اهلهم لعلهم يعرفون
الثمن واختلفوا في السبب الذي من اجله رد يوسف عليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا ابتاعوا منا عنهم وجدوا
بضاعتهم رد تهم اليهم علموا ان ذلك من كرامة يوسف عليهم بضاعتهم وتسخا به بعثهم ذلك على الرجوع
اليه وقيل انه خاف ان لا يكون عند ابيه شيء من الصلات لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انما اخذ الطعام
من ابيه واخوتهم لوم لشدة حاجتهم اليه وقيل انما رأى ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه منة ولا عيب
وقيل اراد ان يريهم برّه وكرمه واحسانه اليهم برد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك
لانه علم ان ديانتهم واما نتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبياء واولاد
انبياء وقيل اراد برد البضاعة اليهم فيكون ذلك عونا لابيه واخوته على شدة الزمان فلما رجعوا الى ابيهم
قالوا يا ابانا انا قد منع منا على خير جل انزلنا واكرمنا كل امة عضيضة لو كان رجل من اولاد يعقوب ما اكرمنا اكرامنه
فقال لهم اذا رجعتم الى ملك مصر فاقرؤوا عني السلام وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك بما اوليتنا يا
بانا منع منا الكيل وفيه قولان احدهما انهم لما اخبروا يوسف باخيهم من ابيهم طلبوا منه الطعام
لابيهم واخيهم المتخلف عند ابيهم ليمنعهم من ذلك حتى يحضر فقولوا منع منا الكيل اشارة اليه واراد بالكيل
الطعام لانه يكال والقول الثاني انه يمنع منا الكيل ان لم نحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى فارسل معنا اخانا
يعني بنيامين نكتل بالنون يعني نكتل نحن جميعا واياه معنا وانا له
لحافظون يعني حتى نرده اليك وانما قالوا ليعقوب هذه المقالة قال يعقوب هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه
من قبل يعني كيف امنكم على ولدي بنيامين وقد بعلتم باخيه يوسف ما بعلتم والله ذكر تم مثل هذا الكلام بعينه
يوسف وضمنتم لي حفظه وقلتم وانا له لحافظون فما لكم الامان والحفظ هناك فكيف تحصل هنا
ثم قال يعقوب الله خير حفظا وهو ارحم الراحمين يعني ان حفظ الله يعني من حفظكم له فبعيد ان تتبعوه فيه الرسل وقاء المحتاج

بجميع الامور وهو ارحم الراحمين وكان في الخلاء بل على انه ارسله معهم وانما ارسله معهم وقد شاهد
ما فعلوا بيوسف لانه لم يشاهد بينهما بينهم ويميز بينهما بين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف او ان
يعقوب شاهد بنفسه الخير والصلاح لما اكبروا فارسله معهم وان لشدة الضحك وفي الوقت اخرجه الى ذلك فوكل
بهم ولما فتحوا متاعهم اي انه حملوه من مصر فيحتمل ان يكون الشراء به الكهلاء او وعبية الكهلاء وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم اي انهم وجدوا في متاعهم ثمن الكهلاء الذي كانوا قد اعطوه ليوسف يرد عليهم ودس
في متاعهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا يعني ماذا نبغي واي شيء نطلب وذلك انهم كانوا
قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
قد ردت اليهم قالوا اي شيء نطلب من الخلاء بعد هذا الاكرام من الاحسان والاكرام وفي الجيل لما ردت علينا الثمن اردوا
بهذا الكلام تطييب قلب ابيهم ونمير اهلنا نقل ما ر اهله يمير ميرا اذا حمل لهم الكهلاء وجلبه من بلد اخر اليهم
والمعنى انا نشتري لاهلنا الكهلاء ونحمل اليهم ونحفظ اخانا اي بنيامين مما نخاف عليه حتى نرده اليك ونزداد
كيل بعير يعني ونزداد للاجل اخينا على حمل ما نجيء من الكهلاء ذلك كيل يسير يعني ان ذلك الحمل الذي نزداد هين
الكهلاء قيل هذا على القلب لانه قد احسن الينا واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملناه معنا كيل يسير
قليل لا يكفينا والعلنا فقال لهم يعقوب لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله يعني لن ارسل اليه بنيامين
حتى تعطوني عهد الله وميثاقهم والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو المؤكد باستشهاد الله عليه لتاتنني به
هاهنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا
لكم عندي لان العرب لا تقر الجميع بهلاك اذا هلك وقرب هلاكه فالفائدة الا ان تغلبوا جميعا فلا تقدروا على الرجوع فلما
اتوه موثقهم يعني فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له قال الله على ما نقول وكيل يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول
لمن الشاهد وكيل بمعنى انه موكل اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ فقال يعقوب لما قال يعقوب بالله حيث حلفا
قال الله تعالى وعزتي وجلالي لازدن كلاهما بعد ما تركلف علي وقوضت امري الي وذكر انه لما اشتد بهم الامر وغلا عليهم
الوقت وجهدوا واشتد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا امره اليه
فوله عز وجل واخبارا عن يعقوب وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وذلك انهم لما
خرجوا من عند يعقوب فاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا اي مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمدينة
مصر يومئذ اربعة ابواب وقال الضحاك اراد الكوفي لان للابواب يعني من كوى متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين
لانهم كانوا قد اعطوا جمالا وقوة وامتدادا قامة وكانوا اول مدخل رجل واحد بامرهم ان يتفرقوا اذا دخلوا مدينة ليلا
يصابوا بالعين وبالعين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين حق ونهى عن الوشم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين
حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا عن عائشة كانت تامر العائن يتوضأ ثم
يغتسل فيه المعين اخرجه ابو داود وروى قال النضير في الدين الغزوي قال العزازي اخذ جماهير العلماء بظاهر هذا
الحديث وقالوا العين حق واذكى ثوابه من الصبغة عنه والدليل على فساد قولهم انك لو عين مخالفا لك في نفسه ولا يؤثر
الى قلب حقيقة ولا فساد دليل فلا نعمز لجوزات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده كذا يجوز تكذيبه واشار
وقيل من برق بين تكذيبهم بعذاب تكذيبهم بما يخبر به من امور الاخرة قال وقد زعم بعض الحكماء ان المشتق
العين ان العائن يتبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك ويفسد قالوا ولا يمتنع هذا لانه لا يمتنع
ان يخلق قوة سمية من الافاعي والعقرب تتصل بالملدوغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال العزازي وهذا
غير مسلم لانا بينا وكتب على الكلام ان ما جاء الله وبينا وساد القول بالكمال وبينا ان المحدث لا يصلح غيره لنا
فاذا تقرر هذا فاعلم ما قالوه تم قول هذا المتبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل
الانتقال وباطل ان يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها ان يكون مبدا البعض فاذا لم يكن كذلك فما
ما قالوه واقرب ما يقال في ذلك من غير خلل الاشكال ومنع ان قالوا لم لا يجوز ان تتبعث جواهر غير مرئية من العائن

لمتصل

ليتصل بالمعين فيحلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل عندها ما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله
عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعة الى العقل اليها قال ومذهب اهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر
العاين بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة ان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص اخر وهل ثم جواهر ام لا فهذا
من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الامرين وانما يقطع بنفي الفعل عنهما واضافته الى الله تعالى فمن قطع اطباء
الاسلام بانبعاث الجواهر فقد اخطا في قطعه وانما هو من الجايزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول واما ما يتعلق بعلم الفقه
فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطا
واما صفة وضوء العاين فمذكور في كتب شروح الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه
والله اعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة انه خاف ان يعينوا لما ظهر لهم
في ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه السلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان
الله لم ياذن له في اظهار ذلك فلما بعث بنيه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه
ان يصل بنيامين اخاه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض
امره الى الله تعالى بقوله **وما اغني عنكم من الله من شيء** يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم
او متفرقين فان المقدور كاين ولا ينفع حذر من قدر **ان الحكم الا لله** يعني وما الحكم الا لله عز وجل وحده لا شريك له
فيه وهذا تفويض من يعقوب في اموره الى الله تعالى **عليه توكلت** يعني على الله اعتمدت في اموري كلها لا غيره **وعليه فليتوكل
المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم** يعني من الابواب المتفرقة وكان بمدينة مصر وقيل مدينة الفرما
اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها **ما كان يغني عنهم من الله من شيء** هذا تصديق من الله ليعقوب فيما قال وما
اغني عنكم من الله من شيء **الا حاجة في نفس يعقوب قضاها** هذا الاستثناء منقطع ليس من الاول في شيء معناه لكن
حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه اشفق عليهم اشفاق الاباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين او خاف
عليهم حسد اهل مصر او خاف ان لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله او بعضه **وانه** يعني يعقوب **لذو علم** يعني صاحب علم
لما علمناه يعني لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى انا لما علمناه الاشياء
حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كل يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه
لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** يعني لا يعلمون ما كان
يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريقة اصحاب العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه قوله تعالى **ولما
دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه** قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا
الذي امرتنا ان ناتيك به فقد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي ثم انزلهم واكرم نزلهم
ثم انه اضافهم واجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم
يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له اخ فهلك قال لهم فانا اجلسه معي فاخذه واجلسه معه على مائدته
وجعل يواكله كلما كان الليل امرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال
يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فلما
اصبح قال اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان فانا اضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انه انزلهم واجرا عليهم الطعام
فقال روبيل ما راينا مثل هذا فذلك قوله اوى اليه اخاه اي ضمه وانزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال
بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المتكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل من ولد قال عشرة
بنين قال فهل لك من اخ لامك قال كان لي اخ فهلك قال يوسف اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك
ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام واقام اليه وعانقه **قال له اني انا اخوك** يعني يوسف **فلا
تبتئس** يعني ولا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس
بما كانوا يفعلون يعني فلا تحزن بشيء فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل
ان يوسف صيح عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب اخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه

BULAC

بنيامين اتعلم اخوتك بشيء ممّا علمتني به ثم انهما دخلا على اخوتهما الكيل وزاد كل واحد حمل بعير وليس بنيامين حمل بعير باسمه
ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل اخيه بنيامين قال السدي وهو الذي يشرب وقال الكعبي لمّا قال له يوسف اني انا اخوك
فلا تبتئس بما كانوا يعملون قال بنيامين فوالله ما فارقني ولا فارقته الا وانا اعلم انه اخي من امي وابي وانا اشد حبا له
فقال يوسف انا لا ابارحك فقد علمت اغتمام والدي بي واذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد
ان ينتهدني بامر يضيع وانسبك الى ما لا تجده قال لا ابالي بما بدا لك فانا لا افارقك فقال اذن تماسكني في رحلك ثم انادي
عليكم بالتهمة فتبقى عندي بعد تسريحي فقال افعل ما شئت فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية
في رحل اخيه وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحاق كانت من فضة وقيل
من ذهب وقال عكرمة كانت صشربة من فضة مموّهة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية
والصواع اسم لمانا واحد جعلت بمعنى وعاء اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فلما علم بهم يوسف حتى انطلقوا وتجهزوا منصرفين
وقيل حتى خرجوا من الحمارة ثم ارسل خلفهم من ابسر فهم وحبسهم ثم اذن مؤذن يعني نادى منادٍ واعلم واذان في اللغة
الاعلام اينتها العير وهي القافلة التي فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير وقال ابو العميثل كلما اسير عليه من الابل والحمير
والبغال فهو عير وقوافل قال الازهري قال الليث خاصة بالابل وقيل العير الابل التي عليها الاحمال سميت بذلك لان تعير اي تذهب
وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير بقوله اينتها العير اراد اصحاب العير انكم لسارقون
بفتح الواو والسرقة اخذ شيء خفية وقيل بان فتشت امتعتهم وهذا يدل على ان هذا النداء بامر يوسف لانه لا يليق
بيوسف مع علو منصبه وتكامل رتبته من النبوة ان يتهم اقواما وينسبهم الى التهمة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان
في امره فعلا اظهر براءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا اليها فلما ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان
يوسف لما ظهر لاخيه انه اخوه قال لست ابارحك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة انسبك بها الى ما لا يليق فان رضيت بذلك
مع هذا العلم بل قد رضي به فلا يكون ذنبا الثاني ان يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام وهو
من المعاريض يفر منه وحشة عن الكذب الثالث يحتمل ان يكون المنادي ربما قال ذلك على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير
لا يكون كذبا الرابع ليس في القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى كلام الحال الا انهم لما سمعوا النسبة الى السرقة
ولم يكن لهذا احد غيرهم غلب عن ظنهم انهم هم السارقون الذين اخذوا فقالوا ذلك بناء على غلبة الظن قالوا اقبلوا عليهم
ماذا تفقدون قال الحساب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم الم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوفوا الكيل
ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقد سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله فقالوا واقبلوا عليهم
اي عطفوا على المؤذن والحمالين ايماذا الذي تفقدون والفقد ان ضد الوجود قالوا اي المؤذن والحمالين نفقد صواع
الملك الصواع الذي يكال به وجمعه اصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان ولمن جاء به حمل بعير يعني من الطعام
وانا به زعيم اي كفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن ولهذه الاية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم
وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الحميل غارم والحميل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق
لا يستحق شيئا قلت لم يكونوا سراقا في الحقيقة بيجعل ذلك على سبيل الضمان يكون جعالة او كان مثل هذه الكفالة
كانت جايزة عندهم في ذلك الزمان فيحمل عليه قالوا اي اخوة يوسف تالله التاء بدل من الواو ولا تدخل الا على اسم الله او اليمين
خاصة تقديره والله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين ازاخوة يوسف حلفوا على امرين احدهما انهم ما
جاءوا لاجل الفساد في الارض والثاني انهم ما جاءوا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من احوالهم ما يدل على ان حالهم
وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والكرامة والبر حتى بلغ من امرهم انهم نشدوا ابوابهم ليلا لئلا يدخل عليهم احد لهم
هذه صفة في الفساد في حقه ممتنع واما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين لانهم كانوا قد ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم
ولم يستحلوا اخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق ومن اجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين
فلما تبين براءتهم من هذه التهمة قالوا اي اصحاب يوسف وهم المنادي والحمالون فما جزاؤه اي السارق يعني فما جزاء
السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فالوا اي اخوة يوسف جزاؤه مبتدأ وجملة
قوله يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله ان يسلم برقبته الى المسروق منه يسترقه سنة وكان ذلك سنة يعقوب
في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان

تجري القطع

يجب مجرى الفعل في شرعنا وإذا يريد يوسف ان يأخذ بحكم الله في السارق وبذلك ردّ الحكم اليهم والمعنى انه جزاء السارق ان يُسترق سنة جزاء له على جرمه ولسرقته يقول جزاؤه كذلك نجزي الظالمين يعني مثل هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة ونجزي الظالمين فيدخل في هذا الكلام من بقية كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام الحاكم يوسف وعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسترق سنة قال الحاكم يوسف كذلك نجزي الظالمين يبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه قال اهل التفسير انما اخرّ يوسف لما اقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال الحاكم يوسف لا بدّ من تفتيش اوعيتهم قبل وعاء اخيه لازالة التهمة فجعل يفتش اوعيتهم واحدا بعد واحد قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينكث وعاء الا استفتح الله مما فتحهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين قال ما اظن هذا اخذ شيئا قال اخوته والله لا نتركك حتى تفتش رحله فانه اخبث لفعلته وانفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله ثم استخرجها من وعاء اخيه انما انث الكناية لانه ردّها الى السقاية وقيل ان الصواع يذكر ويؤنث فلما اخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوة يوسف رؤوسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين يقولون له ويحك ما صنعت بنا فضحتنا واسوّدت وجوهنا يا بن راحيل ما زال التامك بلاء منا اخذت هذا الصواع فقال بنيامين يا بن راحيل ما زال الرامك منكرا بلاء ذكرتم يا اخي باهلكم مرة يا البرية ان الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فالتوا فاخذ بنيامين رنينا وقيل ان الصواع هو الذي تولوا تفتيش رحالهم وهو الذي استخرج الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته ورجعوه الى يوسف كذلك كدنا ليوسف يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم بالاسترقاق السارق اي مثل ذلك الحكم الذي ذكرناه اخوة يوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا فعل الله عز وجل فما الذي يجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بحلال الله تعالى بما انه تعالى فنقول الكيد هنا جزاء المكيد يعني كما يقولون ابيرسف جعلنا لهم بالمكيدين الخلق الحيلة ومن الله النديبي بالخوف والمعنى كما الهمنا اخوة يوسف ان حكم ان جزاء السارق ان يسترق كذلك الهمنا يوسف حتى دسّ الصواع في رحل اخيه ليضمّه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الانباري الكيد التدبير بالباطل ويجوز ان يكون هذا على هذا يكون المعنى كذلك دبّرنا ليوسف وقيل معناه ليوسف وقال ابن الانباري كدنا وقع خبرا عن الله عز وجل على خلاف معناه في اوصاف المخلوقين فانه اذا اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو في موضع بعض الله معرى من المعاني المذمومة ونخلص انه وقع بمن يكيده تدبير ما يريده به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه وهو من الله مشيئته بالذي يكون من المخلوق من اجل ان المخلوق اذا اراد المخلوق يستر عنه ما ينوي به ويضمره له والذي يقع به الكيد من الله تعالى وهو ستر ما ختم الله عليه به والذي وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انهى اليه شان يوسف من ارتفاع المنزلة وتفاوت النعمة وحث الامر على غيره ما قدر وامن اهلاك وخلوص ايمانهم له بعده وكذلك تدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيدا لما تشبه من كيد المخلوقين فعلى هذا كيد الله عز وجل ليوسف عبارة عن جميع ما اعطاه وانعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا بذلك وقوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك يعني في حكم الملك وقضائه لانه كان في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم قيمة المسروق فلم يتمكن يوسف من تعسير اخيه عند حكم الملك قال الله تعالى اللهم ليوسف ما دبّره حتى وجد السبيل الى ذلك الا ان يشاء الله يعني ان ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره ان ذلك كله كان العاقبة من الله ليوسف عليه السلام واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفي هذه الآية دليل على ان العلم اشرف الصفات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه من وجه الهداية والصواب في الامر كله وفوق كل ذي علم عليم قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف اعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتفهم العالم نفسه ويستنطق المواهب لربه تعالى ولا يكتم نفسه العلمية على المعلوم لانه لا يجوز ان عالما من علماء يوسف قولا ما قالوا لاخيه يوسف ان يسرق يعني بنيامين الصواع فقد سرق اخ له من قبل يعني يوسف وكان الآية يقتضي انه اخوة يوسف قالوا ذلك لاعلام الملك ان هذا الامر ليس بعيد منه وان اخاه الذي هلك كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام ان الشنعة لم تقع عليه بل هذا واخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام اخرى غير امنا واختلفوا في السرقة التي نسبوه

الى يوسف عليه السلام فقال سعيد بن جبير كان لجده ابي امه صنم وكان يعبده فلما خلفه يوسف سرقه واخفاه في الكرم ليتبارك به وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها السائل وقال السدي ان عجوزا اخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كان يحيا الكلب من المائدة فيقول وذكر محمد بن اسحاق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحاق بعد موت امه راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع ونقلت محبة يعقوب عليه الى حبه فقال لاخته بالحتال سلمني الى يوسف فقالت والله ما اقدر ان اغيب عني ساعة واحدة فقال لا اصبر عنه فقالت فدعه عندي اياما انظر اليه لعل الله يسليني عنه بعد ذلك وجهدت المنكفة كانت لاسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر اولاد اسحاق وكانت عندها فشدت المنكفة على يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منكفة اسحاق فيفتشون اهل البيت بوجدونها مع يوسف فقالت انه لسلمان لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان فعل ذلك فهو سلم له فامسكته عندها حتى ماتت وذلك فراق يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعني هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة لكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اي لم يظهرها لهم في الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى قال انتم شر مكانا وهذا هو المعنى المروي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالها في حقه وهي قولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابي صالح عن ابن عباس ايضا هذا القول يكون تاما المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا اي في منزلة عند الله ممن وصفتموه بالسرقة في الحقيقة وحيا استم حقيقة والله اعلم بما تصفون اي بحقيقة ما تقولون قوله عز وجل قالوا اي اخوة يوسف يا ايها العزيز يخاطبون بذلك الملك ان له شيخا كبيرا قال اصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه السلام لما استخرج الصواع من رحل اخيه بنيامين هذه ولدنا الى اذنه ثم قال ان صواعي هذا اخبرني انكم اثنا عشر رجلا لاب واحد انكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه فقال بنيامين ايها الملك سل هواعك من جعله في رحلي بغير علمي ثم قال صواعي غضبان وهو يقول تسألني عن صواعي وقد رايتموني مع من كنت قالوا بغضب رويبل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يكذبوا وكان رويبل اذا غضب لم يقم لغضبه شيء وكان اذا صاح الفت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان اقوى الاخوة واشدهم وقيل ان هذا صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال الاخوته كم عدد الاسواق في مصر قالوا عشرة قال اجمعوا انتم الاسواق وانا اكيلكم الملك او العوير انتم الملك وانا اكيلكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال او رويبل ايها الملك لترددن علينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت حملها وقيل انه كان يشتكي في جسده رويبل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير في الحجر هذا المسه او خذ بيده يا بني به فلما مسه سكن غضبه فقال الاخوته من مسني منكم فالم يصبك منا احد فقال رويبل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقال اليه يوسف فركله برجله واخذ بنيامين فوضع على الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين تزعمون ان لا احد اشد منكم فلما راوا ما نزل بهم وايقنوا ان لا سبيل الى الحيلة خضعوا واذلوا وقالوا ايها العزيز انا نعلم ابا شيخا كبيرا في السن ويحتمل ان يكون في الفدر لانه نبي من اولاد الانبياء فخذ احدنا مكانه اي بدلا منه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه الهالك انا نراك من المحسنين اي في افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين قال معاذ الله اي قال يوسف اعوذ بالله معاذا ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اي بقول سرق لتحرز من الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس بسارق انا اذا لظالمون اي ان اخذت بريا بمذنب قال فلما كيف استجاروا يوسف ان يعمل مثل هذا والحال ما ابيه ولم يجنوه بمكانه وحبس اخاه ايضا عندهم مع علمهم بشدة وجد ابيه عليه وبقيه ما هو فيه من الحزن وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان يروع على اخوته ويروح عليهم مثل هذا مع ما فيه من الايذاء للهم وكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة كثيرة واحسنها واصحها انه انما فعل ذلك بامر الله تعالى له لامر اراده

والله اعلم

وانما امره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب بفقده له الماجر على البلاء ويلحقه بدرجة ابيه الصابرين ولعله نفع اسرار لا يعلمها احد
من خلقه بعد المصطفى يخلقه بما يشاء بعد الذي اخبر يوسف عن يعقوب بعد هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد
ان يدبره بعلمه والله اعلم بأحوال عباده قوله عز وجل فلما استيأسوا منه يعني ايئسوا من يوسف ان يجيبهم الى سؤالهم
وقيل ايئسوا من اخيهم انه يرده عليهم قال ابو عبيدة استيأسوا واستيئسوا بمعنى واحد خلصوا نجيا يعني خلا بعضهم
ببعض ينتجون ويتشاورون ليس بينهم غيرهم قال كبيرهم يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس والكلبي هو
يهوذا وكان اعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرياسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان
اكبرهم سنا واحسنهم رأيا في يوسف لانه نهاهم عن قتله ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا يعني عهدا وحلفا
من الله ومن نبيه ما ابرحت يعني من ارض مصر حتى يأذن لي ابي يعني في الخروج من ارض مصر حتى يبدو
اليه او يحكم الله لي يرد اخي علي او خروجي معهم وتركه او يحكم الله بالسيف بأن نقتل جميعا واخي ونحن اخا كعين
انه يحكم بالحق وهو القادر والانتقام والمراد من هذا الكلام الالجاء الى الله تعالى واقامة عذره عند والده يعقوب عليه السلام
ارجعوا الى ابيكم يعني يقول الاخ الكبير الذي عزم على الاقامة بمصر من اخوته للباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب فقولوا له
يا ابانا ان ابنك سرق انما قالوا هذه المقالة وتسببوا الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين
فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك تسببوا الى السرقة وهذا هو الامر في حقيقة الحال وبدا لهم انهم لم يفعلوا عليه بالسرقة
فلم يحكموا وما شهدنا الا بما علمنا يعني ولم تفد تلك الاسباب ان ابنا اخراج الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين وقيل معناه
ما كانت منا شهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق يزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك والحاضرين
انا شهدنا عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها فنسب الى السرقة
وهذه القراءة تحتاج الى تأويل لان الفرع نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة
والقراءة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعني ما قلنا لهذا الا بما علمنا وليست
هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب انه سرق بما يدريك يا هذا الرجل ان السارق
يؤخذ بسرقته الا بقولكم فالوا ما شهدنا عندك ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم وكان الحاكم عندهم انه يسترق
قبله ويعقوب وبنيه واورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب اخبار هذا الحكم حتى ينكر عليهم بنيه ذلك واجيب
عنه بحتمل انه يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بهذا اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر عليهم على الملك
لهذا الحكم لكنه انه كان كافرا وما كنا للغيب حافظين قال مجاهد وقتادة يعني ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير
امرنا الى هذا ولو علمنا هذا ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ اخانا مما نالى حفيظه صبيا وقال ابن عباس
ما كنا لليلة ونهاره وبجيئه وذهابه بحافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه
الا الله تعالى بل هذا الصواع سرق بحيلة وتحن لا نعلم بذلك واسئل القرية التي كنا فيها يعني واسئل اهل القرية الا انه حذف
المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مستعمل بين اهل العرب والمراد بالقرية هنا اهلها وقال ابن عباس يعني قرية من قرى مصر
كان فيها قديك السرقة والتفتيش واسئل العير التي اقبلنا فيها يعني واسئل القافلة التي كنا فيها وكان فيهم قوم من
كنعان من جيران يعقوب وانا لصادقون يعني فيما قلناه وانما امرهم اخوهم الذي قال بعضهم لبعض هذه المقالة مبالغة
في ازالة التهمة عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف قال بل سولت لكم انفسكم
امرا فيه اختصار وتقديره فرجعوا الى ابيهم واخبروه بما جرى لهم في شأن بنيامين وذلك ان لما قال لهم كبيرهم وامرهم ان يقولوا
لابيهم وعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم انفسكم امرا وهو حمل اخيكم الى مصر لكشف ما وقع عليه من
امركم الى ما اوقيل معناه بل خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق فصبر جميل تقدم تفسيره في اول السورة وقوله عسى
الله ان يأتيني بهم جميعا يعني بيوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة
لانه لما كان حزينا ومشتد بلاؤه وقعفته على ان الشديد يسجم له بالفرج والمخرج عن قريب فقال ذلك على تغليب الظن بالله عسى
وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من اول الامر وهذا

فقال اما الذئب اذهب بصري بالبكاء على يوسف واما الذئب فلم تخبرني بانه ابني فاتاه جبريل فقال يا يعقوب
ان الله يقرئك السلام ويقول لك اما تستحيي ان تشكوا الى غيري فقال انما اشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل انا اعلم
بما تشكوا وقيل ان دخل على يعقوب جبريل فقال يا يعقوب ما ارى لك قد تهشمت وبقيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك
فقال هل تشمتني وانبأني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة
اخطأتها فاغفرها لي فقد غفرتها لك فان بعد ذلك اذا اسئل يقول انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل ان الله اوحى
اليه وعزتي وجلالي لو كشفت ما بك حتى تتصوني فعند ذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ثم قال يا رب اما ترحم
الشيخ الكبير اذهبت بصره وقوسته فرد علي ريحانتي اشمها شمة قبل ان اموت ثم اصنع ما شئت فاتاه جبريل
فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك البشر فوعزتي لو كان ميتين لنشرتهما لك اترى لم جدت عليك لانك تحتم
شاة فقراء على بابك فلان المساكين وهو مليم لم تطعموه منها شيئا وان احب عبادي الانبياء ثم المساكين فاصنع
طعاما واوج اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صايما فليفطر الليلة عندي يا يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدا
امر منادي ينادي من اراد الغداء فليات يعقوب واذا تعشى امر منادي من اراد العشاء فليات يعقوب وكان يتغدا
ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب اترى لما عاتبتك وحبست عنك يوسف ثمانين
سنة قال الالهي علم انك شويتي عنانا وفترت على جارك واحلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح
عجلا بين يدي امه وهي تخور فلم يرحمها فان قلت هل بعد الروايات ما يقدح في عصمة الانبياء فلت
لا وانما عوقب يعقوب بها لان حسنات الابرار سيئات المقربين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر مناصبهم
وشرف رتبتهم ويعقوب عليه السلام من اهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك قد ابتلى كل واحد من ابنائه بمحنة
صبر ابراهيم عليه السلام الفي النار فصبر ولم يشك الى احد واسماعيل ابتلي بالذبح فصبر وفوض امره الى الله
واسحاق ابتلي بالعمى فصبر ولم يشك الى احد ويعقوب ابتلي بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمي بعد ذلك او
ضعف بصره من كثرة البكاء عليهما وهو مع ذلك صابر ولم يشك الى احد شيئا مما نزل به وانما كان شكايته الى الله
بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميع في الدنيا والدرجات
العلية في الاخرة من سلف له من ابائه واسحاق عليهم الصلاة والسلام واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب
به عتابا ولا عقوبة لان ذلك ليس من اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده
ابراهيم عند موته وقال ان العين تدمع والقلب يحزن وما نقول الا ما يرضي ربنا بفقدك الا ان الانسان عاد بهم
عن نفسه وصلر مباحا لا حرج فيه على احد من الناس وقوله واعلم من الله ما لا تعلمون يعني انه يقاسي من رحمته واحسانه
بلا تا بالفرج من حيث لا احتسب وفيه اشارة الى انه يعلم حياة يوسف ويقوع رجوعه اليه روي ان ملك الموت زار يعقوب
فقال له يعقوب ايها الملك الكئيب ربما تحسن صورته الكئيب على به هل قبضت روح ابني يوسف فقال لا فطابت نفس
يعقوب وطمع في رؤيته بذلك فقال واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل معناه واعلم رؤيا يوسف حق وصدق واني واقتم سجوده
وقال الشعبي لقيا اخيرة بعد بسيرة ثمانية عشر يوما وكمال حاله في جميع اقواله وافعاله واعلم احسن نفس يعقوب وطمع ان يكون هو
يوسف فعند ذلك قال يا بني يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه التحسس كالطلب الخير بالحاسة
وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو
يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس لم تتموا قال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان
وقال الفراء من يوسف واخيه لانه اقام من مقام عن قال ويجوز ان يقال ان المتجسس يكون التعني تحسسوا اخبارا من اخبار يوسف
واخيه روي عن عبد العزيز بن ابي رزمة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليه السلام حين جلس عنده من يعقوب اسرائيل
الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت ورثنا البلاء اما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه

بعده وامّا انا بعدني ابن وكان احبّ اولاده اليّ فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطّخا بالدّم وقالوا قد اكلته الذّيب وذهبت عيناي ثم كان لي ابن اخ وكان اخوه من امّه وكنت اتسلّى به وانه حبلته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فبان رددته اليّ والّا دعوت عليك دعوة تدرك السّابع من ولدك فلمّا قرا يوسف كتاب ابيه اشتدّ بكاؤه وعيل صبره واغمي عليه فلمّا افاق قال اللهمّ انك تعلم ذلك قوله يا بنيّ اذهبوا فتحسّسوا من يوسف واخيه ولا تايسوا اي ولا تقنطوا من رحمة الله يعني من رحمة الله وفيل من فضل الله ومن فرج الله انه لا ييأس من روح الله الّا القوم الكافرون يعني ان المؤمن على خير يرجوه من الله يصبح عند البلاء فيقال له خيرا ويمسي عند الرخاء فيقال له خيرا والدليل على ذلك قوله تعالى فلمّا دخلوا عليه يعني على يوسف قالوا يا ايها العزيز يعني يا ايها الملك والعزيز الفادر والممتنع وكان العزيز لقبا لملك مصر يومئذ مسّنا وأهلنا الضرّ اي الشدّة والجوع وارادوا بأهلهم من خلفوا وراءهم من العيال وجئنا ببضاعة مزجاة اي بيضاعة ردية كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام لا يتجوز من البايع واصل الازجاء الدفع قليلا والترجية دفع الشيء ليتلمّسا وكترجية الريح السّحاب ومنه قول الشّاعر رجاء غير مزجاة من الخوف يعني قليلة يسيرة يعني دراهمهما وتسوفها لقلة الاعتداد بها وانما وصفوا تلك البضاعة بانها مزجاة اما لتغيّر نقدها او لرداءتها او لمجموعهما وذلك اختلاف عبارات المفسّرين في معنى هذه البضاعة المزجاة وقال ابن عبّاس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت حبّة الخضراء وقيل كانت الصّنوبر والحبّة وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت حبّة الخضراء وقيل كانت الشّويق المقلوّ وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سمّيت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة لانه يدفع بها الزمان من قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لا تدفع بها الزمان وليست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة عن حيّز المقبولة لمن يدفعها فاوف لنا الكيل يعني اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافي والمعنى انا نريد ان تتم لنا الزايد مقام النّاقص والجيد مقام الرديء وتصدّق علينا يعني وتفضّل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء وانتقصنا هذا قول اكثر المفسّرين قال ابن الانباري وكان الذين يبتاعون من المسامحة يشبه الصّدقة ويسمّى بها واختلف العلماء هل كانت الصّدقة حلالا للانبياء قبل نبينا ام لا فقال سفيان بن عيينة ان الصّدقة كانت حلالا للانبياء قبل محمّد صلّى الله عليه وسلّم واستدلّ بهذه الاية وانكر جمهور العلماء ذلك وقالوا لم تحلّ الانبياء كلّهم واحد ممّن قبل الصدقة عليهم لانهم منزّهون من الخضوع المحظورين والاخذ منهم لان الصّدقة اوساخ النّاس والانبياء لانهم معصومون بالتنزيه عن سواه واجيب عن قوله وتصدّق علينا انهم كلّموه بما يعلموا منه ان يجزيهم على عادته في المسامحة وايثار الفضل وذلك كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا لعلمه بان الصّدقة ذكاة الحسنة وجاهد ويقول الرجل في دعايه اللّهمّ تصدّق عليّ ولا يكون ذلك منه طلبا للثواب وروي ان الحسن سمع رجلا يقول اللّهمّ تصدّق عليّ فقال ان الله لا يتصدّق انما يتصدّق من يبتغي الثواب فقال اللهمّ اعطني وتفضّل عليّ وقال ابن جريج والضحاك وتصدّق علينا يعني برد اخينا علينا ان الله يجزي المتصدّقين يعني بالثواب الجزيل قال الضحاك لم يعلموا ان الله يجزي بالصدقة حتى اخبرهم بذلك يوسف قال اخبرني ابي عن جدّي انه لمّا قال ذلك قال لهم يوسف هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اختلفوا في السّبب الذي من اجله حمل يوسف وجهه على هذا القول فقال ابن اسحاق وذكر انهم لمّا كلّموه بهذا الكلام حرّكته الرّقة على اخوته وبكى بالذي كان يكنّ وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبه يعقوب من مالك بن ذاعر وفرغ اخره وكتب يعقوب ابلغ فرءوا الكتاب واعترفوا بخطيئته وقال ابن ابي الدّنيا بلغني ان عبدا بيعه فعل ذلك يوسف وقال انكم لتستحقون العقوبة وامر بقتلهم فلمّا ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا ان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا اتاه الخبر بفقد الجميع ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتعتنا الى ابينا فانه يعلم ان هذا حين حزنه الرّقة عليه وبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لمّا قرا كتاب ابيه لم يتمالك ان بكى وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تفخيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريق بعضه عن بعض وهذا كما يقول المذنب لغيره هل تدري من عصيت وهل تكون من خالفت فلم يرد بهذا نفس الاستفهام وانما اراد تفخيم الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم علمي ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم الله اياهما من المكروه واعلم ان هذه الاية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذي يعلموه يوسف معلوم فما الذي يعلموه باخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة بانهم لم يتعرّضوا لجسمه والاراد وذلك قلت

انتهى

انتم لما بدّروا بينه وبين اخيه يوسف نفسوا عليه عيشته وكانوا يؤذونه كما مرّ يوسف وقيل انهم قالوا له لما انتهوا باخذ
الصواع ما رأينا منكما بدّا قبيحا خبرا اذ انتم جاهلون هذا يجري مجرى العذر لهم في انكم انما فعلتم ما فعلتم على الجهل بقبح
المنكر حالكم لكم جاهلين وهو وقت البيا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه امر يوسف فقولهم معروف قالوا أإنك لانت
يوسف قرئ على الاستفهام وحجة من قرأه قول ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
بتبسّم فرأوا اثنايا كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبّهوه بيوسف فقالوا استفهاما انك لانت يوسف وقرئ على
الخبر وحجته ما قال ابن عباس ايضا في رواية اخرى عنه انا اخوه يوسف لم يزيدوا حتى وضع التاج عن راسه وكان لاحد فرنه علامة
تشبه العمامة وكان ليعقوب مثلها وليساحاق مثلها وليسارة مثلها فلما رأوها قالوا انت يوسف وقيل قالوا ذلك على التوهم
ولم يروه حتى قال انا يوسف فان بعض العلماء انما اكتفى بالاسم في قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تفخيما لما نزل
به من كظم اخوته له وما عوضه الله من النصر والملك وكانه قال انا يوسف المكظوم الذي كظم متمنيا وتمنى قتلا بان
الغيابة في الجب ثم يلقوني بعض السيارة فيأخذوني ثم صرت الى ما ترون فكان تحت ظهور الامر هذا القصا كلفظ بلذا قال وهذا
اخي وهم يرونه لانه قصد بيانها ولهذا اخي المكظوم كما كظم متمنيا ثم صرت انا وهو الى ما ترون وهو فوق قد مَنَّ الله
علينا بكل خير في الدنيا والاخرة وقيل مَنَّ علينا بالسلامة جميعا وقيل انا من يتقي ويصبر يعني يتقي الزنا
ويصبر على العزبة قال ابن عباس وقال مجاهد يتقي المعصية ويصبر على السجن وقيل يتقي الله بادا فرائضه ويصبر عما
حرم الله فان الله لا يضيع اجر المحسنين في اجر من نفعل هذا حاله قالوا اي اخوة يوسف معتذرين اليه مما
صدر منهم في حقه تالله لقد اثرك الله علينا اي اختارك وفضلك علينا يقال اثره الله اذا اختاره ويستعمل
الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى اقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس ملكك علينا وقال ابو صالح
عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضايل التي اعطاها الله له دوننا اخوته وقيل فضله علينا
بالنبوة واورد على هذا القول بان اخوته كانوا انبيا ايضا ولم يتسرّ له عليهم بفضل واجيب عنه بان يوسب
فضل عليهم بالرسالة مع الخبرة فكان افضل منهم بهذا الاعتبار كان من جمع له النبوة والرسالة كان افضل ممن خصّ
بالنبوة بفرد وان كنا لخاطئين يعني ومانا في صنعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطي على المخطي والعرف
بينهما ان يقال اخطا اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون من لفظ خاطئين على تخطيئين لمخالفة رؤوس الاي لان سر
خاطئين اشبه بما قبلها قال لا تثريب عليكم يعني يوسب لا تعيير ولا توبيخ عليكم وبه قوله صلى الله عليه وسلم
اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحدّ ولا يثرب ايلا يعيرها بالزنى بعد اقامة الحد عليها وعلى قوله البعوث ويبتدئ يغفر الله
لكم والفرق الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم كانه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب عليكم ثم
بشّرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو ارجى لهم يوسب نفسه سالهم عن حاله اليه فلما اذعب بصره
من كثرة البكا عليه باعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا قال الضحاك كان هذا القميص من نسيج الجنة وقال
مجاهد امره جبريل ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم عليه السلام وذلك انه لما جرد من ثيابه والقي
في النار عريانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه يعقوب فلما
شبّ يوسب جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وشدّ راسها وعلقها في عنق يوسب كالتعاويذ فلما
كان بارض كنعان على العين وكانت الريح قد ابلغت ريح يوسب الى ابيه عرض له جبريل واخذ ذلك القميص والبسه اياه فلما
كان هذا الوقت جاءه جبريل عليه السلام وامره ان يرسل هذا القميص الى ابيه ليرجع اليه بصره فلما القى القميص على وجهه
الامر فيه يعود ذلك القميص يوسب الى اخوته اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قال المفسرون
ان علم يوسب ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحي الله ذلك الوقت ويمكن ان يقال ان يوسب علما
على ان اباه يعمى من كثرة البكا، وصبوا الحد ربما يعفو اليه قميصه ليجد ريحه يعزل بكاؤه وينشرح صدره ويرجع قلبه فعند
ذلك يزول الضعف ويقوى البصر وهذا الغدر يتمكن مع قلته من جملة المعجزات وقوله وائتوني باهلكم اجمعين قال الكلبي كانوا
ثمانين سبعين انسانا وقال مسروق ثلاثة وتسعين رجلا وامراة ولما فصلت العير يعني خرجت من مصر وقيل من عريش
مصر متوجهين الى كنعان قال ابوهم يعني قال يعقوب لولد ولده اني لاجد ريح يوسب فيه ان ريح الصبا استاذنت
ربها ان تاتي يعقوب بريح يوسب فاذن لها وقال ابن اسحاق وقال لمن حضره اصاب يعقوب ريح يوسب من مسيرة ثلاث

ايام وقال ابن عباس ثمانية عشر يوما وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاخذت ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم ذلك انه من ريح يوسف فلذلك قال اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اصل التفنيد من الفند وهو ضعف الراي وقال ابن الانباري افند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفنيد والفند فيكون المعنى لولا ان تفندون اي تنسبوني الى الخرف وقيل تضعفوني وقيل تجهلوني وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمون فتقولون شيخ كبير فذهب وهب عقله فلما جاء البشير يعني اولاد يعقوب واعلمه الذين عندكم ان اولادكم كانوا غائبين عنه تالله انك لفي ضلالك القديم يعني من ذكر يوسف وكانت سنة لان عندهم ان يوسف كان قد مات وتعلق ويقرون ان يعقوب قد نهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم والضلال الذهاب عن طريق الصواب فلما ان جاء البشير وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بقميص العير قال ابن عباس وهو يهودا قال السدي قال يهودا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب واخبرته ان يوسف اكله الذيب وانا الذهب اليوم بالقميص واخبره انكم بعتموه بحما اخبرته قال ابن عباس حمل يهودا وخرج به سرحافيا حاسرا يعدوا ومعه شيعة ارغبة فلم يشتر وا كلهما حتى اتى ابيه وكانت المسافة ثمانين فرسخا القاه على وجهه يعني القى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيرا يعني يرجع بصيرا بعد ما كان قد عمي وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون يعني من حياة يوسف وان السجود يبنام رؤيا ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر فقال يعقوب ما اصنع بالملك قال اي بني تركته على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا يعني قال اولاده يعقوب جيزوا عليه واخذوا سرقة يعتذرون اليه مما صنعوا به ويوسف استغفر لنا ايا طلب لنا الغفران ذنوبنا من الله انا كنا خاطئين يعني في صنيعنا قال يوسف استغفر لكم ربي قال اكثر المفسرين اراد يعقوب اخر الدعاء لهم الوقت السحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذي يغفر الله فيه كل من دعاه باستجابة له فلما انتهى يعقوب الوقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى قال اللهم انك قد جزيتني على يوسف وفلذة كبدي عنه واعني لولدي ما فعلوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس اخر الاستغفار لهم ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة الى عشرين سنة وقال كلهم واخر الاستغفار الوقت السحر من ليلة الجمعة موافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربي قال اخر لهم الى ليلة الجمعة انه هو الغفور يعني لذنوب عباده الرحيم لاحوته يجمع خلفه فلما دخلوا على يوسف اخذ يضم اليه اخوته واحدا واحدا ويقول لكل واحد منهم ادخل مصر آمنا ان شاء الله فلما دخلوا على يوسف قالوا يا عزيز مسنا واهلنا الضر يعني الجوع والجهد وقلة الشيء وقيل الجدب وقلة المطر وقيل الهزال وقلة اللحم وقيل الجهد وقلة ذات اليد وجئنا ببضاعة مزجاة يعني بدراهم رديئة لا تنفق الا بوضيعة وقيل بمتاع الاعراب من الصوف والسمن وقيل بالصنوبر والحبة الخضراء وقيل بالاقط وقيل بسويق المقل وقيل بحبة الخضراء فاوف لنا الكيل يعني اتمم لنا الكيل وتصدق علينا بما بين لنا ان الصدقة ترد على المتصدق وتجزيه عليها وقيل رد علينا اخانا بنيامين وقيل اعط لنا ما سلفنا فيه وقيل اعط لنا الفضل عن حقنا وقيل اعط لنا الجياد وقيل اعط لنا ما يعطى الناس من الثمن وقيل تجاوز عنا في هذه المرة وقيل تصدق علينا بالمثوبة وقيل بالقبول وقيل بالرد على اخينا وقيل بالهبة وقيل بالدعاء وقيل بالشكر وقيل بالجزاء وقيل بالوفاء وقيل بالمسامحة وقيل بالمكافاة وقيل بالمبايعة وقيل بالمعاوضة وقيل بالمعاملة وقيل بالمكارمة وقيل بالمكارمة وقيل بالمكارم

لهم يوسف ادخلوا امنين على انفسكم واهليكم ان شاء الله تعالى فان قوله ان شاء الله تعالى يشعر بهو قوله صلى الله
عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه بانه لاحق لهم ورفع ابويه على العرش في العشر الذي كان يتلمس عليه سنة
يوسف والرفع النقل الى العلو وخروا له سجدا اي يعقوب وخالته واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهي
الانحناء والتواضع ولم يرد بحقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة وكل ذلك جايز فان قلت
كيف استجاز يوسف ان يسجد له ابوه وهو اكبر منه واعلا منصبا في النبوة والشريعة قلت يحتمل ان الله تعالى اوحى بذلك
لتحقيق رؤياه في معنى هذا السجود فان احتج من انه كان الحناء على سبيل التحية كما تقدم بلا اشكال فيه والقول الثاني
انه كان حقيقة في السجود وهو وضع الجبهة بالارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا يليق ان يكون لا لله تعالى
واجيب عن هذا الاشكال ان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة لهم
كالمحاريب للمصلين ويدل على صحة هذا التاويل قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وكلاهما يدل على انهم لما صاروا
في مصر خروا سجدا لله تعالى ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود كان ذلك ابلغ في التواضع فان قلت يرد على صحة
هذا التاويل قوله رايتهم لي ساجدين وقوله وخروا له سجدا فان الضمير يرجع الى اقرب مذكور وهو يوسف عليه
السلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لاجله سجدا لله تعالى شكرا له وقيل يحتمل ان يكون الله تعالى امر يعقوب
بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة يوسف ربما احتملتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما راوا ابا هم
قد سجد له سجدوا له ايضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة والتواضع لا على
سبيل العبادة وكان ذلك جايزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه وحرمه الله تعالى بمراده واسراركتابه وقال
بعض قال ليوسف عند ما راى ذلك يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتاويلها فقال
سلمان التيمي وعبد الله بن شداد بينهما اربعون سنة وقال ابو صالح عن ابن عباس اثنان وعشرون سنة وقال
سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ست وثلاثون وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سوذان سبعون
سنة وقال الضحاك بن مزاحم ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وغيره عن الحسن بن يوسف كان عمر يوسف حين
القي في الجب سبع عشرة سنة واقام في العبودية والسجن والملك مدة فكانت ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربه
مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن ماية وعشرين سنة وقوله وقد احسن بي في انعم علي بقال احسن بي
والباء اخرجني من السجن انما ذكر انعام الله عليه في خروجه من السجن وان كان الجب اصعب منه استعمالا لادب
الكرم ولياتي بقوله اخوته بعد ان قال لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كان بسبب الوصول
الملك وقيل اخرجني من الجب كان يجاسد اخوته ومن السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك اعظم نعمة عليه وجاء بكم
من البدو يقال من البادية واصل البدو الظهور يقال بدا يبدو اذا ظهر ومنه بدا لي بدو اي ظهر لي راي والبدو خلاف الحضر وكان يعقوب
واولاده اصحاب مواشية يسكنون البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي يعني ان تعالى ذو اللطف عالم بما ياتي الامور
وخبايا تاتي فالطاف المفردات وقد يعبر باللطف عما لا تدركه الحاسة ويجوز ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون
لمعنى يقتضيه فيما يجاري الامور وان يكون لرقة الكباد بهذا يفهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء اي يحسن الاستخراج
على ما وصل اليه يوسف حيث القاه اخوته في الجب وقيل ان اجتماع يوسف وابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته
له وازالة ذلك مع كمينة الاضغان وشدة المحبة كان من لطف الرب بهم حيث حصل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا
هيا اسبابه انه هو العليم بمصالح عباده الحكيم في جميع افعاله قال اهل الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه السلام
اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة في اهنا عيش وانعم بال واحسن حال ولما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف
ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر ابيه اسحاق في الارض المقدسة فلما مات يعقوب عليه السلام بمصر فعل
يوسف ما امر به ابوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فدفنه هناك وقد اتى على ذلك مئتا العيص اخر يعقوب وكان
قد ولد له في بطن واحد قبل قدومه مصر اثنا عشر ولدا وكان عمره يومئذ مايتين وسبعة واربعين سنة فلما دفن يوسف ابا ه ورجع الى
مصر قال لاخوته جمع الله شملي بوسف عليه السلام بابيه واخوته علم ان نعم الدنيا زايلة سريع الفناء الا ما وصل منها
بحسن العاقبة فقال ربي قد اتيتني من الملك بعضا يعني من ملك مصر ومن العلم بعضا لانه لم يوت ملك مصر

كله بل كان قوله ملك الخ والملك عبارة عن الانتفاع في المقدورات له السياسة التدبير وعلى متقي من تاويل المحاذ
يعني تعبير الرويا اما في السموات والارض يعني خلقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واهل العلم الشوق ازاد الصبر
ناب البعير اذا اشتد وكثر وقد الله الخلق وجده وابدعه انت وليي يعني معيني ومتولي امري في الدنيا والاخرة توفني
مسلما اي اقبضني اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب الوفاة في الحال او على قولين احدهما انه سال الله الوفاة في الحال
فلم افادة لم يبعث نبي من الانبياء الا توفي كما قال يوسف فالاصحاب هذا القول انه لم يات عليه السبوع حتى توفي والقول الثاني انه سال
الوفاة على الاستقبال ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعده ثمانين سنة وعلى هذا القول يكون معنى الاية توفني اذا
توفيتني على الاسلام وهو طلب الدوام على الاسلام والحق بالصالحين طلب ما وعد الله عليه من طلب الوفاة في الحال فلا يعلم العلماء
وحلا القولين يحتمل لان الانبياء صالحون للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل اذا علم ان الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة
شيء بعقبة الرجاء وان نعيم الاخرة باق دائم لا نفاد له ولا زوال له ان يشتاق من هذه الفرقة على الوجه الذي يليق به فانه نهى الموت عند وجود الفتن وتزول البلاء مكروه والصبي عليه اولى وقوله واعفني بالصالحين اراد به درجة
ابائه وهم ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم السلام فان علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وعاش التوراة
مائة وعشرين سنين وولد ليوسف من امراة العزيز ثلاثة اولاد ابراثيم ومنشا ورحمة امراة ايوب وقيل عاش بعد ابيه سبعين سنة
وقيل اثنتي عشرة سنة وقيل ثمانية عشر سنة ودفن يوسف عليه السلام بمنوف في النيل في صندوق من رخام وقيل في حجارة المرمر وذلك انه لما مات تنازع
الفراعنة فيه فكان اهل كل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم راوا ان يدفنوه في النيل لكي يجري
الماء عليه ويتفرق عنه فتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخضب ذلك الجانب
واجدب الجانب الذي يقابل الجانب الايسر فاخضب الجانب الذي فيه قبره فنقل الى الجانب الذي اخرجه موسى عليه السلام وحمله معه حتى
دفنه بقرب ابائه بالشام والارض المقدسة قوله عز وجل ذلك يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف واخوته
لم مع اخوته ثم انه صار ملكا بعد الرق من انباء الغيب يعني من اخبار الغيب نوحيه اليك يعني الذي اخبرناك هو من اخبار
يوسف وحي اوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الاية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا اميا لم يقرا الكتب
ولم يلق العلماء ولم يدخل في بلد اخر عن بلده الذي نشا منه على الله عليه وسلم نشا بين امه امية مثله ثم انه صلى الله عليه
اتى بهذه القصة الطويلة على احسن ترتيب وابين معان وابلغ عبارة على ما ذكر ان الذي اتى به هو وحي ونور قد سبب
بسماوي وبهر معجزة له فاية الى اخر الدهر وقوله تعالى وما كنت لديهم يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب اذ
اجمعوا امرهم يعني حين عزموا على القاء يوسف وهم يمكرون يعني بيوسف وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمومنين ذلك ان اليهود قد
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على ما وقوا عندهم في التوراة لم يسلموا فحزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يومنون ولو حرصت على ايمانهم بجميع تسلية له وما تسئلهم عليه
من اجر معنى تبليغ الرسالة والدعاء الى الله من اجر يعني اجرا وجعلا على ذلك ان هو اي ما هو في القرآن الا ذكر يعني
عظة وتذكير للعالمين وكاين من اية يعني وكم من اية في السموات والارض يمرون عليها
يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهم عنها معرضون اي لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه
الايات الدالة على الله على وحدانية الله بالحجب من اعراضهم عنك يا محمد وما يومن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون يعني ان ايمانهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من يرزقكم من السماء والارض قالوا الله وهم
مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس انهم يقرون ان الله خالقهم وذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك
شركهم وفي رواية اخرى عنه انها نزلت في تلبية مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لبيك لا شريك
الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقال عكرمة هذا في الدعاء وذلك ان المشركين يسوون بينهم في الرخاء فاذا اصابهم البلاء
اخلصوا في الدعاء افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله يعني عقوبة تعمهم كيوم بدر وقال ابن عباس عذاب يغشاهم
وقال قتادة وفيعة وقال الضحاك يعني القواعف والنوائح او تاتيهم الساعة بغتة يعني فجاة وهم لا
يشعرون يعني بقيامها قال ابن عباس تقوم الصيحة بالناس وهم في اسواقهم فمن قائل يا محمد لقولا هذه

سبيلي

سبيلي يعني كما يقفي الذي ادعوا اليها ولي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمي الدين سبيلا لانه الطريق المؤدي الى الثواب والجنة ادعوا الى الله يعني الى توحيد الله والايمان به على بصيرة انا ومن اتبعني يعني يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يتميز بها بين الحق والباطل انا ومن اتبعني يعني ومن امن بي وصدق ما جئت به ايضا يدعوا الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وامن به ان يدعوا الى ما دعا اليه مريد كي في الفرقان تم الكلام عند قوله ادعوا الى الله ثم استانف على بصيرة انا ومن اتبعني يعني اني على بصيرة ومن اتبعني ايضا على بصيرة قال ابن عباس يعني الحواريين كانوا على احسن كيفية وافضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان هم جند الرحمن وقال ابن مسعود من كان مستنا فليستن بمن قد مات اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا افضل هذه الامة وابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وكما يقفهم فهو لاء كانوا على الهدى المستقيم وقوله وسبحان الله اي وقل سبحان الله يعني تنزيها لله عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقايص والشركاء والاضداد والانداد وما انا من المشركين يعني وقل يا محمد وما انا من الذين اشركوا بالله غيره قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يعني وما ارسلنا قبلك يا محمد الا رجالا مثلك ولم نجعلهم ملايكة نوحي اليهم هذا جواب لاهل مكة حين قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وسايي الرسل الذين كانوا من قبلك بشرا مثلك حالهم كحالك من اهل القرى يعني انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل البدو لان اهل الامصار ابصر واعلم واحلم عفا من اهل البوادي قال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدوي ولا من الجن ولا النساء وقيل انما لم يبعث نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم افلم يسيروا في الارض يعني لهؤلاء المشركين المكذبين ينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني كان عاقبة الهلاك لما كذبوا رسلهم فليتعظ بهم قومك فيؤمنوا بهم ويحذروا ان ينزل بهم من عذابنا ولدار الاخرة خير للذين اتقوا يعني لعلنا هذا بابائهم واهل مكة ان الجنة التي اعددناها لاوليائنا واهل طاعتنا عند نزول العذاب بالامم المكذبة وملجأ الدار الاخرة لهم يعني الجنة لانها خير من الدنيا وانما اضاف الدار الى الاخرة وان كانت هي تعني لان العرب تضيف الشيء الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه افلا تعقلون يعني بتفكرون ويعتبرون فتؤمنون قوله عز وجل حتى اذا استيئس الرسل قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا بتراخي نصر حتى اذا استيئس الرسل من النصر وقال الواحدي حتى هنا حرف من حروف الابتداء استانف بعدها والمعنى استيئس الرسل من ايمان قومهم وظنوا انهم قد كذبوا من الهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائي وكذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدي ان معناه وظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال الفراء هذا من الاستفعال الذي جاء على فعل كقولهم عجبت واستعجبني واستكبرت واستكبرني ومنه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال ابن عطية والضمير في قوله وظنوا عائد على الفرقة المتصرة المبهمة التقدير وظنوا المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم يؤمنوا يعم نزل العذاب بهم وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم وان لم يقع لهم ذلك ان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان لم يتقدم لفظ انذارهم جرى قوله ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يدل على معنى انذارهم والتخويف وهذا معنى ما روي عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيئس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا وعد قومهم اياهم الايمان وعدوا ان يؤمنوا ثم لم يؤمنوا فقال صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتكم انفسكم حتى حدثتم بانهم لا ينصرون وجاءهم نصرنا عند ذلك جاء رسلنا حين استيقنوا ان قومهم كذبوهم جاءهم نصرنا بغتة من غير احتساب وعن ابن عباس وضعفوا وعلموا انهم قد وعدوا ما وعدهم النصر قال وكانوا بشرا وتلى قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف وانما صح هذا عن ابن عباس وقد ادل الكفر ما ينكر بالبال وهجيم في القلب من تشبيه الوسوسة وحديث النفس على عليه البلية واما الكفر الذي ترجم احد الجايزين على الاخر فغير جايز على رجل من المسلمين

BULAC

فما بال رسول الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال من خلف الميعاد وحكى الواحدي عن ابن الانباري انه
قال هذا غير معول عليه من جهتين احدهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متاول تاوله عليه والاخرى
ان قوله جاءهم نصرنا دلالة على ان اهل الكفر لما ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا نصر الله الرسل ولو كان
للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما لا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرية الانبياء وتطهيرهم واجب علينا
اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرا الباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد
ووجهه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا يعني وايقنوا يعني الرسل ان الامم
قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم والظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا
استيأس الرسل ممن كذبهم قومهم ان يصدقوهم وظنوا ان من قد امن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا
عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطاء النصر فاتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب
مظنون من جهة من امن بهم يعني وظنت الرسل ظن حسبان ان من امن بهم قد كذبهم في وعد الظفر والنصر لابطائه
وتاخره عنهم وطول البلاء بهم لانهم كذبوهم كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المومنين لانه لو حصل
لكان نوع كفر الرسل ظنت بهم ذلك لبطو النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار
وعلى القولين جميعا الكناية في وظنوا للمرسل عن عروة بن الزبير انه سال عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى حتى اذا استيأس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا لو كذبوا قالت بلى كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن
فقالت يا عروة اقبل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا الرسل الذين امنوا بربهم فقالت معاذ الله لم يكن
الرسل تظن ذلك بربها قلت ما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم
البلاء واستاخر عنهم النصر حتى اذا استيأست الرسل وظنوا ان اتباعهم كذبوهم وجاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية
عبد الله بن عبيد الله ابن ابي مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا حقيقة قال
ذهب بها هنالك وتلا وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير
وذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعد الله ورسوله من شيء قط الا علم انه كائن قبل ان يموت وذلك
لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا ان يكون من معهم من قومهم يكذبونهم فكانت تقراها وظنوا انهم قد كذبوا شغله
وقوله تعالى جاءهم نصرنا يعني جاء نصر الله النبيين فنجي من نشاء يعني نزول العذاب بالكافرين فنجي المومنين المطيعين
ولا يرد باسنا يعني عذابنا عن القوم المجرمين يعني المشركين قوله عز وجل لقد كان في قصصهم يعني في خبر
يوسف واخوته عبرة اي موعظة لاولي الالباب يعني يتعظ بها اولوا العقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة
الحالة التي يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التامل والتفكير ووجه
الاعتبار بهذه الصفة ان الذي قدر على اخراج يوسف من الجب بعد القائه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد
العبودية وجمع شمله بابيه واخوانه بعد المدة الطويلة والاياس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم
واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزات لمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في اول هذه السورة نحن نقص عليك عليك احسن القصص وقال في اخرها لقد كان
في قصصهم عبرة لاولي الالباب فدل على ان هذه القصة احسن القصص فيها عبرة لمن اعتبر بها ما كان حديثا يفترى
يعني ما كان هذا القران حديثا يفترى ويختلق لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه
ان يفتريه ويختلقه لانه لم يقرا الكتاب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القران المعجز فدل ذلك على صدقه وانه
ليس بمفترى ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة
من السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة
يوسف وتفصيل كل شيء يعني ان في هذا القران المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء تحتاج اليه من الحلال والحرام
والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في امر دينهم ودنياهم وهدى يعني
الى كل خير ورحمة يعني انزلناه رحمة لقوم يومنون لانهم هم الذين ينتفعون به والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير

تفسير سورة الرعد

وهي مكية قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين احدهما انها مكية رواه ابو صالح عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى ابو صالح عن ابن عباس انها مكية الا ثلاث آيات نزلت بالمدينة قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثاني مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال الجويبر عن الضحاك وروى عن ابن عباس انها مدنية الا ثلاث آيات نزلت بمكة وهي قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الى اخر الآيتين وقال بعضهم القدر منها قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس آيات وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة احرف **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **المر** قال ابن عباس معناه انا الله اعلم واري وروي عطاء عنه انه قال معناه انا الله اعلم وارى وروي عطاء عنه انه قال انا الله الملك الرحمن **تلك آيات الكتاب** الاشارة بتلك الى آيات السورة الكاملة العجيبة يا بابها ثم قال تعالى **والذي انزل اليك** يعني من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الى الاخبار والقصص التي قصصناها عليك يعني آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المتقدمة والذي انزل اليك يعني وهذا القرآن الذي انزل اليك **من ربك** يا محمد **الحق** اي هو الحق الذي لا محيص له وقال ابن عباس وقتادة اراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي انزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** يعني بمشركي مكة نزلت هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى **الله الذي رفع السموات بغير عمد** جمع عمود وهي الاساطين والدعائم التي تكون تحت السقف وفي قوله **ترونها** قولان احدهما ان الرؤية ترجع الى السماء يعني وانتم ترون السماوات مرفوعة بغير عماد من تحتها يعني ليس من دونها عماد عامة تدعمها والمراد نفي العمد بالكلية قال ابو اسحاق بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين وأحد الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان الرؤية ترجع الى العمد والمعنى لها عمد ولكن لا ترونها انتم ورووا في هذا القول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول هو الصحيح وقوله ثم **استوى على العرش** تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية **وسخر الشمس والقمر** يعني ذللهما لما يراد منهما خلقه فيهما منافع ان يجريان على ما اجريا عليه **كل يجري لاجل مسمى** يعني الى وقت معلوم ومعدود فاذا جاء ذلك الوقت تكورا وذهبا فال ابن عباس اراد بالاجل المسمى مدة جريانهما ومنازلهما يعني انهما يجريان في منازلهما ومدارجاتهما الى غاية ينتهيان اليها والا يجاوزانها وتخفيفه ان الله تعالى جعل كل واحد من الشمس والقمر يسير اخاصة الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء في الحركة **يدبر الامر** يعني انه تعالى يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه بمشيئته وحكمته على احكم الامور التي تشعلم عقول ذوي البصائر ان تدبير الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة يقتضيه دليلا على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضايه وقدرته **يفصل الآيات** يعني انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع فنوعان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات وما فيهما من العجائب واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات المحدثة بعد العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من احوال هذا العالم وكذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته **لعلكم بلقاء ربكم توقنون** يعني انه يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توقنوا وتصدقوا بالبعث والحشر اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على اعادته واحيائه بعد موته والايقان معرفة من جهات العلم وهي فوق المعرفة والدراية وهو سكون القلب مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال فيه استيقن وايقن بمعنى علم قوله تعالى **وهو الذي مد الارض** لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر اردف ذلك بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي الله هو الذي مد الارض وبسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة فمدت من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض مستطحة لا كرة وعند اصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن ان يقال ان الكرة اذا كانت كثيرة عظيمة جدا فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فيحمل المجمع ومع ذلك فالله تعالى قد اخبر انه مد الارض وانه دحاها وانه بسطها وكل ذلك يدل على التشبيه والله تعالى

امدق فيلا وابين ليلا من اصحاب الفيلة **وجعل بينها** اي بين الارض **رواسي** يعني جبالا ثابتة بقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت
وارساه غيره قال ابن عباس كان ابو قبيس اول جبل وضع على الارض **وانهارا** يعني وجعل في الارض انهارا جارية لمنافع الخلق
ومن كل الثمرات **جعل فيها زوجين اثنين** احمر واصفر وحلوا وحامضا **يغشي الليل النهار** يعني يلبس النهار بظلمة
الليل ويلبس الليل ضوء النهار **ان في ذلك** يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنعه وغرائب حكمته **لايات**
لدلالات **لقوم يتفكرون** يعني يستدلون بالصنعة على الصانع وبالمسبب على المسبب والفكر هو الذي يجري في القلب
من طلب الاشياء وقال اصحاب المعقولات الفكر قوة مقصورة للعلم بالمعلوم والفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل
وذلك لا يتأتى من الحيوان وانما قال لآيات فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب **ولعذاري** يعني **يتفكروا** في امر الله **ولا يتفكروا** في امر
الله اذ كان الله منزها ان يتوهم بصورة وقال الاذهاء الفكر مقلوب عن الفرق لان يستعمل الفكر في طلب المعاني والفرق في
طلب الوصول الى حقيقتها قوله عز وجل **وفي الارض قطع متجاورات** يعني متغايرات بعضها من بعض وهي مختلفة في الكيفيات
بعضها كيفية وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع **وجنات** يعني بساتين والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل
واعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستتر بالشجر الارض والجنة الاشارة بقوله **من اعناب وزرع وغيل صنوان وغير صنوان**
جمع صنو وهي النخلات تخرج من اصل واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عم الغلام لعم الرجل صنو ابيه يعني انهما من اصل
واحد وغير صنوان وهي النخلة المفردة بأصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المفترق **تسقى بماء واحد** يعني الشجر المختلفات
وزروعها والماء حيث رفيوما يشبه بعضها بعضا في الاكل وفيل بعضها على بعض في الاكل
يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض وعصب وغير ذلك من الكمثرى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل
بعضها على بعض في الاكل قال الذبل والبارسي والحلو والحامض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فان قيل هذا كمثل ابني آدم
طعمهم وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله للقلوب يعني اذا كانت الارض كبيعة واحدة يد الرحمن يسكنها
ويسخرها ويخرج نباتها وتخرج هذه سبخة وملحة وخبيثة وكل يسقى بماء واحد ولو كان الماء فيل انما هذا من قبل الماء
كذلك الناس خلقوا من آدم وينزل عليهم من السماء بذكره فتترق قلوب قوم وتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم وقال الحسن والله ما
جاء الفرقان احد الا فارق من عنده بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا وقوله تعالى **ان في ذلك** يعني الذي ذكرت **لآيات لقوم يعقلون** يعني يتدبرون **ويتفكرون** في الآيات الدالة على وحدانيته
قوله تعالى **وان تعجب فعجب قولهم** تفسير التعجب بزيادة المستعمد في العادة وقيل التعجب حالة تعرض للانسان عند
الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قال التعجب في حق الله تعالى محال لانه تعالى عالم الغيوب لا تخفى
عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وان يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت تعرف
بالصدق الامين وتعجب امرهم وقيل معناه وان تعجب من ايجاد المشركين ما هم عليه من انكارهم والله يعبدونها
مع اقرارهم بان الله خالق السموات والارض هو يفني ويبقي قدر الله ومن قدرته الله تعالى وما ضرب لهم به الامثال **فعجب**
قولهم وانكارهم ان تعجب من انكارهم النشأة الاخرى والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله تعجب قولهم وذلك
ان القوم كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء البعث من الله وقد تقرر في النفوس ان الاعادة اهون
من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم **أإذا كنا ترابا** يعني بعد الموت **أإنا لفي خلق جديد** يعني نعاد خلقا
جديدا بعد الموت كما كنا قبله ثم ان الله تعالى قال في بعضهم **أولئك الذين كفروا بربهم** وفيه دليل على ان كل من انكر البعث
بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من انكر البعث بعد الموت فقد انكر القدرة وان الله على كل شيء قدير ومن انكر هذا فهو كافر
بهو كافر **وأولئك الاغلال في اعناقهم** يعني يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو كل ما وقع في عنق او يد فجعل في العنق وقيل
اراد بالاغلال لهم اعناقهم يوم القيامة كما يقال للذليل بالقول **وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
يعني انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون **ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة** الاستعجال طلب
تعجيل الامر قبل وقته والمراد بالسيئة هنا العقوبة وبالحسنة العافية وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون
العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم **وقد خلت من قبلهم المثلات** يعني وقد مضت بالامم المكذبة العقوبات التي

تعذيبهم

تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثاء المثلثة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثلا يرتدع غيره به وذلك كالنكاح وجمعه مثلات ومثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما لغتان وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم معناه انه الذي يتجاوز عن المشركين اذا تابوا وامنوا وان ربك لشديد العقاب يعني للمصرين على الشرك الذين كانوا عليه وقال مقاتل لذو تجاوز عن شركهم في تاخير العقاب ويقول الذين كفروا يعني اهل مكة لولا اي هلا انزل عليه يعني على محمد صلى الله عليه وسلم اية من ربه يعني مثل عصى موسى وناقة صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما راوا من الايات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم انما انت منذر اي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس عليك من الايات شيء ولكل قوم هاد قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والنخعي والمعنى انما اليك الانذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية اخرى عنه وابو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما انت منذر وانت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم وقال ابو العالية الهادي هو العمل وقال ابو صالح الهادي هو القائد الى الخير او الشر الله يعلم ما تحمل كل انثى لما سالوا رسول الله الايات اخبرهم الله عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعني من ذكر او انثى سوى الخلق او ناقص الخلق واحدا او اثنين او اكثر وما تغيض يعني وما تنقص الارحام وما تزداد قال اهل التفسير غيض الارحام الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويفهم فالنقصان نقصان خلقة الولد لخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المراة في وقت حملها ينقص الغذاء ويزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر طاهرة فان رات خمسة ايام دما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام والنقصان في الغذاء والزيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة زيادتها على تسعة اشهر فاقل مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا في اكثره فقال قوم اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة اكثرها اربع سنين واليه ذهب الشافعي قال حماد بن سلمة هرم بن حيان لانه بقي في بطن امه اربع سنين وعند مالك ان اكثر مدة الحمل خمس سنين وكل شيء عنده بمقدار يعني بتقدير واحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على اكمل الوجوه وقيل معناه وانه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والمشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والمشاهد ما حضر في الحس الكبير المتعال اي العظيم الذي يغفر كل كبيرة بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته وانه تعالى المستحق بصفات الكمال المتعال يعني المنزه عن صفات النقص والمتعال عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقائص قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اي مستو منكم من اخفى القول وكتمه ومن اظهره واعلنه والمعنى انه قد استوى في علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به ومن هو مستخف بالليل اي مستتر بظلمته وسارب بالنهار اي ذاهب في سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس هو صاحب ريبة مستخف بالليل اذا خرج بالنهار راى الناس انه بريء من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء اذا اظهرته واخفيته اذا كتمته وسارب بالنهار اي متوار دخل في سرب مستخفيا ومعنى الاية سواء ما اضمرته القلوب او نطقت به الالسنة وسواء من اقدم على القبائح مستترا في ظلمة الليل او اتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل له معقبات يعني له ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل اعقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التانيث وان الملائكة ذكور لان واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل لبنات سعد ورجالات سكن وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بني ادم ملكان ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات

SULAI

وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها حسنة له بعشر امثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال اكتبها عليه فيقول انكفه لعله يتوب ويستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والا قال اكتبها عليه سيئة واحدة وملكا موكلان بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله وضعه بها وملك وكل بعينه يحفظها من الاذى وملك وكل بفيه لا يدع يخلص منه شيء من العوام تؤذيه بهوكل خمسة املاك موكلون بالعبد بليله وبنهاره خمسة غيرهم فانكم الى عظمة الله وقدرته وكمال شفقته عليكم ايها العبد العاملون وهو قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من امر الله بامر الله وانه مالم يجئ القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه بما امر الله تعالى فاذا جاء هما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شيء يقصده الا اقاله الملك وذلك قوله يذبون عنه كما يذب عن العسل والذباب وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم كما يذب عن العسل لتخطفتكم الجن والانس وقال ابن جريج معنى يحفظونه اي يحفظون عليه الحسنات والسيئات ولهذا قول فرقا من قال الاية في الملكين القاعدين عن اليمين والشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الاية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى الاية لمحمد صلى الله عليه وسلم حرس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الاية في عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وذلك انهما قصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من اصحابه بدخلا المسجد وانتشرت الناس لعامر وكان من اجمل الناس وكان اعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال ادعوه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين فقال اتجعل لي الامر بعدك قال ليس ذلك لي انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشاء فقال فتجعلني على الوبر وانت على المدر فقال لا فقال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها فقال اولست بذلك اليوم فم معي اقاتلك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد اوعد اربد بن ربيعة اذا رابته اقبلت قد من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ويدار اربد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه باخترط شيئا من سيفه ثم جبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه بالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى اربد وما صنع لسيفه فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صحو فاحرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد فوالله لاملأنها عليك خيلا جردا شبابا مرد ايا محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنع الله ذلك و يريد الله والخزرج ونزل عامر بيت امرأة من بني سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه فظل اغدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض به الهجير ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الطعن وبقول الين ايمت كمدا وصاحبه يعني ملك الموت الظاهر بما يرى فارسل الله ملكا بدل نعمه بارداه في النزاع ثم علا فركب واجراه حتى هلك على ظهره واجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فجعلت الملائكة تذب عن عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة فجعلت بالظاعنة وانزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله اي بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله ان الله لا يغير ما بقوم نزلت هذه الاية في عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي انعم بها عليهم حتى يغيروا ما بانفسهم يعني من الحال الجميلة يعصون ربهم فيغير نعمه عليهم بعذاب فذلك تحويل ما بهم وهو قوله تعالى واذا اراد الله بقوم سوءا اي هلاكا فلا مرد له اي لا يقدر احد ان يرد ما انزل الله بهم من قضائه وقدره وما لهم من دونه من والي اي وليس لهم من دون الله من والي امرهم ونعم ويمنع عنهم العذاب قوله عز وجل هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الاية من عظيم قدرته ما يشبه النعيم مزوجه ويشبه العذاب مزوجه فقال وهو الذي يريكم يعني وهو الله الذي يريكم يجوز من الضوء ويطمع في نزول المطر الثلج انه كذا من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن يحرثه يعني اندر التمر والزبيب والفج ونحو ذلك ويطمع

البرق والبرق معروف وجمعه ابراق وقد لمع يلمع ويلمع من باب نفع ويقال ايضا برق يبرق من باب تعب والبرق ضوء وصفا وجمعه ابراق

بيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث ان المطر يذهب منه اذا كان في غير مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا امطر فيها فعلت واذا لم تمطر اخصبت ويقال السحاب الثقال اي بالمطر يقال انشأ الله السحابة فنشأت اي ابدأها فبدأت والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال الماء قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء او لم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء واصل السحاب الجر ومنه سمي السحاب سحابا لانه يجر الريح له او يجره الماء او الهواء في سيره ويسبح الرعد بحمده اكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه واورد على هذا القول عليه قوله والملائكة من خيفته واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب ان يكون غيره واجيب عنه بانه لا يبعد ان يكون الرعد اسم الملك من الملائكة وانما افرده بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة وجبريل وميكائيل قد ذكرا بعد ذكر الرعد تشريفا لهما على غيرهما من الملائكة وروي عبد الله بن الزبير ان اعرابيا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يزجر بها حيث ما شاء الله فقال ما هذا الصوت الذي نسمع قال هو زجرة السحاب حتى ينتهي حيث أمر فإن أصابت أحرقت الحديث أخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا زجر الملائكة السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي ديته وكان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول أن الوعيد لأهل الأرض شديد وفي بعض الأخبار أن الله تعالى يقول وعزتي لأغوين عبادي ما أعوى لتسفيتهم الحكم بالبلوى فعلت عليهم التهمة بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروي حويتم عن الضحاك عن ابن عباس قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الرحيب بوصوان من نحاس الملك في نفرة ابهامه وانه يسبح الله فإذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعند ذلك ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فإن صوت الرعد يسبح الله عز وجل لأن التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص وكان وجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليلا على وجود موجود قادر متعال عن جميع النقائص والآلام يكون ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه يسبح الله ولهذا المعنى أضيف التسبيح إليه وقوله والملائكة من خيفته يعني وتسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذا الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل جامع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خلق يهولنا ضعفهم كما يهولنا قوتهم وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى ويرسل الصواعق جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من يصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار وعذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهي الأشياء الثلاثة منها فيصيب بها يعني الصواعق من يشاء يعني فيهلك بها كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد بن عبد الباقي الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم والتصيب الذاكي وهم يجادلون في الله يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل إذا أحكمت فتله نزلت في شأن أربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ربك أمن درام بالوت أم ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وقيل الضمير في قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من كفار العرب بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن أصابه فبعثوه إلى الله والى رسوله فقال اللهم أخبرني عن ربك محمد هذا الذي تدعوني إليه ما هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم الغوي علانية بأمر فبرز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلا أجفى منه ولا أعتى على الله منه فقال ارجعوا إليه فلم يزدهم على مقالته الأولى بسوء فقال أجب محمدا إلى ما أراه ولا أعرفه فلم نفعل قالوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الأولى شيئا بل ازدنا عتوا فقال ارجعوا إليه فرجعوا إليه فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه وهم لا يزيدهم على مقالته شيئا إذ أرسل سحابة فظلت بوفود ثقيف فرعدت وبرقت وزمعت بصاعقة فاحترقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستغيث بهم السحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا احترق صاحبنا فقالوا فمن أين علمتم ذلك فقالوا فذا وحي النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فجادل الله في شأن ذلك أن يأتي يزيد لما جادل في الله أهلكه الله بالصاعقة وقيل الهاء

وقيل انها واو الاستئناف فيكون المعنى انه تعالى لما اتم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال اي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم محل به محلا اذا اراد به سوءا وقيل هو من قولهم محل اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك ومحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال اي عداوته حتى يفعلكم بكم ما يجري مجرى الكيد بقوته وقيل المحال من الحول الحيلة والميم زايدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النقمة فقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك انه لما اخبر عنهم انهم يجادلون في الله اخبر انه شديد جدالا منهم قوله تعالى له دعوة الحق يعني لله دعوة الصدق فالاضافة اضافة دعوة التوحيد وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله قال صاحب الكشاف في دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قوله كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة لا بسة للحق مختصة به وانها بمعزل عن الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعجل الداعي سؤله ان كان مصلحة له بخلاف دعوة غيره فانها تعد سيئة لكونها حقيقا بانه توجه اليه الداعي لما يدعوه من الجدوى والنفع بخلاف ما لا نفع فيه ولا جدوى في دعاء الثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة الحق وان فلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله فلت انا على قصة اريد بها هي ان اضافته بالضاعفة كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل باجابة بعينها كانت الدعوة دعوة حق واما على قوله وهم يجادلون في توحيد الكفار على يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه عليهم وقيل في معنى الاية الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص لا يكون الا لله تعالى والذين يدعون من دونه يعني والذين تدعونهم الهة من دون الله وهي الاصنام التي تعبدونها لا يستجيبون لهم بشيء يعني لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع او دفع ضر ان دعوهم الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يعني الا كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه ليبلغ منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطفه ولا يقدر ان يجيب داعيه او يبلغ فاه وكذلك ما تدعونه جماد لا يحس بدعائكم ولا يستجيب اجابتكم ولا يقدر على نفعكم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لا لهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيده ليشربه ويبسطها ناشرا اصابعه ويرفع كفيه مناسبا ولم يبلغ كلبته من شربه وقبل ان الغارف على الماء ناشر اصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام والاوثان لا تنفع ولا تضر ولا في يده شيء وقيل شبه بالرجل العطشان الذي يرى الماء بعينه من بعيد فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يزداد ابدا بدعائه الا بعدا ومنه قول العطشان الجائر عن الطريق الى الماء وهو يديه الى البير فلا هو يبلغ الى قعر البير فيجد الماء ولا الماء يرتفع اليه فيبلغه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له والهوى يبلغ فاه كذلك الذي يدعو من الاصنام لا ينفعه ذلك قال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الماء ليس يبلغه ذلك ما لم يبلغ الماء فاه فكذلك ما لم يبلغ الماء فاه ما دام باسطا كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار وما يأملون من الاصنام جزاء لما يلحقهم البغتة ثم ختم هذا بقوله وما دعاء الكافرين يعني اصنامهم الا في ضلال يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في هذه الاية انما هو انهم محجوبة عن الله تعالى فلهذا قال عز وجل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها في معنى هذا السجود فلان احدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في هذه الاية وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما فالمراد منه الخصوص تقديره ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة والارض يعني المؤمنين من يسجد له طوعا وهم المؤمنون المخلصون له العبادة وكرها يعني العناة من الكافرين والمؤمنين وليس امتناع من امتنع منهم لانهم لا يرجون على السجود ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل السجود هو عبادتهم خوفا من المؤمنين الوجه الثاني وهو مما اختاره بعضهم العموم وعلى هذا يجوز ان يكون السجود اشكالا وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة وبهذا وجه الاشكال والجواب عنه انه يجب على كل من في السموات والارض ان يسجد لله بمعنى ان الوجوب بالوقوع والحصول وجواب آخر وهو ان المراد من هذا السجود الانقياد بالطاعة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض فمن انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية تقول التعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق

السموات والارض

السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود وهو الانقياد والخضوع وترك الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل وهم خاضعون منقادون له وقوله تعالى **وظلالهم بالغدو والآصال** الغدو والغدوة والغداة من أول النهار قبل الى نصف النهار والغدوة بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصيل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون كل شخص يسجد له سيوى كل الموحد والكافر فان ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو مأجور وظل الكافر يسجد له كرها وهو كاره قال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال عقولا وان بها ما تسجد به وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب، اخي وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال يعظم ويعتد بها في هذين الوقتين وقيل لانها كراهة النهار فيدخل وقتها بين هذين الوقتين **فصل** وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيستحب للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم قوله تعالى **قل من رب السموات والارض** اي قل يا محمد للعادلين المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض من مالك السموات والارض ومن يحيي ويميت **قل الله** اذا اجابك عن هذا السؤال فقل انت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل انما قال هذا لان هذه الكلمة للمشركين كانوا معترفين بها وقال احب ان يأمره الله ان يجيبهم بقوله **قل** اي وقل يا محمد **الله** وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله تعالى خالق كل شيء، ولما لم ينكروا ذلك وجاء النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فقد لزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله **قل** اي قل يا محمد للمشركين **أفاتخذتم من دونه** اي من دون الله **أولياء** اي الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا اي الاصنام **لا يملكون** اي هم لا يملكون **لانفسهم نفعا ولا ضرا** فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى **قل هل يستوي الاعمى والبصير** قال ابن عباس اي المشرك والمؤمن **أم هل تستوي الظلمات والنور** اي الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وكما لم تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لانه لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا **أم جعلوا لله شركاء** هذا استفهام انكار اي جعلوا لله شركاء **خلقوا كخلقه** يعني خلقوا سموات وارضين شمسا وقمرا وليلا ونهارا وجنا وانسا **فتشابه الخلق عليهم** من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله **أم جعلوا** له **شركاء** خلقوا كخلقه مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكار اي ليس الامر كذلك حتى يشتبه الامر عليهم بل اذا تفكروا وتعقلوا علموا ان وجود الله تعالى هو الصنع لخلق جميع الاشياء والشركاء مخلوقون له ايضا فلا يقع لهم شبهة حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجة **قل الله خالق كل شيء** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الله خالق كل شيء، بما يصح ان يكون مخلوقا وقوله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى، وهو غير مخلوق **وهو الواحد القهار** اي والله تعالى هو الواحد المتفرد بخلق الاشياء خلق الكفار لعبادته حتى يتخلصهم تحت قضايا قدره واراداته وقوله عز وجل **أنزل من السماء ماء** لما شبه الله تعالى الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل من السماء ماء اي المطر **فسالت أودية بقدرها** اودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت اودية فيها استعارة وحذف تقديره سال في الوادي فحمله كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه لدلالة الحال عليه بقدرها قال قتادة هذا مثل ضربه الله تعالى للقلوب فقلب كبير يسع علما كثيرا وقلب صغير يسع علما صغيرا فالكبير القلب الذي يسع القرآن والايمان والصغير القلب الذي لا يسعه ذلك وكذلك القلوب يبتلى بالشك والشبهة كما يبتلى الجسد بالحمى فمن ابتلي من المؤمنين بالشك والشبهة فهو كالوادي الصغير ابتلي بالسيل فطفا على وجهه الزبد وهو الشك والشبهة ومن ابتلي من الكافرين بالشك والشبهة فهو كالوادي الكبير ابتلي بالسيل فطفا على وجهه الزبد وهو الشك والشبهة ثم ان الزبد يذهب ويضمحل وكذلك الشك والشبهة يضمحل عن قريب ويزول وقال ابن عباس انزل من السماء ماء يعني القرآن فسالت اودية بقدرها يعني فرائضه وحدوده وامثاله وقال الحسن بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور في البيان بنزول المطر لان المطر اذا انزل عم نفعه وكذلك القرآن وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يسكن فيها الماء وكذلك القلوب يسكن فيها الايمان والقرآن ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القرآن كما قال **فحمل السيل زبدا رابيا** قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه

مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال الشيخ في الدين الفروع وغيره ومعنى هذا الحديث وشرحه أن الكلأ بما العمر يرفع على الركب واليابس من العشب وقوله وكان من أجادب بفتح الجيم والدال المهملة والباء كذا في الصحاح يجبى وهي الأرض التي لا تنبت الكلأ جمع جدب على غير قياس وقياسه أجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابي في أنها تمسك الماء ولا يشرع فيه وفي رواية للهروي أخاذات بالخاء المعجمة والذال المعجمة جمع أخاذة وهي الغدير الذي يمسك الماء وقوله وزرعوا كذا هو في صحيح مسلم من الزرع وفي صحيح البخاري وزرعوا من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع بسه وهو المستوي من الأرض وقد تقدم بذلك مثل من فقه في دين الله روي بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه الفهم من الأكل وأما معنى الحديث فمضروبه بعموان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالأرض التي أصابها المطر فإن العلماء والأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس الذين منهم خلقوا على النوع الأول من أنواع الأرض الخبيثة التي تنبتع بالمطر فتنبت به العشب فتنتفع الناس به والشرب والرعي وغيره وكذلك النوع الأول من الناس من يبلغه العلم والعلم فيحيا به قلبه ويحفظه وعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينتفع به غيره فالمشروط صحبت الجواب رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجدهم كالأخذات لأن قلوبهم كانت واعية فطارت أوعية العلم بما رزقت من جعل البعض النوع الثاني من أنواع الأرض التي تقبل الانتفاع بنفسها لكن بغيرها وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة ولكن ليست لهم أوعية فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجيئه المحتاج إليه المنتعش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من أنواع الأرض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من أنواع الناس لهم قلوب حافظة ولا أوعية صافية بما بلغهم فيه من العلم لا ينتفعون به ولا ينفعهم ولا ينتفعون به غيرهم والله أعلم قوله فعلم بالحاء المهملة والعين المشددة أي زاد ما يعلم على وجه الماء عند الزيادة كالحسب وكذلك ما يعلو عند الغدر عند غليانه هكذا والمعنى فاحتمل السيل الذي جاء من ذلك العلم زبدا أي علا عليا مرتفعا من هو والماء صابيا عليه وهما تمامان المثل ثم ابتدأ المثل الآخر فقال وقد يوقدون عليه النار الإفاد جعل المكب على النار لتقديم جعل تلك النار تحت الشيء ليذوب متاعا حلية أي لكلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وإن لم يكونا مذكورين لأن الحلية للكلب الانتفاع أو متاع أي أو الكلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوها يذاب منه الأواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما ينتفع به ويقال الكل ما ينتفع به البيت كالقبض والقدر ونحو ذلك من الأواني مثاله كذلك أي كذلك الذي يوقد عليه النار إذا ذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء الصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس بالحاء المهملة والغين المعجمة فهو الصافي الثابت والباطل هو الزبد الكافي الذي ينتفع به وهو قوله فأما الزبد فيذهب جفاء أي ضائعا باطلا والجفاء ما رمى به الوادي إلى حافتيه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم إذا فرقته والمعنى أن الباطل وإن علا في وقت فإنه يضمحل ويذهب وأما ما ينفع الناس يعني العمل الصالح والجوهر الجيد من هذه الأجساد التي تذاب فيمكث في الأرض أي يثبت ويبقى ولا يذهب كذلك يثبت الحق والباطل مثاله قال العلماء التفسير والمعنى هذا مثل ضربه الله للحق والباطل أما الباطل فإن علا على الحق في بعض الأوقات والأحوال فإن الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع وكذلك الجوهر من هذه الأجساد التي تذاب يبقى ويذهب الخبث الذي هو الكدر وهو ما يدفعه الكير مما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق والباطل والباطل وإن علا في وقت فإنه يذهب هو وأهله وفيما هذا مثل للتحذير واعتقاده والتباعد عنه لا يعان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل النار وخبث اعتقاده كالزبد الذي لا ينتفع البتة وفيه هذا مثل ضربه الله للنور الذي يجعله في قلوب العباد على ما قسم له في الأزل الوادي إذا كنس سال كل شيء فيه من الشيء سالت والمستذرات كذلك النور إذا أقبل وإذا قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر إيمانه ومعرفته ليس كل كلمة وفقه فيه

لا تمسك

المعترف

فأما النفع

والله اعلم
الى بعد
فيه نهب

وامّا الذّهب فيجب جبلا، وامّا ما ينبع النّاس فيه فيجب الارض فيه يذهب البراهل وهي الاخلاف المذمومة وهي في المخالفة به
وهي الاخلاف الحميدة كذلك يضرب الله الامثال للمومنين الذين استجابوا لربهم الحسنى قبل الله الذين متعلقة به
يضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمومنين الذين استجابوا لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان
به ورسوله والكافرين الذين لم يستجيبوا لله فهذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفريقين من المومنين والكافرين
وقيل تمّ الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استانف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عبّاس
وجمهور المفسرين يعني بالجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحشر وهي المنفعة الحاصلة الخالية من شوائب
المضرة والانقطاع والذين لم يستجيبوا له يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وماتوا عليه لو
ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به يعني لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النّار يوم
القيامة اولئك يعني الذين لم يستجيبوا لربهم لهم سوء الحساب قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب
العبد بذنبه كله لا يغفر له منه شيء وماويهم يعني في الاخرة جهنم وبئس المهاد يعني ما مهدوا لهم في
الاخرة وقيل المهاد الفراش يقال بئس الفراش لهم جهنم وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق يعني بان يعمل بما فيه كمن هو اعمى يعني في عمى القلب وهو الكافر والاعمى بالعين
والذي يعمل بما فيه قال ابن عبّاس نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل بن هشام وقيل نزلت
في عمار بن ياسر وابي جهل والاول هو حمزة او عمار والثاني هو اعمى ابو جهل وتمام الاية انما يتذكر اولوا الالباب
خصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لم يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبّه الكافر والجاهل بالاعمى
لان الاعمى لا يهتدي لرشده ربّما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتدي لان لرشد وهما وقعان في المهالك
انما يتذكر اولوا الالباب يعني وانما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ
والاذكار قوله عزّ وجلّ الذين يوفون بعهد الله يعني الذين عاهدوهم عليه وهو القبول بما امرهم وفرض عليهم
واصل العهد بمعنى الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما اخذه على اولاد ادم حين اخرجهم من صلبه
واخذ عليهم العهد والميثاق ولا ينقضون الميثاق بل يوفون به توكيدا لقوله الذين يوفون بعهد الله والذين
يصلون ما امر الله به ان يوصل قال ابن عبّاس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعني يصل بينهم بالايمان بهم
ولا يفرق بين احد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمائي فمن
وصلها وصلته ومن قطعها اوقطعته اخرجه ابو داود والترمذي وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من سرّه ان يبسط له في رزقه وان ينسأ له في اثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة للاهل والاقارب
والاحسان اليهم وصدقة للفقير وان ينسأ له في اثره اخّر فيه الاجل وينسئ الاجل اذا اتى الانسان تابع للحياة وسبابها ومعنى
ينسأ يؤخر والمراد به تاخير الاجل هو على وجهين احدهما ان يبارك له في عمره فكأنه قد زاده فيه والثاني ان يزيده في
عمره زيادة حقيقة والله يفعل ما يشاء وعن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع رحم زاد في
رواية قال سفيان يعني قاطع رحم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس
الواصل بالمكافي ولكن الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من
انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منساة في الاثر اخرجه الترمذي وقوله تعالى
ويخشون ربهم يعني انهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما امر الله من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية
يسوقه تعظيم والخشية يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ويخافون سوء الحساب تقدم معناه والذين صبروا
يعني على طاعة الله وقال ابن عبّاس عن امر الله وقال على المصائب والنوائب وقيل صبروا على الشهوات والمعاصي
وقيل حمله على العموم اولى ليدخل فيه الصبر على جميع الامور ومن سائر العبادات والكفارات وجميع اعمال البر وترك جميع
المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي والحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر

قيد على صلة الرحم

عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامر لله والتعاليب واصل الصبر حبس النفس بما
يقتضيه العقل والشرع او عما يقتضيان حبسها عنه بالصبر لفظ على يدخل تحته جميع ما ذكر ثم قيد الصبى بقوله
ابتغاء وجه ربهم لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر الغير مرغوب فيه وهو ان الانسان قد يصبر ليتقوى على الحمل على
واشد فيرته على ما يحمل من الغرائم وقد يصبر ليلا يعاب على الجزع وقد يصبر ليلا يشمت به الاعداء وكل هذه الامور
وان كان كما هو الصبى فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانه لا يفعل لله تعالى النوع الثانى الصبى المحمود
وهو ان يكون الانسان صابرا لله راضيا بما نزل به من الم فعالما بان ذلك الصبر ثواب الله فيحتسب على الله بفعله هذا
الصبى الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعنى صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه وأقاموا الصلاة
يعنى الصلاة المعروفة وقيل حمله على العموم اولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بها اقامتها اتمام اركانها وواجباتها
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك اداء الزكاة فالاولى
ان يؤديها سرا وان كان متهما بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل المراد بالسر صدقة التطوع
والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على
العموم اولى ويدرءون بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون بالصالح من العمل السيئ وهو معنى قوله ان
الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التاويل ما جاء في الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت
سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوى باسناده عن عقبة بن
عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد
خنقته ثم عمل حسنة فانبكت حلقة ثم عمل اخرى فانبكت اخرى فخرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة
وقيل لا يجازون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال الفتى معناه اذا سفه عليهم حلموا واذا اسئ عليهم عفوا بالسيئة
والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا غفروا واذا قطعوا وصلوا
قال عبد الله ابن المبارك هذه ثمانى خلال مشيرة الى ابواب الجنة الثمانية فلت انما هى تسع خلال فيحتمل ان واحدة
والله اذكر الله عز وجل هذه الخلال من اعمال البر ذكر بعدها ما اعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى اولئك يعنى من اتى بهذه
الاعمال لهم عقبى الدار يعنى الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب جنات عدن بدل من عقبى الدار يعنى يستقرونها
اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به يدخلونها يعنى الذين تتنعم وصفهم ومن صلح من ابائهم يعنى ومن صدق
من ابائهم بما صدقوا به وان لم يعملوا باعمالهم قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سرورا بما يراه باهله
حيث يبشره بدخول الجنة مع نعوتها بدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع الذى بالاعمال الصالحات ولو كان دخولهم
الجنة بالاعمال الصالحة لم يكن لذكر المطيع والاباية فائدة والوعد بان كان من كان صالحا فى عمله يدخل الجنة قال
العلماء فى الدين الذرية فوله تعالى ازواجهم لتبين فيه ما يدل على التحسين بين زوجة وزوجة ولعل المراد من مات منهما او
ماتت عنه وما روى انه لما حضرت سودة اراد النبى صلى الله عليه وسلم طلاقها فسالته ان يبقيها وقالت يوما لعائشة
رضى الله عنها رجاء ان تحشر فى جملة ازواجه كالدليل على ما ذكرنا وقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
يعنى من ابواب الجنة وقيل من ابواب القصور وقال ابن عباس تريد بالتحية من الله والتعجب والهدايا يسلام عليكم يعنى
يقولون يسلم عليكم يا اهل الجنة لدلالة الكلام عليه بما صبرتم يعنى يقولون لهم يسلمكم الله من الآفات
التى كنتم تخافونها وادخلكم بما صبرتم فى دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات وقيل ان الملائكة قالوا لهم
بعد ان لا يكون من القول ثوابا للعمل فعلى هذا يكون قوله يسلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعنى يسلمكم الله بما صبرتم فان له
عقبى الدار ان الملائكة يدخلون فى مقدار كل يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون يسلام
عليكم بما صبرتم وروى البغوى باسناده عن ابى امامة موقوفا عليه قال ان المؤمن ليتكون متكيا على اريكة اذا دخل الجنة
وعنده سماطان من خدم وعند كل باب سماطين باب مغلق فيقول ملك من ملائكة الله تعالى يستاذن فيقول للذى
يليه ملك يستاذن فيقول للذى يليه ملك يستاذن كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا فيفتح للمؤمن فيأذنوا
ويقول الذى يليه ائذنوا كذلك حتى يبلغ اقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف فينعم فى الدار

الى

يعنى فتح العين

يعني فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما انتم فيه والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
لما ذكر الله احوال السعداء وما اعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده احوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى
والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وخالفوا امره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه على انفسهم من الاعتراف
والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة ويفسدون في الارض يعني
بالكفر والمعاصي اولئك يعني من هذه حاله لهم اللعنة يعني الطرد من رحمة الله يوم القيامة ولهم سوء الدار يعني
النار لان منقلب الناس في العرف الى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار
وهي النار وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق
على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا امر اقتضته حكمة الله وفرحوا بالحياة الدنيا يعني مشركي مكة بسط
الله الرزق عليهم اسروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب من المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام
وما الحياة الدنيا في الاخرة يعني بالنسبة الى الاخرة الا متاع اي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة
والقصعة والقدر ينتفع في الدنيا بها ثم يذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها ويقول الذين كفروا
يعني من اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه يعني هل انزل على محمد اية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى قل اي قل لهم
يا محمد ان الله يضل من يشاء فلا ينفعه نزول الايات وكثرت المعجزات اذا لم يهديه الله عز وجل وهو قوله ويهدي
اليه من اناب يعني ويرشد الى دينه والايمان به من اناب بقلبه ورجع اليه بكليته الذين امنوا بدل من قوله اناب وتطمئن
قلوبهم يعني وتسكن قلوبهم بذكر الله قال مقاتل بالقران لانه لطمانينة قلوب المؤمنين والطمانينة والسكون
انما يكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك الا بذكر الله تطمئن القلوب يعني بذكر الله تسكن قلوب المؤمنين
ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شيء سكن قلوب المؤمنين اليه
فان قلت اليس قد قال الله تبارك وتعالى في اول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم بذكر الله والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمانينة فكيف وصفهم بالوجل
والطمانينة وهل يمكن الجمع بينهما في حالة واحدة قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب
والطمانينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة لحسابه وعقابه وتطمئن اذا
ذكرت فضل الله ورحمته ورحمته وكرمه واحسانه الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم اختلف
العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرت عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسن لهم وفي رواية
اخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اي اطيب خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرمة وقال
الزجاج طوبى من الطيب وقال تاويلها الحال المستطابة لهم وهو كلما استطاب في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل
وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهري يقال طوبى لك وطوبى لحن لا تقوله العرب وهو قول اكثر النحويين وقال سعيد بن جبير
اسم الجنة بالحبشة وروي عن ابي امامة وابي هريرة رضي الله عنه وابي الدرداء طوبى اسم شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها وقال
عبيد بن عمير هي شجرة في جنات عدن اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار غرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله
لونا ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها اصلها عينان الكافور والسلسبيل
وقال مقاتل كل ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروي عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال شجرة في الجنة غرسها الله بيده ونفخ فيه من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها
لترى من وراء مستور الجنة هكذا ذكر البغوي وهاذين الحديثين بغير سند وروي بسنده موقوفا على ابي هريرة رضي الله عنه قال
ان في الجنة شجرة يسير الراكب فيها مائة سنة اقرؤوا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي انزل
التوراة على موسى والقران على محمد لو ان رجلا ركب حقة او جذعة ثم دار بارض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هو ما ان الله
عز وجل غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان اغصانها لمن وراء سور الجنة من نهر الا ويخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوي
وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة
يقال لها طوبى يقول الله لها تعبقي لعبدي عما يشاء فتعبق له عن فرس مسروجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتعبق له

عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما تمثل وعن المبارك عن سفيان بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في رواية واقرؤا ان شئتم وظل ممدود قوله عز وجل وحسن مآب يعني ولهم حسن مآب ومرجع يقلبون ويرجعون اليه في الآخرة وهي الجنة قوله عز وجل كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم يعني كما ارسلنا يا محمد الى هذه الامة كذلك ارسلنا انبياء من قبلك الى امم قد خلت ومضت لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك يعني لتقرأ على امتك الذي اوحينا اليك من القرآن وهم يكفرون بالرحمن قال قتادة وهم كفار اهل هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء الصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتب الصلح بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال وما الرحمن ما ادري ما هو اكتب باسمك اللهم وهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعني انهم يجحدونه ويجحدون اسمه والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل بن هشام وسمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمان فرجع ابو جهل الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فكيف يدعو الها واحدا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يعرفون الله ولا يعرفون الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية وقيل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى قل يا محمد ان الرحمن الذي انكرتم هو ربي الا هو عليه توكلت يعني اعتمدت عليه في امري كله واليه متاب يعني واليه توبتي ورجوعي قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الآية نزلت في مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن امية جلسوا خلف الكعبة وارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فيما تدعي فينا وانك نبي فسير جبال مكة بالقرآن حتى تتسع لنا فتتخذ فيها بساتين وانهارا وعيونا فنغرس ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت يا هوذ على ربك مذ وجيه يعني له الجبال تسير معه او سخر لنا الريح لنركبها الى الشام لمتجرنا وحوائجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان عليه السلام كما زعمت فلست اهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصي بن كلاب فان عيسى كان يحيي الموتى ولست اهون على الله منه فانزل الله تعالى هذه الآية ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي ذهبت بها اذا ذهبت عن وجه الارض او قطعت به الارض يعني تفتقت فجعلت انهارا وعيونا وقيل به الموتى بل احياء يكلمون واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اختصارا بمعونة الكلام عليه وتقديره لو ان قرآنا فعل بهذا القرآن لفعل بهذا القرآن وقال اخرون جواب لو تقديم تقديره ولو ان قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هو القرآن المتقدم ذكره قال الفراء وهو كقول الشاعر ولو ان قومي لم تكن في اصولها لئام ولكن لم تجدنا ما ابقا اراد لو شيء اتانا رسوله سواك لهددناه وهذا معنى قول قتادة بل لله الامر جميعا اي هو الذي يفعل ما يشاء ولا يقدر احد على ان يفعل شيئا الا بمشيئته وقيل معناه بل لله الامر جميعا في ان يؤمن من شاء منهم بغير آية وقيل معناه بل لله الامر جميعا في نصر رسله وانجاز وعده وقيل معناه بل لله الامر جميعا في الآخرة يدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار وقيل معناه بل لله الامر جميعا في الدنيا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى افلم ييأس الذين امنوا فقال الاكثرون من المفسرين معناه افلم يعلم وقال الكلبي لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف اهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وابو عبيد لم يأس لم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ابن لم تر عيني من تعرضت اثأرا اي لم اعلم وبقول الآخر الم ييأس الاقوام اني انا ابنه وان كنت عن ارض العشيرة نائيا اي الم يعلم الاقوام اني انا ابنه وقال الاخفش لغة بعض العرب ييأس بمعنى يعلم قال الفراء وهو في بعض لغة العرب قالوا ووجه هذه اللغة انا وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشيء يعينك به ويايسك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في كلام العرب بمعنى العلم وانما يصح هذا ليأس الذين امنوا من ذلك يقتضي ان يحمل العلم بالشيء على ما هو به اذا سمع يقتضي حصول العلم وقال الكسائي وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال والحرف في القرآن من اليأس المعروف لان العلم وذلك ان المشركين لما طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات يأس المسلمون لذلك واراد وا ان يظهر لهم آية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا انه لو يشاء

الله لهدى الناس

الله لهدى الناس جميعا من غير ظهور اية وقال الزجاج القول عندي ان معناه افلم ييئس الذين امنوا من ايمان هؤلاء الذين لو شاء الله لهدى الناس جميعا والدليل على ان في معنى الاية قولين احدهما ان ييئس بمعنى علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك اهل السنة بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على ان العبد لم يشأ هداية جميع الخلق والذين كفروا لا يزال يصيبهم بما صنعوا يعني من الكفر والاعمال الخبيثة قارعة بازالة وداهية تفزعهم بانواع من البلايا احيانا مرة بالجوع ومرة بالسقم ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس القارعة السرايا التي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعها اليهم او تحل قريبا من دارهم الاية يعني العشرة والبلية قريبا من دارهم وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله يعني بالفتح والنصر وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم ان الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك وذلك ان كفار مكة اتعنتوا رسول الله على سبيل الاستهزاء فكذلك قد استهزئ برسل من قبلك فاملیت للذين كفروا يعني بامهالهم واملاء لهم المدة ثم اخذتهم يعني بالعذاب بعد الامهال وهذا تهديد يتهدد به الدنيا بالقحط والاسر والقتل وغير ذلك والاخرة بالنار فكيف كان عقاب يعني كيف كان عقابي لهم أفمن هو قائم على كل نفس يعني افمن هو حافظ لكل نفس ورازق لها وعالم بها وبما عملت من خير او شر ويجازيها بما كسبت يعيبها ان احسنت ويعاقبها ان اساءت وجواب هذا محذوف تقديره كمن ليس بهذه الصفة بل هو عاجز عن نفسه وهي كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره اعجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع وجعلوا لله شركاء يعني هو العجب من جهالتهم وعبادتهم للاصنام التي جعلوها شركاء لله قل سموهم يعني له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هي اهل لان تعبد أم تنبئونه يعني ام تخبرون الله بما لا يعلم في الارض يعني انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وتيه يكون المعلوم شريكا للخالق وهو القائم بامر السموات والارض ولو كان تعلقه والمراد بذلك نفي العلم بان يكون ثم شريك أم بظاهر من القول يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مشنوع وهو الحقيقة باطل لا اصل له وقيل معناه بل يقولون من القول ما يعلمون حقيقته بل زين للذين كفروا مكرهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر انما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق فلا يقدر احد ان يتصرف في الوجود الا بارادته فمن زين الشيطان الكفر. الوسوسة فقط والله قادر على ضد الواحد وهذا يدل على ان الله تعالى اراد من الكافر الكفر وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد وقوله وصدوا عن السبيل قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك اذ المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا عن السبيل بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا غيرهم عن الايمان ومن يضلل الله تعالى فما له من هاد الوقوف عليه بسكون وحذف الياء في قراءة اكثر القراء لهم عذاب في الحياة الدنيا يعني بالقتل والاسر وغير ذلك مما فيه غيظهم ولعذاب الاخرة اشق يعني اشد واغلظ لان المشقة غالبا الامر على المعذب وشدته بما يكاد يصدع القلب من شدته وهو من الشق الذي هو الصدع وما لهم من الله يعني من عذاب الله من واق يعني من مانع يمنعهم من عذابه قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار لا تنفع ابدا اكلها دائم يعني انه دائم ابدا لا ينقطع وليس في الجنة متعلق ولا فرع لا كظل الظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الاية رد على جهم واصحابه الذين يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الاية دليل على حركات اهل الجنة لانتهي الى سكون دائم كما يقوله ابو الهذيل واستدل الفائي بعدم الجبار المعتزلي بعدم الاية ان الجنة لم تخلق بعد فان وجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب ان تفنى وينقطع اكلها لقوله كل شيء هالك الا وجهه فوجب ان لا تكون الجنة لقوله اكلها دائم يعني لا ينقطع فان والا يمكن ان يكون في السموات جنات كثيرة ممتنع بقاؤها ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روي الان الذي يذهب اليه الجنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من اثنين احدهما قوله تعالى في هالك الا وجهه والاخر كلها دائم وكلتا فاذا ادخلنا التخصيص على هذين العمومين تساقط دليلهم فيتمسك هذان الدليلان بالدليل الدال على ان الجنة مخلوقة قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين وقوله تعالى وظلها تلك عقبى الذين اتقوا يعني ان عاقبة اهل التقوى هي الجنة وعقبى الكافرين النار يعني الاخرة

قوله عز وجل والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك فالمراد بالكتاب قولان أحدهما أنه القرآن والذين أوتوه
هم المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بأنهم يفرحون بما يتجدد من الأحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت
بتجدد نزول القرآن ومن الأحزاب يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى من
ينكر بعضه وهو قول الحسن وقتادة فإن قلت الأحزاب من الكفار وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف
قال ومن الأحزاب من ينكر بعضه قلت إن الأحزاب لا ينكرون جملته لأنه قد ورد فيه إثبات الله وإثبات قدرته وعلمه
وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثاني المراد بالكتاب التوراة والإنجيل والمراد بأهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى
مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم
فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الأحزاب يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر
بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل سبأ هم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة
ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل
إليك ومن الأحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب
فيه بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فأنزل الله وهم يكفرون بالرحمن
قل هو ربي وإنما قال ومن الأحزاب من ينكر بعضه لأنهم لا ينكرون الله وينكرون الرحمن قل أي قل يا محمد إنما أمرت أن أعبد الله
يعني وحده ولا أشرك به إليه أدعو يعني إلى الله والإيمان به أدعو الناس وإليه مآب يعني مرجعي يوم القيامة وكذلك
أنزلناه حكما عربيا أي كما أنزلنا الكتاب على الأنبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن
عربيا بلسانك ولسان قومك وإنما سمي القرآن حكما لأن فيه جميع التكاليف والأحكام والحلال والحرام والنقض والإبرام
فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل إن الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن
والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى ولئن اتبعت أهواءهم قال جمهور المفسرين إن المشركين دعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى ملة آبائه فتوعده الله اتباع أهوائهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آبائهم
في الصلاة لبيت المقدس بعد ما جاءك من العلم يعني بأنك على الحق وأن قبلتك هي الحق وقيل ظاهر الكتاب الخطاب
فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به
ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لأن من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة إذا حذر كان غيره ممن هو دونه
بطريق الأولى ما لك من الله من ولي ولا واق يعني من ناصر ولا حافظ قوله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك
روي أن اليهود وقيل المشركين قالوا إن هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم له همة إلا في النساء فعابوا عليه
ذلك وقالوا لو كان يزعم أنه رسول الله لكان مشتغلا بالسهر وترك الدنيا فأجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما
عابوه به بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد وجعلنا لهم أزواجا وذرية فإنه قد كان لسليمان
عليه ثلاث مائة امرأة وسبع مائة سرية فلم ينقدح ذلك في نبوته وكان لأبيه داود عليه السلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك
في نبوته فكيف يعيبون عليك ذلك ويجعلونه قادحا في نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يأكلون ويشربون
وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله هذا
جواب لعبد الله بن أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات
وتقرير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية في إثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز
عنها البشر فما لهم أن يقترحوا عليه شيئا وإثبات الرسول بالمعجزات ليس لله بل هو مفوض إلى مشيئة الله عز
وجل فإن شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها لكل أجل كتاب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب
عليهم فلما استبطئوا ذلك وقد كانوا يستعجلون منزله فأخبر الله أن لكل قضاء قضاء كتاب قد كتبه فيهم ووقت يقع فيه
لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى أن لكل أجل أجله الله كتاب قد أثبته فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة
والمعنى أن الكتب المنزلة لكل كتاب منها أجل ينزل فيه يمحو الله ما يشاء ويثبت وذلك أنهم لما اعترضوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غدا وما يعيب ذلك إلا أنه يقوله من تلقاء

الله أعلم
بواجب على الله

نفسه

نفسه فأجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض
فينسخه ويبدله ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن حذيفة بن اسيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا امر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها
ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم
يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على عمره ولا ينقص اخرجه مسلم وعن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق
ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله
وشقي ام سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله الا هو ان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان الاجال والارزاق مقدورة وكذا
السعادة والشقاوة لا يتغير عما قدره الله وعلمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد
شقيا والشقي سعيدا وقد صح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى
يمحو الله ما يشاء ويثبت قلت قد تكرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالاجال والارزاق وغيرها وحقيقة
العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحال ان يموت قبله او بعده وهو قوله
تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على ان الاجال لا تزيد ولا تنقص واجاب
العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم تزيد في العمر باجوبة الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره
بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينقصه في الاخرة وصيانتها من الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها
انه بالنسبة الى ما يظهر الملائكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الى ان يصل رحمه فان وصلها زيد اربعون
سنة وقد علم الله في الازل ما الشقي ينتفع من ذلك وهو معنى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت الى ما يظهر للمخلوقين من نفور
الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر ايضا لان الكافر يسلم فينقلب من الشقاوة الى
السعادة وكذلك الصالح ونحوه وقد يموت فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ بالله فيموت على ردته
فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت بما يختم له وهو المراد من علم الله الازلي الذي
الذي لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم واصل المحو ذهاب اثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلماء من حمل الاية على ظاهرها
فجعلها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة
والايمان والكفر وقيل نحو هذا عن عمرو بن مسعود فانهما قالا ويمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت
ما يشاء وروي عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت
كتبتني في اهل الشقاوة فامحني وثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب
وروي مثله عن ابن مسعود وقد روي في بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة
هكذا ذكره البغوي بغير سند وروي بسنده عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى في اخر الليل ثلاث
ساعات بقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من
حمل معنى الاية على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم اخر
عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بني ادم واقوالهم فيمحوا الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه
ثواب ولا عقاب مثل قول القائل اكلت شربت رحلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويكتب ما فيه ثواب وعقاب وهذا
قول الضحاك وقال الكلبي كتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شيء ليس فيه ثواب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل
بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته
فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء يعني من جاء اجله فيذهبه ويثبت من لم يجئ اجله وقال سعيد
ابن جبير يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما
يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنا وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال
الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد موته محاه وامسكه ومن اراد بقاءه اثبته ورد الى صاحبه وقيل ان الله

قف على حقيقة العلم

BULAC

يثبت ويقرأ السنة حكمها فإذا مضت السنة قرأها وأثبت حكمها، أخي للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت
الآخرة وقيل هذا في العمر والصحابي ليس منسوخة في الكتاب لم يجف بالدعاء والصدقة وقيل إن الله يمحو ما يشاء، ويثبت ما
يشاء، إلا الاعتراض عليه لأحد يفعل ما يشاء، وبحكم ما يريد فإن قلت مذهب أهل السنة أن المقادير سابقة وقد جف القلم
بما هو كائن إلى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والإثبات قلت المحو والإثبات ما جف به القلم ويسبق به
القدر فلا يمحو ولا يثبت شيئاً إلا ما سبق به علمه في الأزل وعليه يترتب القضاء والقدر مسألة استدلت الراهبية
على مذهبهم في البداء بهذه الآية فقالوا إن البداء جائز على الله وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له خلاف ما اعتقد وتمسكوا
بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت فالجواب عن هذه المسألة أن هذا مذهب باطل كما هو الفساد لأن علم الله قديم
أزلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان مدخول التغيير والتبديل كما أخذ كره الإمام فخر الدين الرازي في تفسير
هذه الآية وقوله تعالى وعنده أم الكتاب يعني أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يتغير ولا يتبدل وسمي اللوح المحفوظ
أم الكتاب لكون جميع الأشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل إن القلم وكل ما تنسب إليه وتتولد منه قال ابن عباس
هما كتابان كتاب يمحو الله ما يشاء منه ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذي لا يغير منه وروي عطية عن ابن عباس قال إن الله
لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام مزبرجة بالدر والياقوت له كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت
وعند أم الكتاب وسأل ابن عباس كعباً عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون وإما نرينك يعني يا محمد
بعض الذي نعدهم يعني من العذاب أو نتوفينك يعني قبل أن نريك ذلك فإنما عليك البلاغ يعني ليس عليك إلا تبليغ الرسالة
البلاغ والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ وعلينا الحساب يعني وعلينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم قوله عز وجل
أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها يعني أولم يروا بعيون رءوسهم أنا نسوق الجدب إلى محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات أو نأتي الأرض
يعني أرض المشركين فننقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فإن ما زاد في دار الإسلام فقد
نقص من دار الشرك يعني أولم يروا أنا نأتي الأرض فنفتحها على محمد صلى الله عليه وسلم أرضاً بعد أرض حولها أفلا يعتبرون فيتعظون
وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك أن المشركين إذا استولوا على بلاد الكفار وخربوها علموا أن ذلك نقص
من دارهم وزيادة في دار الإسلام وقوتهم وكان ذلك من أعوام الدليل على أن الله ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له
وعده وقيل هو خراب الأرض والمعنى أولم يروا أنا نأتي الأرض فنخربها وننقص أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم ذلك فلا يجحدوا
وهو خراب الأرض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الأول وقال الحكم وجماعة من المفسرين ننقصها
موت العلماء وذهاب الفقهاء وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله لا ينتزع
العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً
فيسئلون فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون فقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف
الليل والنهار وقال عبد الله أيضاً عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال سليمان كنا نرى أن خير ما في الأرض حتى يتعلم
اللهم فإذا هلك الأول ولم يتعلم الثاني هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فهذا
القول بالمراد بالإتيان العلماء، والإشراف من الناس على الجوهر من قولهم قال الإمام أبو المظفر والمستدل الواحدي بهذه الآية
بقول العزيزي وبمثل إذا ورثت منا أكابر كل قبيلة من ينوبهم فإن يريد أن أكابر كل قبيلة قال الواحدي والتعليل على القول الأول
أولى لأن هذا وإن صح فلا يليق بهذا الموضع قال الإمام فخر الدين الرازي ويمكن أن يقال هذا الوجه أيضاً لا يليق بهذا الموضع وتقديره
أن يقال أولم يروا كل ما يجدث في الدنيا من الخراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال وإذا كانت هذه التغيرات
مشاهدة محسوسة بعد الذي يومنهم أن يقلب الله الأمر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا أعزين ومقهورين بعد
ما كانوا قاهرين وعلى هذا القول يجوز اتصال الكلام بما قبله قوله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه يعني لا راد لحكمه ولا ناقض
لقضائه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والإبطال ومنه قيل للقاضي المحق معقب لأنه يعقب عمل الباطل بالإبطال والحق
والمعنى والله يحكم ما قد أحكمه فالناس من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد بتغيير ولا نقض وهو سريع
الحساب بما لا ابن عباس سريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازات بالخير والشر مجازات الخلائق بالانتقام منهم ومجازات
المؤمنين بإيصال الثواب إليهم وقد تقدم بيانه الكلام في سرعة الحساب قبل هذا وقد مكر الذين من قبلهم يعني من قبل

مفتريه مكة من الامم الماضية مكروا بانبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى
واليهود بعيسى ولله المكر جميعا يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه اياه هو من خلقه واراداته
فالمكر جميعا مخلوق لعبده الخير والشر والنفع والضر والمعنى ان المكر ايضا لا بد انه واراداته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم واعلان له من مكرهم كانه قيل قد قال من كان قبلهم من الكفار مثل قولهم ومنهم مثل منهم قليضروا الا من اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب ان يكون الحق لا من احد من المخلوقين يعلم ما تكسب كل نفس يعني ان جميع اكتساب
العباد وتاثيراتهم معلومة منه تعالى وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلما علم وقوعه وجب
واجب الوقوع وكلما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الضر والنفع فكان الكل من الله والا يحصل
ضرر الا باذنه وفيه وعيد للكفار الماكرين وسيعلم الكفار يوم القيامة وقرىء بالتاء على التوحيد قال ابن عباس يعني ابا جهل وقيل اراد المستهزئين
وهم خمسة نفر من قريش وقد مر ذكرهم لمن عقبى الدار والمعنى انهم وان كانوا جاهلا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحميدة للمؤمنين قوله
تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا انكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله امره الله بقوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم والمراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما اظهر على يديه من المعجزات الباهرة ان
والايات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله تعالى ومن عنده علم الكتاب ايضا يشهد على نبوتك يا محمد واختلفوا
في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعتمد ان كل من كان عالما من اليهود
بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيجد شهد بذلك من شهد به
وانكر من انكره منهم وقيل انهم مؤمنو اهل الكتاب يشهدون على نبوتك ايضا قال قتادة هو عبد الله بن سلام وانكى الشعبي هذا
وقال عطاء الشورة مكية وعبد الله بن سلام اسلم بالمدينة السورة وقال ابو انس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبد الله بن
سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال المعتمر بن راهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا
القول يكون المعنى كفى بالله الذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم اللوح المحفوظ الا هو يشهد بيني وبينكم وقال الزجاج
الا تشهد ان الله لا يشهد على امة حكمه كحكمهم وهو فرط مشكل لان عكس الصفة على الموصوف وان كان جايزا لانه خلاف الاصل
فلا يقال يشهد بعدا زيد الفقيه بل يقال يشهد بعدا الفقيه لكن يشهد لهذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب
بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره وفيه ومن عنده علم الكتاب على معنى من الجارة وعلم على كل اي الكتاب على البناء
للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم الفرقان الذي
جئتنا به معجز وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الخالية فمن علم بهذه
الصفة كان شهيدا بيني وبينكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وهو مكية
وهي سبع وستون اية وثلثمائة وتسع وثلاثون كلمة وثلثة الاف واربعمائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر
كتاب انزلناه اليك يعني هذا الكتاب الذي انزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لتخرج الناس من
الظلمات الى النور يعني بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان
قال الاقليشي في الدين الزاهر وفيه دليل على ان في الكفر والبدعة كثرة وفي الحق ليس الا واحد لانه تعالى قال لتخرج الناس
الناس من الظلمات الى النور وعبر عن الجهل والكفر بالظلمات وهو صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور
وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان ليس الا واحدا باذن ربهم يعني بامرهم
وقيل بعلم ربهم الى صراط العزيز الحميد يعني الى دين الاسلام وهو دينه الذي امر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب
والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد الله قرىء بالرفع على الاستيناف وخبره ما بعده وقرىء بالجر نعتا
للعزيز الحميد قال ابو عمرو وقراءة الخفض على التقديم والتاخير تقديره الى صراط العزيز الحميد الذي له ما في السموات
وما في الارض يعني ملكا وما فيهما عبيده وويل للكافرين يعني للعزيز تركوا عبادته من يستحق العبادة الذي له ما في السموات
وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لانه من جملة ما في السموات والارض من عذاب يوم الذين
يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الاخرة ويصدون عن سبيل الله

ويمنعون الناس من قبول دين الله ويبغونها عوجا اى ويطلبون بها زيغا وميلا فحذف الجار واوصل الفعل وقيل
معناه يطلبون سبيل الله حايرين عن القصد وقيل الهاء يعود ويبغونها راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق
القبيح عن الحق لكن العوام اولياء اى من هذه صفته ضلال بعيد اى عن الحق وقيل يجوز ان يراد ضلال بعد اويبه
بعد لان الضلال يبعد عن الكمال فى قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اى بلغة قومه ليفهموا عنه
ما يدعوهم اليه قوله تعالى ليبين لهم اى ما يأتون وما يذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب
وحدهم وانما بعث الى الناس اجمعين بدليل قوله يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين الجن
والانس وهم على الالسنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس لسوى العرب بذلك يقتضى بظاهره انه مبعوث الى
العرب خاصة فكيف يكون الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع العرب
فكان بلغاتهم وقيل يحتمل ان المراد بقومه اهل بلده مبعوثا الى الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الامم ان
يترجموا لهم بالسنتهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل ان المراد بقومه اهل بلده وبيعهم العرب وبنى العرب
يبدخل معهم غيرهم من جنسيتهم بعموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا ارسل بلسان قومه كان اغرب لعجمتهم
عنه وقيل الحجة عليهم بذلك قبل ان يفهموا وتفهم عنهم انتفى عنهم وقامت الحجة بلسانه وتفهيمهم لمن يحتاج الى
ذلك من هو من غير العرب واذا كان الكتاب واحدا بلغة واحدة مع اختلاف لغات وتباين اللغات كان ذلك ابلغ فى اعجاز
المعجزين فى تعليم معانيه وتفهيم فوايده وغوامضه واسراره وعلومه وجميع حدوده واحكامه يضل الله من
يشاء ويهدى من يشاء اى يعنى ان الرسول ليبين عليه السلام التبليغ والبيان وهو المعادل للعمل بعمل ما يشاء وهو
العزيز اى الذى يغلب ولا يغلب الحكيم فى جميع افعاله قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى بآياتنا المراد
بالآيات المعجزات التى جاء بها موسى عليه السلام مثل العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وغير ذلك من المعجزات العظيمة
الباهرة ان اخرج قومك من الظلمات الى النور اى ان اخرج قومك من ظلمات الكفر الى نور الايمان وذكرهم
بايام الله قال ابن عباس ابى بنعمه وبلائه على من مضى وفى هذه الامة وقال مقاتل بوقايع الله فى الامم السالفة بقوله
فان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور اى ان فى ذلك الذى ذكرت من ايام العرب اى وقايعهم
عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد ان يذكروا نعم الله وشدة انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله وقيل
ممن امن بالرسل فيما مضى من الايام والترغيب والوعيد ان يذكروا نعم الله وشدة انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله وقيل
بايام الله هو ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة والبلاء حتى كان ابا يديه الغيث يشوقهم بشوق العذاب فخلصهم
الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر
انما خص الصبر والشكر بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة لكافة الناس لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا
خصهم بالآيات فكانها ليست لغيرهم وهو كقوله هدى للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصولها الا من يكون صابرا
شاكرا اما من لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله لما امر الله عز وجل موسى عليه
السلام ان يذكر قومه ايام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم نعم الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون
اى اذكروا انعام الله عليكم فى ذلك الوقت الذى انجاكم فيه من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم قال
قلت قال فى سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو وبعدها العرق قلت انما حذفت
الواو فى سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفى التفسير لا يحتمل ذكر الواو وتقول جاءنى الذى
زيد وعمرو اذا اردت تفسير الذى وانما حذفت الواو وهنا فى هذه السورة لان آل فرعون كانوا يجدبونهم بانواع العذاب غير
التذبيح وبالتذبيح ايضا فقوله يسومونكم سوء العذاب ويذبحون نوع اخر من العذاب لانه تفسير العذاب ويستحيون
نساءكم اى يتركونها احياء وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم اى وان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من
ربهم قلت تمكينهم واعطاؤهم حتى فعلوا ما فعلوا لان ذلك بلاء من الله ووجه اخر وهو ان ذلك اشارة
الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة
وهذا الوجه اولى لانه موافق للاول للاية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم بان قلت انذع الابصار

بسم الله

فيه بلاء مبين يكون استحياء النساء بلاء فلت كانوا يستخدمون نساءهم ويتركونهن تحت أيديهم كالإماء فكان ذلك
بلاء وإذ تأذن ربكم هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ومعنى تأذن أذن
أي علم ولابد فيه من فعل زائد معنى ليس في أفعل كأنه قيل واذكر ربك إذا بلغكم تنبئ عنه الشكوى وتتراخى الشجعة
والمعنى واذكروا تأذن ربكم لئن شكرتم بالإيمان بي وبما جئتكم به من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل
الصالح لأزيدنكم يعني نعمة الرئاسة ولئن كفرتم بأن جحدتم ما أنعمت عليكم فلم تشكروا الموجود عند المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة
لأزيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها وحقيقة الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس
على هذه الكيفية وهاهنا فائدة وهي أن العبد إذا اشتغل بمعاملة الله تعالى أفسد نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله
وكرمه وإحسانه وإنعامه وقوله ولئن كفرتم المراد من الكفر هاهنا كفران النعمة وهو مجحودة لأنه مذكور في مقابلة
الشكر أن عذابي لشديد يعني لمن كفر نعمتي ولم يشكرها وقال موسى إن تكفروا يعني أنتم يا بني إسرائيل ومن في
الأرض جميعا يعني والغائبين كلهم جميعا فإنما ضرر ذلك يعود على أنفسكم وهي متوعد الجميع كله فإن الله لغني
يعني عن جميع خلقه حميد أي محمود إلى جميع أفعاله لأنه يثيب المطيع ويعاقب العاصي ألم يأتكم نبأ يعني خبر الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وثمود قال بعض المفسرين يجتمل أن يكون هذا خطاب من موسى لقومه والمقصود منه أنه
عليه السلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الأمم ويجتمل أن يكون خطابا من الله على لسان موسى لقومه والمقصود
منه أنه عليه السلام لم يذكر لهم بذلك أمر القرون الماضية والأمم الخالية والمقصود منه حصول العبرة بأحوالهم
تفقدها وهاهنا كم والذين من بعدهم يعني من بعد هؤلاء الأمم الثلاثة لا يعلمهم إلا الله يعني لا يعلم مقاديرهم وعددهم
إلا الله تعالى فإنهم أقوام وأمم بلغنا خبرهم أمما ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية
يقول كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم النسب إلى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس أنه
قال بين إبراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم إلا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينتسب الإنسان نسبة أبا أبا إلى
آدم لأنه لا يعلم أولئك الآباء إلا الله وقوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات يعني الدلالات والمعجزات
الظاهرات فردوا أيديهم في أفواههم وفي معنى الأيدي والأفواه قولان أحدهما أن المراد بهما الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا على أيديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا
كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقال الحسن ما عهدوا فأعادوه كذبوا الرسل ورد وا ما جاءوا به يقال رد ثم
قول فلان في فيه أي كذبته وقال الكلبي يعني أن الأمم ردوا أيديهم إلى أفواه أنبيائهم يعني أنهم وضعوا الأيدي على
الأفواه إشارة منهم إلى الرسل أن اسكتوا وقال مقاتل ردوا الأيدي على أفواه الرسل ليسكتوهم بذلك وقيل إن الأمم
لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل التعجب بعد ذلك ردوا أيديهم إلى أفواههم كما يفعل الذي
يغلبه الضحك والقول الثاني أن المراد بالأيدي النعم معناه ورد وا ما أولوهم لكانت نعمة يقال لفلان عندي نعمة والمراد
بالأفواه تكذيبهم للرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم ورد وا قولهم وقيل إنهم كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله
من الحق ولم يجيبوا به يقال فلان رد يده إلى فيه إذا امتنع عن الجواب يلي يجب وهذا القول فيه بعد لأنهم قد أجابوا بالتكذيب
وهو أن الأمم ردوا على الرسل وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به يعني إنا كفرنا بما زعمتم أنه الحق أرسلتم به
إلينا لم نقبله لأنهم لم يقروا بأن الرسل أرسلوا إليهم لأنهم لو أقروا بأن الرسل أرسلوا لكانوا مؤمنين وإنا لفي شك مما تدعونا إليه
مريب يعني موجب الريبة أو هو موقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الأمر الذي يسكن فيه
وإن قلت إنهم قالوا أولا إنا كفرنا بما أرسلتم به فجيء بقولهم وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب
والشك دون الكفر وداخل فيه قلت إنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل كان ذلك جعل للعلم شبهة توجب الشك
فعلموا أن لهم نهج الحق فكانوا أولا قاطعين أن تكونوا شاكين مرتابين في ذلك قالت لهم رسلهم يعني للأمم
أفي الله شك يعني لعل تشكون في الله وهو استفهام إنكار يعني ما اعتقدتموه فإن العقول والأدلة يقطع
بكونه خالق السموات والأرض خالق جميع ما يمكن يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يعني ليغفر لكم ذنوبكم إذا
أسلمتم وصدقتم وحتى في صلة وقيل إنها أصلية ليست بصلة وعلى هذا التقدير يغفر لكم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي

BIBLA

دون مكافاة العباد ويؤخركم الى اجل مسمى يعني الى انقضاء اجالكم بلا عجل كم بالعذاب قالوا يعني الامم مجيبين للرسل ان انتم يعني ما انتم الا بشر مثلنا يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا يعني ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن الهتنا التي كان اباؤنا يعبدونها فاتونا بسلطان مبين يعني ما تريدون بقولكم هذا حجة بينة والحجة على صحة دعواكم قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم يعني ان الامر كما قلتم ان انتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين لهم ان الامر كما وصفتم فنحن بشر مثلكم لا ينكر ذلك ولكن الله يمن على من يشاء من عباده يعني بالنبوة والرسالة يصطفي من يشاء من عباده بهذا المنصب العظيم الذي هو اعلى المناصب وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله يعني وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وبث فينا به من الرسالة ان نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صحة دعوانا الا باذن الله لنا في ذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني في دفع شروركم واعدائهم عنهم ومالنا الا نتوكل على الله يعني ان الانبياء قالوا ايضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شيء الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا وقد هدانا سبلنا يعني وقد عرفنا بما عرفنا الحجة وبين لنا الرشد ولنصبرن لام القسم تقديره والله لنصبرن على ما اذيتمونا يعني به من قولهم او فعل وعلى الله فليتوكل المتوكلون فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين المتوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استدعاء التوكل الثاني فيه اشارة الى التثبيت على ما استدعوا من توكلهم وايقانه وافاقته فجعل العرفي من المتوكلين قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا يعني ليكونن احد الامرين اما اخراجكم اياهم الرسل من بلادنا وارضنا واما عودكم الى ملتنا فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم كانوا على ملتهم في اول الشهر حتى يعود اليها قلت معاذ الله ولكن العود ههنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم السلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف امتهم فلما ارسلوا اليهم اظهروا لهم انتهم ودعوهم الى الحق فقالوا لتعودن في ملتنا ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم خالفوهم واجماع الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشؤوا على التوحيد فاوحى اليهم ربهم يعني ان الله تعالى اوحى الى رسله وانبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات لنهلكن الظالمين يعني ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلا تخافوهم ولنسكننكم الارض من بعدهم يعني من بعد هلاكهم ذلك يعني الاسكان لمن خاف مقامي يعني خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فاضاف فيام العبد الى نفسه لان الرب كانت تضيف اعمال العباد اليها كقولهم ندمت على ضربك مثلك وخاف وعيد اي وخاف وعيدي هو قوله عز وجل واستفتحوا يعني استنصروا فالفتح ههنا بمعنى النصر يعني الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما استفتحوا استنصروا بالله على رسلهم وذلك انهم لم يياسوا من ايمان قومهم بالعذاب وخاب يعني خسر وقيل تعلق خابوا بقوله واستفتحوا والجبار في صفة الانسان يقال لمن تجبر بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق الانسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه احدا وقيل الجبار المتعظم يعني المتكبر على اقرانه والعنيد المعاند للحق وقيل له ذلك لمجاهدته في الحق وقال ابن عباس هو المتعمد للجور وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يأبى ان يقول لا اله الا الله وقيل المتجبر بما عنده وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف من ورائه جهنم يعني في الدنيا امامه وهو صائر اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد يعني انه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى امام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعني انه سيأتيك ويلقى يعني في جهنم من ماء صديد وهو ما سال من الجلود واللحوم من القيح فجعل ذلك شراب اهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزانيات يسقاه الكافر فيشربه يتجرعه يتحساه ويشربه الجرعة بعد الجرعة بل الجرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته ونتنه ولا يكاد يسيغه اي لا يقدر على ابتلاعه يقال اساغ الشراب اذا سهل الجرعة فيه قال ابن عباس يكاد يعلله والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال قتادة يكاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه يكيد تكون الاساغة وقال بعضهم يكاد يسيغه اي يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت افعل اي فعلت بعد ابطاء يعني هذا كاد على اصلها وليس بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجد وقيل معناه لا يكاد يسيغه ويسيغه ايضا في جواب قسم اذا مات قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى

فيه ليلهم

فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال تعالى وسقوا
ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا أخرجه
الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه تشبيها بالفروة للشيء الذي عليها وقوله تعالى ويأتيه الموت من كل
مكان وما هو بميت يعني أن الكافر يجد ألم الموت وشدته في كل مكان من أعضائه وقال إبراهيم النخعي ما من شعرة
في الإنسان إلا وفيها الموت من قدمه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت
فيستريح ولا الذي يخرج نفسه عند خنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترتفع إلى مكان فيتنفس الحي ومن ورائه
يعني أمامه عذاب غليظ أي شديد قيل هو الخلود في النار قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت
به الريح في يوم عاصف هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ خبره في الحين عند بعضهم تقديره فيما
نقص أو يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها عذاب وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على
تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد وقال البراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد يعذب
الضعاف اعتماء أعمالهم كرماد بعد الضعاف إليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك صفة
زيد مرضه كوبار وماله عنبر والرماد معروف وهو ما يبقى من الحطب والفحم بعد احتراقه بالنار اشتدت به الريح يعني
بنسبقته وكثرته ولم تبق منه شيئا في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لأن الريح يكون فيه
فوصف بما يكون فيه كقولك يوم بارد ويوم حار وليلة ماطرة لأن البرد والمطر يوجدان فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لأنه قد تقدم
ذكرها وهو مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار التي لم يتقبلوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الأعمال هو أن الريح
العاصف يطير الرماد ويذهب ويعرف أجزاءه بحيث لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الأعمال ما هي فقيل هي ما عملوه
من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وإقراء الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح
فهذه الأعمال وإن كانت أعمال بر لكنها لا يتقبل بها صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطلها كما
وقيل المراد بالأعمال أعمالهم التي ظنوا أنها تنفعهم فيكفلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه حسرانهم
أنهم أتعبوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي يتقبل بها فصارت وبالا عليهم وقيل المراد بالأعمال الأعمال التي عملوها
في الدنيا واشكروا بها غير الله وأنها لا تنفعهم لأنها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وطيرته فلا يتبع به وهو
قوله تعالى لا يقدرون مما كسبوا يعني في الدنيا على شيء يعني من تلك الأعمال والمعنى أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم في
الآخرة كذلك هو الضلال البعيد يعني ذلك الخسران الكبير لأن أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد
نعت الذي لا يرجى عوده ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق يعني لم يخلقهما عبثا ولا باطلا وإنما
خلقهما لأمر عظيم وغرض صحيح إن يشأ يذهبكم يعني أيها الناس وأتى بجواب الشرط بلفظ الماضي
والمعنى الذي قدر على خلق السموت والأرض صار على إبدائكم فهو وإعادتهم وإيجاد خلق آخر سواكم كان الأولى لأن القادر
لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد يا معشر الكفار أمينكم وأخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع وما
ذلك على الله بعزيز بممتنع لأن الأشياء كلها سهلة على الله تعالى وإن جلت وعظمت قوله عز وجل وبرزوا لله جميعا
يعني وخرجوا من قبورهم إلى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز الفضاء وبرز حصل في البراز وذلك أن يظهر
بذاته على الله والمعنى خرجوا من قبورهم وصاروا إلى الفضاء ومن برز حصل في البراز وانكشف فلا يستر وإنما قال وبرزوا بلفظ الماضي
تحقيقا لأن تحقق الاستقبال لأن كل ما أخبر الله عنه يقع فهو في تحقق وكائن في محالة فصار كأنه قد حصل وخرج إلى الوجود فقال
فقال الضعفاء للذين استكبروا وهم القادة والرؤساء إنا كنا لكم تبعا يعني في الدين والاعتقاد فهل أنتم يعني في
هذا اليوم مغنون عنا يعني دافعون عنا بعض عذاب الله من شيء من للتبعيض والمعنى هل تقدرون على أن تدفعوا
عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا قالوا يعني الرؤساء والقادة والمتبوعين للتابعين لو هدانا الله لهديناكم يعني
لو أرشدنا الله للرشد لأرشدناكم ودعوناكم إلى الهدى ولكن لما أضللنا دعوناكم إلى الضلالة سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يعني
مستويان علينا الجزع والصبر قال الجزع أبلغ من الحزن لأنه يقال لمن ابتلي بمصيبة وإن عظمت منه ما لم تمنعه من تحمل
يعني من مهرب ولا منجا مما نزل به من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم

الجزع فيقولون تعالوا نصبروا فيصبرون خمسمائة فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي يلقى أهل النار البلاء فيستغيثون بالخزنة كما قال الله وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيردّ الخزنة عليهم قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى يردّ الخزنة عليهم قادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلما أيسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوه الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون ثم يجيبهم يقول إنكم ماكثون فلما أيسوا مما عنده قال بعضهم لبعض قالوا فلنبك كما بكى أهل الخطيئة لعل ذلك ينفعنا وصبروا وعلم الصبر منهم قبل يجزعهم وجزعوا فلم ينفعهم عند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص فقوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الأمر يعني فرغ منه وأدخل الجنة أهل الجنة وأهل النار النار أخذ أهل النار في الويل والبلاس وتغريعهم وتوبيخهم يقول وقف خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر في النار يجتمع عليه أهل النار بأسرهم فيقول لهم لما أخبر الله يقوله إن الله وعدكم وعد الحق فيما أمركم وخوفكم وتقريره في وعده ووعدتكم فأخلفتكم يعني الوعد وقيل يقول لهم إني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار وما كان لي عليكم من سلطان يعني من برهان وحجة وقهر وقيل لهم إنكم بحجة فيما وعدتكم إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم يقول فما كان مني إلا الدعاء والغواية موسوسة وقد سمعتم دليل الله وجاءكم الرسل وكان من الواجب عليكم أن تتبعوا إليّ والمتشهي فوق بلقا ترجمتم فوجدتم بي جاءتكم الرسل ومنا بعني من غير حجة والدليل ما أنا بمصرخكم في بمغيثكم ومنقذكم وما أنتم بمصرخيّ بي بمغيثي ومنقذي مما أنا فيه إني كفرت بما أشركتمون بي قبلا يعني كفرت بجعلكم إياي شريكا لله في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى أنا بليس بحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا له وتبرأ من ذلك إن الظالمين لهم عذاب أليم روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث إلى قوله ويأتون يومئذ الله فيقول إن الله أمرني أن أقوم بمقام يجلس من أطيب ريح شم أحد حتى إني ليشفع ويجعل الله تعالى ثم أرفع رأسي إلى ربي فيثني ثم يقول الكفار فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير إبليس هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون فوجد الموحدون من يشفع لهم فهم أنت فإنك أنت أضللتنا فيقوم فيجلس أطيب ريح شم أحد ويقول عند ذلك إن الله وعدكم وعد الحق الآية وقوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خلدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام لما شرح الله تعالى حال الأشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال الموحدين السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم والأجر الجزيل وذلك أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم بالمنفعة الخالصة إليك الإشارة بقوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وكونها دائمة أشير إليه بقوله خالدين فيها والتعظيم حصل من وجهين أحدهما في قوله بإذن ربهم لأن تلك الطبائع إنما كانت تفعل من الله وإنعامه الثاني في قوله تحيتهم فيها سلام يحتمل أن بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييهم أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل أن يكون المراد أنهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لأن السلام من السلامة قوله عز وجل ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة لما شرح الله تعالى حال الأشقياء وحال الأشقياء ضرب مثلا بليم حالهما تعجيبا للمشبهين فقال تعالى ألم تر يا محمد بقلبك فتعلم علم يقين بالاستدلال بآياتي بعقلك لعل الخطاب أن يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره ويحتمل أن يكون الخطاب لكل مريد من الناس فيكون المعنى ألم تر أيها الإنسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين شبهه والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر يبينهما مشابهة لتبيين أحدهما من الآخر وتصوره وقيل هو على قول سائر الناس شبه شيء بشيء آخر كلمة طيبة هي قول لا إله إلا الله وقول ابن عباس رضي الله عنهما والمفسرين شجرة طيبة هي كشجرة كثيرة الخير قال ابن عباس النخلة وبه قال ابن مسعود وأنس وعكرمة والضحاك وعن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتي بقنو من تمر فقال أخبروني عن شجرة شبه أو قال كالرجل لا يحاب ورقها ولا ولا تؤتي أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قمنا قلت لأبي يا أبتاه والله لقد وقع في نفسي أنها النخلة فقال ما منعك أن تتكلم قال لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا فقال عمر لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا وفي رواية أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي

مرفوعا الناس في شجر البادية فقال عبد الله ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت فقوم الواحد فقلنا يا رسول الله
قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة في الجنة وفي رواية اخرى عنه انها اليوم وفي قوله اكلها دائم يعني
الارض وفرعها في اعلاها في السماء يعني اذا صعد في السماء يعني ثمرها كل حين يعني بامر
ربها والحين في اللغة الوقت يقع على القليل والكثير واختلفوا في مقدار ما يعد في كل حين فقال بعضهم كل سنة لان
لان النخلة تثمر في كل سنة مرة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة اشهر يعني توقف عليه الى حين جذاذها وروي ذلك
عن ابن عباس ايضا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثمانية اشهر يعني مدة حملها بالحمل وظهوره ثمانية اشهر وقيل اثنا عشر
من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب سنتان يعني من وقت يركب منها الى مرامها وقال الربيع بن انس
حين يعني كل غدوة وعشية لان ثمر النخلة يؤخذ ابدا بالليل والنهار وهبا وسقيا ويؤكل منها الجمار والكلع والبلح والخلال والبسر
والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الكرب يركب عليها دائم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة
في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص واصل الايمان بالنخلة من اوجه احدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قلب
المؤمن كثبوت اصل هذه النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترتفع عمل المؤمن الى السماء كما ان النخلة التي يصعد
الفعل الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع هذه النخلة على السماء الوجه الثالث ان ثمر هذه النخلة يأتي في كل حين ووقت
وكذلك ما يثبته من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين بركة هذه الكلمة بالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء به
وجاءته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان في غالب الامور لانها خلقت
من فضلة طينة آدم عليه السلام وانها اذا قطع راسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل
حتى لا تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق ان الشجرة لا تنمي شجرة الا بثلاثة
اشياء عروق راسخة واصل قائم وفرع قائم وكذا الايمان لا يتم الا بثلاثة اشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان وقوله
عز وجل ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الامثال وتصوير للمعاني وتذكير
ومعناه ان تذكروا فتعقلوا وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك شجرة خبيثة يعني الحنظل قال انس بن مالك
ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث ومنه ايضا انها الثوم وعنه ايضا انه الكلاء لانه لا يفيد عملا فليس له اصل
ثابت ولا يصعد الى السماء اجتثت يعني استوصلت وقطعت من فوق الارض ما لها من قرار يعني ما لهذه
الشجرة من ثبات في الارض لانه ليس لها اصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الطاعن لا خير فيه ولا يصعد
له قول طيب ولا عمل صالح ولا استقامة اصل ثابت بهذا وجه تمثيل الطاعن بهذه الشجرة الخبيثة عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصاح على رجل من امتي فيقال امثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن
ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الحنظلة اخرجه
الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اصح في قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت لما ورد الله الكلمة الطيبة
في الآية المتقدمة اخبر في هذه الآية انه يثبت الذين امنوا بالقول الثابت والقول الثابت هو الكلمة الطيبة وهي شهادة
ان لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة وهي كلمة الشرك قال في هذه
الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جمهور المفسرين وقوله تعالى في الحياة الدنيا
يعني في القبر عند السؤال وفي الآخرة يعني يوم القيامة عند البعث والحساب والقول الاول هو الذي عليه الجمهور وفي الآية
دليل على ما روي عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العبد اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فذلك حين تلوت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له
من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه البخاري ومسلم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد
اذا وضع في قبره وتولى وذهب عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت
تقول في هذا الرجل لمحمد فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا
من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث انس واما الكافر
والمنافق فيقول الاحرف كنت اقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد ضربة بين

BULAC

اذ فيه يصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الثقلين لجمة البخاري ولمسلم نحوه، زاد في رواية انه يفتح له في قبره بـ
سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون واخرجه عبيد عن انس وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
العبد اذا وضع في قبره اتاه ملك فيقوله ما كنت تعبد فان هداه يقول كنت أعبد الله فيقول ما انت تقول في هذا الرجل
فيقول هو عبد الله ورسوله فما يسئل عن شيء دونه فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقول له هذا كان منزلك ولكن
عصمت الله فابدلك بيتا في الجنة بقراه فيقول دعوني حتى اذهب فابشر اهلي فيقول له اسكن واما الكافر والمنافق اذا وضع
في قبره اتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول ما ادري فيقول له لا دريت ولا تليت فيقول له ما تقول في هذا الرجل
فيقول كنت اقول ما يقول الناس فيضرب به بمطارق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعه الخلق غير الثقلين واخرجه
النسائي ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قرب الميت او قال اذا قبر احدكم اتاه
ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر والاخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو
عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له
في قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه
الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت
مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه
الله من مضجعه ذلك اخرجه الترمذي عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا
الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كان على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت به في الارض فرفع
رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا زاد في رواية ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا
مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك وما نبيك وفي رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله
فيقولان له وما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول
قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد في رواية بذلك قوله تثبيت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الدنيا وفي الآخرة قال
ينادي مناد من السماء كذب عبدي فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها
ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه وزاد في رواية ثم يقيض له اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل صار ترابا
فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح اخرجه ابو داود وعن عثمان بن
عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم وسلوا له التثبيت فانه
الان يسئل اخرجه ابو داود وعن عبد الرحمن بن سنامة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى بكاء
شديدا وحول وجهه الى الجدار وجعل ابنه يقول اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه
وقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم ذكر الحديث بطوله وفيه فاذا انا مت فلا تصحبني
نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم اقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى استانس
بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي اخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل ان المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان السؤال
انما يقع في القبر بسبب كثرة مواظبته على الشهادة الحق في الحياة الدنيا وجعلها ملكة راسخة على سمات
الاخلاص الى ان كان روحه في قلبه اعظم يقينا للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع
حالاته في قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته جعلنا الله عز وجل ان يرزقه بركة مواظبته على شهادة
الاخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسئل الله التثبيت في القبر وحسن
الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شيء قدير وقوله تعالى ويضل الله الظالمين يعني ان الله تعالى
يضل المشركين الجواب بالصواب في القبر ويفعل الله ما يشاء يعني من التعويض والخذلان والاضلال والتثبيت
الاعتراض عليه في جميع افعاله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله عز وجل ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
خ عن ابن عباس في قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله قال هم كفار اهل مكة وفي رواية هما نعمة والدة لحفار قريش قال عمر هم في يشتجدوا
نعمة الله واحلوا قومهم دار البوار النار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه هم كفار قريش يوم بدر وقال عمر بن الخطاب

رضي الله عنه الأعجمان من قريش بني المغيرة وبنو الرمية أما بنو الرمية فقد تقدم ذكرهم في بدر وأما بنو أمية فقد تقدموا
الرحيق فبعوله بدل النعمة الله كبرا معناه ان الله تعالى انعم على قريش بجميع ما ذكر في عباد الله وانزل اليهم وانزل اليهم كتابه
ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان فاختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم لانه انما وجب عليهم الشكر
بسبب هذه النعمة انزلوا بالكفر وكانهم بكانهم غيروا النعمة بالبغي والطغيان وصيروا ما هم فيه من تيسير الله عليهم
وكفروهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسر ذلك فقال تعالى وجعلوا لله اندادا يعني المستقر وجعلوا لله اندادا يعني امثالا
واشباها من الاصنام وليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثل تعالى الله عن الند والشبيه والمثل علوا كبيرا ليضلوا عن سبيله
ليضلوا الناس عن طريق الله الحق وهو دين الحق قل تمتعوا امر تهديد يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا في الدنيا اياما قلائل فان مصيركم
الى النار يعني في الآخرة قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة يعني ان يصلوا ويقيموا الصلاة يعني الواجبة وان شاءوا
اتوا بها اركانها وينفقوا مما رزقناهم قيل اراد بهذا الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل اراد به جميع الانفاق في جميع
وجوه الخير والبر وحمله على العموم اولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق في جميع وجوه البر سرا وعلانية يعني ينفقون
اموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل اراد به السر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة من قبل ان يأتي يوم
لا بيع فيه قال ابن عبيدة البيع هنا البداءة يعني لا بداءة بذلك اليوم ولا خلة يعني ولا خلة وهي المودة والصداقة التي تكون
لمن يعين وقال مقاتل انما هو بيع لا بيع فيه ولا شراء ولا مجال له ولا حيلة في الفكاك الا بالايمان والتوبة عليك
فان قلت كيف نفى الخلة بعد هذه الاية وقد اثبتها في سورة البقرة في قوله والخلة محمولة وانتفاؤها في قوله الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الاية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة بسبب فيزول العذاب عنهم
وعلى نفي التفاعل والاية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب فيثبت الله تعالى انها تنتفي
للمتقين فيما بينهم وتبقى لهم عن غيرهم وقيل ان يوم القيامة احوال مختلفة ففي بعضها يتبرأ كل خليل من خليله وفي بعضها
يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك الخلة لله تعالى في محبته قوله عز وجل الله الذي خلق السموات
والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم اعلم انه تقدم تفسير هذه الاية في مواضع شتى
ونذكر ههنا بعض ما يدل هذه الاية الدالة على وجود الصانع القادر الذي لا يعجزه شيء اراد بقوله الله الذي
خلق السموات والارض لانهما اعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وانزل
من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل اذا نزل المطر تنزل الملائكة
الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم الثمرة اسم يقع على ما يحمل من الشجر
وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله كلوا من ثمره اذا اثمر وانواعه يدل عليه قوله رزقا لكم فالثمرات بيان للرزق واخرج
به رزقا لهم الثمرات وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره لما ذكر الله انعامه بانزال المطر واخراج الثمار لاجل
الرزق والانتفاع بها ذكر نعمته على عباده بتسخير البحار الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق
الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد اخر حتى من نقل نعمة الله على عباده وسخر لكم الانهار يعني ذللها لكم
تجرون فيها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزرع والثمرات والشراب ابتدأ ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار
وتسخير العيون لاجل هذه الحاجة هي من اعظم نعم الله على عباده وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعني الدأب القادة المستمرة
دائبة على حالة واحدة ودأب في السير دأبا وهو عليه والمعنى ان الله عز وجل سخر الشمس والقمر يجريان دائبا فيما يفيد
الى مصالح العباد لا يفتران الى اخر الدهر وهو انتظام عقد الدنيا وذلك فان ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة الله عز وجل وقال
بعضهم معناه دائبين في سيرهما وتدبيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار ويقال
يعود بعمل السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده
وتسخيره لهم وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه لما ذكر النعم العظيمة التي انعم بها
على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه مع هذا لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يحيط
علما بعضه العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل شيء سألتموه شيئا بعد شيء الثاني اجتلبت اللام للدلالة على التبعيض
فيقال هو على التكثير يعني وآتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه كان نعم عليكم اكثر من ان تحصى وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها يعني ان نعم الله تعالى على عباده لا يقدر احد على عدها وحصرها لكثرتها فان الانسان قال

ابن عبد العزيز يدا بأبي جهل وقال الزجاج نعوا سم ... ولن يفعد به الفاجر [illegible] يعني كفروا بنعمة ربه وقيل
الكفور الشاكي لغير من أعطى يضع الشكر في غير موضعه ... بكفار بجحود نعم الله عليه وقيل يكفر النعمة بإغفال شكرها
كقول بعضهم الكفر إن بقا وقيل مكفور في الجنة يشفعون ويجزى كفار النعمة بجمع ويمنع قوله تعالى وإذ قال إبراهيم رب
اجعل [illegible] يعني آمنا من يدخله ومن فيه وأراد بالبلد مكة فإن قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا البلد آمنا
وبين قوله اجعل هذا البلد أمنا قلت [illegible] الفرق بينهما أن السؤال في الأول إنما جعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها
فيها والأغلب من شأن من يخرج هذا البلد من جملته كان عليه من الخوف أشد مما كان لأنه قال هذا البلد مخوف فاجعله
آمنا [illegible] بين أن يعبد الأصنام يعني أبعده وبينني أن أعبد الأصنام وبأن قلت [illegible] فكيف يوجه على هذه
الآية الإشكالات وهي من وجوه الأول أن إبراهيم دعا ربه أن يجعل مكة آمنة ثم إن جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها
وحاربوا أهلها الوجه الثاني أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من عبادة الأصنام وإذا كان كذلك فما الفائدة في
قوله واجنبني عن عبادتها الوجه الثالث أن إبراهيم سأل ربه أيضا أن يجنب بنيه عن عبادة الأصنام وقد وجد فيهم من
يعبد الأصنام ومثل كفار قريش وغيرهم ممن ينتسب إلى إبراهيم عليه السلام قلت [illegible] الجواب عن الوجوه المذكورة من
وجوه الأول من وجهين أحدهما أن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد جعل مكة آمنة من
الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه بأن قوله اجعل
هذا البلد آمنا يعني في آخر الزمان وخراب الدنيا وقيل هو على الخصوص بعض ذو السويقتين بالتصغير الوجه
الثاني أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد يختص
أهل مكة بزيادة الأمن في بلدهم كما أخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم والعرب مكة آمنون من ذلك حتى أن من التجأ إلى مكة
أمن على نفسه وماله حتى أن الوحوش إذا كانت خارجة من الحرم والمستوحشة بالفؤاد خلت إلى الحرم واستأنست لعلمها أنها لا يهيجها
أحد في الحرم وهذا القدر من الأمن حاصل لله بمكة وحرمها وأما الجواب [illegible] عن الوجه الثاني من وجهين الوجه
الأول أن دعاء إبراهيم لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت بحسب قوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني أن إبراهيم عليه
وإن كان يعلم أن الله تعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه دعا بهذا الدعاء وهضم النفس وإظهار العجز والحاجة سد
والتعلق إلى فضل الله ورحمته وأن أحدا لا يقدر على نفع نفسه بشيء لم ينفعه الله به فلهذا الشيخ دعا لنفسه بهذا الدعاء
وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات بالجواب [illegible] عنه من وجوه الوجه الأول أن إبراهيم دعا لبنيه
من صلبه ولم يبعد منهم صنم إذ المراد أولاده وأولاد أولاده والمعلوم بين حالة الدعاء ولا شك أن إبراهيم عليه
السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي بعد ما بين أن الله تعالى يدعوله فكأنه قال وبنيّ الذين أذنت لي في الدعاء لهم
للدعاء الأنبياء منتجاب وقد كان من نسله من يعبد الهيثم فعلى هذا الوجه يكون الدعاء من الدعاء المخصوص الوجه الرابع
أن هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال إلى آخر الآية فمن تبعني فإنه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه
فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وقوله تعالى [illegible] يعني الأصنام أضللن كثيرا من الناس وهذا مجاز لأن الأصنام
جمادات وجمادات لا تفعل شيئا حتى تضل من عبدها إلا أنه لما حصل الإضلال بعبادتها أضيف إليها كما يقال فتنتهم
الدنيا وغرتهم وأفنتهم وأبادتهم واغتروا بالتعيش [illegible] يعني المذنبين يدخلون في المتمسكين بحبلي كما
قال الشاعر إذا حاولت في أسد فجورا ... فإني لست منك ولست مني أراد لست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه فإنه يحكم
كحكمي جزاء بالعرف والاختصار [illegible] يعني بمغفرتك [illegible] قال الشيخ ومن عصاني ثم تاب
فإنك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فإنك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الأنباري هذا فقال ومن عصاني
فلم تعاقبه في بعض الشرائع وعفا التوحيد فإنك غفور رحيم أو شئت أن تغفر له غفرت إذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين
أحدهما أن هذا كان قبل أن يعلم الله أنه لا يغفر الشرك لمن استغفر له بدليل قوله ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه
غير مغفور له تبرأ منه الوجه الآخر قوله ومن عصاني أي بإقامته على الكفر فإنك غفور رحيم يعني أنك قادر على أن تتفضل عليه
وترحمه بأن تنقله من الكفر إلى الإيمان وتهديه إلى الصواب قوله عز وجل ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
عند بيتك المحرم وعن ابن عباس أول من اتخذ النساء المنطق لتعفي أثرها على سارة

ثم جاء ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس عندهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم مضى ابراهيم منطلقا وتبعته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت آلله الذي امرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه الكعبة ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال ينتلع فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت حتى بلغت الوادي فرفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا فعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت تريد نفسها ثم سمعت فسمعت أيضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف به من الماء في سقائها وهي تفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيتا يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله وكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فرأوا طيرا عايفا فقالوا ان هذا الطير ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الماء فقالوا اتاذنين ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا حتى اذا كانوا بها اهلا بعثوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل ابيات وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسماعيل وجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فجاء اليت اسماعيل فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال فاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته اننا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تغير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فان جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل جاءكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته اننا بخير قال فأوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك فوجد زمزم فقام يصنع بعض ما يصنع الوالد بولده والولد بوالده فقال يا اسماعيل ان الله عز وجل امرني بأمر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله عز وجل امرني ان ابني ههنا بيتا وأشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها من الارض فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني ويناوله اسماعيل الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فتلك الاخبار التي بلغتنا عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في شأن البيت والبلد

BULAC

اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من امر الدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركاته
ورزقهم من الثمرات يعني كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك
الثمار وقيل يحتمل ان يكون المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تجبى اليه ثمرات كل شيء وقوله لعلهم
يشكرون يعني لعلهم يشكرون تحصيل منافع الدنيا انما هي ليستعين بها على اداء العبادات واقامة الطاعات ربنا
انك تعلم ما نخفي وما نعلن اي تعلم السر كما تعلم العلانية علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما يصلحنا
وما يفسدنا وانت ارحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك
وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسماعيل وامه حيث اسكنتهما بواد غير ذي
زرع وما نعلن يعني من البكاء وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يعني ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع
حيث قالت لابراهيم الى من تكلنا فقال الى الله قالت اذا لا يضيعنا وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء
قيل هذا من تتمة كلام ابراهيم عليه السلام يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء من كل مكان وقال الاكثرون
انه من قول الله عز وجل تصديقا لابراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحاق قال ابن عباس ولد اسماعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعون سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنى عشر
سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحاق وهو ابن مائة وسبع عشر سنة ومعنى قوله على الكبر لان هبة الولد
في هذا السن من اعظم المنن لانه سن الياس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسماعيل واسحاق فان قلت كيف جمع بين اسحاق واسماعيل في الدعاء في وقت واحد وانما بشر باسحاق بعد
اسماعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما اتى بهذا الدعاء عندما بشر باسحاق وذلك انه
لما عظمت المنة عليه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ولا يرد
على هذا ما ورد في الحديث انه دعا بما تقدم عن مفارقة اسماعيل وامه لان الذي صح في الحديث انه دعا بقوله ربنا اني اسكنت
من ذريتي الى قوله لعلهم يشكرون اذا ثبت هذا يكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق في وقت اخر والله اعلم
بحقيقة الحال ان ربي لسميع الدعاء كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسال الولد بقوله رب هب لي من الصالحين
فلما استجاب الله دعاءه ووهب له ما سال شكر الله على ما اكرمه من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان واعتد به وقبله رب اجعلني
مقيم الصلاة يعني يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في اوقاتها ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة
وانما ادخل لفظة من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد في ذريته جمع من الكفار لا يقيمون
الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي واراد بهم المومنين من ذريته ربنا وتقبل دعاء سال ابراهيم عليه السلام ربه ان يتقبل
دعاءه فاستجاب الله تعالى لابراهيم عليه السلام وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه ربنا اغفر لي فان قلت
طلب المغفرة من الله انما يكون للسابق ذنب قد سبق حتى يطلب المغفرة له من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء من
الذنوب فما وجه طلب المغفرة له قلت المقصود منه الالتجاء الى الله تعالى وقطع الطمع من كل شيء الا من فضله
وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته ولوالدي فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا
كافرين قلت اراد انهما رجعا وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له انهما من اصحاب الجحيم وقيل ان امه اسلمت
فدعا لها وقيل اراد بوالديه ادم وحوا وللمومنين اي واغفر للمومنين كلهم يوم يقوم الحساب يعني يوم يظهر ويبدو فيه
الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمومنين
بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم ففيه بشارة عظيمة لجميع المومنين بالمغفرة قوله تعالى ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل الغفلة سهو يعتري
الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تاويل الاية فالمقصود منه انه تعالى ينتقم من الظالم
للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم منه ولا يتركه مغفلا عنه قال
سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فان قلت تعالى الله عن الغفلة فكيف يحسبه رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس بربه انه لم يغفل قط ولا تحسبن الله غافلا الاية فالمعنى ان كان الخطاب له
وشرط الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهان احدهما استثبت على ما هو عليه من انه لا يحسب الله غافلا وهو كقوله ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها اخر وكقوله يا ايها امنوا امنوا بالله اي اثبتوا على ما انتم عليه من الايمان. الوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه
غافلا الاعلام بانه تعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه يجتنم منهم فيعود على سبيل الوعيد والتهديد للعصاة
والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن معاملهم معاملة المراقب الحفيظ عليهم لما يأتون ويذرون والتغليظ
وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلما اشكل امره على الناس اشرك الناس غيره معه في صفات الله فجعل حسبانه
غافلا يجعله بصفة انه انما يؤخر عقابهم ليوم تشخص فيه الابصار يقال شخص الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتين
لا يرد بهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما يرى في ذلك اليوم مهطعين قال ابو عبيدة
يعني هذا المعنى ان الغالب من حال من يقبل ببصره شاخصا من شدة الخوف حتى انه يمشي واقعا بالهنا فيتبين الله تعالى
في هذه الاية ان احوال اهل الموقف مختلفة فمنهم من يسحب الى النار ومنهم من يسرع الى الجنة ومنهم من
يطرف بصره الى الارض فلا يعتد به ومنهم من يرفع رأسه الى السماء لا يطيق احد الى احد وهو قوله تشخص فيه
انهم ابصارهم ويسرع الى السماء يوم القيامة خلاف الحال المعتاد فاخبر انهم مع شخوص ابصارهم يكونون مهطعين يعني
مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخائف الذليل السائل مقنعي رؤسهم الاقناع رفع الرأس والرؤوس هاهنا
من صفة القوم ابصارهم ويسرع الى السماء، وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرف بصره الى الارض فالمعنى
وجوه الناس يوم القيامة الى السماء، كما يطيق احد الى احد وهو قوله لا يرتد اليهم طرفهم اي لا يرجع اليهم ابصارهم من شدة الخوف
فهي شاخصة لا ترتد اليهم وقد تشاغلهم عما بين ايديهم وافئدتهم هواء اي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت
في حناجرهم فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها ومعنى الاية ان افئدتهم خالية فارغة لا تعقل شيئا من شدة الخوف
وقال سعيد بن جبير وافئدتهم جوفاء لا عقول فيها وقال مجاهد خربة لا خير فيها والهواء الخرب الذي لا شيء فيه
وقال الضحاك خاوية من الخير وقيل هواء اي ذاهبة من الجبن والهلع من شدة الخوف
وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيامة وهو قوله يوم يأتيهم العذاب يقول الذين ظلموا
انفسهم بالشرك والمعاصي ربنا اخرنا الى اجل قريب يعني امهلنا مدة يسيرة فنجيبك ونتبع الرسل فاجيبوا بقوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل
يعني حتى يؤمنوا ويتبعوا رسلك وقوله ما لكم من زوال اي ما لكم عنها من انتقال ولا بعث ولا نشور وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم يعني
وقد بين لكم كيف كان عقوبتنا اياهم وضربنا لكم الامثال يعني الامثال التي ذكرها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها
ويعجب على كل من شاهد احوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف انعكس الامر ان يعتبر بهم ويعمل في خلاص
نفسه من العذاب والهلاك فوله عز وجل وقد مكروا مكرهم اختلفوا في الضمير الى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين
سكنوا في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهذا القول بعيد لان الضمير يجب عوده الى اقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقد مكروا
كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا والمثبتوك الاية والمعنى
وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني بسبب كفرهم بك وقوله وعند الله مكرهم يعني جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم
مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة وان كان مكرهم لتزول منه الجبال يعني ان مكرهم لا شعب من ان تزول
منه الجبال وقيل ان معناه ان مكرهم لا يزيل امر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكي عن علي رضي الله عنه في الاية قولا اخر وهو انها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود ان ما يقوله ابراهيم
حقا فلا انتهي حتى اصعد الى السماء، فاعلم ما فيها فاتخذ اربعة ابراج من النسور ورباها حتى كبرت وقويت واتخذ
تابوتا من خشب وجعل له بابا من اعلى وبابا من اسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات اربعا في اطراف التابوت وجعل على
رؤس تلك الخشبات لحما اخر وقعد نمرود في التابوت وقعد معه رجلا وامر بالنسور فربطت في اطراف التابوت من اسفل
فجعلت النسور كعادتها اللحم طارت به فطارت النسور بما فيه حتى بعدت في الهوى فقال نمرود لصاحبه افتح الباب
الاعلى وانظر الى السماء، لعلنا قربنا منها ففتح ونظر فقال ان السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض

كيف ترانا ارى الموعد مثل الثجة واجبال مثل الدخان قال وكانت السموات يومئذ ارتفعت حتى حالت الغرج بينك وبين الكفيران فقال فمرود لصاحبه افتح البتاب الاعلى فيعلو واذا السماء كهيئتها وفتح البتاب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودي ايها الكافرة اين تريد فقال عكرمة وكان معه في التابوت فحمل الفوس ورمى بسهم فعاد اليهم ملطخا بالدم فسقطت فذبحت بنفسها في الحصن وقيل كما يراها بالتهم فاكبت الله السماء ثم امر نمرود صاحبه ان يضرب الخشبات الى السفل وينكس اللحم بعضها وهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيف التابوت والنسور فجزعت وخفت ان قد حدث حادث من السماء وان القيامة قد قامت فجاءت تتزول من اماكنها فذلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال استبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال الامر اكبر منه عظيم وما ينبغي ان يتكلم في مثل هذا الامر وليس بيد خبر يجب ان يعتمد عليه ولا مناسبة للقدح الحكاية بتلاوية الاية التي بعدها فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله اي الله عزيز في انتقامه ذو انتقام يعني من اعدائه قوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين احدهما ان تبدل صفة الارض والسماء اذا انتطحت فاما تبديل الارض فتصير صفتها وشيئتها مع بقاء هيئتها وعوان تذكر جبالها وتسوى وهادها واوديتها وتذهب وتمد مد الاديم واما تبديل السماء فعوان تنشق كواكبها وتكسر شمسها وقمرها ويكوران وكونها مارة فارة وقارة كالمهل وهذا القول قال جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روي عن سهل ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد اخرجاه في الصحيحين العفراء البياض الممزوجة وهي البيضاء الحمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد الذي لا اخلاط فيه الى الحمرة فكان النار تشتعل بيضاء فوجهها الى الحمرة وقوله ليس فيها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد لتبديل هيئتها من زوال جبالها وجميع علائقها بل لا يبقى فيها اثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الاية قال تبدل الارض غير الارض فترى الارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال ابي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الارض بيضاء كالفضة والسماء خضراء وقال ابو هريرة رضي الله عنه وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضاء ياكل المؤمن من تحت قدميه عزاه سعيد الخدري فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفاها الجبار بيده كما يتكفا احدكم خبزه في السفر نزلا لاهل الجنة اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محي الدين النووي في شرح هذا الحديث اما النزل بضم النون والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله واما الخبزة بضم الخاء فقال اهل اللغة هي الكلمة التي ترفع في الملة ويتكفا بالكسر يديرها من يد الى يد حتى تجوف وتستوي يقال تكفات الرغيفة كالرغيفة وقد حكى الخلاف في اليد في حق الله تعالى وتاويلها مع القطع باستحالة الجارحة ليس كمثله شيء ومعنى الحديث ان الله تعالى يجعل الارض كالخبزة وكرغيف عظيم ويكون طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شيء قدير فان قلت اذا بشرت التبديل كما ذكرت كيف يطبق الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وهي ان تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الاتيتين ان الارض تبدل اولا فتصير صفحة بيضاء لا تقف عليها احد ثم تحدث بعد ذلك اخبارها ايضا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله يوم تبدل الارض غير الارض فاين يكون الخلق يومئذ قال على الصراط يعني في الظلمة دون الحشر ذكره البغوي بغير سند وفي هذا الحديث دليل على ان تبديل الارض ثلاث مرات يكون بعد الحساب والثواب على ما اراده وقوله تعالى وبرزوا يعني وخرجوا من قبورهم لربهم يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب الواحد القهار صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له والقهار الذي قهر الخلق بالموت وغيره يقهر كل شيء ويذله ويستعبده على ما يريده قوله تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شددته معه في رباط واحد في القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وقال ابن زيد تقرن ايديهم وارجلهم الى رقابهم في الاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض سرابيلهم يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل ما لبس من قميص او درع او جبة من شعر او صوف او قطران الفكل ان دهن يتحلب من شجر يقال له البهر والقرعر والشوك والوقب يدهن به الابل اذا اجربت وهو الهنا يقال هنات البعير اهنوه بالهنا وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم الفكل ان سرابيلهم لانه ابلغ في اشتعال النار في الجلود ولولا ذلك لم تبالغ في احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه خزيهم بما

يجزون

يعقوبون وفراعكمة ويعقوب من قصران على كل صنف منهم [illegible] الله على ما كسبت يعني من خير او شر ان الله سريع الحساب يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة [illegible] للناس يعني هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس وليتذروا به يعني وليخوفوا بالقرآن وبمواعظه وزواجره وليعلموا انما هو اله واحد يعني وليستدلوا بالقرآن على الايات على وحدانية الله تعالى وليذكر اولوا الالباب وليتعظ بهذا القول وما فيه من المواعظ اولوا العقول والالباب الصحيحة بانه موعظة لمن اتعظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحج وهي مكية

باجماعهم وهي تسع وتسعون اية وستمائة واربع وخمسون كلمة واثنان وتسعمائة وستة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والمراد والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الكامل بكونه كتابا الذي وعد الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وتسمى القرآن للتبجيل والتعظيم والمعنى تلك ايات الكتاب الكامل بكونه كتابا وبكونه قرآنا واي قرآن كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والقراءة في البيان وقيل اراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ضعيف لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جمع بين اسمين وان كان الموصوف واحدا لفائدة من البلاغة وهي التبجيل والتعظيم والتبيين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل ربما فرق بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وربّ للتقليل وكم للتكثير وانما يدخلان على الفعل تقول ربّ رجل جاءني ورب جاءني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شيء تام فقلت ربما جاءني زيد وقيل ما هي ربما بمعنى حين فالمعنى ربما حين يود الذين كفروا لان التمني هو تشهي حصول ما يودّ وهو لا يتعلق بالوقت الذي يتمنى

أجل قريب يعني من أهل قريته وارادهم الاستمهال الى وقت آخر وقد فاتهم ذلك بمجيء أجلهم المضروب ووقت ما يعني لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم الا وقت الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ ما تسبق من أمة أجلها من زائدة في قوله من آية لتوكيد ما جاء يجيء أحد يعني أحد وقبل هو على المعنى لأنه في تأويل النفي أي ما تتقدم أحدا ومعنى الآية أن لكل أجل مضروب لهم ووقت لموتهم أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله وما يستأخرون وإنما أدخل الفاء في أجلها لإرادة الدلالة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لإرادة الوجهين في قوله عز وجل وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر يعني مشركي مكة يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمك وأراد بالذكر محمد صلى الله عليه وسلم إنك لمجنون إنما نسبوه إلى الجنون لأنه صلى الله عليه وسلم كان يكفهر عليه عند نزول الوحي عليه بما يشبه الغشي فكانوا إذا رأوا ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه إلى الجنون وقيل إن الرجل إذا سمع كلاما مستغربا من غيره ربما يشبه الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه إلى الجنون وإنما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على الهزء والاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده أخبرنا أنك لمجنون في إدعائك الرسالة لو ما قال الزجاج والفراء لو ما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعني هلا تأتينا بالملائكة يعني يشهدون لك بأنك رسول من عند الله إن كنت من الصادقين يعني في إدعائك الرسالة ما ننزل الملائكة إلا بالحق يعني بالعذاب وقت الموت وهو قوله وما كانوا إذا منظرين يعني لو نزلت الملائكة لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنزل الملائكة عيانا فيجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لنزال عن الكفار الأمهال وعذبوا في الحال لم يوسروا ويمهلوا إنا نحن نزلنا الذكر يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وإنا فالله تعالى أنا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر يخبر الله عز وجل أنه هو الذي نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم وإنا له لحافظون الضمير في له يرجع إلى الذكر يعني وإنا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقصان منه والتبديل والتغيير والتحريف والقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء فلا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل على بعضها التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ولما قال الله عز وجل في هذا الكتاب إني صنعت هذا الكتاب بيدي محمد من سائر الزيادة والنقصان وقال ابن الخطيب ومفاد الكناية يرجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإنا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء يعني قوله والله يعصمك من الناس وجه هذا القرآن الله تعالى لما ذكر الإنزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية إليه لكونه أمرا معلوما لأن القول الأول الحق والأشهر وهو قول الأكثرين لأنه أشبه بحكاية التنزيل فرد الكناية إلى أقرب مذكور أول وهو الذكر وإذا قلنا أن الكناية عائدة إلى القرآن وهو الحق فاختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بأن جعله معجزا باقيا مصانا لكل البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لأنه لو أراد أحد الزيادة فيه والنقصان منه يتغير وكل ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون أن الله حفظه وصانه من العارضة بحيث لا يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل عجز الله الخلق عن إبطاله وإفساده بوجه من الوجوه وقيض له القلة يحفظونه ويذبون عنه الزمان حتى الذي ظهر للذين رأوا جماعة من القلة متوفرة على إبطاله وإفساده فلم يقدروا على ذلك فحمد الله تعالى فوله تعالى ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين لما جرى لكفار مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أن عادة الكفار في جميع الزمان مع نبيائهم كذلك يا محمد والمعنى على أني قومك جميع الأنبياء وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد يحذف ذلك لوضوح دلالة الكلام عليه في قوله تعالى في شيع الأولين من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كذلك نسلكه في قلوب المجرمين كذلك النعت في قلوب الكافرين والدخول فيهم والسلك إدخال الشيء في الشيء كما يدخل الخيط في المخيط ومعنى الآية كما سلكنا التكذيب في قلوب شيع الأولين كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي قومك وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي أيضا آية في ثبوت القدر لمن ذهب عن الحق ولم يعانده قال الواحدي قال الحاكم أضاف الله تعالى إلى نفسه إدخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه مجرد أمره بالقرآن حيث استحقوه وقال الأصم في الذين رأوا جماع الحجاب الكثيرة على أنه تعالى يخلق الباطل والفساد في قلوب الكفار فقوله تعالى كذلك نسلكه إلى قوله نسلكه في قلوب المجرمين قالت المعتزلة

لم يجز للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا النبي فلا يمكن ان الضمير عائد اليه و أجيب عنه بانه تقدم ما يصلح مرجعا لان الانذار يستلزم المنذر به بمعنى ومن جملة الضمير في قوله كزلك نسلكه في قلوب المجرمين الكفر والضلال والمراد بقوله تعالى لا يؤمنون به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من القرآن وقد خلت سنة الاولين فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يحذرهم ان ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا ان يحل بكم مثل ما حل بهم من العذاب ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا ما قالوا من تعنتهم بالملائكة بابا من السماء فظلوا نهارا فيه يعرجون اذا فعلنا بالنهار وكما يقال اتيتك بليل كذا اذا فعلته بالليل فيه يعني جعلنا لذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وهي المكان الذي يعرج فيه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان احدهما انهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن ابصار هؤلاء الكفار بحيث رأوا بابا في السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما امنوا والقول الثاني انهم الانس كلهم وهو قول الحسن وقتادة والمعنى لظلوا هم انفسهم يصعدون في ذلك الباب لعلموا فيه بالعيان ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما امنوا ولقالوا انما سكرت ابصارنا قال ابن عباس سدت ابصارنا ماخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجري وقيل معنى سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حيرت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغيير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعني غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر واصله من السكون يقال سكر عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر بل نحن قوم مسحورون يعني سحرنا محمد وعمل فينا بحيث يخيل الينا ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملائكة فيرونهم عيانا ويشهدوا بصدقه وابى الله تعالى انه لو حصل لهم هذا او نشاهدوه عيانا لما امنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة قوله عز وجل ولقد جعلنا في السماء بروجا يعني البروج التي تنزل فيها الشمس والقمر وهي بروج الفلك الاثني عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمان وعشرين منزلة لكل برج منزلتان وثلث منزلة وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة يقطعها القمر في على ستة ايام ولها تقدير في الفلك ويقطعها الشمس في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الاية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال عكرمة في قصور السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد هي النجوم العظام قال ابو اسحاق يريد بجعل هذه البروج هو الجعل الذي وصفت به وسميت واصل هذا من الظهور وزيناها يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم للناظرين يعني للمعتبرين المستدلين بها على توحيد الله وما فيها وهو الله الذي اوجد كل شيء وخلقه وصوره وحفظناها يعني السماء من كل شيطان رجيم اي مرجوم بالشهب فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله تعالى قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد ان يسترق السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون ما هو فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة في سوق عكاظ وهو يصلي بالفجر فقالوا لهذا والله الحدث الذي حدث في الارض فمن استرق السمع بعد ذلك منعوه بالرجم فذلك قوله تعالى الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين والشهاب شعلة من نار ساطع سمي الكوكب شهابا لاجل ما فيه من الضوء شبه بشهاب النار قال ابن عباس في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء ليستمعوا السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا منهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه او جسمه او يخبل ومنهم من يخطئه فيمضي فيلقي الكاهن او الساحر وقد جاء في الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله امرا في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير ويسمعها مسترقوا السمع بعضهم فوق بعض وصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ويلقيها الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه

معها ما يه كذبة فيقال ان الجن قد قيل لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء **فصل**
اختلفت العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين احدهما انه لم
يكن يرمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان ذلك بقدر امره وكان ذلك اساسا لنبوته صلى الله
عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انكفأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين
الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين الخبر وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين وظاهر هذا
الحديث يدل على ان هذا الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي ويعضده ما
روى ان يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس بن شريف قال اول من فزع الرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف فانهم جاءوا الى
رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بني علاج وكان اذهى العرب فقالوا له امر نزل حدث في السماء من الغذب بالنجوم
فقال ابلوا ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء
لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله انقطاع الدنيا وهلاك الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها
وهي ثابتة على حالها فهذا لامر اراده الله لهذا الخلق فقال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم
ان بشيخ العرب الذين ذكروا البرق والاشياء الشعرية ليوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدث بعد مولده
صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها فالاخوان الرمعة كانه كوكب يأثر عقبه مفروح في سواد الليل منتصب
والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم فال معمر
فلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال
غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال اخبرني رجل من الانصار
النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمي بنجم واستنار فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا رمي بمثل هذا النجم قالوا الله ورسوله اعلم كنا نقول ولد الليلة
رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه
اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى هذه السماء ثم قال الذين يلون
حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم فيخبر بعضهم بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء فتخطف الجن السمع فيقذفون الى اوليايهم ويرمون بما جاءوا به على وجهه فما جاءوا به على وجهه فهو الحق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون
اخرجه مسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في كثرة الجن اشد بعد مبعثه قال وعلى هذا وجد الشعر القديم
قال البشر بزاجر وهو جاهلي والغير يرهقها الغبار وحبسلى يفزع خلقها انقضاض الكوكب وقال ابن زيد وهب
جاهلي فانقض كالدري يتبعه نفع بنور يعجل مبينا والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزاد في حفظ السماء وحراستها صونا لاخبار الغيب والله اعلم قوله تعالى والارض
مددناها يعني بسكناها على وجه الماء يقال انه بحيث من تحت الكعبة ثم بسكنا هذا اقوال اهل التدابير وزعم ربابو
الهيئة انها كرة تحت عكبة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الحسر المعمور منها عن قوله والارض مددناها
بان الكرة اذا كانت عكبة فان كل جزء منها كالبشخ العكبي فثبت بهذا ان الارض ممدودة مبسوطة ولو كانت
كرة لما خبر بذلك والله اعلم بمراده وكيف في الارض رواسي يعني جبالا اثوابت وذلك ان الله تعالى لما خلق
الارض رفعا وربتت واثبتها بالجبال وانبتنا فيها اي في الارض من انواع النبات المنتجع به كان يكون في الارض وقيل الضمير يرجع
الى الجبال لانها اقرب مذكور وقوله من كل شيء موزون والمعايش ما يكون في بعلها لهذا يكون المعنى معلوم والقدر عند الله ان
الله تعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في معايشهم وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس انما يزنون ما يخافون الاستيفاء
الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عنى به النبي الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والنحاس ونحو ذلك مما
يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول
العرب هذا امر موزون اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان منتظما حسنا بعيدا من الخطا
واللحن وقيل ان جميع ما انبت في الارض والحيوان نوعان احدهما ما استخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني
النبات بعضه موزون ايضا بعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الكيل والمد مقدران بالوزن وجعلنا لكم

(يتبع)

فيها معايش جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المكاسب والمشارب والملابس ونحو ذلك ومن لستم له برازقين في الدواب والوحش والطير انتم منتفعون بها واستتم لها برازقين لان الرزق جميع الخلق على الله ومنه قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويكون من في قوله ومن لستم له برازقين بمعنى ما الا ان من لمن يعقل وما لما لا يعقل وقيل يجوز اطلاق احداهما مكان الاخرى لان الدواب والوحش وان لم يعقلوا فانهم قد يعقلون في الجملة وهي جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء كالمطبخة لما يطبخ فيه والخزن الجعل في الخزائن وقيل اراد بالخزائن المطر لانه يحبس كما يحبس الماء في الخزائن والقعايق السحاب الواحد قعيق وقيل هو الوحش والكبير ومعنى عندنا انه في حكمه وتحت قهره وامره وتدبيره لها وما ننزله الا بقدر معلوم يعني بقدر الكفاية وقيل ان الخزائن حكمنا ومقدورنا ان المطر يقل ويكثر ويحبس ويرسل وقيل ان المطر يتراخى عن السحاب كل عام بقدر واحد لانه لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما ويجدب آخرين وقيل اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد الله بقوم سوءا حبس عنهم المطر الرحيب الا ينتفع بها كالبراري والقفار والبحار والرمال ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش مثل جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وارسلنا الرياح لواقح قال ابن عباس يعني الشجر وهو قول الحسن وقتادة واصل العقد من قولهم لقحت الناقة والفحل الجمل اذا الفى عليها الماء فحملت فكذلك الرياح كالجمل للسحاب قال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح ليلقح السحاب فتحمل الماء فتمخض السحاب فتحمل الماء فتمخض السحاب ثم تمرجه فيدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الرياح المبشرة فتهيج الارض فتثير السحاب ثم يرسل المثيرة فتثير سحابا ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فيجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاشجار في بعض وهي الآية التي قال الله تعالى فتراه ودقا يخرج من خلاله فاذا هم يستبشرون فانزلنا من السماء ماء قال ابو بكر بن عياش الله تعالى ذكره من السماء الا بعد ان تعمل الرياح الاربع فيها والصبا تلقح السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال ابو عبيدة لواقح بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز ان يقال لقاح ولواقح وان لقحت غيرها لان معناها ذات لقح كما يقال مرضع وازن واذا وزن واعشر فهو واحد وجاء هذا البيت بمعنى لانه كان يجب ان يجيء اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين واجاب الرازي عنه بان قال هذا البيت يشهد لان اللاقح المنسوب الى اللقحة وهي الناقة قبل نسبته الى اللقحة وقال صاحب العين وردت الرياح لواقح اذا حملت

عن ابن عباس وهذا اشبه ان يكون اصح قال البغوي وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من
الرجال من في قلبه ريبة فيتاخر الى اخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة فتتقدم الى اول صف النساء لتقربه من الرجال فنزلت
هذه الاية فبعد ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها اخرها وخير صفوف النساء اخرها وشرها
اولها اخرجه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه وقال ابن عباس اراد بالمستقدمين من خلق الله والمتاخرين من يخلق الله بعده
وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستاخرون المبطئون عنها وقال الاوزاعي اراد بالمستقدمين المصلين في اول
الوقت وبالمستاخرين المؤخرين لها الى اخره وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستاخرين في صف القتال وقال ابن عيينة
اراد من يسلم اولا ومن يسلم اخرا وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه
وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد فقالوا لنبيعن دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى تدرك الصف المقدم فنزلت
الاية ومعنى الاية على القول الاول المستقدم للتقوى والمستاخر للنظر وعلى القول الاخير المتقدم لطلب الفضيلة والمتاخر
للعذر ومعنى الاية ان علمه تعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتاخرهم طائعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من احوال خلقه
وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم يعني على ما علم منهم وقيل انه تعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والاخرين على ما
ماتوا عليه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان يعني
ادم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه
فنسي من صلصال يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا قال ابن عباس الطين الحر الطيب
الذي اذا صب عنه الماء تشقق واذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صلى اللحم
واصل اذا انتن من حمإ يعني من الطين الاسود مسنون اي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال ابو عبيدة
هو المصبوب تقول العرب سننت الماء اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين
هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله تعالى لما اراد خلق ادم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض واليه الاشارة بقوله
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وخمره حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة
بقوله من حمإ مسنون ثم ذكر الطين الاسود المتغير صورة الانسان اجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له
صلصلة يعني صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا نتن في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا
سويا والجان خلقناه من قبل يعني من قبل ادم قال ابن عباس الجان ابو الجن كما ان ادم ابو البشر وقال قتادة هو ابليس
ابو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني ادم واما الشياطين فليس فيهم مسلمون
ولا يموتون الا اذا مات ابليس قال وهي ان من الجن من يولد ويأكلون ويشربون بمنزلة الادميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا
يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتواريهم
واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا سر والشيطان هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر
من نار السموم يعني من ريح حارة يدخل سنام الانسان من لطفها وحرارتها ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم
والريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال ابو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء والحجاب
فاذا حدث امر خرقت الحجاب فهرب الى ما امرت به فالصدمة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب وهذا على قول اصحاب الهيئة ان
الرابعة تسمى كرة النار وقيل نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم
التي خلق منها الجان وتلا هذه الاية قال ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم
وخلقت الجن الذين ذكروا في القران من مارج من نار جهنم وخلقت الملائكة من النور قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة
اي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا سمي الادمي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر البشرة ظاهر الجلد من
صلصال من حمإ مسنون تقدم تفسيره فاذا سويته يعني عدلت صورته واتممت خلقته ونفخت فيه من روحي
النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجاويف جسم اخر ومنه نفخ الروح في النشاة الاولى وهو المراد بقوله ونفخت فيه من روحي
واضاف الله عز وجل روح ادم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة وعبد الله وسيجيء الكلام
على الروح في تفسير سبحان عند قوله ويسئلونك عن الروح ان شاء الله تعالى فقعوا له ساجدين الخطاب للملائكة
الذين قال لهم الله اني خالق بشرا امرهم بالسجود لادم في قوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية

قف على الجن والشياطين قيل بينهما فرق

لا سجود عبادة

السجود عبادة بتسجد الملائكة يعني الذين امروا بالسجود اجمعون اجمعون قال سيبويه هذا توكيد
وسئل المبرد عن هذه الاية فقال الوقف اجمعون لا يحتمل ان يكون تسجد اجمعون بلفظ قال فلهم زال هذا الاحتمال وقف
بعد ان تسجد وابا ابليس ثم بعد هذا بغي احتمالا اخر وهو انهم سجدوا في اوقات متفرقة او في دفعة واحدة فلصا
قال الجمهور يظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه اجود
لان الجميع معرفة فلا يكون حالا روى عن ابن عباس ان الله تعالى امر جماعة من الملائكة بالسجود فلم يفعلوا فاسئل
عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ان يكون مع الساجدين يعني مع الملائكة
الذين امروا بالسجود لادم قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال ابليس لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون اراد ابليس انه افضل منه لان ادم طيني الاصل وابليس
ناري الاصل والنار افضل من الطين فيكون ابليس في قياسه افضل من ادم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما قطه الله
فاذا اخرج منها يعني من الجنة وقيل من السماء فانك رجيم اي طريد وان عليك اللعنة الى يوم الدين قيل
ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه اهل الارض وهو ملعون في السموات والارض فان قلت انى ذهب الى ان
انتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة قلت لا بل يزاد عذابا الى اللعنة التي
عليه كما قال وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم يزاد بعد ذلك عذابا مستمرا لا انقطاع له قال رب فانظرني يعني
اخرني الى يوم يبعثون يعني يوم القيامة واراد بهذا السؤال انه لا يموت ابدا لانه اذا امهل الى يوم القيامة ويوم القيامة
لا يموت فيه احد لزم من ذلك انه لا يموت ابدا ولهذا السبب سأل الانتظار الى يوم يبعثون واجابه الله تعالى بقوله فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلايق وهي النفخة الاولى وقال ان مدة موت ابليس
اربعين سنة وهي ما بين النفختين وقيل الى يوم يحشر الناس اي امهل الى ان يموت الناس كلهم وقيل امهل الى يوم
يبعثون وهي النفخة الاولى وقيل امهل الى يوم الوقت المعلوم عنده وقيل ان جميع الخلايق يموتون فيه بعضهم بعد الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانتظار الى يوم يبعثون واجابه الله تعالى بقوله فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني الوقت الذي علمت وسألت الانتظار اليه فبما اغويتني الباء للقسم في قوله بما
وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم في الارض وقيل ما للشرط اي فبسبب
كوني غاويا لازينن لهم في الارض لهم حب الدنيا ومعاصيك ولاغوينهم اجمعين يعني بالقاء الوسوسة
في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق واغوايهم ثم استثنى بقوله الا
عبادك منهم المخلصين يعني المؤمنين الذين اخلصوا التوحيد والطاعة والعبادة ومن قرأ اللام من المخلصين يكون المعنى
الذين اخلصتهم واصطفيتهم لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم بتوفيق الله تعالى
ايضا لا يعملون سوء قط وحقيقة الاخلاص فعل الشيء خاليا عن شايبة الغير فكل من اتى بعمل من اعمال الطاعات فلا يخلو
ان يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط او غير الله او مجموع الامرين فان ترجح جانب الله كان من المخلصين الخالصين وان
ترجح الجانب الاخر كان من الهالكين لان العمل بغير النية الصحيحة يبقى الغدر الزايد فان ايا ما يترجح اخذ به قال
الله تبارك وتعالى هذا صراط علي مستقيم قال الحسن معناه هذا امر الي يستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله
وعليه طريقه لا يعوج عني وقال الفراء معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي وهذا على كما في
التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه كريمك علي اي لا ينفلت مني وقيل معناه على استقامة بالبيان والبرهان
والتوفيق والهداية وقيل هذا عام في الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق علي والي يهدي الكل مني ورضوان عبادي
ليس لك عليهم سلطان اي قدرة وقوة وذلك ان ابليس اعلمه الله فلا لازينن لهم في الارض ولاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فوقع بهذا العلم ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله تعالى انه ليس له سلطان
على احد من عبيده سواء كان من المخلصين او لم يكن من المخلصين فالمعنى ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم
في ذنب يضيق عنه عفوي وقوله عباد الذين اخترتهم واصطفيتهم من عبادي الا من اتبعك من الغاوين يعني الا من
اتبع ابليس من الغاوين وان لم يعلم سلطانا بسبب كونهم منافقين فيما يأمرهم وان خالفوا لنوعدنهم اجمعين

يعني موعدا لبليس وشياعه واتباعه لجهنم يعني سبعة ابواب في سبع كتيبات قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اتدرون كيف ابواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى باسفل بطنه فقوم بعض فاذا ابن يخرج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية اما اول باب منهم جزء مقسوم يعني لكل دركة فوج يكثرون والجزء بعض الشيء وجزاته جعلته اجزاء والمعنى ان الله تعالى جزء اتباع ابليس سبعة اجزاء فيدخل كل جزء منهم دركة من النار سمة وتسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة وكذلك اختلفت مراتبهم في النار فاما الضحاك في الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار بذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله ان المتقين في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل يحتمل ان يكون لهذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون وتجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل ويحتمل ان كل واحد من اهل الجنة تختص بعيون تجري من جنانه وقصوره وتتبع هويته ومن يختص به جواره وولده ويحتمل ان هذه الجنان بعضها لبعض فتكمن وامن الحقد والحسد ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى وبعض ملائكته بسلام امنين يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الافات ونزعنا ما في صدورهم من غل اصل الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على الشحناء والعداوة والتحاسد والحسد وكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل الذي نفاه عن قلوب اهل الجنة وروي ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يأمر بهم الى الجنة وقد نفى في قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد اخوانا يعني في المودة والمحبة والنية الحسنة وليس المراد منه اخوة النسب على سرر جمع سرير فالاكثرون اهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيأ للسرور وهو ماخوذ منه لانه مجلس سرور قال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل منصة العروس متقابلين يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احد منهم في وجه بعض الاخبار ان المؤمنين في الجنة اذا اراد ان يلقى اخاه المؤمن جاء سرير كل واحد منهم الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان لا يستتم فيها يعني في الجنة نصب اي تعب واعياء وما هم منها يعني من الجنة بمخرجين هذا نص من الله تعالى بخلود اهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وعز بلا جرمان وقوله عز وجل نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون ويزايد بكم النار ثم قنط جبريل بعد مقالته الاولى وقال يغفر ربك يا محمد ليس تفرج عباده ذكر البغوي باسناده وان عذابي هو العذاب الاليم قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما نزع عن حرام ولو علم قدر عذابه لخشع نفسه يعني لغشي نفسه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة وامسك عنده تسعة وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر كل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن كل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الاية الكريمة ايأس منها ازال الله تعالى اوهام العباد الى نفسه بقوله نبئ عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم الا ترى انه لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى ويهود اخل في هذا التشريف العظيم ومنها ان تعالى قال في الرحمة والمغفرة بالغ في التاكيد بالعائد كما قال اولا فقوله انا وقال ثانيا انه هو الغفور الرحيم واللام في قوله الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولهذا في العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وان عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها ان تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ عباده هذا المعنى فكانه اشهد رسوله على نفسه بالتزام المغفرة والرحمة فقوله تعالى ونبئهم عن ضيف ابراهيم تقدم معمول على ما قبله والخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم واصل الضيف الميل يقال ضفت الرجل اذا ملت اليه والضيف مال اليك نزل بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى واصل الضيف مصدر يستوي فيه الواحد والجمع

على ظالميهم

ج عامة كلامهم وقد يجمع بفعال اصحاب وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ليبشروا ابراهيم
عليه السلام بالولد ويهلكوا قوم لوط اذ دخلوا عليه يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام فعلموا انهم ملائكة
يسلم سلاما فالوا يعني ابراهيم انا منكم وجلون اي خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه قالوا لا توجل
يعني لا تخف انا نبشرك بغلام عليم يعني انهم بشروه بولد ذكر غلام قد صار عليما بكبر وقيل عليم بالاحكام والشرائع
والمراد به اسماعيل عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته قال ابشرتموني يعني بالولد على
مسني الكبر يعني على حالة الكبر على كما في التعجب فبم تبشرون يعني فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب
كأنه عجب من حصول الولد على الكبر قالوا بشرناك بالحق يعني بالصدق الذي قضاه الله بان يخرج منك ولدا تكثر ذريته
وهو اسماعيل فلا تكن من القانطين يعني فلا تكن من الايسين من الخير والفتوح هو الايأس من الخير قال ابراهيم ومن
يقنط من رحمة ربه الا الضالون يعني من ييأس من رحمة ربه الا المذنبون وفيه دليل على ان ابراهيم لم يكن من القانطين والكنه
استبعد حصول الولد على الكبر فكشفت الملائكة ان به فتوحا ينفي ذلك عن نفسه واخبر انه لا قانط من رحمته قال الان الفتوح
من رحمة الله كثيرة كلا امن من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد وان يجعل كونه تعالى عالما بجميع المعلومات
بكل هذه الامور سبب للضلال قال يعني ابراهيم فما خطبكم يعني فما شأنكم وما امركم الذي جئتم به ايها المرسلون والمعنى
ما امرا لذي جئتم بسببه سوى ما بشرتموني به من الولد قالوا يعني الملائكة انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني الى هلاك
قوم مجرمين الا آل لوط يعني اشياعه واتباعه من الدين انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته يعني امرأة لوط قدرنا يعني
قضينا وانما اسند الملائكة القدر لانفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك
امرنا ونحن فعلنا وان كان قد فعله بامر الملك انها لمن الغابرين يعني من الباقين في العذاب والاستثناء من النجي اثبات
وهو الابقاء في استثنى امرأة لوط من الناجين ملحقة بالهالكين فلما جاء آل لوط المرسلون وذلك ان الملائكة عليهم
السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعن وجهوا ارسلوا به ساروا الى لوط وقومه واتوا داره فلما دخلوا على لوط قال انكم قوم منكرون
وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه هجما وهم في زي شباب مرد ان حسان الوجوه فخاف ان يقصد قومه فلهذا
قال هذه المقالة وقيل ان النكرة قد تقع موقع المعرفة فقوله انكم منكرون اي انكم من لا اعرف من الانواع التي ترد الي ولا يخطر ببالي
بعينكم قالوا يعني الملائكة بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه وأتيناك
بالحق يعني باليقين الذي لا شك فيه وانا لصادقون يعني فيما اخبرناك به من اهلاكهم فاسر بأهلك بقطع من الليل
يعني اذا ليل والقطع القطعة من الشيء بعضه واتبع أدبارهم يعني واتبع آثار اهلك وسر خلفهم ولا يلتفت منكم
أحد يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل ان الاسراء هو السير وترك الالتفات علامة لمن يخرج من الوجع
وليلا يتخلف احد منهم فيناله العذاب وامضوا حيث تؤمرون وقال ابن عباس امر بالشام وقال مقاتل امر بالاردن
وقيل الى حيث يأمركم جبريل وذلك ان جبريل امرهم ان يسيروا الى قرية يعيشة ما عمل قوم لوط عملا فوقوا وقضينا اليه ذلك
الامر يعني واوحينا الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به على قومه ثم انه تعالى ذكر الامر الذي قضاه بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين يعني ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما ابهم الامر الذي قضاه عليهم اولا
وبشره ثانيا بتعيينه له وتعظيما لشأنه وجاء أهل المدينة يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط يستبشرون
يعني يبشر بعضهم بعضا بإتيان لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط كتموا امرهم
في المدينة وقيل ان امرأته اخبرتهم بذلك وكانوا شبابا مردا بغاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الدار كلهم
منهم في رأس الغاية حتى قال لقومه ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون يعني فيهم بفعل قبيح واتقوا الله ولا تخزون
يعني ولا تخجلون قالوا يعني قوم لوط الذين جاءوه اليه أولم ننهك عن العالمين اولم ننهك عن اضياف احدا من العالمين وقيل معناه كما ولم ننهك
ان تدخل الغرباء الى بيتك وانما نريد ان نركب منهم الفاحشة وقيل معناه التشنيع فقد نهيناك ان تخلص احدا من العالمين
اذا فعلت ذلك بالفاحشة قال يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا اضيافه هؤلاء بناتي يعني ازوجكم اياهن ان كنتم فاعلين
الحلال وهو النكاح وقيل اراد بالبنات نساء قومه لان النبي كالوالد لامته ان كنتم فاعلين يعني ما امركم به لعمرك الخطاب

BCLAC

بيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد قال ابن عباس ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما اقسم بحياة احد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة البدن بالاستمتاع بالحياة والروح ويقابله مدة حياته وقال النحويون الرفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي يجذب الخبر كان الكلام قد تم عليه انهم لفي سكرتهم يعني في جنونهم وضلالهم وقيل في غفلتهم يعمهون يعني يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون فاخذتهم الصيحة صيحة العذاب حين اضاءت الشمس وكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت الضحى وتمامه وانتهاؤه حين اشرفت الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قد بينا في سورة هود ان معناه الذي نزل بهم من العذاب كتابات للمتنبئين قال ابن عباس للظالمين وقال قتادة للمعتدين وقال مقاتل للمشركين وقال ابن قتيبة للمكذبين وبعد هذا التأويل ما روى عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات للمتوسمين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك توسمت في فلان الخير وهو على نوعين احدهما ما دل عليه كما في الحديث ونحوه ما يوقعه الله في قلوب اوليائه فيعلمون بذلك احوال الناس وهذا النوع من الكرامات واصابة الحدس والظن والفراسة النوع الثاني يجعل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق يتوصل بذلك احوال الناس وهي علم قائم بنفسه وحده يتقن قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته بالمتوسم الناظر في سمة الدلالة يقول توسمت في فلان كذا اي عرفت وسم ذلك وسمته وانها يعني قرى لوط لبسبيل مقيم يعني يمر بها قوم فال بعد بطريق معلم ليس بخفي وكما زاد والمعنى ان اثار ما انزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه سبيل مقيم ثابت لم يدرس ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون اثره ان في ذلك يعني الذي ذكرنا من عذاب قرى لوط وما انزل بهم لآية لعبرة يعني للمصدقين بما انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وان كان اصحاب الايكة لظالمين يعني كان اصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتاكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا اصحاب غياض وشجر ملتف وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين يبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فاهلكهم الله وهو قوله تعالى فانتقمنا منهم يعني بالعذاب وذلك ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام فجعل يأخذ بانفاسهم ويغلي الماء في آبارهم وقيل سلط الله تعالى سحابة فيها الكلة فالجوا اليها واجتمعوا تحتها فاضطرمت عليهم نارا فاحرقتهم جميعا وانهما يعني مدينة قوم لوط واصحاب الايكة لبامام مبين يعني بطريق واضح مستبين لمن مر بها وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يؤتم ويتبع وكان المسافر يأتم به حتى يصير الى المواضع التي يريدها قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال المفسرون الحجر اسم اسم واد بين تبوك وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وانما ذكره بلفظ الجمع لتعجيبهم لانهم كذبوا رسولا واحدا وهو صالح لان من كذب واحدا من الرسل فقد كذب الكل لاتفاقهم على التوحيد والحجر الذي كانوا ينحتون منه بيوتهم باقية بموجودة بارض ثمود بين وادي القرى والشام وهي الى الحجاز اقرب منها الى الشام واراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع لتعجيبهم انهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل وآتيناهم آياتنا يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقوتها ولادتها واعجاز امرها فان الآيات اليهم وان كانت لصالح فالله قد ارسل اليهم بعده الآيات فكذبوا بها معرضين يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين يعني من الخراب ان يفعل عليهم الميل او التشعب فاخذتهم الصيحة يعني العذاب مصبحين يعني وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يعني من الشرك والاعمال الخبيثة وعن ابن عمر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم مثل ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع رأسه واسرع السير حتى جاوز الوادي قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يعني للاظهار الحق وليتبين المؤمن المصدق ويعاقب الجاحد المكذب وان الساعة لآتية يعني وان القيامة لتأتي فتجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته فاصفح الصفح الجميل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يأمره فيهم بالعفو واصبر عنهم عفوا حسنا ونحمل ما تلقى من اذاهم فوبخ وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل بعد ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكظم الغيظ ويحسن ويعامله بالصفح الجميل من الضرب والجرح ان ربك هو الخلاق العليم يعني انه تعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم قوله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال ابن الجوزي في سبب نزولها ان قوافل تراخت من بصرى واذرعات ليهود فيها تجمل وفيها بيع واحد فيها انواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال لقد اعطيناك سبعا آيات هي من هذه السبع فواصل وبدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل فلقد

وهذا القول

وهذا القول ضعيف أولا يصح لان هذه السورة مكية باجماع اهل التفسير وليس فيها من القديم شيء ويبعد في بقية ما ذكر
بالمدينة وكيف يقال السبع فواتح ابتدئ في يوم واحد فيها اموال عظيمة تحتاج عنها المسلمون فان الله هذه الاية واخبرهم
ان السبع ايات هي من هذه السبع فواتح والله اعلم وفي المراد بالسبع المثاني اقوال احدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر
وعلي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وابي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه وقتادة
وفي رواية عنه وعطاء وفتادة في اخرين ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي وعن ابي سعيد نحو قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته اخرجه البخاري وفيه زيادة اما السبب في تسمية
فاتحة الكتاب بالسبع المثاني لانها سبع ايات باجماع اهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس
وقتادة والحسن لانها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مفسومة بين العبد وبين الله نصفين بنصفها الاول ثناء
ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضائل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثنات كذا قال
قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط فيما هذه الكلمات مثنات وقال الحسن ابن الفضل
انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقال ابو العالية انما سميت مثاني لان الله تعالى استثناها واخرها لهذه
الامة لم يعطها غيرهم وقال ابو عزيز البلخي لانها تثني اهل الشرك عن الشر من قولهم اثنيت عناني وقال الزجاج سميت فاتحة
الكتاب مثاني لاستفتاحها بالثناء على الله تعالى وهو حمده والثناء عليه وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك
على فضلها وشرفها وانها من افضل سور القرآن لان ابرادها بالذكر في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
مع انها جزء من اجزاء القرآن امر واحد سورة وان يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني تفسير قوله سبعا من المثاني
انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن عباس ومسعود وفي رواية عنه وابن عباس ايضا وسعيد بن جبير وفي رواية عنه
والسبع الطوال هي سورة البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براءة
لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روي
عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع الكوا مكان التوراة واعطاني المئين مكان الانجيل واعطاني مكان
الزبور المثاني وفضلني بالمفصل اخرجه البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الكوا مثاني لان العرائض
والحدود والامثال والعبر ثبت فيها واورد على هذا القول ان هذه السور مدنيات غالبها وكيف يمكن ان تعلم هذه الاية
بها وهي مكية واجيب عن هذا الايراد بان الله تعالى علم نبيه ما نزل في هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم واذا
كان الامر كذلك تفسر الاية بهذه السورة القول الثالث هن السور التي دون الكوا وفوق المفصل وهي المئين وحجة هذا
القول الحديث المتقدم واعطاني المثاني مكان الزبور القول الرابع ان السبع المثاني هو القرآن كله وهذا قول كل من سمى القرآن
كله مثاني وسمي القرآن كله مثاني لان القصص والاخبار فيه
والامثال ثنيت فيه بيان فلم كيف يصح عطف القرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهو هو الاعطف الشيء
على نفسه فلم اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب او السبع الكوا وما وراء ذلك يطلق عليه القرآن لان القرآن
مكلف بعضه على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا
عنيت بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد اتيناك سبعا من المثاني التي هي القرآن العظيم وانما سمي القرآن
عظيما لانه كلام الله ووجه انزله على غير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لا تمدن عينيك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اي لا تمدن عينيك يا محمد اما متعنا به ازواجا منهم يعني اصنافا من الكفار مستمتعا لهم زهرة الله عز وجل
رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى لا تمدن عينيك الى ما اوتيت الغرباء العظيم الذي هو غني
عن الدنيا ولا تشغل قلبك وسر بالك للتمتع من الدنيا والرغبة فيها روي ان سليمان بن عيينة تاول قوله صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن يتاول هذه الاية فيكون معناه لا تمد عينيك الى الدنيا اذا راى التوسع
فيها مستغنيا به بما عندك فيه ذلك النبي المستحسن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شيء من متاع

الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحلسه ولا تحزن عليهم يعني لما فاتهم من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على ايمانهم اذا لم يؤمنوا بما جئت به النهي عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم روى البغوي باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتكن واحدة بنعمة وانك لا تدري ما هو مولد في بعد موته ازله عند الله فانا لا يموت قيل لابن عباس مريم ما فاياها لا يموت قال الغار رضي الله عنها وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فان ذلك اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليك قال عمر بن عبد الله بن عتبة كنت احب المال غنيا بما كان احد اكثر فيه مني كنت ارى انه خير امن ذي ابتي وتربا خير امن تربي فلما سمعت هذا الحديث حببت الفقر فاستحقت وقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين يعني لين جانبك للمؤمنين وارفق بهم لما نهاه الله تعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار امره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين وقال يا محمد انما انا النذير المبين لك امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين امره بتبليغ ما ارسل به اليهم والنذر امرا بتبليغ موجب والمعنى اني انا النذير بالعقاب لمن عصاني المبين بالنذارة كما انزلنا على المقتسمين يعني انذركم عذابا كعذاب انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس اراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد سموا بذلك لانهم امنوا ببعض القرآن فقالوا حق وكفروا ببعضه بما وافق كتبهم امنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا اسور القرآن فقال واحد منه السور علي وانما يعلم ذلك استهزاء وقال الذي هذا انهم اقتسموا كتبهم فامن بعضهم ببعضها وكفر اخرون منهم بما امن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب ازادوا بالمقتسمين كفار قريش قال قتادة سموا بذلك لان اقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه اساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عتاب مكة وكم فقد وذلك ان الوليد بن المغيرة جمع رهطا من اهل عكة قيل بضعة عشر وقيل اربعين وقال الكلبي اقتسموا فتبرقوا على عتاب مكة وكم فقد حيث يموت اهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم انه ساحر وليقل بعضكم انه شاعر فاذا جاءوا الى صدقوه فذهبوا وقعدوا على عتاب مكة وكم فقد فكانوا يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة منا فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاء وفد سألوه عما قال الكلبي المقتسمون قال مجاهد فهو قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين عن ابن عباس الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤوه اجزاء امنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضو من قولهم عضيت الشيء اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك انهم جعلوا القرآن اعضاء معرفة وقال بعضهم هو من العضة وهي البهتان وقيل السحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل السحر سمي بالعضة هو الذي يعني انهم جعلوا القرآن سحرا فورب لنسئلنهم اجمعين اقسم الله بنفسه انه يسئل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين عما كانوا يعملون يعني عما كانوا يقولونه في القرآن وعما كانوا يجملون في الكفر والمعاصي وقيل يرجع لنسئلنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر والمراد بالسؤال السؤال عن العموم اول فذاك جماعة من اهل العلم عن لا اله الا الله عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال ابو العالية يسئل العباد عن كلمتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاما كيف الجمع بين قوله لنسئلنهم اجمعين وبين قوله يومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فلا قال ابن عباس سؤال استعلام وسؤال يستعلم فيه عما علم لانه اعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتقدتم فكيف فيقول العذر فيبان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى يومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان سؤال استعلام وقوله لنسئلنهم اجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب اخر وهو مروي عن ابن عباس ايضا انه قال في الايتين يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فتسئلون في بعض المواقف ولا تسئلون في بعضها تكذيبه قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في اية اخرى ثم انكم عند ربكم تختصمون قوله عز وجل فاصدع بما تؤمر قال ابن عباس اظهر وبرئ عنه وقال الضحاك اعلن واصل الصدع الشق والفرق اي فرق القرآن بين الحق والباطل امر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الذي ارسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي

على التعليم واستحيا

صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الاية فخرج هو واصحابه فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين اي اكبب عنهم وابه
تلتبث الروم على ظهور دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اصدع عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله انا
كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من قومه اصحاب بزوا اكثر المفسرين على ان هذا الامر منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ما للنسخ لان معنى
الاعراض هو الصبر لا تتبعهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز
وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اصدع بما امرتك به ولا تخف احدا غيري فاني اكفيك واحابك كما كفيناك
المستهزئين وكانوا خمسة نفر من قومه فريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد
ابن المغيرة المخزومي وكان راسهم والعاص بن وايل السهمي والاسود بن المطلب والحارث بن الطلطلة والحارث بن قيس بن عدي
زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم اعم بصره فولده الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن
عبد مناف بن زهرة والحارث ابن قيس بن الطلطلة كذا ذكره البغوي وقال ابن الجوزي الحارث بن قيس بن عيطلة قال
الزهري عيطلة امه وقيس ابوه وهو منسوب الى امه قال المفسرون ان جبريل عليه السلام اتى الى رسول الله صلى الله عليه
والمستهزئون كانوا يطوفون بالبيت فجاء جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه الى جنبه ومر به الوليد بن المغيرة فقال
جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فقد فد كفيته واومى الى ساق الوليد ومر الوليد برجل من خزاعة فقال لم لم
ابن سلالة وعليه بردان وهو حرازار فتعلقت بسبلته من النبل ما اراد الوليد فمنعه الكبر ان يحل ازاره فجعل ينفضه حتى
وجعلت تزلق به ساقه فجعل ينفضه حتى مات ومر بهم العاص بن وايل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد
فقال اكفيتنيه فاشار جبريل الى اخمص قدميه فقال قد كفيته فخرج العاص على راحلته ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك
الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجليه فقال لغلامه اعقلني فعقلوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت
رجله حتى صارت مثل رجل البعير فمات مكانه ومر بهم الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد
فقال اعمى الله بصره فاشار جبريل الى عينيه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلته ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك
الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجليه فقال لغلامه اعقلني فعقلوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت
رجله حتى صارت مثل رجل البعير فمات مكانه ومر بهم الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد
فقال اعمى الله بصره فاشار جبريل الى عينيه وقال قد كفيته فخرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تطوى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا
الى هذا نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه بعد وانه باطل الطعام والشراب ولقد رايت عليه حلة شراها او قال شريت له بمائتي درهم
فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النحل وهي مكية

الى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة وهي قوله
في قتل حمزة قاله ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انها مكية غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا
قليلا الى قوله تعلمون وقال قتادة هي مكية الا خمس ايات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا وقوله وان عاقبتم الى اخر السورة زاد مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الاية وضرب الله مثلا قرية كانت
امنة مطمئنة وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون اية والفان وثمانون
كلمة واربعون كلمة وسبعة الاف وسبعمائة وسبعة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اتى امر الله يعني جاء
ودنا وقرب امر الله تقول العرب اتاك الامر وهو متوقع المجيء بعد ما اتى ومعنى الاية اتى امر الله وعدا فلا تستعجلوه يعني
وقوعا والمراد به مجيء القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم
ان القيامة اقتربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما راوا انه لا ينزل شيء قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله
اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد لم نر شيئا مما تخوفنا به فنزل قوله
تستعجلوه تعالى اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم وظنوا انها قد اتت حقيقة فنزل
فلا تستعجلوه فاطمانوا والاستعجال طلب مجيء الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية بعثت في نفسي الساعة
فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة ولما مر
جبريل باهل السموات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هذا عقوبة
المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الاية وقتل النضر يوم بدر صبرا سبحانه وتعالى عما يشركون
اي تنزه الله وتعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح يعني بالوحي من امره وانما سمي
الوحي روحا لان به تحيى القلوب من الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع
يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل على من يشاء من عباده يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة والرسالة وتبليغ
الوحي الى الخلق ان انذروا يعني بان اعلموا انه لا اله الا انا فاتقون اي فخافون وقيل معناه مروهم بقول لا اله الا الله
منذرين يعني مخوفين بالقرآن خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون تقدم تفسيره خلق الانسان من نطفة فاذا هو
خصيم مبين يعني انه جادل بالباطل بين الخصومة فيه هذه الاية نزلت في ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر ان الله يحيي هذا العظم بعد ما رم فنزلت هذه الاية ونزل فيه ايضا قوله قال من يحيي العظام وهي رميم
والصحيح ان الاية عامة في كل ما يقع فيه الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحمله على العموم اولى وفيها بيان القدرة وان
خلق الانسان من نطفة فصار الخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم
قوله عز وجل والانعام خلقها لكم لما ذكر الله تعالى خلق السموات والارض ثم اتبعه بخلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في
سائر ضروراته ولما كان اعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس الذين يقوم بهما بدن الانسان بدا بذكر الحيوان المنتفع به في
ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم
ابتدا فقال تعالى فيها دفء فقال ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا فقال فيها دفء قال صاحب النظم
احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم ابتدا بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها
جمال والتقدير ولكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كان منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدا الله تعالى
بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يشتد فانه من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف
والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم ومنافع يعني النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به في الانعام

الجمحي

ومنها تأكلون يعني من لحومها فإن قلت قوله ومنها تأكلون يفيد الحصر لأن تقديم الظرف يؤذن بالاختصاص
وقد يؤكل من غيرها قلت الأكل من هذه الأنعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها كالدجاج
والبط والأوز وصيد البر والبحر فغير معد به في الأغلب وأكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الأغلب
في الأكل من هذه الأنعام فإن قلت منفعة الأكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخر منفعة الأكل وقدم منفعة
اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الأكل فلهذا قدم على الأكل وقوله تعالى ولكم فيها يعني
في الأنعام جمال أي زينة حين تريحون وحين تسرحون الإراحة رد الإبل إلى بالعشي إلى مراحها حيث تأوي إليه بالليل ويقال
سرح القوم إبلهم سريحا إذا أخرجوها بالغداة إلى المرعى قال أهل اللغة وأكثر ما تكون هذه الإراحة أيام الربيع إذا
سقط الغيث ونبت العشب والكلأ وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما يكون النعم في ذلك الوقت فمن الله تعالى بالتجمل
بها كما من بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لأن الوعاة إذا سرحوا النعم بالغداة
إلى المرعى وروحوها بالعشي إلى الأقبية والبيوت سمع للإبل رغاء وللشياه معار يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك
تفرح أربابها ويتجمل بها الأقبية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس فإن قلت لم تقدمت الإراحة على التسريح قلت
لأن الجمال في الإراحة وهو رجوعها إلى البيوت أكثر منها وقت التسريح لأن النعم تقبل من المرعى ممتلئات البطون
حافلة الضروع فيفرح أهلها بخلاف تسريحها إلى الرعي فإنها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ
في التفرق والانتشار للرعي في البرية فثبت بهذا البيان أن التجمل في الإراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله تعالى
وتحمل أثقالكم الأثقال جمع ثقل وهو متاع المسافر وما يحتاج إليه من آلات السفر إلى بلد يعني بلدكم قال ابن عباس يريد
من مكة إلى اليمن وإلى الشام وإنما قال ابن عباس هذا القول لأنه خطاب لأهل مكة وأكثر تجارتهم وأسفارهم إلى اليمن
والشام وحمله على العموم أولى لأنه خطاب عام قد حول للكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين لم تكونوا بالغيه
يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه إلا بشق الأنفس يعني بالجهد والعناء والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا
لم تكونوا بالغيه يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها إن ربكم لرءوف رحيم
يعني بخلقه حيث خولهم هذه المنافع رحيم يعني بهم قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها هذه الآية عطف على ما
قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لأجل أن تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والنساء وزينة
يعني وخلقها زينة مع المنافع التي فيها فصل احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس
وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب وإليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة واستدلوا أيضا بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة
الركوب فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر فلما لم يذكره الله علمنا تحريم أكله ولأن الله خص الأنعام
بالأكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل وذهب جماعة
من أهل العلم إلى إباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق
واحتجوا على إباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا
ونحن بالمدينة فأكلناه أخرجه البخاري ومسلم وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية وأذن
في الخيل وفي رواية أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحوش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الأهلي هذه رواية البخاري
ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابنا مخمصة فنهانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بأن ذكر
الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها مختصة بذلك وإنما خص هاتان المنفعتان بالذكر لأنهما معظم المقصود
قالوا ولهذا سكت عن حمل الأثقال عن الخيل وقال البغوي ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها
تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه إباحة لحوم الخيل أن السنة
مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي أن الخيل والبغال مخلوقة للركوب والزينة وكان الأكل مسكوتا عنه زاد الأمر
فيه على الإباحة والتحريم فوردت السنة بإباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير أخذنا به جمعا بين النصين والله
أعلم وقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما ذكر الله تعالى الحيوانات التي ينتفع بها الإنسان في جميع حالاته

BULAC

وضروريا له على سبيل التفصيل ذكر بعضها مما ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال ان مخلوقات الله عز وجل
في البر والبحر والسموات اكثر من ان تحصر او يحيط بها عقل احد وعلمه فلهذا ذكر كلا على الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا
تعلمون يعني ما اعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقال قتادة ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في الثياب والدود في الجوز كما قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل القصد استقامة
الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا ذاك مكلوك وفي الاية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان ما يرضي الله عز
من الضلالة وقيل معناه على الله بيان كل ما يقرب الى الله من الايات والبراهين ومنها جائر يعني ومن السبيل سبيل جائر عن الاستقامة
بل هو معوج بالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها كل الملل المبعودية والنصرانية وسائر ملل الكفر قال الزجاج
ابن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها
جائر اهواء البدع ولو شاء لهداكم اجمعين فيه دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وقال الزجاج منهم لان
لو كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم اجمعين معناه ولو شاء لهداكم لاهتدى
وذلك انه يفيد تعالى من نعمته على عباده هدايتهم الى ما شاء بلا جبر وما هداكم فوله عز وجل هو الذي انزل من السماء
ماء لما ذكر الله نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة اعقبه بذكر انزال الغيث من السماء وهو من
اعظم النعم على العباد فقال وهو الذي انزل يعني الله الذي خلق جميع الاشياء وهو الذي انزل من السماء ماء يعني المطر
لكم منه يعني ذلك الماء شراب يعني تشربونه ومنه يعني ومن ذلك الماء شجر الشجر في اللغة ما له ساق من نبات
الارض وقيل الواحد عن اهل اللغة انهم قالوا الشجر اضداد فاما خاص الشجر فهو ما انبت على ساق في الشتاء وامر
ورق الشجر فصنفان احدهما يبقى له رونق الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما يبقى له ساق في الشتاء كالعنبر وقال
ابو اسحاق كل ما ينبت على الارض فهو شجر اراد انهم يشفون الخيل اللبن اذا جدبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الاية
معنى النبات ومعنى الاية انه ينبت بالماء الذي انزل من السماء ما ترعى الراعية مرورا في الشجر لان الابل ترعى كل الشجر
فيه يعني في الشجر تسيمون يعني ترعون مواشيكم يقال السمت السائمة اذا خليتها ترعى وسامت هي اذا رعت حيث شاءت
فينبت لكم اي ينبت الله لكم وقيل نبت على التعظيم لكم به اي بذلك الماء به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات لما ذكر الحيوان تفصيلا واجمالا اعاد ذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير
وما اشبهه لان به قوام البدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن وبارك فيه وثلث بذكر النخيل لان
ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانه اشبه النخيل في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا
للتشبيه بذلك على عظم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى ان في ذلك يعني الذي ذكر من انواع الثمار لاية يعني علامة
دالة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يتفكرون يعني بما ذكر من دلايل قدرته ووحدانيته وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم تقدم تفسيره في سورة الاعراف مسخرات بأمره يعني مذللات مقهورات تجري
فعله وارادته وقيل رد على الفلاسفة والقدرية الذين ينكرون ان هذه النجوم يقتفون ان هذه النجوم هي الباقية المتصرفة في العالم
السفلي فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات في تسييره مذللات لامره يجريها كيف شاء ويختار وانها ليست لها تصريف في تسييرها بل هي مقهورات تحت قدرته يجريها كيف
يشاء ويختار وانها ليست لها تصريف في تسييرها بل هي مقهورات تحت قدرته يجريها كيف شاء ويختار وانها ليست لها تصريف في تسييرها بل هي مقهورات تحت قدرته يجريها كيف
ش

جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه او بالعزوف او الصيد منه فذكر هذه الثلاثة فقط من
من انواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا بعد ان ذكر الاصل الذي هو اعظم المقصود
لانه قوام البدن وهو ذكر الكبد مزيد فائدة الى قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله صالحا للطعام لم به من قدرة
الله تعالى ما يعيي بالكلية لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الكثير الذي لا يحصى من غير مؤنة على انه انما حدث بقدرة
الله تعالى وخلقه لا بحسب الكثير وعلى ذلك انه قادر على اخراج الصيد من البحر وسخر فيه الثانية فوله تعالى وتستخرجون
حلية تلبسونها يعني اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لان زينة الرجل بالحلي وانما هو للاجل الرجال
بخلاف ذلك زينة لهم الصنعة الثالثة قوله تعالى وترى الفلك يعني السفن مواخر فيه يعني جواري فال قتادة مقبلة ومدبرة
وذلك انك ترى لتعيينين احداهما تقبل والاخرى تدبر بريح واحد واصل المخر في اللغة الشق يقال مخرت السفينة
مخرا اذا شقت الماء نحوه وقال مجاهد مواخر الشق يعني انها اذا جرت تسمع لها صوت قال ابو عبيدة يعني صوائح
والصرصوت هبوب الريح عند شدة تهب وقال الحسن مواخر يعني مواقر اي مملوءة متاعا لتبتغوا من فضله يعني الارباح
بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون يعني انعام الله تعالى عليكم اذا رايتم منع الله تعالى بها كفى لكم وانتم في البر والبحر والسبب
في جبال الثقال ان تميد بكم يعني لئلا تميد بكم وتضطرب والميد هو اضطراب الشيء العظيم وقال وهب لما خلق الله
الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا وقد ارست بالجبال فلما رات
الملائكة ما خلقت الجبال وانهارا يعني وجعل فيها انهارا الان في بمعنى الجعل بقوله تعالى وانهارا معطوف على الفعل
المقدر الذي الجبال الذي بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار واصولها تكون من الجبال وسبلا يعني وجعل فيها كما فا
مختلفة تسلكونها في اسفاركم والتردد فيها من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان لعلكم تهتدون يعني بتلك السبل
الى ما تريدون فلا تضلون وعلامات يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في اسفاركم قال بعضهم ثم الكلام عند قوله
وعلامات ثم ابتدا وبالنجم هم يهتدون وقال محمد بن كعب والكلبي اراد بالعلامات الجبال وبالجبال علامات النهار
والنجوم علامات الليل وقال مجاهد اراد بالفعل النجوم بعضها مايكون علامات ومنها ما يهتدون به وقال السدي اراد بالنجم
الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي وبهذه يقتدي بعامة الليل والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة
اشياء لتكون زينة السماء ومعالم للطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به قوله عز وجل افمن يخلق
كمن لا يخلق لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل
وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآية المتقدمة كالشاهد الذي لا يدفع وجود الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد
بخلق جميعها قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تقدر على
ايجاد شيء من خلق في هذه الاشياء الموجودة وهو الله تعالى كمن لا يخلق في هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة
انها جمادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق
هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله افلا تذكرون يعني ان هذا القدر كاف غير خاف على احد فلا يحتاج فيه
الى فضل العقل والتكميل بمزيد التذكير فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بهذا الذي في الآية سؤال الاول فقوله كمن لا يخلق
الواحد به الاصنام وهي جماد لا تعقل وكيف يجعل عنها بلغة من هو حي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا
هذه الاصنام الهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل على زعمهم الثاني قوله افمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه انزاع العجز عن عبد الاصنام
حيث جعل غير الخالق مثل الخالق وكيف قال على سبيل الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة واعطى هذه
النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يرى عبادة
من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها وتشتغل بعبادة هذه الجمادات التي لا تخلق شيئا البتة وقوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعلانية الجسم واعضاء النعم
الجمة والعقل السليم والشهوة التي بها يكتسب الاشياء وبكتسب اليسر وسعي الرجلين الى غير ذلك مما انعم الله به عليه
في تقليبه وفيما انعم الله به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من امر الدين والدنيا حتى لو ازم احد معرفة هذه

فهم من هذه الآية يعجز من هو بهذه الصفة وكيف بهذه المعاني التي لا يمكن الوصول الى عشر معشار جميع الخلق بذلك فوله وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها يعني لو اجتهدتم في ذلك واتعبتم انفسكم فلن تقدروا على ان الله لغفور يعني لتقصيركم في القيام بشكر
نعمه كما يجب عليكم رحيم يعني بخلقه وسع عليهم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون يعني ان الكفار مع جهلهم كانوا يسرون اشياء وهو ما كانوا يضمرون النبي صلى الله عليه وسلم وما تعلنون يعني ما تظهرون
من اذيته باخبرهم الله عنه على بكل احوالهم سرا وعلانية لا تخفى عليه خافية وانه فقد وخيبت وقبل ان الله تعالى لما ذكر الاصنام
وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة عالم بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه
الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى والذين تدعون من دون الله يعني
الاصنام تدعونها الهة من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون بان قلت قوله في الآية المتقدمة افمن يخلق كمن
لا يخلق يدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيئا وقوله تعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وهذا هو بعين المعنى في تلك الآية
فما فايدة هذا التكرار قلت فايدته ان المعنى المذكور في الآية المتقدمة انهم لا يخلقون شيئا بقولهم والمذكور في
هذه الآية انهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون بغيرهم وكان هذا زيادة في المعنى وهو فايدة التكرار اموات يعني جمادات
غير قابلة للحياة فيها جبر يا حياء يعني كيف تعبدونها وكيف تسمونها الهة والمعنى لو كانت هذه الاصنام الهة كما يزعمون لكانت احياء فيجوز عليها
الموت لان الاله الذي يستحق ان يعبد هو الحي الذي لا يموت ولما كانت هذه اموات غير احياء فلا تستحق العبادة
فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير محلها وما يشعرون يعني هذه الاصنام ايان يبعثون يعني متى يبعثون يوم القيامة
حتى تنتظر من عابديها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون فوله تعالى الهكم اله واحد يعني
الذي يستحق العبادة هو اله واحد وهذه اصنام متعددة فكيف تستحق العبادة فالذين لا يؤمنون بالآخرة فلوبهم
منكرة يعني جاحدة لهذا المعنى وهم مستكبرون يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تاركه كبير الاجرم يعني
حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ان الله لا يحب المستكبرين يعني عن اتباع الحق عن ابن مسعود ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال وان
الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس فوله بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا
على قول من جعل اصل التركيب من الجاهل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند استماع الحق فلا يقبله وفوله وغمط الناس
فيه اعمكت حق فيه اذا احتقرته ولم تر شيئا وكذا معنى غمصته اذا استنقصته وازدريته فوله عز وجل واذا قيل
لهم يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا بالله وكفروا اذا سألهم الحاج الذين يفدون
عليهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين يعني احاديثهم واباطيلهم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اللام في ليحملوا
لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم يعني ذنوب انفسهم
وافعالهم كاملة لان البلايا التي اصابتهم في الدنيا واعمال البر الذي عملوا في الدنيا لا يبقى عنهم شيء يوم القيامة بل
يعاقبون بكل اوزارهم قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على انه تعالى سيعذب بعض الكفار بعذاب هو مختص
اذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص بعضهم بهذا الكلام فايدة وفوله تعالى ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم يعني ويحمل الرؤساء الذين اضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل اوزار الاتباع والشيء به ما روي عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم
شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من يتبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا اخرجه مسلم ومعنى الحديث
والله اعلم ان الرئيس الكبير اذا سن للناس سنة حسنة او سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة وعملوا بها فان الله تعالى يعطي
ثواب او عقاب حتى يكون ذلك الثواب او العقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا السنة الحسنة
او القبيحة ويستوي المراد ان تعالى يوصل جميع الثواب او العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل
الله ببعيد لكقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فالواحد هو المراد من في قوله ومن
اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لتضمن ان الاتباع يحملون الاوزار وذلك غير جايز لقوله
تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى والمثل لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا الكفها الجنس ليحملوا من جنس اوزار الكفار وفوله بغير علم

يعني الرسل انما يفعل من عاجلا غير هم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الفعل ابل يفعل من عاجلت
جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد لاساءة ما يأتون يعني الذي يعملون فيه وعيد وتهديد لهم فوته تعالى
قد مكر الذين من قبلهم يعني من قبل كفار قريش وهم نمرود بن كنعان الجبار وكان اكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم عليه السلام
وكان ملكه اربعمائة سنة بنى برجا بابل ليصعد الى السماء وقيل انما فعلوا ذلك على زعمهم فان ابن عباس رضي الله عنهما كان لهم البصر في السماء
خمسمائة الف ذراع وقيل كانوا كفارا ومقاتلا كانوا مؤمنين بعثت اي بفصفقة والفتح لغتان في البيع وحز عليهم البناء
باعلاهم وهم تحته والسقف تبلبلت الالسنة الناس فتكلموا يومئذ بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان
لسان الناس قبل ذلك السريانية فلما هذا ذكر المفسرون وهو انكر لانه تعالى علم انه اكثر من قبلهم وكان يتكلم
بالعربية وكان اهل اليمن عربا منهم جدهم الذين نشأ اسماعيل بينهم ولعلا منهم العربية وكان قبل ابراهيم
ابراهيم مثل هسم وجديس ولام العمالقة ثم فتكلموا في قيم الناس بالعربية وبدا على لغة هذا قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الاولى وقيل حمل قوله مكر الذين من قبلهم على العموم واولى ان تكون الاية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق
الضرر والمكر بالغير وقوله فاتى الله بنيانهم من القواعد يعني قصد الى تخريب بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم بريح
فقصفت بنيانهم من اساسه وانهم بزلازل فلعقت بنيانهم من القواعد واساسه هذا اذا حملنا تعيين الاية على القول الاول
وهو ظاهر اللفظ وان حملنا تعيين الاية على القول الثاني وهو حملها على العموم وكان المعنى انهم لما ارادوا مضرات
ليمكروا بالله على انبياء الله والمؤمنين عباده باهلكهم الله وجعل لما كتم مثل نوع بنوا بنيانا وسما شديدا واوزعوها باساسه
باتهم ذلك البنيان وسقف عليهم باهلكهم بنحو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر باخيه باهلكه الله بمكره ومنه المثل
المشاير على السنة الناس من حفر لاخيه او فعه الله فيه وقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم يعني سقط عليهم
السقف باهلكهم الله ومن فوقهم للتاكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لا يكونوا تحت السقف
عند سقوطه بل لما فاز من فوقهم على انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكهم وما توا تحته واتاهم العذاب من حيث لا
يشعرون يعني من مأمنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم ثم يوم القيامة
يخزيهم يعني يفضحهم بالعذاب ويهينهم بالعذاب ويحصل لهم في الدنيا والاخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان ويقول
يعني ويقول الله لهم يوم القيامة اين شركائي يعني في زعمكم واعتقادكم الذين كنتم تشاقون فيهم يعني كنتم تعادون وتخالفون
المؤمنين وتحاربونهم في شأنهم لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى اين شركائي
ليعضدوكم ويدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان قال الذين اوتوا العلم يعني المؤمنين وقيل الملائكة ان الخزي
يعني الهوان اليوم يعني بعد اليوم هو القيامة والسوء يعني العذاب على الكافرين وانما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة
لان الكفار لما كانوا يستهزؤون بالمؤمنين في الدنيا ويتكبرون عليهم احب الله ان يوم القيامة تظهر فيه الحق والزموا
بانواع الكرامات واهين اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين
وبداية هذا القول اظهار الشماتة فيكون اعظم في الهوان والخزي الذين تتوفاهم الملائكة تقبض ارواحهم وهم ظالمي
انفسهم وانواعه فالقوا السلم يعني بالكف فالوا السلم يعني انهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذي نزل بهم وقالوا
ما كنا نعمل من سوء يعني شرك وانما قالوا ذلك من شدة الخوف بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني بلا بد لكم
من الجزاء على اعمالكم فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها يعني الدركات السبع فلبئس مثوى المتكبرين يعني
مقر المتكبرين يعني عن الايمان قوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وذلك ان اهل الموسم
كانوا يقعدون على طرقات مكة من اقبل منهم سأل الوافد عن محمد فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا المرء تلقى خبرك فيقول الوافد انا نشهد
والله ان كان لكما تقولون فيه وانه نبي مبعوث من الله عز وجل وذلك قوله وقيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا يعني انزل خيرا فان قلت
ما وجه الرفع في قوله خيرا وهو جواب السؤال قلت الرفع في خيرا على معنى هو خير انزل ولو نصب على معنى انزل
لجاز كما يجوز في جواب هذا زيد قائما وقائما على الحال وجواب السؤال في الموضعين ذلك لانهم لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب

عز السؤال وقالوا هو اسما لخير الا ترى ان ليس هو من انزل شيئا لانهم لم يعتقدوا انزاله ولما سألوا المؤمنين عن
انزال ربهم على النبي صلى الله عليه وسلم لم يجهلوا وانما قالوا ابواب السؤال مفتوحة وما يقولوا لما انزل فيجيبوا الا انزل خيرا وتم
الكلام عند قوله خيرا ثم ابتدأ فقال ﴿للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ اي الذين اتوا بالاعمال الصالحات
لهم ثواب حسنة متضاعفة من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هو النصر والغنيمة وقال
مجاهد هي الرزق الحسن وعلى هذا يكون معنى الاية للذين احسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والغنيمة
والرزق الحسن وغير ذلك مما انعم الله على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التاويل قوله ﴿ولدار الاخرة خير﴾ اي في العلم
الاخرة مما اعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا ﴿ولنعم دار المتقين﴾ في الجنة وقال الحسن في الدنيا ان اهل
التقوى يتزودون فيها الى الاخرة والقول الاول وهو قول الجمهور المبشر بان الله يبشر هذه الدار لقوله جنات عدن
﴿يدخلونها﴾ بيان او اقامة من قولهم عدن بالمكان اذا قام به ﴿يدخلونها﴾ اي تلك الجنات يدخلون عنها ولا يخرجون منها تجري من
تحتها ﴿الانهار﴾ اي تجري الانهار في هذه الجنات تحت قصورها واشجارها وقصورهم ومساكنهم ~~في هذه الجنات تحت قصورها~~ ﴿لهم فيها﴾ اي في هذه الجنات ﴿ما يشاءون﴾ اي ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك
وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاءون نفي لعدم الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يحصل له في
الدنيا ﴿كذلك﴾ اي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ اي موحدين كما قال ابن عباس وقال مجاهد زاكية افعالهم واعمالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة
لكل معنى حسن يدخل فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والكفارات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات
والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والصفات المذمومة والخصال المكروهة وقيل معناه
انا وفاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامات فيحصل لهم عند ذلك
السرور والفرح والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم وتطيب لهم الموت على هذه الحالة ﴿يقولون﴾ اي الملائكة
﴿سلام عليكم﴾ تسلم عليهم الملائكة او تبلغهم السلام من الله ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الاعمال
الصالحة فان قلت ~~كيف~~ الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله عليه السلام لن يدخل احدكم الجنة
بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضله ورحمته اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي
هريرة رضي الله عنه قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا تثبت بالعقل ثواب ولا عقاب
ولا اجر ولا اثم ولا غير ذلك من انواع التكاليف ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل
السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل العالم ملكه والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل فيهم ما يشاء فلو عذب المطيعين
والصالحين اجمعين وادخل النار كافة ذلك عدلا منه واذا رحمهم ورحمهم وادخلهم الجنة كان ذلك فضلا منه ولو تصح
الكلام بين واحد فلم الجنة كان ذلك لموله لكنه تعالى اخبر وخبره صدق لا يبدل لهذا لم يغفر للمومنين ويدخلهم الجنة برحمته
ويعذب الكافرين ويزيدهم النار عدلا منه واما المعتزلة فيستحقون الاجر بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاعمال
بضبط كما قال تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المستقبحة لنصوص الشرع وكلام الحديث دلالة على الخوانه لا يستحق احد
الجنة والثواب بطاعته واما قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوهما من
الايات التي تدل على ان الاعمال يدخل بها الجنة والتعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الاية ادخلوا الجنة بسبب الاعمال
ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله وبهذا انه لم يدخل احد الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث
وبهذا انه دخل الاعمال الى بعضها وهو من الرحمة الله اعلم قوله تعالى ﴿هل ينظرون﴾ اي هل ينتظر ﴿الذين اشركوا﴾ الله وحدوا ابوتك
﴿الا ان تاتيهم الملائكة﴾ اي لقبض ارواحهم ﴿او ياتي امر ربك﴾ اي بالعذاب في الدنيا وهو العذاب بالاستيصال
وقيل المراد به يوم القيامة ﴿كذلك﴾ اي مثل هذا التزيين ﴿فعل الذين من قبلهم﴾ اي من الكفار المكذبين ﴿وما ظلمهم الله﴾ اي بتكذيبه اياهم ﴿ولكن كانوا انفسهم
يظلمون﴾ اي بالكفر بها بهم الله من العذاب والاعمال الخبيثة وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون والمعنى نزل بهم جزاء استهزائهم وقال
﴿الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ اي من البحيرة والسائبة وغيرهما يعنون ان الله لو كره
عبادتنا للاصنام لحال بيننا وبين ذلك فلما لم يحل بيننا وبين ذلك علمنا انه يرضى منا ذلك وانه امرنا به قال الله تعالى
﴿كذلك﴾ اي مثل هذا الكلام الذي تكلم به هؤلاء المشركون ﴿فعل الذين من قبلهم﴾ من الامم الخالية في انكار النبوة ﴿فهل على الرسل﴾ اي ما على الرسل ﴿الا البلاغ المبين﴾ اي ليس عليهم الا ان يبلغوا الرسالة ويبينوا ما امروا به ونهوا عنه وقد فعلوا ذلك وليس عليهم ان يجعلهم مهتدين ولم يجئ

فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى

عمل

ولو شاء الله منا الكفر لحصل لو لم يجئ واذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن
هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله فكان بعثة الرسل عبثا هذا اعتراض على الله وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله وفي افعاله
~~ولا يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت~~ وهو باطل لان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه وافعاله ولا
يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم لم تفعل هذا وكان في حكم الله وسنته في عباده ارسال الرسل اليهم يامرونهم بعبادة الله
وينهاهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فمن هداه فهو المهتدي ومن اضل فهو الضال فهذه سنة الله في عباده
انه يامر الكل بالاعمال به وينهاهم عن الكفر ثم انه تعالى يهدي من يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما
كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا
اباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم يستحقون
عليه الذم والوعيد واما قوله ولا حرمنا من دونه من شيء يعني الوصيلة والسائبة والحامي والمعنى فلولا ان الله رضيها لنا
لغير ذلك لهدانا الى غيرها كذلك فعل الذين من قبلهم يعني ان من تقدم من كفار الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل
الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الامم الخالية فهل على الرسل الا البلاغ المبين يعني ليس اليهم هداية احد انما
عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه ولقد بعثنا في كل امة رسولا يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يعني ان الرسل كانوا يامرونهم ان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو كل
معبود عبد من دون الله فمنهم يعني فمن الامم الذين جاءوا بهم الرسل من هدى الله يعني هداهم الله الى دينه وتصديق رسله ومنهم
من حقت عليه الضلالة يعني من الامم من وجب عليهم الضلالة بالقضاء السابق في الازل حتى مات على الكفر والضلال وفي هذه
الاية ابين دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المشرف في عباده فيهدي من يشاء ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه
فيما حكم به في سابق علمه فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين
لتعرفوا مآل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر والتكذيب
كما نزل بهم قوله عز وجل ان تحرص على هداهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص يا محمد على هؤلاء وايمانهم
وتجهد كل الجهد فان الله لا يهدي من يضل قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من اضله وقيل معناه لا يهتدي
من اضله الله وقرا بعضهم بضم الياء وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا هادي له وما لهم من ناصرين يعني من مانعين
يمنعونهم من العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم قال ابن الجوزي بسبب نزول هذا ان رجلا من المسلمين كان له
على رجل من المشركين دين فاتاه يقتضيه فكان فيما تكلم به المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك وانك لتزعم
انك تبعث بعد الموت فاقسم ان لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الاية فقال ابو العالية وتقدير الشبهة التي حصلت
للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبلي
امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فني ولم تبق له ذات ولا حقيقة فعد فنائه وعدمه وهذا هو اصل
شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
فرد الله عليهم ذلك واكذبهم في قولهم فقال تعالى بلى يعني بل يبعثهم الله بعد الموت لان لفظة بلى اثبات بعد النفي والجواب
عن شبهتهم ان الله خلق الانسان واوجده من العدم ولم يكن شيئا فالذي اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد
اعدامه لان النشأة الاخرة اهون من الاولى وعدا عليه حقا يعني الذي وعد به من البعث بعد الموت وهذا حقا لا خلاف
فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه يعني الذي وعد يعني من امر البعث ويظهر الحق الذي
لا خلاف فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يعني في قولهم لا بعث بعد الموت انما قولنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون يعني ان الله تعالى اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في احيائهم وبعثهم انما
يقول لشيء اراده كن فيكون على ما اراد الله لانه القادر الذي لا يعجزه شيء اراده خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمني ابن ادم وما ينبغي ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي
فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد قوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد
ما ظلموا يعني اوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهل اخذهم المشركون

BULAC

مكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام وهم المستضعفون فأما بلال فهان عليه نفسه في الله فخرجوه الى رمضاء مكة في الشمس وجعلوا يعذبونه ليرجع عن دينه فكان يقول وهو في ذلك أحد أحد حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاشتراه منهم بغلام له أسود يقال له نسطاس وقيل اشتراه بسبعة أعبد وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخر وأما صهيب فقال لهم لستم بخير مني ان كنت معكم قبلا أنفعكم وان كنت عليكم قبلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه بمر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا صهيب ربح البيع وأما بلال فبيعهم باعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم هاجروا من مكة باختيارهم من ديارهم حتى لحق كما يعة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة لهم وتهاجروا اليها وجعل لهم انصارا من المؤمنين فآووهم ونصروهم وواسوهم وهذه الاية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على ان الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع بكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد آخر ومنه حديث الدجال بالنجاة وفيه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الدنيا يصيبها او الى امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث الى آخره في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله تعالى لنبوئنهم في الدنيا حسنة يعني لنبوئنهم تبوئة حسنة وهو انه تعالى انزلهم بالمدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم في الدنيا دار الحسنة وهي المدينة روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة ثم يقرأ هذه الآية وقيل معناه لنحسنن اليهم في الدنيا بان نفتح لهم مكة ونمكنهم من أهلها الذين كذبوهم وأخرجوهم منها ثم تنصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة في التوفيق والهداية الى الدين ولاجر الآخرة أكبر يعني أعظم وأفضل وأشرف مما أعطاهم في الدنيا لو كانوا يعلمون قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة والمعنى لو كان لهؤلاء الكفار يعلمون ان أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله في الآخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين الذين صبروا يعني في الله على ما نالهم من الأذى والمكروه وهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل النفس والمال في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما مبدأ السلوك الى الله ومنتهاه أما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على احمال البر وسائر الكمالات واجتناب اللاتي من الخلق والصبر على الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل والانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدأ السلوك الى الله والثاني هو آخر الكمال ومنتهاه وقوله عز وجل وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم نزلت هذه الآية جوابا لمشركي مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من ان يكون رسوله بشرا مثلا بعث ملكا الينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعني مثلك يوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق انه لم يبعث الا رسولا من البشر تلك عادة مستمرة وسنة جارية قديمة فاسئلوا أهل الذكر يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى ابن مريم وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فان أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم ان كنتم لا تعلمون الخطاب لاهل مكة يعني ان كنتم يا معشر لا تعلمون ذلك بالبينات والزبر واختلفوا في المعنى الجار في هذا بقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا نوحي اليهم ولم يبعث ملائكة وقيل ما معناه وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسئلوا أهل الذكر يعني أهل العلم والمعنى فاسئلوا أهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لا تعلمون انتم تلك البينات والزبر ليجمع ما ينكاملا ما ينكامل به أمر الرسالة لان مدار أمر الرسل على المعجزات الدالة على صدقهم وهي البينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل وأنزلنا اليك الذكر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا عليك يا محمد الذكر الذي هو القرآن وانما سمي ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيهات للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم يعني ما أجمل من أحكام القرآن وبيان الكتاب يكلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا أمر الله عز وجل بالتفكر فيه ليعلم ان القرآن مجمل والحديث مبين لذلك وهذه الآية والتي بعدها مفيد على المجمل وفي بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجوز ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويكلب بيانه من السنة فقوله لتبين للناس ما نزل اليهم فحوى على ما أجملوه من الحكم المبين بعض ولعلهم

يتفكرون

فيهلكهم يعني فيما أنزل إليهم فيعملون به أفأمن الذين مكروا السيئات فيه إضمار تقديره أفكر الذين اشتغلوا ومكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالقرآن في إذايتهم والمكر مجاز في الشيء بالاعتماد على سبيل الاستعمال وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة الله ليتكون مكرهم على تعسيهم والصحيح أن المراد بهذا المكر المشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله والصحيح أن المراد بهم أهل مكة أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون قبلهم أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون يعني أن العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما أهلك قارون وغيره قبلهم أو يأخذهم في تقلبهم يعني في تصرفهم في الأسفار وإنه تعالى قادر على إهلاكهم في السفر كما هو قادر على إهلاكهم في الحضر قال ابن عباس يأخذهم في أسفارهم وتجارتهم في جميع أحوالهم فما هم بمعجزين يعني بسابقين الله بل هو قادر عليهم أو يأخذهم على تخوف قال ابن عباس وابن عرفة يعني على تنقص قال ابن عزيزة التخوف التنقص ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه إذا استنقصه وأخذ ماله وحشمه وبقال هذه لغة لهذيل ومعنى هذا القول يكون المراد به أنه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من التخوف بمعنى أنه تعالى لم يأخذهم بالعذاب أولا بل يخوفهم ثم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني كما يخافون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل أنه تعالى خوفهم بخسف بعض الأرض أو بعذاب يأتي من السماء أو بآيات تحدث دفعة أو بآيات تحدث قليلا قليلا إلى أن يأتي الهلاك على آخرهم ثم أنه تعالى ختم الآية بقوله فإن ربكم لرءوف رحيم يعني أنه تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة والعذاب فوله تعالى أولم يروا قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة أولم ما خلق الله من شيء يعني من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بإلى لأن المراد بها الاعتبار لا يكون إلا بنفس الرؤية التي تكون هي النظر إلى الشيء ليتأمل حاله ويتفكر فيه ويعتبر به يتفيؤا ظلاله يعني تميل وتدور من جانب إلى جانب يقال فاء الفيء عاد الظل تم تعود في أخر النهار الرجالة أخرى ويقال للظل بالعشي فيء يعود في الآية من أول يعني إذا رجع من المغرب إلى المشرق وإلى الرجوع قال الأزهري فيء الظل رجوعه بعد انتصاف النهار بالتغيير ولا يكون إلا بالعشي وما نسخ عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وإنما أضاف الظل وهو جمع إلى مفرد وهو قوله من شيء لأنه يراد به الكثرة ومعناه الإضافة إلى المذكور والظلال وهو جمع عن اليمين والشمائل قال العلماء إذا أكملت الشمس من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك وإذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فإذا مالت الشمس إلى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال قتادة رضي الله عنه والضحاك أما اليمين فأول النهار وأما الشمائل فإلى النهار وأفرد واحد اليمين وإن كان المراد به الجمع للإيجاز والاقتصار في اللفظ وقيل اليمين راجعة للرفيع الشيء وهو واحد والشمائل راجعة إلى المتعدي لأن لفظ الشيء يؤكد به الجميع يسجد لله معنى هذا السجود فولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال للبعير إذا ذلل وأخذ في السير ليركب وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل والمعنى أن جميع الأشياء منقادة لله مستسلمة لأمره غير ممتنعة عليه فيما سخرها لهم منه النمو وغيره قال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله والقول الثاني في معنى هذا السجود أن الظل واقعة على الأرض ولما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الشاخص الظل الله عليها لفظ الظل وقيل لكل شيء ساجد لله سجود لكن ذلك الشيء يسجد له ظله وقيل أن كل ظل وساجد له وهو غير ساجد لله وهم داخرون إذا ما غرون أذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل ما يأمره به شاء أو أبى وذلك أن جميع الأشياء منقادة لله تعالى فإن قيل الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون قلنا وصفها الله تعالى بالطاعة وبالانقياد لما هو وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهي جمع العقلاء فوله عز وجل ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود الملائكة لله عز وجل وسجود العباد وخضوع كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض يحتمل النوعين لأن سجود كل شيء بحسبه فسجود المسلمين والملائكة له سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود وإن يطيع ما في قوله ما في السموات وما في الأرض للتغليب لأن من لا يعقل أكثر ممن يعقل في العدد والحكم للأغلب لتغلب المذكر على المؤنث ولأنه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يجز فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بما ليتناول الكل

ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهي عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب
فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا افرد الملائكة في قوله والملائكة لانهم اولوا اجنحة يطيرون بها وافردهم
بالذكر وان كانوا في جملة من في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة
وسجود غيرهم وتسخيرها لما خلقت له او سجودها لما يعقل والجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعوا
الغافلين الى السجود لله عند التامل والتدبر وهم لا يستكبرون يعني الملائكة يخافون ربهم من فوقهم هو
كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره ويفعلون ما يؤمرون ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطات السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعداء تضرعون
الى الله تعالى قال ابو ذر لوددت اني كنت شجرة تصعد اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن ابي ذر موقوفا فصل وهذه السجدة
من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها وسماعها قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين لما اخبر الله عز وجل في الاية المتقدمة ان كل ما في السموات والارض خاضعون منقادون لامره عابدون له
وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته فنهى في هذه الاية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتاخير تقديره ولا تتخذوا اثنين الهين يعني
ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله انما هو اله واحد لان الالهين لا يكونان متساويين
في الوجود والعدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية للالهية فذلك قوله انما هو اله واحد
فاياي فارهبون يعني تخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى خطاب الحضور وهو من طريقة
الالتفات لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياي فارهبون فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو
ان لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبوا الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه وله ما في السموات والارض لما ثبت بالدليل الصحيح
والبرهان الواضح ان الاله العليم لا شريك له في الالوهية وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي ملكه وتصرفه وتحت
قدرته فذلك قوله وله ما في السموات والارض يعني عبيدا وملكا وله الدين واصبا يعني العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما
والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من احد يذل له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق سبحانه وتعالى
فان طاعته واجبة ابدا او لانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائما ابدا افغير الله تتقون يعني انكم عرفتم ان
الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل من سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو
استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار وقوله عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله يعني فمن نعمة الاسلام
وصحة الابدان وسعة الارزاق وكل ما اعطاكم من مال او ولد وكل ذلك من الله تعالى هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره
على جميع انعامه ولما بين في الاية المتقدمة انه يجب على جميع العباد ان لا يخافوا الا الله تعالى بين في هذه الاية ان جميع النعم منه
فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها ثم اذا مسكم الضر اي الشدة والامراض
والاسقام فاليه تجأرون يعني اليه تستغيثون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما انزل بكم من الضر والشدة واصل الجؤار هو رفع
الصوت الشديد ومنه خوار البقرة والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداءات حصل شدة وضر في بعض الاوقات فلا يفزع الا اليه
ولا يدعى الا اياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى ثم اذا كشف الضر عنكم يعني اذا ازال البلاء والشدة عنكم اذا
فريق منكم يعني طائفة وجماعة منكم فربهم يشركون يعني انهم يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل
فهذا على جهة شكرهم الذي كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى ليكفروا
بما اتيناهم قيل ان هذا اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا نعمة الله عليهم في كشف الضر عنهم وقيل
انها لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما اتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء فتمتعوا لفظ امر والمراد منه
التهديد والوعيد والمعنى فعيشوا في اللذة التي انتم فيها الى المدة التي ضربها الله لكم فسوف تعلمون يعني عاقبة امركم ما
ذا تصير وهو نزول العذاب بكم قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عائد الى المشركين
يعني ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعني ان الاصنام لا تعلم شيئا البتة لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم

الله اعلم وسجود من لا يعقل

من رجح القول

مزيج القول الثاني قال لما اذا قلنا انه عايد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار ليكون المعنى ويجعلون بعض المشركين لله ما يكرهون
انه الله والمحو نصيبا واذا قلنا انه عايد الى الاصنام لم يحتج الى هذا الاضمار للانفكاك عن الهاء والميم وقوله ما يكرهون يعني
ان المشركين جعلوا للاصنام من حروثهم وانعامهم وامواليهم نصيبا مما رزقهم الله وتقدم تفسير في سورة الانعام قال الله
اقسم بنفسه على نفيه انه ليحشرهم يوم القيامة وهو قوله لتسئلن عما كنتم تفترون يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا وتوالم
انهم جعلوا الاصنام اللاتة وان لها نصيبا من اموالهم وهذا التفات من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه ويجعلون لله
البنات وهم خزاعة وكنانة قالوا الملايكة بنات الله وانما اضافوا الى البنات على الملايكة لاستتارهم عن العيون كالنساء
ولذكور الهكم التفات ايضا وتشمئنهم بفتح التاء نزه الله نفسه عن الولد والبنات ولهم ما يشتهون يعني ويجعلون لانفسهم ما
يشتهون يعني البنين واذا بشر احدهم بالانثى البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه اثر الفرح به ولما كان اثر
والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه فكذلك الحزن والغم ايضا يظهر اثره على الوجه وهو الكدرة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن يعني
قوله واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعني متغيرا من الحزن والغم والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة
والمعنى انهم كانوا يكرهون الا يرزق احدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضون ان ينسبت الى الله تعالى فيه تبكيت لهم وتوبيخ
وقوله وهو كظيم يعني انه ظل وجهه ممتلئا حزنا وغما يتوارى من القوم من سوء ما بشر به يحتجب من ذلك القول الذي يغتم
به وذلك ان العرب كانت في الجاهلية اذا قرب ولادة زوجة احدهم توارى عن القوم الى ان يعلم ما ولد له فان ولد له ذكر ابتهج وسر
بذلك وظهر وان كان انثى حزن ولم يظهر اياما حتى يعلم ما يصنع بها وهو قوله تعالى ايمسكه على هون يعني على هوان وانما
ذكر الضمير في ايمسكه لانه عايد على ما بشر به في قوله واذا بشر احدهم ام يدسه في التراب يعني ام يخفي ذلك الذي بشر به في
التراب والدس اخفاء الشيء قال ابن التيمي ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدون البنات احيا، والصحيح في ذلك اما خوف
الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة والحمية فيجاب عليهن من الاسر ونحوه او لكمع غير الاكفاء فيهن وكان الرجل من العرب في الجاهلية
اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها تركها حتى اذا كبرت البسها جبة من صوف او شعر وجعلها ترعى الابل والغنم في البادية
واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا طارت لسداسية قال لامها زينيها حتى اذهب الى اخوالها ويكون قد حفر لها حفيرة في الصحراء فاذا
بلغ بها تلك الحفيرة قال لها انظري الى هذه البير واذا نظرت اليها دفعها من خلفها في تلك البير ثم يهيل التراب على راسها وكان
صعصعة عم الفرزدق اذا حس شيئا من ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك وعمي الذي
منع الوائدات فاحيا الوليد فلم يوأد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائد والموءودة في النار اخرجه ابو
داود وقوله تعالى الا ساء ما يحكمون يعني بيس ما يقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون
لانفسهم البنين الضمير في قوله تعالى الحكم الذي وله الامثل تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه الا ساء ما يحكمون في وأد البنات للذكور
يؤمنون بالاخرة مثل السوء يعني صفة السوء من احتياجهم الى الولد وكراهتهم الاناث وقتلهم وئد البنات ولله المثل الاعلى
يعني الصفة العليا المقدسة وهي ان له التوحيد والله منزه عن الولد وانه الاله هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من
العلم والقدرة والبقاء السرمد وغير ذلك من الصفات التي توجد لله تعالى نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى
شهادة ان لا اله الا الله وهو العزيز اي الممتنع في محل بابه وجلاله الحكيم يعني في جميع افعاله قوله عز وجل ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم يعني بسبب كفرهم تعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وكبرهم وعصيانهم كان فلان الناس اسم جنس
يشتمل الكل وقد قال تعالى في اية اخرى فمنهم من ظلم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم في هذه الاية
ثلاثة اقسام وجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة فلذلك قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم على عمومه لهذه الاية
الاخرى لان جنس الناس الكافر والظالم ومن يملوق عليه اسم الظلم وقيل اراد بالناس الكفار بدليل قوله ان الشرك لظلم
عظيم وقوله ما ترك عليها يعني عز الارض كناية عن غير مذكور كان الدابة لا تدب الا على الارض ومن دابة يعني ان الله تعالى لو اخذ الناس
بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي على وجه الارض فان الدابة وقد يهلك الله تعالى بذنب الظالم غيره بدليل قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
الا ان كان في السفينة مع نوح عليه السلام وروى ابو هريرة رضي الله عنه سمع رجلا يقول لاخيه يا ظالم فقال ابو هريرة فقد يحمر ما قلت ان الحبارى تموت
هزلا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل ليعذب في جحره بذنب ابن ادم وزاد ابو الدابة الظالم بدليل قوله ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا وقيل في معنى الاية ولو يؤاخذ الله الابرار الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الانبياء فلم يبق في الارض احد

ولكن يؤخرهم يعني يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه إلى أجل مسمى يعني انتهاء آجالهم وانقضاء أعمالهم فإذا جاء أجلهم فلا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يعني لا يؤخرون ساعة عن الأجل الذي جعل لهم ولا ينقصون منه وقيل أراد بالأجل المسمى
يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم إلى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عن العذاب ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله
ما يكرهون يعني لأنفسهم وهن البنات وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى يعني ويقولون إن لهم البنين وذلك أنهم
قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله تعالى وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى أنهم مع كفرهم وقولهم
الكذب يزعمون أنهم على الحق وأن لهم الجنة وذلك أنهم قالوا إن كان محمد صادقا في البعث بعد الموت فإن لنا الجنة لأنا
على الحق فأكذبهم الله تعالى فقال لا جرم أن لهم النار يعني في الآخرة لا الجنة وأنهم مفرطون قرئ بكسر الراء مع التخفيف
يعني أنهم مشرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعني أنهم مضيعون لأمر الله وقرأ الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أي منسيون
في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير متروكون وقال قتادة معجلون إلى النار وقال الفراء مقدمون إلى النار والفرط
المتقدم إلى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أي متقدمكم تالله لقد أرسلنا إلى أمم من
قبلك يعني كما أرسلناك إلى هذه الأمة لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك وكان حالهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم فزين لهم الشيطان أعمالهم يعني أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة
هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وإنما جعل الشيطان مزينا بإلقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة أن
يضل أحدا وإنما له الوسوسة فقط فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته فهو وليهم أي ناصرهم
اليوم من كان الشيطان وليه ونصيره فهو مخذول مغلوب مقهور وإنما سماه وليا لهم لطاعتهم إياه ولهم
عذاب أليم يعني في الآخرة وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه يعني من أمر الدين والأحكام
فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام وهدى ورحمة فيما أنزلنا الكتاب إلا بيانا وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون لأنهم المنتفعون به قوله تعالى والله أنزل من السماء ماء يعني المطر فأحيا به يعني بالمطر الأرض يعني
بالنبات والزرع بعد موتها يعني يبسها إن في ذلك لآية يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا لقوم يسمعون
يعني سماع إنصاف وتدبير وتفكير لأن سماع القلوب هو النافع لا سماع الآذان فمن سمع آيات القرآن بقلبه لم
ينتفع بالآيات وإن لكم في الأنعام لعبرة يعني إذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا نسقيكم مما في بطونه الضمير
عائد إلى الأنعام فكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل لفظ الأنعام مفرد وضع لإفادة
الجمع وهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر بحسب المعنى فيكون ضميره ضمير الجمع وهو
مؤنث فلهذا قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول أبي عبيدة والأخفش قال
والكسائي رده إلى المعنى يعني مما في بطونها ذكرانا وقال المورج الكناية مردودة إلى البعض وفيه إضمار فكأنه قال
نسقيكم مما في بطونها اللبن وأضمر اللبن إذ ليس لكلها لبن من بين فرث وهو ما في الكرش من الثفل فإذا خرج منها
لا يسمى فرثا ودم لبنا خالصا يعني من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس إذا أكلت الدابة
العلف واستقر في كرشها وطبخته كان أسفله كرشا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلط عليها
يقسمها بتقدير الله عز وجل فيجري في العروق واللبن في الضروع ويبقى الثفل كما هو سائغا للشاربين يعني
هينا سهلا يجري في الحلق بسهولة قيل إنه لم يغتص باللبن أحد قط هذا قول المفسرين في هذه الآية وحكى الإمام
فخر الدين الرازي قول الحكماء في ذلك فقال لقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه قول
الحسن فإن هذه الحيوانات ذبحا متواليا وما رأى أحد في كرشها دما ولا لبنا يحمل الحق أن الحيوان إذا تناول الغذاء
وصل ذلك العلف إلى معدته وإن كان من الأنعام إلى كرشه فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فما كان منه صافيا
انجذب إلى الكبد وما كان كثيفا نزل إلى الأمعاء ثم ذلك الذي حصل فيه إلى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم
الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فأما الصفراء فتذهب إلى المرارة وأما السوداء
فتذهب إلى الطحال وأما المائية فتذهب إلى الكلية ومنها إلى المثانة وأما الدم فتذهب إلى الأوردة وهي العروق
الثابتة في الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك

العروق

الهروف ٭ الضرع والضرع لحم عدو ٭ ابيض ينبت الله عز وجل ذلك الدم لبنا فهذا صورته تكون اللبن ٭ الضرع
بالبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة من الاشياء العاصلة العاجلة ٭
الكرش باللبن يتركدا ولا من العرث ثم الدم ثانيا ثم من مجلات الله تعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعنده
يتولد اللبن ٭ الضرع خلق الله عز وجل بلطيف حكمته ٭ حكمة الثور ثقيلا وسماه اصيفة فجعلها كالصفات
للبن وكل ما كان لطيفا من اللبن اخرج المصلوا الحلب وما كان كثيفا احتبس ٭ البدن وهو المراد بقوله خالصا
يعني من شوايب كدرة الدم والعرث سايغا للشاربين يعني جاريا ٭ حلوقهم سهلا الذباهين مرجنا قوله
عز وجل ومن ثمرات النخيل والاعناب يعني ولكم ايضا مما يسقيكم ورزقكم من ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه الضمير ٭ منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا
قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابو ابراهيم وابو ابو ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر
الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا والرزق الحسن سايرما تتخذون من ثمرات النخيل والاعناب مثل
الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فلم ذكرها الله ٭ معرض الامتنان والانعام
قلت قال العلماء ٭ الجواب عن هذا ان السورة مكية وهي اول سورة نزلت بمكة ٭ وقت اباحة الخمر ثم ان السورة المايدة وهي مدنية فجاز
ان تنزل هذه الاية ٭ الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه ٭ هذه الاية على تحريم الخمر ايضا
لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن ٭ الذكر ويجب ان يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفي ٭ عن ابن
عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والصحيح من
القولين قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الاية الاخبار لا الاحلال وذلك ان الكفار يمتنون
ان قوله تتخذون منه منسوخ قيل ابن عباس ان هذه الاية يقول السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن
ما حل قلت الفرا بالنسخ فيه فكيف ان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون سكرا خبر والاخبار لا يدخلها
النسخ ومن زعم انها منسوخة زعم ان هذه الاية نزلت بمكة ٭ وقت اباحة الخمر ثم ان الله تعالى حرمها بالمدينة فحكم
على هذه الاية بانها منسوخة وقال ابو عبيدة ٭ معنى الاية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم لك وقال غيره
السكر ما اسد الجوع من قولهم سكرت النهر اي سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا اشبه قول ابي عبيدة
ان السكر الطعم ٭ ذلك يعني الذي ذكر من انعامه على عباده لاية يعني دلالة وحجة وانما لقوم يعقلون يعني ان من جاز عاقلا
استدل بهذه الاية على كمال قدرة الله ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا فاما من لا يريد فيه
تعالى وحي ربك الى النحل لما ذكر الله تعالى الايل قدرته وعجايب صنعه الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم
واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر ٭ هذه الاية اخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من بين
ضعيفة وهي النحلة فقال وأوحى ربك الى النحل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل البشر من الناس ممن له عقل وتمييز
يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء العدير لها بالكيد حكمته وقدرته واما الوحي الاشارة
الى الشيء بعينه وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض قد يكون بصوت مجرد وبغير الكلمة كالاشارة التي تلقيها الى انسان
وجه والرسالة اليه الفعل واما التسخير ما خلق له ومنه قوله وأوحى ربك الى النحل بمعنى سخرها لما خلقها له والنهى رشدها
وقدر ٭ نفسها لهذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على اشكال مسدس ذي
اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد ما يعلق ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من الاشكال
لكان فيها شيء ولما حمل المقصود والحكمة ان تبنيها على هذا الشكل المسدس لانه اكمل فيها خلو وفرجة
خالية ضايعة والحكمة الثانية ان جعل عليها اميرا كبيرا فاذا خرج بيضها وهم يكيعونه ويحفظونه ويحسنون امرهم ويكون هذا الامير
اكبرهم جثة واعظمهم خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني تلك هذا احكام الجوهري والحكمة الثالثة ان جعل لها على باب كل
حيلة بوابا لا يفكر غيرها فعلها من الدخول اليها والحكمة ايضا انها لحيي من يموت فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها والتقرعنها
ولما امتاز هذا الحيوان العجيب بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة اذ الذكاء والفطنة يكاد ذلك
سببه بالوحي فلذلك قال الله تعالى وأوحى ربك الى النحل والنحل العسل وسمي الدبر ايضا العسل الذي يخرج من بطونها

BULAC

بمعنى اعلمهم وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهو مؤنثة بلغة الحجاز ولذلك التفت فقال تعالى اتخذي من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون يعني يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر وما يأوي الى الكروب
ومنه اهلي وهو الذي يأوي الى البيوت وتربيه الناس عندهم وفد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوي اليها
وقال ابن زيد اراد الذي يجعل شؤن العروش وقيل من كل الثمرات يعني من بعض الثمرات لانها لا تأكل جميع الثمار فجعلها كل بعضها
فليست للعموم وقيل اراد الذي يسهل لك يعني الطرق التي الفها الله ان تسلكها وتدخل فيها لاجل طلب الثمرات ذللا
قيل انها نعت للسبل يعني انها مذللة لكل الطرق مسلكة لك سلكت فلا تجد صعبا لا توعر عليك مكانا تسلكه
وقيل انها نعت للنحل يعني انها مذللة مسخرة لما يراد بها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكان الى مكان اي حيث
شاؤوا وقيل اراد لا تستعصي عليهم يخرج من بطونها يعني العسل شراب مختلف ألوانه يعني ما بين ابيض واصفر واحمر وغير
ذلك من الوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار يستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله ثم يخرج من افواهها
بسبب اللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي انه رأى في بعض كتب الطب ان العسل كله من الندى ينزل على الازهار
واوراق الشجر فيجمعه النحل بما كل بعضه ويدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتغتذي به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك
الاجزاء يكلبه شيء كثير من ذلك هو العسل وقال الغزالي قرب ان كيفية الترنجبين تقرب من كيفية العسل وانا
نشاهد انا النحل تتغذى بالعسل ﴿ اجاب ﴾ عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان كل تجويف في داخل البدن يسمى
بطنا بقوله يخرج من بطونها يعني من افواهها وقال العلم الكلاهي الاول واضح لانا نشاهد انه يوجد في فم العسل مع
تلك الازهار التي يأكل النحل وكذا يوجد لونها وريحها وطعمها فيه ايضا ويعضد هذا قول بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
له اكلت مغافير فقال لا قالت بل هذه الريح التي اجد منك فقال اسقتني حبصة شربة عسل فقالت جرست نحلة العرفط
اكلت ودعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل حجة قول العلم الكلاهي من الصغير ان وانه يوجد في فم
العسل ولونه وريحه كفم ما يأكله النحل ولونه وريحه لما قال الاكبر من انه لو كان لها الوان فالوان واحد وكيفية
واحدة وقوله ان كيفية العسل تقرب من كيفية الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الكمثرى
السكي ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية وبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في باطن داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر
لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم وقوله تعالى فيه يعني في الشراب
الذي يخرج من بطون النحل شفاء للناس وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضمير في قوله فيه يشعر الناس يرجع
للعسل ﴿ فان اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض او على الخصوص لبعض دون مرض على قولين احدهما ان
العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية اخرى
عنه عليكم بالشفاءين القرآن والعسل وروى نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شيء الا لكم الموضع بالعسل
وتغرا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ﴿ وعن ﴾ ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان اخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه عسلا ثم جاء فقال اني سقيته عسلا فلم
يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرئ ﴿ فان اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث
فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فيقال الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم
الطب ان الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والمضرات وقد اجمع الاطباء في مثل هذا على ان علاجه
ان يترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فمضر عندهم واستعمال
مسهل فيه مضرة ويحتمل ان يكون هذا الاسهال الذي ذكر في الحديث اصابه الاسهال من امتلاء او هيضة فبان ينزل الاسهال
على ما هو عليه او بامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فبرأه اسقاه وزاد عسله الى ان ثبت الماء فوقف
الاسهال ويكون الله تعالى الذي كان به يوافقه بشرب العسل ثبت بهذا كرامة ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل
بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل بها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء فان
عندنا كثيرا من بناهم وكفرنا هم بذلك ﴿ انما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب التي اعترض بها والله اعلم وقوله صلى الله

والهيضات

عليه وسلم

عليه وسلم حدثنا الله وهو بكل شيء عليم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بغير الوحي الذي كان ينزل عليه ان العسل الذي امر بشربه سيصح جسمه بعد ذلك فلما لم يتصور ذلك عندهم قال احدهم والله يعني بما وعده به من ان فيه شفاء وكذب بذلك ما فيه يعني اشتهى الشفاء ٭ اوامره والله اعلم بسره وضرار رسوله صلى الله عليه وسلم وان قال الطبيب يكون شفاء المنافق وهو بضرب الحباب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويهيج منه ٭ الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفاء للناس خرج مخرج الغالب وانه وان غير الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء المنافق والجاهل دواء لكنه ٭ الجاهل دواء وان لم ينفعه اكثر من مضرته وقد يعجون من المعاجين الكاذ وتقامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ القبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفاء للدواء التي تشفا وتعامنه وهو قول ابن عباس وقال مجاهد في قوله شفاء للناس يعني القرآن لانه شفاء من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات واقرب قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل فوجب اولى ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور وقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا قوله عز وجل والله خلقكم يعني ابتدا وجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم يعني عند انقضاء اجالكم اما صبيانا واما شبابا واما كهولا ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني ارذاه واضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان لا يربع مراتب اولها العاشر البشر وانتهاء وهو من اول العمر الى ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل المرتبة الثانية سن الكهولة وهو من الاربعين الى ستين سنة وهذه المرتبة تسوح الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى اخر العمر وفيه يبتدئ النقص ويكون الانحطاط والهرم والخرف قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والهرم والجبن والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهاؤلاء الكلمات اللهم اني اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وقوله تعالى لكي لا يعلم بعد علم شيئا يعني ان الانسان يرجع الى حالة الكهولة بنقصان ما كان عليه بسبب الكبر قال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه كي لا يعلم بعد علمه الا ما يرى ويشاهده قال الزجاج وان منكم من يخبر حتى يذهب عقله فرجع يهجي بعد ان كان عالما فعلما ليس بكم من قدرته انه قدر على ما فعله واحياه وانه قادر على افعاله من العلم الى الجهل انه قادر على احيائه بعد اماتته فيكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت كما روي عن ابن عباس ليس هذا في المسلمين المتعلمين المتقنين ولهم زيادة في طول العمر والبقاء الى كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون والقرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الهرم ثم استثنى المؤمنين فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات ٭ قوله تعالى ان الله عليم يعني بما صنع بادم وحواء واعدائه قدير يعني على ما يريد وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني ان الله تعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على اخر وكما فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضهم على بعض في الخلق والعقل والصحة والسلامة والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك وهذا مما افتقرت اليه الحكمة الالهية والقدرة الربانية فهما الذين يفضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم يعني من العبيد حتى يشتركوا فيه هم وعبيدهم بقول الله تعالى فهم فيه سواء يعني ان يشركوا هم وعبيدهم بما رزقهم سواء وقد جعلوا عبيده شركاء ٭ ملكي وسلطاني فلزم بهذه الحجة على العاقلين حيث جعلوا الادنى شركاء في افتقاره فكيف يليق به ان غير جل يقول اهلا منكم احد يرضى ان يشاركه مملوكه ٭ جميع ماله وكيف يجعلون لله خلقه وعباده وقيل ٭ معنى الاية ان العرب الصميد الله تعالى فهم جميعهم فيه ٭ رزقه سواء فلما خصص العرب الى انهم يردون رزقهم على ما يبلغهم

من عند انفسهم بان لله رزقه اجراه على يديه او اصاب اليه المولى والمقصود منه بيان الرازق وهو الله تعالى لجميع المخلوقين والمولى يجيء بمعنى السيد والمالك لا يرزق المملوك على الرازق للمالك والمملوك هو الله تعالى وقوله أفبنعمة الله يجحدون ليه انكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره قوله عز وجل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني النساء خلق من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم ازواجا لانه خاطب العرب يعني انه خلق حواء من جنس آدم وحد الخطاب الدليل وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة الحفدة جمع حافد وهو المشرع في الخدمة المسارع الى الكفاءة ومنه في الدعاء واليك نسعى ونحفد اي نسرع الى طاعتك وقد اختلف اهل اللغة ثم اختلف اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود انهم اصهاره وهو بمعنى الاول وعن ابن عباس الحفدة الاعوان وقيل هو بمعنى الاية وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجوهن فيصير لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال ابي بن كعب الاعوان وكل من اعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يخدمونه ويحفدونه وقيل هم اهل الخدمة الذين يتطوعون ويحفدون من الاوزاد وقال الكلبي وصفاتل البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس ولد الولد وفي رواية اخرى عنه انهم بنو امرأة الرجل الذين يشركونه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فانه كحفدة لهم غير البنين لان السرية قال فالبنين وحفدة مجعل ينتفع مغايرين ورزقكم من الطيبات يعني النفع الذي انعم بها عليكم من انواع الثمار والحبوب والحيوانات والاشربة المستلذة الحلال من ذلك كله افبالباطل يؤمنون يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون فيما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة وغيرهما وهذا استفهام انكار اي ليس لهم ذلك وبنعمة الله هم يكفرون يعني انهم يمنعون الحق الذي انعم به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم ويعبدون من دون السموات والارض لكم رزقا السموات والارض يعني الاصنام التي لا تقدر على انزال المطر من السماء ولا على اخراج النبات من الارض شيئا يعني لا يملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون من لا يرزق شيئا ولا يستطيعون يعني ولا يقدرون على شيء يذكر لعجز الاصنام عن ايصال النفع او دفع ضر فلا تضربوا لله الامثال يعني لا تشبهوا الله تعالى بخلقه وانه واحد لا مثل له ولا شبيه ولا نظير يخالفه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه يكيف يشبه الخالق بالمخلوق والرازق بالمرزوق والقادر بالعاجز ان الله يعلم يعني خطأ ما انتم عليه من ضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك وقيل معناه والله يعلم ما تقولون خطأ وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا لما نهاهم الله عن ضرب الامثال ابتدأ في ضرب هو مثله فقال تعالى في اشراككم بالله الاوثان كمثل من يسوي بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق منه كيف يشاء يعني ان الصنم لا يقدر على شيء وانا قد رزقناكم مالا فانتم تنفقون منه كيف شئتم فكيف تجعلون لي شريكا من خلقي في عبادتي مع استوائهم في الخلقة والصورة والبشرية وكيف يجوز لكم قياس بعض عبيدي على بعض في ترك الانفاق من رزقي والاقبال على الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء قال ابن عباس والحسن والكلبي والمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وكل عبد صار كالعبد الذليل البعيد القاصر الذي لا يقدر على شيء وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا لم ينفق منه في خير صار كالعبد الذي لا يملك شيئا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير صار كالمالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغاء مرضاته فهو قوله ينفق منه سرا وجهرا وانما ذكر الجنة على ذلك وان قلت فالعبد المملوك لا يقدر على شيء وكل عبد فهو مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر المملوك بليتميز من الحر لان الحر القبيح يقع عليه بعض ما يقع على المملوك من عجزه وانما قوله لا يقدر على شيء احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون فانه يقدر على التصرف في الجملة

على التوالي

عن النصر واحتج الفعل بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيئا لان لا يستوون ولم يقل لا يستويان لان الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير العاجز والغني القوي كذلك لا يستوي الكافر والعاصي والمؤمن المطيع وقد ذكرنا في قوله عبدا مملوكا هو ابو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال تعالى الحمد لله حمد نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لا عند الامنام التي عبدتها هؤلاء بل انما كانت الحمد على احد رجلين اما على جماد عاجز لا يدل على احد ولا معروف فيجب عليه انما الحمد الكامل لله الغني فيجب على جميع العباد حمد الله لانه اصل كل محامد الثناء الحسن بل اكثرهم في الغفلة لا يعلمون يعني ان الحمد لله الذي لا يعلم ولا يقدر على شيء هو اشارة الى العجز والنقصان وهو كل على مولاه لا يقدر على من يلي امره وبعوله وقيل اصله من الفلك وهو ثقل الجبل يقال كل الجمل يكل اذا غلظ شهقته وكل الانسان اذا غلظ ولم يقدر على النطق وكل الانسان عن الامر اذا ثقل عليه فلم يقم به وفيه قول آخر وهو كل على مولاه ايضا ثقيل على مولاه اينما يوجهه اي حيث ما يرسله ويصرفه في طلب حاجة او كفاية مهم لا يأتي بخير يعني في هذه صفته هل يستوي هو يعني صاحب هذه الصفات ومن يأمر بالعدل يعني ومن هو تعلم الحواس نفاذه وكفاياته وهو ذو رشد ودين يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الآمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا امتنان من الله تعالى للفضة والعباد على عباده وانعامه وتشملهم به من آثار رحمته والكلام في الاصنام التي هي اموات جماد لا بصر ولا يسمع ولا ينطق ولا يعقل وهي على عابديها تحتاج الى كلف الثقل والخدمة وقيل المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الذي لا يأمر بخير وعلى هذا القول يكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص والذي يأمر بالعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي هو ابكم هو ابو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله وهو الذي لا يأتي بالخير وقيل الابكم الذي لا يأتي بخير ابو جهل والذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مضعون ولله غيب السموات والارض اخبر الله تعالى في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا بمعنى الساعة وهو قوله وما امر الساعة هي قيامها والساعة هي الوقت الذي تقوم الناس فيه لمرقب الحساب الا كلمح البصر يعني في السرعة ولمح البصر هو انتظاره وهو بين الغمض وفتحه وهو كرد العين ايضا او هو اقرب يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمن وحركة والله تعالى اذا اراد شيئا فانما يكون في اسرع من لمح البصر وهو قوله ان الله على كل شيء قدير فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه تعالى متى ما اراد كان كما شرح ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي اقرب من لمح البصر ولكنه تعالى وصف سرعته المقدرة على الاتيان بها متى شاء لا يعجزه شيء قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم الكلام هنا لان الانسان خلق اولا ثم اخرج ومبدأ خلقه كان عن العلم والمعرفة لا يعتد به لسبق ما قبله ثم ابتدأ فقال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني ان الله تعالى انما اعطاكم هذه الحواس لتتوصلوا بها من الجهل الى العلم جعل لكم السمع لتسمعوا به علوم الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعات الله وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانية الله وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا بها معاني الاشياء التي جعلت دلائل على وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما انعم الله به عليكم منذ اخرجكم من بطون امهاتكم ان لم تروا الا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الآية واسم خلقكم في بطون امهاتكم وصوركم ثم اخرجكم من الضعف الى القوة وجعل لكم الحواس الثلاث لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والمعرفة من شكر المنعم بها وعبادته والفيلة بحقوقه والترغيب لما ينبغي به في الآخرة وان قيل كلمة ثم في الآية تدل على ان جعل هذه الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان في جملة خلقه وهو في بطن امه فالجواب ذكر العلماء فيه ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على انها لم تكن بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب وكان الوقت الذي ينتفع بها وان كان قد خلقت قبل ذلك وقوله تعالى لعلكم تشكرون يعني انما انعم عليكم بهذه الحواس

وحرر الله مثلا رجلين احدهما ابكم
الافيدة

يكلب رضوانه ولا ينتفعون عليها وانما هم الكافرون انما فارقوا واعترفوا الكافرون مع انهم علموا انهم على باطل
كان منهم من لم يبلغه التكليف بعبر بالاكثر عن الكل وقيل اراد بالاكثر العقلاء العاندين وقد كان فيهم من
ليس بعاند وان كان كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع قوله عز وجل ويوم
نبعث من كل امة شهيدا الماضي لما وقع اقامه على الكفار وانكارهم لذلك وذكر ان اكثرهم كافرون اتبعه بذكر الوعيد لهم في الاخرة فقال ويوم
نبعث من كل امة شهيدا اي رسولها وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد به ان الشهداء هم الانبياء يشهدون على امتهم بانذار
نعم الله عليهم وبالدعاء ثم لا يؤذن للذين كفروا اي في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام اصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع
الى دار الدنيا حتى يعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقررهم بذلك ولا هم يستعتبون
الاستعتاب طلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من المؤاخذة والغضب ويرجع الى الرضى عنه واذا لم يطلب العتاب
منه دل ذلك على انه ثابت على غضبه عليه ومعنى الاية انهم لا يطلبون ان يرضوا ربهم في ذلك اليوم لان الاخرة ليست دار تكليف
ولا يرجعون الى الدنيا ليتوبوا ويرضوا ربهم والاستعتاب التوبة كطلب الرضا وهذا باب منسوق على الكفار في الاخرة واذا رأى
الذين ظلموا اي علموا انفسهم بالكفر والمعاصي العذاب اي عذاب جهنم فلا يخفف عنهم فلا يجعل عنهم العذاب ولا هم ينظرون
اي لا يؤخرون ولا يمهلون واذا رأى الذين اشركوا اي يوم القيامة شركاءهم اي اصنامهم التي كانوا يعبدونها في
الدنيا قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك اي كنا نعبدهم من دونك ونتخذهم الهة فألقوا اليهم
الاصنام القول اي عابدوها انكم لكاذبون اي ان الاصنام قالوا للمشركين انكم لكاذبون في تسميتكم
الهة وما دعوناكم الى عبادتنا وان قلت ما وجه تمادي الاصنام على التكلم بكذب منهم الدلالة فلكثرة ما يتعقدار المرتعا
لما يعقلون واعترافهم في الاخرة خلق لهم الحياة والنطق والقدرة حتى قالوا ذلك والمقصود من اعادتهم وتعقلهم حتى
تكذب العبدة وتزداد الكفار وهي حالة الذلة والصغار فيزدادون بذلك غما وحسرة وألقوا اي المشركون الى الله
يومئذ السلم اي انهم استسلموا له وانقادوا لحكمه بعدهم ولم تغن عنهم الهتهم شيئا وضل عنهم اي زال عنهم من
ما كانوا يفترون اي ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم ان الاصنام تشفع لهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله اي بصدهم غيرهم لانهم منعوا الدخول في الايمان بالله ورسوله زدناهم عذابا فوق العذاب اي
زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم والاصل واختلفوا في هذه
الزيادة فالضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما معقود عقارب لها انياب كامثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت
وعقارب امثال البغال تلسع احداهن لسعة يجد صاحبها الم اربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني
خمسة انهار من صفر كالنار يسيل من تحت العرش يعذبون بها علانية على مقدار الليل على مقدار النهار وقيل
انهم يخرجون من حر النهار الى برد الزمهرير فيتعاودون من شدة الزمهرير الى النار مستكثيرين بها وقيل يضاعف
لهم العذاب ضعفا بسبب كفرهم وضعف بسبب صدهم الناس عن سبيل الله بما كانوا يفسدون في الزيادة انما
حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب الكبير ويوم
نبعث في كل امة شهيدا عليهم قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على امته وهو
اعدل شاهد من انفسهم في منعهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم يشهد عليهم بما علموا
من كفر وايمان وطاعة وعصيان وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء اي على قومك وامتك ثم ان الله
تعالى ذكر ما انعم به عليه وعلى امته فقال ونزلنا عليك الكتاب اي القرآن تبيانا لكل شيء تبيان انهم من البيان فالمراد هو بعينه
ما امر به وما نهى عنه وقال ابن مسعود تبيانا لكل شيء من امور الدين اما بالنص عليه بالمطالقة على ما يوجب
العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم او بتوسط القرآن من الحدود والاحكام والحلال والحرام وجميع الامور التي
والمنهيات واجماع الامة بعد النبي اصل ومفتاح لعلوم الدين وهدى اي من الضلالة ورحمة اي لمن امن
به وصدقه وبشرى للمسلمين اي وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل
والاحسان العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان اداء الفرائض وفي رواية قال العدل خلع الانداد والاحسان
ان تعبد الله كأنك تراه وان لا تحب ان يكون اخاك الا مسلما وقال في رواية اخرى عنه العدل التوحيد والاحسان

الاخلاص واصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء زيادة في شيء ولا غلو فيه ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو
المساواة والمكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان تقابل الخير باكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل
العدل الانصاف والانصاف اعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن لمن اساء اليك وقيل يعني بالعدل
في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن وايتاء ذي القربى يعني ويامر بصلة
الرحم وهي القرابة الاخرى والا بعد مالك ويستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد
وينهى عن الفحشاء قال ابن عباس يعني الزنى وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من
جميع الاقوال والافعال المذمومة والمنكر قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة
ولا سنة والبغي يعني الكفر والظلم وقيل البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان اعجل
المعاصي البغي ولو ان رجلين بغى احدهما على الاخر لدك الباغي قال ابن عيينة في هذه الاية والاحسان ان تكون سريرته احسن
من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي ان تكون علانيته احسن من سريرته وقال بعضهم ان الله تعالى ذكر من المامورات ثلاثة
اشياء ومن المنهيات ثلاثة اشياء وذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو ان
تعفو عمن ظلمك وتحسن لمن اساء اليك وذكر في مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من احسن اليك وذكر ايتاء ذي القربى
والمراد صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي وهو ان تتكبر عليهم او تظلمهم حقوقهم
ثم قال تعالى يعظكم لعلكم تذكرون يعني انما امركم بما امركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا
بما فيه رضاء الله تعالى قال ابن مسعود ان اجمع اية في القران لخير وشر هذه الاية وقال اهل المعاني لما قال الله تعالى في الاية
الاولى وانزلنا عليك القران تبيانا لكل شيء في هذه الاية المامور به والمنهي عنه على سبيل الاجمال فما من شيء يحتاج اليه الناس
في امر دينهم مما يجب ان يؤتى او يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الاية وروى عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على الوليد بن المغيرة
ان الله يامر بالعدل والاحسان الى اخر الاية فقال الوليد بن المغيرة يا ابن اخي اعد علي فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان
له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقوله البشر قوله عز وجل واوفوا بعهد الله اذا
عاهدتم لما ذكر الله تعالى في الاية المتقدمة المامورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر في هذه الاية بعض ذلك
الاجمال على التفصيل وبدا بالامر بالوفاء بالعهد لانه اوكد الحقوق فقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم نزلت في الذين
بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان
باختياره ويدخل فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد وقيل العهد هاهنا هو اليمين قال القتيبي العهد يمين وكفارته
كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح واما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم
من حلف على يمين ثم راى ان غيرها خير منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله واوفوا بعهد الله من العام الذي
خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف اهل الجاهلية ويشهد لهذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم كل
حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يعني تشديدها فتحنثوا
فيها وفيه دليل على ان المراد بالعهد غير اليمين لانه اعم منه وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يعني شهيدا بالوفاء بالعهد
ان الله يعلم ما تفعلون يعني من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله لنقض العهد مثلا فقال تعالى ولا تكونوا يعني في نقض
العهد كالتي نقضت غزلها من بعد قوة يعني من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه امراة من قريش يقال
لها رطبة بنت عمرو بن سعيد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت حرفا حمقا بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا
قدر ذراع ومنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف او الشعر او الوبر وتامر جوارها
بالغزل وكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دابها
والمعنى ان هذه المراة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد
وفى به انكاثا جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل والحبل بعد الفتل تتخذون ايمانكم دخلا بينكم يعني خيانة
وخديعة والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن
نقضه ان تكون يعني لان تكون امة هي اربى من امة يعني اكثر واعلا من امة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يخالفون

الحلفاء

الحليل بإذا وجد وافرا أكثر من ذلك وأعز نفضوا حلف تقولا الأكثر والمعنى أنكم جعلتم العهد بينكم
بأن كانت أمة أجماعة أكثر من جماعة فنهاكم الله عن ذلك وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وجعلوا بينهم بأيمانهم لله
بقوله تعالى يعني بما أمركم به من الوفاء بالعهد وتعاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
إن الله يعلم ما تفعلون يعني ما تضمرون وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون يعني
في الدنيا بتثيب المطيع بالجنة ويعاقب العاصي بالنار المخالف قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة يعني على ملة واحدة
ودين واحد وهو دين الإسلام ولكن يضل من يشاء يعني عن الحق لأنه آيسه عن إسلامه ويهدي من يشاء بتوفيقه إياه فعلا
صنع وذلك مما افتقده الحكمة الإلهية لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو قوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون
في الدنيا فيجازي المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته قوله عز وجل ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم
يعني خديعة وفسادا بينكم فتغرون بها الناس وتسلبون إلى أيمانكم ويؤمنون إليكم ثم تنقضونها وأنكر هذا
النهي تأكيدا عليهم وإظهارا لعظيم نقض العهد فإن المبشرون وهذا نهي الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الإسلام تحذرهم عن نقض عهده لأن الوعيد الذي بعده وهو قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض
عهد فيما إنما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان به وبشريعته وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها مثل
يذكر لكل من رفع في بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة وسلامة يعني وأن تقدم بعد سلامة تغور الرجل لكل رافع في بلاء بعد عافية
زلت قدمه والمعنى فتزل أقدامكم من محبة الإسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء يعني العذاب بما صددتم عن
سبيل الله يعني بالتشبيه صددتم غيركم عن دين الله وذلك أن من نقض العهد بعد علم غيره بنقض العهد فيكون هو قد أمنه
عذاب ولكم عذاب عظيم يعني بنقضكم العهد ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا
بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن وفوا لها إنما عند الله هو خير لكم يعني بأن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بهذا
العهد هو خير لكم يعني من عاجل الدنيا إن كنتم تعلمون يعني فضل ما بين الموضعين ثم بين ذلك بقوله تعالى ما عندكم
ينفد يعني من متاع الدنيا وإذا انقطع تفنى وتذهب وما عند الله باق يعني من ثواب الآخرة ونعيم الجنة وليجزين الذين صبروا
يعني على وفاء العهد في السراء والضراء أجرهم يعني ثوابهم بأحسن ما كانوا يعملون عن أبي صوهان كما شيع أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقوله تعالى من عمل
صالحا من ذكر أو أنثى إن قلت هذا مشكل لأن الله تعالى إنما وعد الذكر الصالح أن يحييه حياة طيبة دون الأنثى فكيف
جمع بين الذكر والأنثى في التحسين ليعم الوعد النوعين جميعا وجواب أن هذه الآية واردة في الوعد بالثواب
والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة إثباتا للتأكيد وإزالة وهم التخصيص وقوله وهو مؤمن
جعل الإيمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب فلنحيينه حياة طيبة قال سعيد بن جبير وعطاء في القناعة
وقيل رزق يوم بيوم الرزق الحلال وقال مقاتل في القيس والقناعة وقيل في طاعة الله القناعة وقال الحسن في القناعة وقيل رزق
يوم بيوم واعلم أن عيش المؤمن في الدنيا وإن كان قليلا أطيب من عيش الكافر وإن كان غنيا لأن المؤمن قانع على أن رزقه
من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعرف أن الله محسن إليه متفضل لا يفعل إلا الصواب فيكون المؤمن راضيا عن الله وراضيا
بما قدر الله له من رزقه إياه وعرف أن مصلحته في ذلك القدر الذي رزقه فاستراحت نفسه من الحرص والجد في طلب عيشه
بذلك وأما الكافر والجاهل بهذه الأحوال الحرص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن وتعب وغم وحرص وكد وبالجملة
فالمؤمن قد يظهر بهذا أن عيش المؤمن المقنع الطيب من غيره وقال الشبلي الحياة الطيبة إنما تحصل في الفقر لأن المؤمن يعتقد
بالموت من نقد الدنيا وتعبها وقال أبو هريرة وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة في الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال الطيب
واحد الحيوة الآية في الجنة لأنها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا
أن الحياة الطيبة لا تكون إلا في الجنة وقوله في سياق الآية وليجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون لأن ذلك الجزاء
إنما يكون إلا في الجنة قوله عز وجل فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم الخطاب فيه
للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج إلى الاستعاذة وقد أمر
بها غيره أولى ولما كان الشيطان سلطانا على القلوب الموسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة
من ذلك بلغة الشيطان أمر الله رسوله والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تنفي مؤونة من القلب ويتوانس

الشيطان عن جبير بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو وأحسبه قال في الصلاة المكتوبة
الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال
نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود والموتة الجنون والبلاء في قوله فإذا استعذت بالله للتعقيب وفاء هي
لغة الآية يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة رضي الله عنه
وذهب إليه مالك وداود الظاهري فإن قيل القرآن يستحق ثوابا عظيما وبما علت الوسوسة في قلب القارئ هل
حصل له ذلك الثواب أم لا فإذا استعاذ بعد القراءة أذهبت تلك الوسوسة وبقي الثواب مخلصا وأما مذهب الأكثرين
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الأمصار بعد التبصر أن الاستعاذة مقدمة على القراءة وفائدة
وهي الآية إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله ومثله قولهم إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ومثله من
الأدلة إذا أردت أن تأكل فقل بسم الله وإذا أردت أن تعتمر فتأهب وأيضا فإن الوسوسة إنما تحصل أثناء القراءة
لا الاستعاذة على أن قيل مذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة إليها ومذهب عطاء أنه يجب الاستعاذة
عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها وأضعف سائر الأقوال أن الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها
وقد تقدمت هذه المسألة والخلاف فيها أول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء إليه من شر الشيطان
ووسوسته والمراد من الشياطين لأن لهم قدرة على إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم بإذن الله إياهم عاد الكلام
ليس لك سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان
وكان ذلك أوهم أن له قدرة على التصرف في إبدان بني آدم أزال الله هذا الوهم بقوله إنه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة
ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال السجستاني ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا
أن الاستعاذة إنما تفيد إذا خطر بقلب الإنسان كونه صغيرا وأنه لا يمكنه التحرز من وسوسة الشيطان إلا بعصمة
الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بقدرة الله ثم قال تعالى إنما
سلطانه على الذين يتولونه يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال تولاه إذا أطاعه وتولى عنه إذا أعرض
والذين هم به يعني بالله مشركون وقيل الضمير في به راجع إلى الشيطان والمعنى هم من أجله مشركون فوله تعالى
وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل الآية وذلك أن الله تعالى كان يبعث من الملائكة فكانوا يأمرون محمدا بشيء ثم
يأمرهم الله بأمر ينقلهم عنه عما هو الأصلح فقال تعالى نسخ آية ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها
حكم آية مكان آية حكمها مكانه إلخ والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل الناسخ وبما
هو أصلح لخلقه وبما يغير ويبدل من أحكامه أي هو أعلم بجميع ذلك فيفعل هو من مصالح عباده وهو توبيخ ويجيء
الكفار على قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قالوا إنما أنت مفتر أي تختلقه من عندك والمعنى إذا كان الله تعالى
أعلم بما ينزل فلم ينسبون محمدا إلى الافتراء والكذب لأجل التبديل والنسخ والحكمة في آية ذلك ترجع إلى مصالح العباد كما
يقال إن الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهاه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة بل أكثرهم لا يعلمون
يعني لا يعلمون حكمة النسخ وتبديل المنسوخ قل يا محمد نزله يعني القرآن روح القدس يعني جبريل عليه السلام
أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وملحة النمر والمعنى الروح المقدس المطهر من ربك يعني من عند ربك يا محمد ليثبت الذين آمنوا يعني ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا إيمانا ويقينا وهدى وبشرى
يعني وهو هدى وبشرى للمسلمين قوله عز وجل ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر وذلك أن كفار مكة
قالوا إنما يتعلم هذه القصص وهذه الأخبار من النصارى إلخ وهو الذي مثله ويبين هو من عند الله كما يوهم وأجابهم
الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعلم فتيا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلج بيته بمكة فيقولون إنما يعلمه بلعام وكان بعض الناس يقرأ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بالغلام كثيرا ما يجلس عند المروة أبي غلام رومي يقال له جبر وكان
يقرأ الكتب وقال عبد الرزاق كان اسم عبد أن من أهل عين التمر يقال له أحدهما يسار ويكنى أبا فكيهة ويقال اسمه جبر وكان

لخلقه

بالحق

يصنعان

يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرءان التوراة والانجيل وربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم اذا اذاه الكفار يقعد اليهما
ويستروح بكلامهما فقال المشركون انما يتعلم محمد من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى وكان قد اسلم وحسن اسلامه
وكان اعجميا وقيل هو عداس ابن غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم
هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها الى نفسه ويزعم انه وحي من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فاجاب عنه الله فقال وانزل
هذه الاية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال لسان الذي يلحدون اليه اي يميلون سر
ويشيرون اليهما اعجمي اي هو اعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح بكلامه وان كان ابوه من اهل البادية ومنه شعر زياد الاعجم
كانت لبسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية
والعربي الذي يتكلم الامصار من بلاد العرب بقوله وهذا لسان عربي مبين اي بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب
هو ان الذين يشيرون اليه رجل اعجمي لسانه عجمة فمنعه من الايمان بعيسى الكلام ومحمد ما الله عليه وسلم جاءكم
بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم انتم عنه وانتم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو اعجمي على مثله وايضا
فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون والاهوائي من تلقاء نفسه بل هو وحي من السماء وجاء في الخبر ان الرجل
الذي كانوا يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي لا يصدقون انها من عند الله
لا يهديهم الله اي لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان ولهم عذاب اليم اي في الآخرة ثم اخبر الله ان الكفار هم
المفترون فقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله اي انما يفتعل ويختلق الكذب من لا يؤمن بآيات
الله بتصديق الكفار فرد عليهم انما انت مفتر واولئك هم الكاذبون اي في قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه
وسلم فان قلت قد قال انما يفتري الكذب فما معنى قوله واولئك هم الكاذبون والثاني هو الاول فلت
قوله انما يفتري الكذب اخبار عن فعلهم وقوله واولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت
كاذب اي كذبت في هذا القول ومن شأنك الكذب وفي الآية دليل على ان الكذب من اقبح الذنوب الكبائر لان الكاذب امن
هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله بن وهب قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك
قلت المؤمن يشرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله فوصفهم
من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين سمروا
اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وبلالا واخباب وصالحا بهم ليرجعوا عن الاسلام وقد سمعت امه
عمارا وهو يقول بين لعينين ورجع قلبك جنة فقتلت وقتل زوجها ياسرا فهما اول قتيلين قتلا في الاسلام واما
عمار فانه اعطاهم بعض ما ارادوا بلسانه مكرها فاتاه اخذوا المغيرة عمارا وغطوه في بير ميمون وقالوا اكفر محمد
ما يعيبهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا قد كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه
واختلط الايمان بدمه ولحمه جاء عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال الشر
يا رسول الله فلت منك وذكرت قال كيف وجدت قلبك قال مطمئن بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول
ان عادوا لك فعل لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس هذه نزلت في اناس من اهل مكة اصابوا فتنوا اليهم بعض اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ان تهاجروا الينا فانا لا نراكم تقدرون حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق
فقتلوهم عذبوهم وفتنوا كثيرا منهم فنزلت هذه الآية في هؤلاء وكان هذا اول الاسلام فبلغ ان يؤمروا بالهجرة
وقاموا فقاتلوا فنزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي ومولى جبر اسلما وحسن اسلامهما وهاجرا الى المدينة والاولى
ان يقال ان الآية عامة في كل من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا فان قلت
المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافرين فما معنى هذا الاستثناء قلت الا مكره لما منع منه بعد الايمان ما مثله يمنع من الكفر وهو عاص بهذا الاستثناء بهذه المشاقة والمعاداة
قوله حكم الآية قال العلماء يجب ان يكون المكره الذي يجوز له ان يتابع مع بقلبه الكفر ان يعذب
بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التخويف بالنار
ونحوه قال العلماء اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وخباب وصهيب وبلال

وعمار وابوه ياسر وامه سمية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من اذاء المشركين بعهد ابي طالب واما ابو بكر
فمنعه قومه وعشيرته واخذ الاخرون والبسوا ادرع الحديد واجلسوهم في حر الشمس بمكة واما بلال فكانوا
يعذبونه وهو يقول احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب وقال خباب لقد اوقد
ولي نار اما اطفاها الا ودك ظهري واجمعوا على انه من اكره على الكفر ولا يجوز له ان يتلفظ بكلمته تصريحا بل اتى
بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمانينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله
في كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسر وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب
ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما لا يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها
ممن اكره بالسيف او القتل على ان يشرب الخمر او ياكل الميتة او لحم الخنزير جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل من الافعال ما لا يتصور الاكراه واختلف العلماء في طلاق المكره
فقال الشافعي واكثر يقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة يقع حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى لا اكراه في الدين ولا
يمكن ان يكون المراد معه انه لان ذاته موجودة فوجب على حمله على نفي امارة والمعنى انه لا اثر له ولا عبرة به وقوله تعالى
وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني فتحه ووسعه
لقبول الكفر واختاره ورضي به فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة وان الله لا يهدي
القوم الكافرين يعني لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم تقدم تفسيره واولئك هم الغافلون يعني عما يراد بهم من العذاب في الاخرة وقوله
تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الاخرة فاذا دخل النار
بان خسرانه وظهر عيبه لان خسره راس ماله وهو الايمان ومن ضيع راس ماله فهو خاسر قوله عز وجل ثم ان
ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام منعهم المشركون ثم جاهدوا وصبروا
يعني عن الايمان والهجرة والجهاد ان ربك من بعدها يعني من بعد الفتنة التي فتنوها لغفور رحيم نزلت هذه الاية
في عياش بن ربيعة وكان اخا ابي جهل من الرضاعة وقيل كان اخاه لامه وفي ابي جندل بن سهل بن عمرو والوليد بن
المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن اسيد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا
من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي سرح كان قد
اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بالكفار فلما كان يوم فتح مكة امر النبي صلى
الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان وكان اخاه لامه فاجاره صلى الله عليه وسلم فاتى به فاسلم وحسن اسلامه وهذا
القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة فيكون من الايات المدنيات في السور المكيات والله اعلم
بحقيقة ذلك قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها يعني تخاصم وتحاجج عن نفسها بما اسلفت من خير
وشر مشتغلة بالمجادلة لا يتفرغ الى غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس اخرى فما
معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي
بدنه ففي عينها وذاتها ايضا والمعنى ياتي كل انسان يجادل عن اذنه ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار
بما لا يقبل منه كقولهم ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وتوفى كل نفس ما عملت يعني ما عملت في الدنيا من
خير او شر وهم لا يظلمون يعني لا ينقصون من اجر اعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان
روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار حرما فقال يا امير المومنين والذي نفسي بيده لو وافته القيامة
بمثل سبعين نبيا لامه عليك ما رات وانت لا تملك الا نفسه وان جهنم لتزفر زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا ملك مرسل
الا جثى على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمان يقول يا رب لا اسالك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما انزل الله تعالى عليكم
يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة
حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فيقول الجسد
يا رب انت خلقتني كالخشبة ليس لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع

ذلك بانهم استحبوا الحيوة على الاخرة اصل

النور فيه منطق

بلانه لما وقع عباءة عما يضمن منفعة وبالعين بخانه فيل وإذا انتفى ما عنتبعهم من الجوع والخوف ثم حل بعده من علم والبيان
ما يشتهد لصحة ما قاله الإمام في الدين الرازي جوابه من وجوه الأول أن الأحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما
أن المذوق هو الطعام وأما نفس الجوع فإذا تحمل يذوقون الجوع الثاني أن ذلك الجوع فإذا شديدا فإنما أخذ بهم من ذلك الجهات
والشبهة المذوق وسألة تشبيه المطلوب بما عتبر الله على الاعتبار بين فقال إذا أذاقها الله لباس الجوع والخوف الآية
تعالى عبر عن الشيء بلفظ اللذة وأصل الذوق بالفم ثم قد يستعار ويوضع موضع الشعور والاختبار كقولك ذاكني
بلانا وذق ما عنده فإن الشاعر: وتزيدني إلى وإنما معتقا: ويسبق إلى عندنا وعذابنا: ولباس الجوع والخوف
ما ظهر عليهم من الضعف وتغير اللون وبغضة البدن وتغير الحال وتشف الجلد كما يقال لسوء حال من الجوع والخوف
على قبل الوجه الثالث محمل لفظ الذوق والمبتدر على المجاعة بصار التقدير فإذا أذاقها الله ما عما من الجوع والخوف ثم قال
تعالى بما كانوا يصنعون ولم يقل مما صنعت لأنه أراد أهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا
يصنعون وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا يأكلون الميتة والخمر ثم أنعم الله عليهم عز وجل بالنعمة العظيمة وهي
إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم وهو منهم يعرفون نسبه وكذبوه وبالغوا في إيذائه وأرادوا قتله وأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة إلى المدينة وسلط على أهل مكة الجدب والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه
وخروجه من بين أظهرهم فقوله تعالى ولقد جاءهم يعني أهل مكة رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه
قبل النبوة وبعدها فكذبوه فأخذهم العذاب يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الأول أصح لما تقدم في
الآية وهم ظالمون يعني كافرون فكلوا مما رزقكم الله يا أيها المؤمنين بعد ما عدد نعمه على الكافرين بها فقال لهم المسلمون وهو قول
جمهور المفسرين والفائدة في هذا المعنى كونهم من أهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا إنك قد عبت الرجال بالقتل والصبيان فما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فجاء الطعام
إليهم حلالا واحدا وغيره والقول الأول هو الصحيح قوله تعالى حلالا طيبا يعني أن الله تعالى أحل الطيبات لهذه الأمة وحرمها
على غيرهم ولا تأكل الخبائث واشكروا نعمة الله يعني التي أنعم بها عليكم إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به يعني ما ذبح لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم فقد بينت هذه الآية
وأحكم معناها بتفسير سورة البقرة. بقي بعد هذا معنى وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب يعني ولا تقولوا
لما هو وصف الكذب هذا حلال وهذا حرام يعني أنكم تحلون وتحرمون وحكمكم الكذب لا في شيء بل بمجرد التحليل والتحريم معنى
وتسمية الكذب فعلك بنا تفعلوا ذلك فإن في هذه الآية تهديدا عظيما وقال ابن عباس في قوله لما تصف ألسنتكم هذه اللام صلة
خالصة تذكر وتحذف وهي مع ذلك على أزواجنا وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون
ذلك إلى الله وهو قوله تعالى لتفتروا على الله الكذب يعني لا تقولوا أن الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لأن من وصف
الكذب هو افتراء على الله ثم وعد المفترين الكذب فقال تعالى إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون يعني لا ينجون من
العذاب وقيل معناه لا يفوزون بخير لأن الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين أن ما هم فيه من النعيم الدنيا يزول
عنهم عن قريب فقال تعالى متاع قليل يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل وإن طال فإنه لا بقاء له ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة
وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني ما تقدم ذكره وبيانه في سورة الأنعام
وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وما ظلمناهم يعني بتحريم ذلك عليهم ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون يعني أنفسهم بما حرمنا عليهم بسبب بغيهم وظلمهم أنفسهم بكفرهم فوله تعالى بيخبر من الذين هادوا وأنه
حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة المقصود من هذه الآية تبيان فضل
الله وكرمه وسعة رحمته لأن السوء يجمع كل ذنب وعمل قبيح فيدخل فيه الكفر وسائر المعاصي وإنما لا ينفع
وكل من عمل السوء وإنما يعمله بالجهالة ثم إن الله تعالى وعد من عمل سوءا بجهالة ثم تاب وأصلح العمل في المستقبل
فإنه يتوب عليه ويرحمه وهو قوله ثم تابوا من بعد ذلك يعني من بعد عمل ذلك السوء وأصلحوا يعني أصلحوا العمل
في المستقبل وقيل معنى الإصلاح الاستقامة على التوبة إن ربك من بعدها يعني من بعد عمل السوء بالجهالة
والتوبة منه لغفور يعني لذنوبهم رحيم يعني بجميع السوء مني التائبين قوله عز وجل إن إبراهيم كان أمة

حكم الجوز

حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري انه قال لهذا امثل قول العرب فلان رجة وفلان عظامة وفلان نعالة يقصدون بهذا
الثناء فقد اشتمل في المعنى الذي يتعنونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تعالى انا
الملائكة وانما اراد اخبر بلسان وحده وانما سمي ابراهيم عليه السلام امة لانه اجتمع فيه صفات الخير او صفات الجميل
والخلق الجميل ما اجتمع في امة ومنه قول الشاعر ... وليست على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد ... ثم الميسور في معنى
هذه اللفظة اقوال احدها قول ابن مسعود ان الامة معلم الخير يعني انه كان معلما الخير فاتم به الاهل الدين الثاني
قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والثالث قال قتادة كان على دين امة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو
ابن نفيل يبعث هذا الرجل امة وحده وانما قال ابن بعد هذه المقالة لانه فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام
الثالث قال قتادة ليس من اهل الاهواء وهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة بمعنى يقتدى وهو الذي يأتم به وكان ابراهيم
اماما يقتدى به دليله قوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو الشيخ الذي جفلت اليه الناس وعن
تبعه متفاردين عن سائر الناس بالتوحيد لله والدين الحق وهو مذهب اكثر المحققين على التغليب وقيل انما سمي
ابراهيم عليه السلام امة في عبادة الله فانتا لله يعني مطيعا وقيل معناه قائما بأوامر الله حنيفا مسلما يعني مقبلا
على دين الاسلام لا يميل عليه ولا يزول وقيل من اختتن وضحى وافاض مناسك الحج سمي حنيفا وابراهيم عليه السلام
اول من اختتن وضحى وافاض مناسك الحج ولم يك من المشركين يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين في
صفوه الكبرى شاكرا لانعمه يعني انه كان شاكرا لله على نعمه التي انعم بها عليه اجتباه اي اختاره لنبوته
واصطفاه لخلته وهداه الى صراط مستقيم يعني هداه الى دين الاسلام وانه الصراط المستقيم والدين
القويم واتيناه في الدنيا حسنة يعني الرسالة والخلة وقيل لسان الصدق والثناء الحسن والذكر الجميل
في جميع الامم وان الله حببه الى جميع الخلق وكل اهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب
وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل
انه اتاه اولادا ابرارا على الكبر وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني في اعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه
في الاخرة لمع الصالحين يعني الانبياء في الجنة ويقال يعني مع ولما بعث الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات
الشريفة العالية امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم يعني
دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد فان اهل الاصول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مأمورا بشريعة ابراهيم وانما نسخ
منها ومالم ينسخ صار شرعا له وقال ابو خضر الضرير امر باتباعه في التبري من الاوثان والتنديد بدين الاسلام وقوله حنيفا
وما كان من المشركين كيف تقدم تفسيره قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يعني انما فرض
تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال امرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة
قال فبرغوا الله في كل سبعة ايام يوما يعبدونه في يوم الجمعة واتعملوا فيه شيئا من صنعتكم وستة ايام لصنعتكم
فابوه عليه وقال لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم
عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد ان يكون عيدنا يعني اليهود فاتخذوا الاحد فاعلم الله عز وجل
الجمعة لهذه الامة فبلوها فيورك لهم فيها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن
الاخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم
فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الاولون الاخرون
يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية اخرى فهذا الذي اختلفوا فيه من يوم الجمعة فكان لليهود يوم السبت
وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا لليوم والجمعة فجعل الجمعة والسبت وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن
الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق وقال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم قال العلماء
معنى الحديث نحن الاخرون بالزمان والوجود والسابقون بالفضائل نحن اول من يدخل الجنة فضلنا الله الجنة قبل سائر الامم
وقوله بيد انهم يعني غيرهم اي الامم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم اختلفوا فيه يعني ان الله لم يوفقنا لما وفق له
غيرنا من الهداية الى فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم فاختاروا يوما غير يوم الجمعة فيه فاختلفوا

اخبارهم في تعيينه فلم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكلهم الى اجتهادهم فصاروا بفضيلته قال يعني القاضي
عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة واعلمهم بفضلها فقال ظاهره ان السبت افضل فقيل له دعهم قال
القاضي ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن ان يكونوا امروا
به ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه ام لهم ابداله فابدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله
تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا
على نبيهم في ذلك اي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان
اليهود متفقون على ذلك وزاد الواحدي على هذا فقال وهذا مما اشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في
السبت ان بعضهم قال هو اعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال اخرون الاحد افضل لان الله ابتدا فيه
بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل فان قلت
ان اليهود اختاروا السبت لان اهل الملك اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة ايام وبدا بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم
الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت
لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدا بخلق الاشياء في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا وهذان الوجهان معقولان
فما فضل يوم الجمعة حتى جعلوه اهل الاسلام عيدا قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحول
الكمال والتمام يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه وهو اولى ووجه اخر وهو ان الله تعالى خلق فيه
بشرى خلقه وهو ادم عليه السلام ابو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة اشرف الايام بهذا السبب ولان الله تعالى
اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيئا فكان ما اختاره الله لهم افضل مما اختاره غيره
لانفسهم قال بعض العلماء بعث موسى عليه السلام بتعظيم السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم
نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وكان افضل الايام يوم الجمعة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم
افضل الانبياء وفي معنى الاية قول اخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحله بعضهم فاصطادوا فيه فغلبوا
ومسخوا قردة وخنازير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد
فيه شيئا وهم الناهون والقول الاول اقرب الى الصحة وقوله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون يعني في امر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب قوله عز وجل
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة يعني ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة
الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو
انه لا يخفى عليهم انك ناصحهم وتقصد ما ينفعهم وجادلهم بالتي هي احسن يعني الطريقة التي هي احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس خلقوا وجعلوا على ثلاثة اقسام القسم الاول وهم العلماء
الكاملون اصحاب العقول الصحيحة والبصائر الباقية الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم
بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعوهم بالدلائل القطعية النفسية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى ينتفعوا وينفعوا
الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثاني وهم اصحاب النظرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب
الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله بالموعظة
الحسنة اي ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث وهم اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهم المشار اليهم بقوله
وجادلهم بالتي هي احسن يعني حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القران يعني ادعهم بالقران التي
هي حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة اي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق
واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي احسن اي اعرض عن اذاهم ولا تقصد في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض
علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعني انما عليك يا محمد
تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاؤهم الى هذه الطرق الثلاثة وهو اعلم بالفريقين الضال والمهتدي فيجازي كل عامل بعمله قوله تعالى
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزلت هذه الاية بالمدينة بسبب شهداء احد وذلك ان المسلمين لما راوا

ما فعل

لما رأوا ما بهم قالوا للمشركين بئسما صنعتم حنظلة بدل عامر الراهب وذلك ان اباه ابو عامر الراهب كان مع ابي سفيان
بتروا مثلة لئن قدرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وقطعوا مذاكيره
وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة فلاكت كبده فلم تستطع ان تأكلها فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال اما ان الله قد اظفرنا عليهم لنمثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الاول المعاقبة بالمجازاة في الجزاء والمعنى ان صنع بكم سوء وما فعل اوسئلة ونحوه فقابلوه بمثله بقوله كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها امر الله بعباده الحدود والانصاف في هذه الآية من باب استيفاء الحقوق يعني ان وجدتم استيفاء الفصاص فاقتصوا بالعدل ولا تزيدوا عليه فان الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في حد الله وشرعه ورحمته وفي الآية دليل على ان الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والندب بضد اذا الترك اولى فان كان لا بد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بالجيب مراعات المماثلة ثم انتقل من طريق الى طريق فقال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين يعني ولئن صبرتم وتركتم استيفاء القصاص وهو اجر للصابرين الغافرين فصل اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة او محكمة فمن قال انها نزلت قبل براءة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما نزل الله القتال وكره اهله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له ان ينتقم من ظالمه اكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والنخعي قال بعضهم الا انها محكمة لان الآية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق والقصاص وترك التعدي وهو كطلب الزيادة وهذا المثيل لا تكون منسوخة بل تتعلق لها بالشيء والله اعلم قوله عز وجل واصبر وما صبرك الا بالله الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلم ان صبره بتوفيقه ومعونته ولا تحزن عليهم يعني على الكافرين واعرض عنهم وقيل معناه ولا تحزن على قتلى احد وما فعل بهم فان لهم ابيض الرحمة ورسوله ولا تك في ضيق مما يمكرون يعني والتضييق صدر بالهم بسبب مكرهم فان الله ناصرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقيل الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن واما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال ابن قتيبة الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين وليّن وليّن فعلى هذا هو صفة بمعناه فلا وجه لان تكون في امر ضيق من مكرهم فان الهاء في الدين الزائد هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة وكان المعنى فلا يكن الضيق فيك الا ان القرآن نزل بلغة قوم فجاء على ما يعرفون وقيل في ضيق هي ان الضيق اذا اعظم وفوي صار كالشيء الجسيم بالانسان من كل جانب كالقميص الجسيم فجائت العبارة تذكر هذا للعبد بهذا المعنى ان الله مع الذين اتقوا اي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي والذين هم محسنون يعني بالصبر الجميل وهذه المعية يعني بالعون والفضل والرحمة وكيف من المتقين المحسنين وفي هذه الاشارة الى التعظيم للامر بالصبر والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الصبر ان صد فوجع الخوف صلح وخلوص الخلق وكمال الانسان ان مع قلة الحول لذاته والخير للاجل ان يجمل وقيل لعمر بن حيان عند الموت اوصني قال انك لم تعط الوصية في الحياة ولم تمنعها عند الموت اوصيك بخاتم سورة النحل والله اعلم بما اراد كتابه بعون الله وحسن توفيقه انتهى الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس اوله سورة الاسراء وهي مكية في قول الجميع

Dilara

مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ادريس فقال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هارون فقال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى فقال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزته بكى فقيل ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا فقيل هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى واذا نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل اذان الفيلة فقال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذا يا جبريل فقال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الحكمة التي انت عليها وامتك قال ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم امرت قال امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكني ارضى واسلم فلما جاوزت ناداني مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي واجزي الحسنة

وفي رواية اخرى بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان وبيده عصا يتكئ عليها زعم قم فلي حكمة وايمانا وبيده مرجل من ذهب فاستوى البيت المعمور فصلى فيه كل يوم سبعون الف ملك اخروا لم يعودوا الى ما عليهم ونحن امة بعدهم فاذا انا بابوذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم طبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جينا الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك احد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فهل ارسل اليه قال نعم فيفتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة واذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت يا جبريل من هذا قال هذا ابو البشر آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار واذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فلما عرج بي جبريل حتى اتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال انس فذكر ابو ذر انه وجد في السماوات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت على آخر فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فقلت من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فلما قفلت من هذا قال هذا عيسى قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال فقلت من هذا قال هذا ابوك ابراهيم قال ابن شهاب واخبرني ابن حزم ان ابن عباس

وابا حية الا نصدقه بشيء فاذا يقولان فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت مستوى اسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وانس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرض الله على امتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى بما امرت قلت امرت بخمسين صلاة قال موسى فراجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فوضع شطرها فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي فانطلق بي جبريل حتى اتى بي سدرة المنتهى وغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها حبايل اللؤلؤ واذا تربها المسك وعن شريك ابن ابي نمر عن انس ان ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم فاتوه فلم يصغ به نفر دون الرجل حتى احملوه فاتوا به زمزم فتولاه منهم جبريل فبقر جبريل ما بين لبته الى نحره حتى فرغ من صدره وجوفه وغسله من ماء زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم اتي بطست من ذهب فيه نور من ذهب يحشى ايمانا وحكمة فحشي صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء من هذا فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا يستبشر به اهل السماء لا يعلم اهل السماء ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه السلام فقال جبريل هذا ابوك آدم فسلم عليه فرد عليه وقال مرحبا والعلا بابني نعم الابن انت فاذا هو في السماء الدنيا بنهري يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما فمضى بي في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من درر وزبرجد فضرب يده فاذا هو مسك اذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة مثل ما قالت الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا ثم عرج الى السماء الثالثة فقالوا مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى السابعة فقالوا مثل ذلك كل سماء فيها انبياء قد سماهم قال فاوعيت منهم ادريس في الثانية وهارون في الرابعة واخر في الخامسة ولم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام موسى ربه لم اكن انه يرفع عليه احد ثم علا بي فوق ذلك ما لم يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى وهذا الجبار رب العزة تبارك وتعالى فدنى منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يرده حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه فامتك اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يدري ما ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال اي رب ان امتي ضعفاء اجسادهم واسماعهم وابدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد فانه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في ام الكتاب قال فبكل حسنة بعشر امثالها فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف صنعت فقال خفف عنا فاعطى كل حسنة عشر امثالها فقال موسى والله لقد راودت بني اسرائيل على ادنى من ذلك فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلف قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام وهذا لفظ البخاري وادرج مسلم حديث كريب في حديث ثمر انس المرفوع عليه على حدة وثابت البناني عند مسلم وذكر من اول حديثه شيئا يسيرا كما تقدم وساق الحديث بنحو حديث ثابت فاما مسلم فقدم واخر وزاد ونقص وليس بعضهم لحديث ثابت من بعض الا ما يريده على ما نصفه اخرا منفصلا وحده من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اوتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فحملت عليه فسار بي حتى اتيت بيت المقدس فاوتي بالدابة التي يربط بها الانبياء فدخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء

مزمزم واللامزين باختوت الذي فالجبريل ما هذا فقال هذا الشيطان وامتوت العشرة فاتم عرج بنا الى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من انت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية واستفتح فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قيل قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
الثالثة واستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
بيوسف عليه السلام اذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا ادريس فرحب بي
ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة واستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء السادسة واستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح
لنا فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة واستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ابدا ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها
كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق يستطيع ان ينعتها
من حسنها فاوحى اليه ما اوحى وفرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت
خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا تستطيع ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل واجربتهم قال فرجعت
الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا تستطيع ذلك
فارجع الى ربك فسله التخفيف. قال فلم ازل ارجع بين ربي وموسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل
يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه شيء فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى
موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فسله التخفيف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقلت فرجعت الى ربي حتى
استحييت منه هذه رواية مسلم واخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به
مسرجا ملجما واستصعب عليه فقال له جبريل ايا محمد تفعل هذا ما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا
الحديث. ومسلم ايضا عن انس مختصرا او بمعنى واحد وفيه اني قال فرجعت الى ربي فسألته التخفيف. فقال ان امتك لا تطيق ذلك
فارجع فسأله التخفيف فقلت استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى اتى بي الجبار فاهويت الى الارض فقلت من ورائي
فقال بل امض فمضيت حتى اتيت السماء الدنيا فنظرت عن يميني فاذا انا بابراهيم عليه السلام وعن يساري فاذا موسى
فقال ارجع والله اعلم ما شانك فانزل الله تعالى وآتينا موسى الكتاب يعني التوراة وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا
تتخذوا من دوني وكيلا يعني ربا وكيلا يعني ربا وكيلا ذرية يعني يا ذرية من حملنا مع نوح انه
كان عبدا شكورا يعني نوحا انه كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا اكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله
فسماه الله عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب يعني اعلمناهم واخبرناهم كما اتينا لهم
من الكتاب انكم ستفسدون في الارض مرتين قال ابن عباس مرتين فقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب الحديث
الحديث شريك بن ابي نمر عن انس واحد الا امر فيه على ما سياتي وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي وانفرد هل
العلم ان المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثني عشر سنة وفيه الجبار تبارك وتعالى وقد ذكرت عائشة ان الذي
تولى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح لان هذا كان رؤيا والرؤيا اراه الله ذلك قبل
ان يوحى اليه بليال اخ الحديث باستيفائه وهو في المسجد الحرام ثم عرج به الى السماء بعد الوحي وقبل الهجرة
بسنة تحقيقا لرؤياه التي رآها من قبل كما انه رآى فتح مكة في المنام عام الحديبية بسنة ست من الهجرة
ثم كان تحقيقه بعد سنة ثمان وتزل قوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

BULAC

رحمه الله في كتابه شرح مسلم فذكر في رواية ثابت في هذا الحديث أو نحوه وأنكرها عليه العلماء وقد تبعه مسلم على ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص مثل ذلك فقوله وذلك قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه وأن الإسراء إنما كان قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الخرقي كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة وقال ابن إسحاق أسري به صلى الله عليه وسلم وقد بشم الإسلام والقبائل قال الشيخ في الشفا والصحيح الأول قول الزهري وابن إسحاق وأما قوله في رواية ثابت وهو نائم وفي الرواية الأخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج من يجعلها رؤيا بأن قوله وأنا نائم يحتمل أن يكون ذلك أول وصول الملك إليه ويفسر في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا إن لم يقل إنه قاله في رواية ثابت وهو الذي قاله في رواية شريك وإن أهل العلم قد أنكروها فقد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في غير هذا الموضع من صحيحه وأن الحديث محفوظ قال الحافظ عبد الغني في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكره لهذه الرواية هذا الحديث بعد اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر فذكر فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الإسراء جماعة من الصحابة المتقنين والأئمة المشهورين بالضبط والإتقان وثابت البناني وقتادة يعدان عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والحديث الذي تقدمت قبل هذا المشار إليه فصل ويشرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة وقال كانت في رجب وقيل في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الإسراء بروحه أو بجسده وصلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والأحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول مع ما انعقد عليه الإجماع وحكى عن محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال كان ذلك رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أسري بروحه وحكي هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية نحوه والصحيح ما عليه الجمهور من العلماء من السلف والخلف وإليه أعلم قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت بالبراق وهو أنعم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به واشتقاقه من البرق للسرعة ولشدة ضيائه وبياضه ولمعانه وتلألئه ونوره والخلقة بإسكان اللام وتحريك مختلف والمراد بربط البراق بالخلقة بالإسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالخلقة الأخذ بالأسباب في الأمور وتعاطي الأسباب وإن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير فعرضا علي فاخترت فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني بكم أن هديت وجعل اللبن علامة الفطرة الصحيحة السليمة لكونه ستها كريما سائغا للشاربين وأنه سليم العاقبة بخلاف الخمر وإدرانها أم الخبائث وجالبة لأنواع الشر قوله ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت فذكر فيه بيان الأدب لمن استأذن وأن يقول أنا فلان ولا يقول أنا مجانبة مكروه وفيه أن للسماء أبوابا وحراسا وأن عليها حرسا وقد أرسل إليه في رواية أخرى وقد ذهب إليه معناه للإسراء به وصعود السماء وليس مرادها الاستيلاء على أهل السماء والسلطنة عليهم فإن ذلك لا يجعل له ولا لغيره هذا هو الصحيح في معناه وقيل لغيره وقوله جاء أنا بلاد وذكر جماعة من الأنبياء فيه استعمال العرب والعجم في المشورة والترتيب والكلام الحسن وأن كلا من الزائر فضائل المزور وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمن عليه من الفتنة وغيره من الأسباب المفتنة وقوله ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من الصحابة سميت بذلك لأنه ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود وسميت بذلك لأنه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها فتقبض منها وقوله وإذا ثمرها كالقلال وهو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع فربتين أو أكثر قوله فرجعت إلى ربي فقال الشيخ محي الدين معناه رجعت إلى الموضع الذي ناجيته منه أولا فناجيته ثانيا وقوله بل أدنى بين موسى ومعناه رجعت إلى الموضع بين موضع

مناجاتي

مناجاة ربه عز وجل قلت واما الكلام على معنى الرؤيا وما يتعلق بها فانه سيأتي ان شاء الله في الصوم من رواية ابن عيينة عند قوله ثم ذا فبذلك قوله بعرض الله علي امتي خمسين صلاة الى قوله بوضع شطرها وفي الرواية الاخرى فوضع عني عشرا وفي الاخرى نحو ما ليس بين هذه الروايات منافاة فيحمل على ان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف واما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البناني وقتادة وهما اثبت من شريك بالمد وحط عني عشرا الى اخره ثم قال في الخامسة وهي خمسون في الام والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل وقوعه

وفي اول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد تقدم في اوائل الصلاة وهو عند حليمة كما تقدم في المراد الشرح الثاني زيادة النهبي لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله او نبئت بكسر النون مذهب فريق منهم انه يجوز استعمال الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا العموم قد خصه الحديث الصحيح وهو مباح لهم استعمال الذهب والفضة او هذا قد كان قبل تحريمه وقوله مصفى حكمة وايمانا بمرغهما في صدري فان قلت الحكمة والايمان معنيان والاجراء صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل في الكمستشي به كما الايمان والحكمة وزيادتها تقتضي ايمانا وحكمة ليكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز وقوله بصفة اد وعليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد صرح في الحديث بانه نسم بنيه يعني ارواح بنيه وقد اعترض هذا بان ارواح المومنين في السماء وارواح الكفار تحت الارض السابعة فكيف تكون في السماء والجواب عنه يحتمل ان ارواح الكفار تعرض على ادم عليه السلام وهو في السماء فرآيوه وقت عرضها عليه ادم مرور النبي صلى الله عليه وسلم به فاخبره بما رأى وقوله اذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه تنبيه للوالد على ولده وسروره وترحيبه بحسن حال المومن منهم وحزنه على سوء حال الكافر منهم وقوله اد ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح وقد اتفق المورخون ان ادريس هو اخنوخ وهو جد نوح عليه السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم جده فكان ينبغي ان يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال اخ وابراهيم عليه السلام والجواب عن هذا ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضي عياض قال العيني في الذرية ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس ابا للنبينا صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون فاضلا كاملا وتاديا وهو اخ وان كان ابا بالنسبة الابوية اخوة والمومنون اخوة والله اعلم فصل في ذكر الاوقات التي عرج فيها الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسيأتي احاديث تتعلق بالاسراء قال البغوي روي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بكان بمكة يخبر بان ربه اسرى به فقال قوم ان محمدا قد كذب فارتد ناس ممن كانوا امنوا به وصدقوه فاتى ابو بكر وهو الصديق فقال ابن عباس وعايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة اسري به اصبحت بمكة فظعت بامره وعرفت ان الناس مكذبي فقعد معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استجد منه شيء قال نعم قال ابو جهل ان يكن ذلك فما بك ان تجحده الحديث ولكن قال اتحدث قومك بما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لوي هلم فانتفضت المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما قال احدث قومك بما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فمن بين مصفق ومن واضع يده على راسه متعجبا وارتد ناس ممن كانوا امنوا به وصدقوه وسعى رجال من القوم حتى اتوا ابا بكر الى ان قال فقال له هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال ذلك قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قال اوتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم انى لاصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوة او روحة من ذلك سمي ابو بكر الصديق قال وكان قد اغرو من اتى المسجد الاقصى قال لهم هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد فربما ذهبت انعت بعضه فانعت حتى التبس علي فجيء بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعته وانا انظر اليه قال اما النعت فوالله لقد اصاب فيه ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا امر بها هم البناء قد اضل منها شيئا قال نعم مررت بعير بني فلان وهم بالروحاء وقد اضلوا بعيرا لهم فطلبوه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربت ما فيه فرويت منه كما كان بسطوا هل وجد والله

الفج حين رجعوا فقال والله هذه ناقة قد ورت بعيرين قبلان وقبلان رأكبان فعرفوا انها بعير صالح وبعيره فمر بعير بعيره فمر بعير بعيره فمر بعير ب

يعني بعليهم عذاب اسماعيل باذا جاء وعد الآخرة يعني المرة الاخيرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فجاء الله منهم مرة بعد اخرى وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام بعثنا الله عليهم ابخت نصر وامثاله فسبوهم وقتلوهم وهو قوله تعالى ليسوءوا وجوهكم يعني ليغيروا وجوهكم وفي بعض يعني ليسوء وجوهكم وليدخلوا المسجد يعني بيت المقدس وليدخلوه كما دخلوه اول مرة يعني وقت ابتدائهم الاول وليتبروا ما علوا تتبيرا يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل قال

ذكر القصة في هذه الآيات

قال محمد بن اسحاق وكانت بنو اسرائيل والذي... نوب وكان الله يؤذلك متجاوز اعنهم ومحسنا اليهم وكان اول ما زال ملكهم بسببه ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ولا ينزل عليه كتابا انما يأمرهم باتباع التوراة والاحكام التي بيقيا بعلما ملك صديقة بعث الله معه شعيا بن امصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قال السدي رحمه الله ومعناه ابشر الان يا نبيك راكب الحمار ومن بعده صاحب الجمل فلما ملك ذلك الملك يعني صديقة بني اسرائيل وبيت المقدس ولما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعيا يبعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه استفانية البرابرة فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت بوسطه فجاءه شعيا النبي عليه السلام فقال ايها الملك بني اسرائيل ان سنحاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده وقد رأيتهم النائم فوقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل انك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده فقال شعيا لم يأتني وحي بشيء من ذلك فبينما هم على ذلك اوحى الله الى شعيا النبي ان ائت ملك بني اسرائيل فمره ان يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته وبأتي شعيا ملك بني اسرائيل فقال ان ربك قد اوحى اليك ان امرك ان توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك لشعيا الملك اقبل على القبلة ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى يغلب فخلص اللهم رب الارباب واله الآلهة يا قدوس المتقدس يا رحمان يا رحيم يا رؤوف يا الذي لا تأخذه ولا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وبلائي وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك وانت اعلم به مني سرا وعلانية لك بالسجاب الله له وكان عبدا صالحا فاوحى الله الى شعيا ان يخبر صديقة ان ربه قد استجاب له ورحمه واخر لاجله خمس عشرة سنة واحياه من عدو كه سنحاريب فاتى شعيا فاخبره فلما قال له ذلك انفكع عنه الحزن فقال الحمد لله والشكر لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت انت الذي تغضب الملك من تشاء وتفرج الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء على الغيب والشهادة انت الاول والآخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطر يا من انت الذي اجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما ارتفع الله اوحى الله الى شعيا ان قل للملك صديقة يأمر عبدا من عبيده ببناء البناء الذي يجعله على فراشه يبشر فيه ويقيم فيه وقد برا بعد ذلك بشهر فقال الملك لشعيا سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فاوحى الله لشعيا قل له اني قد كفيتك عدوك واجيك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه احدهم كنت نمر يجعلونهم في البوامع ثم انوا بهم الملك فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى حين كشف الغم عنه فلما ارتفع النهار قال سنحاريب لكبيه رأيت بعد ربنا بكم الم يقتلكم فلم يجبه فقال لعلكم فوقه وفخر وانتم غافلون فقال سنحاريب قد اتاني خبر ربكم ونعمه اياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل ان اخرج من بلادي فلم امكم مرشد ولم يلقني الا بالشقوة اكافئه عقيلا ولو سمعت او غفلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفانا كم ما شاء ان ربنا لم ينك ومن معك لكرامة له عليه ولكنه انما اهلكك ومن معك لتزداد والشقوة في الدنيا وعذابه في الآخرة ولتخبر واآخر وراءكم بما رأيتم من بعد ربنا بكم فتنتهوا ولئلا يذلك لا قتلك ومن معك ولدمك ودم من معك الحرن على الله من هو فراد لو تعلف ثم ان ملك بني اسرائيل امر امير جرسه ان يذهب في قرابهم البوامع فيعلو وكان بهم سبعين بوقا حول بيت المقدس واثبتها وكان رزقهم خبزا من شعير فقال سنحاريب للملك صديقة العشر خير مما فعلنا بنا وامر بهم ان يعجن فاوحى الله الى شعيا النبي ان قل لملك بني اسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا اجمعوا الناس فاخبروهم كيف بعل الله تعالى بجنوده هذا الله كهانه ويخبرهم يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم واوحى الله الى نبيهم فلم يكتمنا وهي امة لا يستحيي هذا احد مع ربهم وكان امر سنحاريب تخويفا لبني اسرائيل كما نعم الله تعالى بني

وغيره ثم ان سنحاريب كتب بعد ذلك تسع سنين ثم مات واستخلف على ملكه ابنه نحت نصر فعمل بعمله وقضى بقضايه
قلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تلك بني اسرائيل هدية لحزقيا من بني اسرائيل وتنابس الملك حتى قتل بعضهم بعضا
وشعيا ينهاهم عما هم عليه فلما اعلموا ذلك قال الله لشعيا قم فرمك اوح على السماك فلما قام انهوا الله
يستانه بالوحي فقال يا سماء اسمعي ويا ارض انصتي فان الله يريد ان يقص شان بني اسرائيل الذي رباهم بنعمته واصطفاهم
لنفسه وجدهم بكرامته ويفضح شل عبادة الاصنام التي لا يراعي لها ولا وي شاربها وجمع حالها وجبر
كسرها ولا وي مريضها واشمن مهزولها وحبك سمينها فلما بقل ذلك بكرت فتنا كحب كما شك فقتل بعضهم
بعضا حتى لا يبقى منهم عظم يجبر بعيره كعيسى بويل لهذه الامة الخاكية لا يدرون اي جراحهم الحين ان البعير مما يذكى
وهذه يعينانه وان الحمار مما يذكى الماوي الذي يسمع عليه فراجعه وان الثور مما يذكى المرج الذي يعرج فيه فيا ليته
وان هؤلاء الفرع الذي كون من بيت جاهم الحين وبما ذكر اللباب والعفر البيض والبعير لا يضرب ليموتا فليتهم
قل كيف يزرون في ارض خانت خرابا الا عمران يبقى وكان الله رحيم قوي فانتقل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه
وهو قوي او يقال منع وهو حكيم فراحا عليها جدارا وشيد بيتها فهم او ابتنوا نهرا وغرسوا فيها غراسا
من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب والوان الثمار كلها وولد ذلك واستخلفه ذراي وهم حينئذ امينا فلما
اكملت جاءه كملت خرب افانوا بيست الارض هذه يبرا ان تعدم جدارها وقصرها وتدبن نهرها ويغيض بيتها وترفع
غرسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا سوانا الا عمران يبقى قال الله تعالى لهم الجدار وان القصر شرايع وان النهر
كتابه وان الغيم نبيه وان الخرب التي اكملها الغراس اعمالهم القبيحة واني قد قضيت عليهم فصاروا هم
على انفسهم وانه مثل ضربته لهم يقولون الذي يذبح البقر والغنم ويسرنا الي اللحم والاكل ويدعوا ان يتقربوا التي
بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها وايديهم مخضوبة منها وثيابهم مسربلة بدمائها يشيدون البيوت
مساجد ويظهرون اجوافها ويتحسنون فيها بهم واجوافهم واجسادهم ويدنسونها ويزخرفون المساجد
ويزينونها ويحزنون عقولهم واخلاقهم ويفسدونها فاي حاجة الى تشييد البيوت وليست اسكنها واي حاجة الى
تزويق المساجد وليست ادخلها انما امرت بربها للذكر واسبح بها يقولون نصمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا
فلم تقبل صلاتنا وتصدقنا فلم تزكه صدقتنا ودعونا بمثل حنين الجمام وبكينا مثل عواء الذيابي فلم ذلك لا يستجاب
لنا فاي الله فبسلهم ما الذي يمنعني ان استجيب لهم الست اسمع السماعين وابصر الناظرين واقرب
المحسنين وارحم الراحمين وكيف لا يرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويفترون عليه بكعة الحرام وكيف انور
ظلمهم وفلوبهم عاتية الرحمن بخلدني وبجادني ويهتك جارها كيف تركوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم
انما جزى عليها العلف المغصوب كيف استجيب دعاءهم وانما هو قول باللسان والبعد من ذلك بعيد وانما
استجبت للداعي النيز وانما السمع قول المستضعف المسكين وانما من علامة رضاي عن الصادقين يقولون لما
سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها اقاويل منقولة واحاديث قد متواترة وتاليف معاد تالف السنين وزعموا
انهم لو شاءوا ان يأتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاءوا ان يكلفوا على علم الغيب بما يوحي اليهم الشياطين واني قد
قضيت يوم خلق السموات والارض فضاءها اثبته وحتمته وجعلت دونه اجلا موجلا لا بد انه واقع وان عدوا بها ليتحملون
من علم بيحبوه متى نفذه او في اي زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بها يشاءون ولن يأتوا بمثل القدرة التي بها
امضيه واني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يعلموا ما يشاءون ولن يبلغوا مثل الحكمة
التي ادبر بها ذلك القضاء ان كانوا عالمين واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض ان اجعل النبوة في الاجراء وان
اجعل الملك في الدعاء والعز في الذلة والقوة في الضعفاء والغنى في الفقر والعلم في الجهالة بسلهم متى هذا ومن
الظالم بهم ان يعلموا ان هذا الامر وانصاره ان كانوا يعلمون وابى باعث لذلك نبيا اميا اعماه عن عميان ضال من هاديهم
ليسر بهم والمغلوب والمعاب في الاسواق ولا متزين بالجشع والافواه العنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم
اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه

والعفو اليسرة

والعقل بسيرته والحق بشريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة واربع به بعد الخيانة واشهد به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة والف به بين قلوب مختلفة واهم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي يقبلون قبلتي ويصلون صلاتي ويسجدون سجودي ويغزون زحوفا ويحجون مزدلفاتهم وامرهم ابتقاء وضوائهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل ... لهم ومجامعهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقتسمون على الماء وعلى الشراب ويكبرون في الوجوه والاكمام ويعقدون التكبيرات على الانامل فربانهم امامهم وانا جلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعيا من مقالته عدا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلحقته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فرفعوا المنشار في وسطها واخذوها حتى قطعوها فقطعوه في وسطها واستخلف الملك اليعاذين اسرائيل بعده ذكر رجلا منهم يقال له شبية بن امرو وبعث لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هارون بن عمران وذكر ابن اسحاق انه الخضي والسمه ارميا الشهي الخ انه جلس على بئر وهو يبضا فقال عنقا وهو يومئذ خضي فبعث الله ارميا الى ذلك الملك يقصده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارميا ان ايت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما امرك به وذكرهم وعرفهم باحداثهم فقال ارميا اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني محزور ان لم تنصرني فقال الله تعالى الم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيتي وان القلوب والالسنة بيدي فانطلق كيف شئت اني معك وانا اجعل اليك كيف مي فقال ارميا ثم اذا ما يقول والهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لا ابعثن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولا سلطن عليهم جبارا قاسي القلب شديد الهيبة واترع من صدره الرحمة بينهم عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بما عبدت وبما عبدت اهل بابل وسلطه الله عليهم فخت نصر فخرج في عساكر البرابرة وخلق يبث المقدس بهنوده وامر جنوده ان يملاوا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ويعلوا حتى ملوه ثم امرهم ان يحرقوا امره في بلد ان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صفي وكيم من بني اسرائيل وباختار منهم سبعين الف صبي فلما خرجت عنا بي جنده والدان يقتسمه فقال الصبيان الذين اختارهم من بني اسرائيل فقاتلهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلثا امر بالشام وثلثا سبيا وثلثا فتلى وذهب بابنة بيت المقدس وبالصبيان السبعين الالف حتى اقدمهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التي انزل الله عز وجل بني اسرائيل بكلمهم بذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد يعني بخت نصر واصحابه فمن بخت نصر الى قوله وسلطانه ما شاء الله ثم رد الله رؤيا عجيبة اي رؤيا الشيخ اصابه والشاه الذي رؤا بعد ذلك اليوم عادنيا وحباسا وعواريا ومسايل وكانوا من ذرية الانبياء وسالهم عنها فقالوا اخبرنا به نخبرك بتاويلها فقال ما اذكرها ولئن لم تخبروني بها وتاويلها لانزعن اكتافكم فقالوا من عنده يدعى عزر السير ويقضي عون الله واعلمهم الذي يسالهم عنه فجاءوه فقال ائتيني بقضاء الاندماه وسلوه عن الخبر وركبتاه وفخذاه من نحاس وصدره من ذهب وبطنه من فضة وراسه وعنقه من حديد فاتوه فقالوا له اجبنا انت تقضي اليه فدعا ربه فارسل الله عز وجل عليه من السماء فدفته فهي التي استخرجتها فاتوه فقالوا له اجبنا فقال ويلها انك رايت ملك الملوك بعضهم كان اعز ملكا وبعضهم كان احصن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا فالحجر الذي وقعه ثم فوقه النحاس اشد منه ثم فوق النحاس الفضة احصن من ذلك واطول والذهب احصن واطول من الفضة ثم الحديد وهو اشد واعز مما كان قبله والحجر الذي رايت ارسل الله من السماء فدفته اليه يبعثه الله من السماء فيقذف بذلك اجمع ويتمم الامر اليه ثم ان اهل بابل قالوا لبخت نصر رايت هؤلاء الغلمان من بني اسرائيل الذين سالناك ان تعطينا هم فبعثت بهم فانا فقدنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رايتنا نساءنا وجوههن البهم واخرجهم من بين اظهرنا وافتلهم فقال اشانهم بهم فمن اجل ان يفتل من كان بيده فليبعد فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل فاوحى الله الى ارميا اني اتوب عليهم ابوعدهم

ان يحيوهم فقتلوا الملك كان منهم ثم تحت نهى منهم دنيا وحياسا وعواريا ومسا ويل ثم لما اراد الله تعالى هلاك تحت نصر
انبعث فقال الى بيته من بني اسرائيل ارايتم هذا البيت الذي اخربته وان من الذين قتلت من هم وما هذا البيت فالوا بيت المقدس
وهو كان اهله كانوا من ذراري الانبياء بكلموا وتعدوا فبعثه الله عليهم يذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم
يكرمهم ويعزهم بلما بقلوا ما بقلوا اهلك الله ملكهم عليهم غيره فاستكبر وتجبر وكان انه يخبر ونه بعمل ذلك بني اسرائيل
فقال ما اخبروني كيف اصلح الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذ ملكا بما فيه فبرغت من اهل الارض فالوا ما يقدر عليها احد
من الخلائق فقال لا تفعلن ولا تقتلنهم عن اخركم فيكونوا وتصيروا الى الله تعالى بتبعث الله عز وجل عليه بقدرته يعوضه بدخلت
بعوضة حتى عضت على انفه حتى جعلت تاكله فبعث الله العباد قدرته واجا الله من يقي من بني اسرائيل بيديهم وردهم الى الشام فنشوا
وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله تعالى احيا الملك الذي قتلوا بلحموا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام
دخلوها والبيت معهم من الله عهد كانت التوراة فاختلفت وكان عزير من الصبيان الذين كانوا بابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي
ليله ونهاره وخرج عن الناس بمنعا هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك فقال ابكي على كتاب الله وعهده الذي
كان بين اظهرنا الذي لا يصلح دنيانا واخرانا غيره فقال اتحب ان يرد اليك ارجع بصم وتكفر وكفر بثابك ثم موعدك
هذا المكان غدا فرجع عني بصلي وتكفي وكفي ثيابه ثم عهد الى المكان الذي وعده فجلس فيه فاتى ذلك الرجل بانائه فيه ماء
وكان ملكا بعثه الله اليه يسقيه من ذلك الاناء بمثل التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل يوضح لهم التوراة باحبوه حبا
لم يحبوا حبه شيء فمكث ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعبد الله عليهم ويبعث فيهم الرسل
فيقربنا يكذبون وبقربنا يقتلون حتى اخذ من بعث من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت داود وزكريا مات
وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين اظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك
بابل يقال له حردوس فسار اليهم بابل حتى دخلوا عليهم الشام فلما ظهر عليهم امر راسا من رؤساء جنوده يقال له سنحاريب
ان صاحب الفيل فقال له حلفت بالهي ليرانا كفرت على اهل بيت المقدس لا قتلنهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا ان
احدا احدا الا قتلته فامره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنو راداد ان دخل بيت المقدس دخل البقعة التي كانوا يقربون
فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فبعث عنه وقال ما شان هذا الدم يغلي اخبروني خبره فقالوا هذا دم قربان
قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا من ثلثمائة سنة فنقبل منا الا هذا فقال امر حق منهم فقالوا لو كان كاول زمانك
لقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بنو راداد ان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا
من رؤسائهم فلم يهدا الدم فامر سبعمائة غلام من غلمانهم يذبحهم على الدم فلم يهدا فلما رأى بنو راداد ان الدم لا يهدا قال ويلكم
يا بني اسرائيل احد فوبوا واصبروا على امر ربكم فيغفر لكم اما ملكتم في الارض تعلمون ما شئتم فبالله ان لي منكم نذير من ذكر او انثى
الا قتلته بقلة رأيكم الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان ينبهكم عن امر ربكم من سخط الله تعالى فلو كنا
بهذا كان ارشد لنا وكان يخبرنا عن امركم فلم نصدقه بقتلناه بهذا فعند ذلك قال بنو راداد ان ما كان اسمه فالوا يحيى بن
زكريا قال الان صدقتموني ليمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما رأى بنو راداد انهم حفروه حفرا ساجدا وقال الذي حوله اغلقوا ابواب
المدينة واخرجوا من كان هاهنا من غيرهم ودعوا في بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد عاينت ورأيت ما اصاب قومك
من اجلك وما قتل منهم هذا بإذن ربك فبالذي ترى لا ابقي من قومك احدا بعد الذي بإذن الله تعالى ورفع بنو راداد ان عنهم القتل
وقال قد امنتك بما امنت به بنو اسرائيل وابقيت انه لا رب غيره وقال يا بني اسرائيل ان حرد وس امرني ان اقتل منكم حتى تسيل دما وكم
وسط عسكري وان لا استكفيه ان اعصيه فقالوا افعل ما امرت به بامرهم فحفروا وامر لهم بما مولهم من الخيل والبغال والجمال والابل
والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وامر بالقتلى الذين قتلوا فيذلك فيكم حوا على ما قتل من قالوا شيء فلم يكن حرد وس الا ان
ماء الخندق من دماء بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره ارسل الى بنو راداد ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وهذا في بني اسرائيل
لوكاد وهي الوقعة الاخيرة التي انزل الله في بني اسرائيل في قوله لتفسدن في الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى تحت نهى وجنوده والوقعة
حرد وس وجنوده وكانت اعظم الوقعتين ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة وانتقل الملك بالعشاء ونحوها وتواجيها الى الروم
والبونان يعني الان ما بني اسرائيل كبني عيسى عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم وكانت لهم الرسالة بيت المقدس ونواحيها

وكان فيها نهى

وكانوا في نعمة الى ان بدلوا وغيروا واحدثوا فسلط الله عليهم ملوك سبا نوا نوا الروم واخربوا بلادهم وكدهم عنها وتزع الله
عنهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فلبسوا في امة الاوعليهم الصغار والجزية وفي بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر الخطاب
رضي الله عنه بعهد المسلمون بامره وقيل في سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بني اسرائيل كان يخذ به ويجيء مجلسه وان الملك
هوى بنت امرأته قال ابن عباس ابنة اخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن ذلك فقالت امها فقد ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس
الملك على شرابه والبلستها ثيابا رفافا حمرا وكحلتها والبستها الحلي وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه وان
تعرض ودها عن نفسها فابت عليه حتى يعطيها ما سألت فلما اعطاها ما سألت سألته راس يحيى بن زكريا ان يوتى به في طست
ففعل فلما اتوها قالت لا افعل حتى تعطيني ما اسألك قال ايما تسألين قالت راس يحيى بن زكريا فجعل الطست يقطر وهو يقول
سلطني غير هذا فقالت ما اريد غير هذا فلما ابت عليه بعث فاتاها براسه حتى وضع بين يديه والراس يتكلم يقول لا يحل لك فلما
اصبح اذا دمه يغلي جاء مرتزاب فالقى عليه وقال الذي يغلي فلا يزال يلقى عليه التراب وهو يغلي حتى بلغ سور المدينة وهو يغلي يرمي
ويغلي فسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل سبعين الفا حتى قوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يعني بابل اي بل
بعد انتقامه منكم بمبرة الدولة اليكم وان عدتم اي الى المعصية عدنا اي الى العقوبة قال قتادة فبعثوا فبعث الله فيهم
صلى الله عليه وسلم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي سجنا ومجلسا من الحصى الذي هو الحصير وقيل فراشا
من الحصير الذي يبسط ويفترش قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم اي الى الطريقة التي هي اصوب وقيل الى
الكلمة التي هي اعدل وهي شهادة ان لا اله الا الله ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا
يعني الجنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما يعني النار في الآخرة ويدع الانسان اي يدعو
وماله وولده بالشر يعني قوله عند الغضب اللهم العنه اللهم العنه ونحو ذلك دعاءه بالخير اي كدعائه ربه ان يهب له
النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لعجل وفاته لا يستجيبه بفضله وكرمه وكان الانسان عجولا اي
بالدعاء على ما يكره ان يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجر اذا قيل له على سراء وضراء وقوله عز وجل وجعلنا الليل
والنهار آيتين اي علامتين دلتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الآية قولان احدهما ان يكون المراد من الآيتين نفس
الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين على مصالح الدين والدنيا اما في الدين فلان كل واحد منهما مضاد للاخر مغاير مع كونهما
متعاقبين على الدوام وفيه اقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبر امرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة واما في الدنيا فلان
مصالح الدنيا لا تتم الا بما في الليل لجعل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني ان يكون المراد
وجعلنا نير الليل والنهار اي منيرين يبصر بهما كقوله تعالى فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل يعمو الضوء منه شيئا ما فلهذا
لا يتبين فيه شيء وجعلنا آية النهار مبصرة اي يتبين فيه كل شيء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين
جزءا فجعلها مع نور الشمس وكان الله امر جبريل عليه السلام ان يمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور
وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذي في القمر هو اثر المحو وابتغوا فضلا من ربكم اي لتتصرفوا بياض النهار الى استبانة
اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا اي باختلاف الليل والنهار عدد السنين والحساب اي ما تحتاجون اليه
منه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوان ولتعطلت الامور ولو ترك الله القمر والقمر كما خلقهما لم يجب في الليل من النهار
ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج وكان وقت حلول الديون الموجلة وكل ما علم ان الحساب يبنى على اربع وهي اقرب
الشاهد عنا والايام والشهور والسنين بعدد السنين والحساب لهذه وهي من الشهور والايام والساعات وليس
بعد هذه المراتب الا التكرار وكل شيء فصلناه تفصيلا يعني وكل ما يحتاج اليه من امر دينه ودنياه فصلناه
بيانا شافيا وافيا غير ملتبس وقيل انه تعالى ذكر في هذه الآيات احوال الليل والنهار وهما من اعظم الدلائل على التوحيد وفي
وحي اخر انهما نعمتان من الله على اهل الدنيا وكذلك تفضلا منه وللاجر فلا وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه شر ما كان وقيل خيره وشره
معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وقيل اراد بالطائر ما
قضي عليه انه عامله وما هو صائر اليه من شقاوة او سعادة وقيل هو فرقه كما قال له سهم اذا خرج يعني الزمناه

BULAC

ملكا من عمله لزوم القلادة والقلادة لا تنفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنق
أي تلاذك هذا العمل والزمك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل ما
يقرن او يشد فيه وان كان عملا خيرا فان كالقلادة والطوق وهو معلق بترقوته وان كان عملا شرا كان كالغل في عنقه وهو مع
بشيئه وقوله تعالى ونخرج له يقول الله عز وجل ونحن نخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قيل بسط للانسان صحيفتان
ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلت معه في قبره فلا ينتشران الى يوم
القيامة اقرأ كتابك اي يقال له اقرأ كتابك غير يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا في الدنيا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
اي محاسبا فال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بكفاء للقتيد فاجعلني
لحساب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل
فانما يضل عليها اي ان ثواب العمل الصالح مختص بعامله وعقاب الذنب مختص بعامله ايضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو
قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الاثام ولا يؤاخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنب
نفسه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لانا قامة الحجة وقطع العذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالشرع
لا بالعقل قوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها اي معنى الآية قولان احدهما ان المراد منه الامر
بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى امرهم بالاعمال القاحشة وهي الكفر والمعاصي وفعل الخمر والفواحش والمراد ذلك الامر عنادا
وتمردوا والفسوق الثاني امرناهم امرا مترفيها اي كثرنا فسقهم فيقال امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا اكثر نسلهم ومنه الحديث
خير المال مهرة مأمورة اي كثيرة النتاج والنسل بعد هذا قوله تعالى امرنا مترفيها ليس من الامر بالفعل والترفه وهو الذي يكثر نعمة
النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها اي خرجوا عن امر الله من الطاعة فحق عليها القول اي وجب عليها العذاب
فدمرناها تدمير اي اهلكناهم اهلاكا استيصال والدمار الهلاك والخراب فعزام المومنين زينب بنت جحش
ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه
الابهام والتي تليها فقالت زينب فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة
تقال لمن وقع في هلكة او شرف ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اي الشر قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون اي المكذبة
من بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف بذلك كفار مكة قال عبد الله بن ابي اوفى القرن عشرون ومائة
سنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول القرن يزيد بن معاوية اخرجه وقيل القرن مائة سنة روى عن محمد بن ابي القاسم عن عبد الله
ابن بشر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال يعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن ابي القاسم مازالوا نعده
له حتى نقص له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
يعني انه عالم بجميع المعلومات راء بجميع المدركات الا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل من كان يريد العاجلة
اي الدار العاجلة اي الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء اي من البسط والتقتير لمن نريد اي بعطايه ذلك او للعلائم
وقيل في معنى الآية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اي الذي نشاء تعجيله له لا الذي يشاء هو لمن يريد اذ قد
يعجل له شيئا فدر ناله وهذا لمن اراد بعمله وصالحته الدنيا ومنفعتها وبيان ان من اراد ها لا يدرك منها الا ما قدر له
ثم جعلنا له اي في الآخرة جهنم يصلاها اي يدخلها مذموما مدحورا اي مطرودا اما عاجلا قوله تعالى ومن اراد
الآخرة وسعى لها سعيها اي عمل لها عملها وهو مؤمن بالله وليلك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا قيل في
الآية تقديم وتاخير يكون الشكر مضافا الى السعي وتقديره ومن اراد الآخرة بعمله وسعيها في غير الغرور والسعي فيها كما يجب له من العمل وترك
ما امر بتركه والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينتفع بعمله ايمان ثابت ونية صادقة
وعمل مصيب وتلا هذه الآية قوله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اي نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة
من عطاء ربك اي نرزق هؤلاء وهؤلاء جميعا من يتقلب به البار والفاجر وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا عن عباده والمراد
بالعطاء هو الدنيا اي للآخرة للكفار والآخرة اكبر درجات اكبر تفضيلا يعني ان تفاضل الخلق في درجات منابع

الدنيا

الصحيحين ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانا هو انه
مخير ان شاء اقتص منه وان شاء اخذ الدية وان شاء عفا ولا يسرف في القتل اي الولي بان يمثل بالقاتل خيفة ان
كان اهل الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لم يرضوا بقتل قاتله حتى يقتلوا اشرف منه وقيل معناه اذا اختار قتل واحد فلا يقتل به
جماعة بل واحد بواحد وكانه انما قيل ذلك لانهم كانوا اذا قتل العاقل شريفا فلم يرضوا بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من قومه وقيل
وقيل معناه انه لا يقتل بالقاتل اذا كان منصورا قيل الضمير راجع للمقتول اي انه منصور في الدنيا بالقود
على قاتله وفي الاخرة بتكفير خطاياه واجياب انار قاتله وقيل الضمير راجع الى الولي المقتول ومعناه انه كان منصورا على القاتل
باستيفاء القصاص منه والدية وقيل قوله فلا يسرف في القتل راجع الى القاتل اي لا يتعدى بقتل القاتل بغير الحق فانه ان
فعل ذلك كان الولي المقتول منصورا عليه باستيفاء القصاص منه قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي بالخلة
التي هي احسن وهي وحفظه عليه حتى يبلغ اشده هو بلوغ النكاح والمراد بالاشد هنا العقل ورشد التصرف
فاصلاح ملكه فلو بلغ غير كامل العقل لم يدفع اليه الخ واوفوا بالعهد اي الاتيان بما امر الله والانتهاء عما نهى عنه وقيل
اراد بالعهد ما التزمه الانسان على نفسه ان للعهد كان مسئولا اي عنه وقيل مطلوبا به وقيل العهد يسئل صاحبه
فيقال له لم نقضت كذا وقيل تسئل به فتقول بك نشدك كذا قيل قوله عز وجل واوفوا الكيل اذا كلتم المراد منه اتمام الكيل وزنوا بالقسطاس
المستقيم قيل هو الميزان صغيرا كان او كبيرا من ميزان الذر الى ما هو اكبر منه وقيل هو العدل وقيل هو عربي صحيح
والا فهو اعجمي ماخوذ من القسط وهو العدل ايضا ولا تقف ما ليس لك به علم اي لا تتبع ما لا علم لك به علما
فيقال له لم قلت ما رايت وما سمعت وما علمت ولم تعلمه وقيل معناه لا ترم احدا بما ليس لك به علم وقيل لا تشهد
بالحدس والظن وقيل هو ماخوذ من القفا كانه يقفو الامور ويتتبعها وحقيقته انه لا يتبع احد بالظن انه السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا معناه يسئل السمع عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسئل السمع والبصر والفؤاد
عما فعله العبد وعلى هذا ترجع الاشارة في اولئك الى الاعضاء وعلى الاول ترجع الى العباد اي كل واحد منهم يسئل عن سمعه
وبصره وفؤاده قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وقد روى بعضهم هذا الحديث عن شعبة ولم يرفعه ولا تمش في الارض مرحا اي بكبر وخيلاء انك لن تخرق الارض اي لن تقطعها بكبرك
حتى تبلغ اخر ولن تبلغ الجبال طولا اي لا تقدر ان تكاثر الجبال في طولها بكبرك والمعنى ان الانسان مهما بلغ في
تيهانه وكبريائه لا يقدر على مكابدة الجبال والتطاول عليها وقيل ان الذي يمشي مختالا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه
فقيل له انك لن تخرق الارض ان مشيت على ظهور قدميك عني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط
من صبب اخرجه الترمذي في الشمائل في المشي الى قوله وقوله تكفيا التكفؤ التمايل في المشي الى قدام وقوله كانما ينحط
من صبب هو قريب من التكفؤ اي كانه ينحدر من موضع عال عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه وما رايت احدا اسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الارض تطوى له انا لنجهد
انفسنا وانه لغير مكترث اخرجه الترمذي قوله لغير مكترث اي مبال والاكتراث الاهتمام الذي يشق على الانسان كل ذلك
كان سيئة مكروها اي ما ذكر من الامور التي نهى الله عنها فيما تقدم وبان فلك تكرير قيل سيئة مع قوله
مكروها فلك فيه تقديم وتاخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة وقيل لمجاورته كل ذلك كان سيئة وكان
مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ كان السيئة الذنب وهو مذكر قوله تعالى ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوامر
والنواهي في هذه الايات مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي ان الاحكام المذكورة في هذه الايات تمام اربعة وعشرين
الزعانة في جميع الاديان والعمل قبل التنبيه والدليل فهذه حكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان جامع هذه الايات
يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والامر من الدنيا والاخلاق الذاتية وذلك من الحكمة وقيل ان قوله

الآيات كانت في الواح موسى عليه السلام وأولها لا تجعل مع الله إلها آخر فقال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة
واعلم أن الله تعالى افتتح هذه الآيات بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على أن أعظم ما يجب
أن يكون فيه الموحد لا أنه رأس كل حكمة وملاكها ومن عجيب نظم القرآن أنه تعالى ذكر في الآية الأولى من العشر ما يجب
منه ومنعه وفي هذه الآية ما يجب فعله وتركه ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والملوم والمذموم
أما أن يكون مذموما بمعنى أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر يعود منه الذم عليه ثم يقال لم جعلت هذا الفعل القبيح وما الذي
حملك عليه وهو نعوذ بالله والفرق بين المذموم والمدحور أن المذموم هو الذي يستحق الذم لكن لا يناله والمدحور هو المبعد
المقصور وقد مر تفسير قوله عز وجل أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا وقوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن
ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا أي بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقربوا إليه وقيل
معناه لتوصلوا إليه بفضله وانتفعوا ما يقربهم إليه والأول أصح ثم نزه نفسه فقال عز وجل سبحانه وتعالى عما يقولون علوا
كبيرا يسبح له السموات السبع والأرضون ومن فيهن أي الملائكة والإنس والجن وإن من شيء إلا يسبح بحمده قال
ابن عباس رضي الله عنهما من شيء حي إلا يسبح بحمد الله وقيل جميع الحيوانات والنباتات وقيل إن الشجرة تسبح والحائط لا تسبح وقيل
إن التراب يسبح ما لم يبتل فإذا ابتل ترك التسبيح وإن الشجرة تسبح ما لم تربع فإذا ربعت تركت التسبيح وإن
الورقة تسبح ما دامت على الشجرة فإذا تحاتت تركت التسبيح وإن الماء يسبح ما جرى فإذا ركد ترك التسبيح وإن
الثوب ليسبح ما دام جديدا فإذا اتسخ ترك التسبيح وإن الوتد والحجر ليسبحان إذا صلحت فإذا تشققت تركت التسبيح وقيل
وإن من شيء جماد وحي إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب وصفيق الشجر وقيل لكل الأشياء تسبيح غير الآدميين والجماد أيضا
وتسبيح جميعهم سبحان الله وبحمده دليل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاءوه بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده صلى الله عليه وسلم ثم قال حي على الطهور
البركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه
البخاري عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي بعثت إني لأعرفه الآن وعن ابن عمر
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه وفي رواية لما قعد على المنبر أو احتفر
وسائر الروايات في هذا الحديث دليل على أن الجماد يعقل وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والأرض والجمادات والحيوانات
سوى العقلاء بلسان الحال دليل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته وعلى أنها تنقاد بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول
الأول أصح لعادات علمت على هذه الأحاديث وأنه منفرد عن التسبيح واعلم أن الله تعالى جعل الجمادات لا يقف عليه غيره ينبغي
أن يدل عليه الله وقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ثم استدرك فقال
ولسانكم إنه كان حليما غفورا أي لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح فقوله عز وجل وإذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا أي يحجب قلوبكم عن فهمه والانتفاع به وقيل
معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير أنه قال لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت أم جميل إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ومعها حجر وأبو بكر رضي الله عنه قاعد بجنبه فقالت لأبي بكر أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني فقال والله ما ينطق الشعر
وما يقوله فمر بعت وهي تقول قد كنت جديرة بهذا الحجر لأرضخ رأسه فقال أبو بكر ما رآك يا رسول الله فقال لم تريا ملك بيني
وبينها وجعلنا على قلوبهم أكنة أي أغطية أن يفقهوه أي كراهة أن يفقهوه وفي إذا أنهم وقرا أي ثقلا أيضا
يسمعوه وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده يعني إذا قلت لا إله إلا الله وأنت تتلو القرآن ولوا على أدبارهم نفورا

جمع نابر نحن اعلم بما يستمعون به ايمن التعزيك وبالقرآن وقيل معناه نحن اعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو التكذيب
به اذ يستمعون اليك اي وانت تقرأ القرآن واذ هم نجوى اي يتناجون بينهم بالكفر وقيل معناه كفروا بما جوابهم فيه قول
هو قبلون واعتقادهم غير اهو تناجي واذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة واصحابه ان تتبعون الا رجلا مسحورا
يعني مخدوعا وقيل مجنونا وقيل معناه انه سحر بحق وقيل من السحر وهو الرئة ومعناه انه بشر مثلكم ياكل ويشرب فما الذي
اراد انا سوفعين كم عنيف ويسحر بالكعل وبالتراب اي يعني بهذا انكم كيف ضربوا لك الامثال اي اشاروا فيها
شاءوا كما لا تعجزون فضلوا اي في جميع ذلك وحادوا فلا يستطيعون سبيلا اي الى الطعن في القرآن فقالوا اذا كنا عظاما
اي بعد الموت ورفاتا اي ترابا انا لمبعوثون خلقا جديدا اي انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلى فقال الله تعالى
رداً عليهم قل كونوا حجارة او حديدا اي في القوة او حديدا اي في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو امر تعجيز اي
استقيموا ولو فرضتم انكم حجارة او حديد في القوة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني في الشعر والرأس والبال لانها
اعظم المخلوقات وقيل يعني بالموت لانه لا شيء يعظم على ابن ادم اكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لاميتكم
ولابعثكم بعد فسيقولون من يعيدنا اي من يبعثنا بعد الموت قل الذي فطركم اي خلقكم اول مرة ثم قدر على الانشاء
فدر على الاعادة فسينغضون اليك رؤوسهم اي يحركونها استهزاء ويقولون متى هو اي متى تقولون ويقولون متى هو
يعني البعث والقيامة قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب يوم يدعوكم اي من قبوركم الى موقف القيامة فتستجيبون
بحمده قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل معترفين بانه الخالق والبارئ وتحسبون ان لبثتم اي في الدنيا وقيل في القبور الا قليلا وذلك لان ما
الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبور الوفا من السنين عند ذلك قليلا عند مدة القيامة والخلود في الآخرة وقيل انهم
يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة فوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وذلك ان المشركين كانوا يؤذون
المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن اي لا يجزوهم على
سبهم بل يقولون له يهديكم الله وكان هذا قبل الامر في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك انه
شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله المؤمنين بان يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي احسن وقيل الاحسن كلمة
الاخلاص لا اله الا الله ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويلقي العداوة ان الشيطان كان للانسان عدوا
مبينا اي ظاهر العداوة وربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم اي يهديكم للايمان فتوحدوا وان يشا يعذبكم اي يميتكم
على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشا يرحمكم فينجيكم من النار وان يشا يعذبكم اي يسلطهم عليكم وما ارسلناك
عليهم وكيلا اي حفيظا وكيلا قيل نسختها اية القتال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور
عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذرات الارض والسموات بعلم واحد
احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم واديانهم ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا
لم يعطه لاحد من بعده وآتينا داود زبورا وذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا وهو كتاب انزله الله على داود يشتمل
على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى والحمد والتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود وباسر
احكام وان فلقد فضل بعض الانبياء بالذكر دون غيره من الانبياء فلقد فيه وجوه احدها ان الله تعالى
ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض فاتوا وآتينا داود زبورا وذلك ان داود اعطي مع النبوة الملك فلما ذكر بالملك
وذكر ما اتاه من الكتاب شفعه على ان الفضل المذكور في الاية المراد منه الاعم لما العلك والثاني الوجه الثالث ان
كتبه في الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان امته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت انه
لا نبي بعد موسى والكتاب بعد التوراة فكذبهم الله تعالى بقوله وآتينا داود زبورا ومعنى الاية انكم لن تنكروا التفضيل
النبيين وكيف تنكرون تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه القرآن وانه اتى موسى التوراة وداود الزبور
وعيسى الانجيل ثم بعده ان بعض محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك بفضل الله يؤتيه من يشاء وهذا

وهذا خطاب مع من يفر بتعذيب الانبياء عليهم السلام وقوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وذلك ان
المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الجلود والميتة واستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو الهم فانزل الله
عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم الهة من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم يعني الجوع والقحط ولا تحويلا
اي الى غيركم ونحو بلا يتجاوز من الفقير الى الغني ومقصود الاية الرد على القائلين بجهل انها فليفة
ان يشتغل بعبادة الله فنحن نقصد الى ربنا ونتقرب اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا المتلك الذي يعبدونه ملتجأ لا وعبرة
واشتغلوا بعبادته فاحتج عليهم بقوله بعد هذه الاية ويخافون عجزه الفتهم بعد انها اولئك الذين يدعون يبتغون الذين
يدعونهم المشركون الهة يبتغون الى ربهم الوسيلة اي القربة والدرجة القلفى قال ابن عباس نفر من عبيسى وعزيز
والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الاية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من
الجن فاسلم الانس والجن فلم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم بغير الله وانزل هذه الاية وقوله ايهم اقرب معناه
انهم يتحرون ايهم اقرب الى الله يبتغون به وقيل ايهم اقرب يبتغي الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح
ويرجون الخير والكرامة ويرجون رحمته اي جنته ويخافون عذابه وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد
الله بتقريب يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا اي كان حقيقا بان يحذر كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل
فضلا عن غيرهم من الخلائق قوله تعالى وان من قرية اللحن محذوف قبل يوم القيامة اي بالموت والخراب او بعذابها
عذابا شديدا اي بالقتل وانواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المؤمنين بالاماتة والعذاب في حق
الكفار كان ذلك في الكتاب مسطورا اي مكتوبا مثبتا عند الله في اللوح المحفوظ وما منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون قال لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا خلق الله القلم قال اكتب فجرى
بما هو كائن الى الابد اخرجه الترمذي قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون قال ابن عباس سال اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحي الجبال
عنهم فيزرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان اعطيهم بما سالوا فان كفروا بعد ذلك
فان لم يؤمنوا اهلكتهم كما اهلكت الذين من قبلهم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل يستانى بهم فانزل الله وما منعنا
ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون اي باهلكناهم بان لم يؤمنوا بعد ارسال الآيات
اهلكتهم كما من شانا ثمود الناقة مبصرة اي بينة وذلك ان اثار اهلاكهم في بلاد العرب في بقعة من وجودهم بينة لمن راهم
وارادهم فظلموا بها اي جحدوا انها من عند الله وقيل ظلموا انفسهم بتعذيبها بعاجلناهم بالعقوبة وما نرسل
بالآيات الا تخويفا اي وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا اي انذارا بعذاب الاخرة ان لم يؤمنوا وان نخوف الناس بها فيتقوا
من ايات الله فلا يرجعون قوله عز وجل واذ قلنا لك اي واذكر يا محمد اذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي ان قدرته
محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فان كان الامر كذلك فهم لا يقدرون على امر من الامور
الا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلا تهتم وامض لما امرتك من تبليغ الرسالة فهو يعصمك ويقويك
على ذلك وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس اكثر المفسرين على ان المراد منها ما راى النبي صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والايات قال ابن عباس هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به
الى بيت المقدس اخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جرير وغيرهم
والعرب تقول رايت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ما رآه في تلك
الليلة ازداد المخلصون ايمانا وقال قوم اسري بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان لم معراجان
معراج رؤية عين في اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل اراد بقوله الرؤيا ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
انه دخل مكة هو واصحابه وعجل البشير الرسالة قبل الاجل بسنة فرجع المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه في ذلك

العلم

الصلاة بعد ما اخبرته بدخولها الجنة بعضهم ثم دخل مكة في القابل فنزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام بني امية ينتابون منبره كما ينتاب القردة فساءه ذلك فانزل الله
على هذا التفسير وقال السورة مكية وهذا ان لم يصح فقد ذكرنا انها بالمدينة اجيب بانه لا اشكال فيه فانه لا يبعد
ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم
وصفها الله بالظلم والعرب تقول لكل طعام كريه مرتعها وملعون والفتنة فيها ان ابا جهل قال ان ابن ابي كبشة
ابن الزبعرى قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم وما نعرف الا التمر والزبد والمعنى قال ابو جهل هاتوا تمرا وزبدا
وقال يا قوم تزقموا فان هذا ما يخوفكم به محمد فانزل الله تعالى حين عجزوا ان يكون في النار شجرة انا جعلناها فتنة للظالمين
الآيات فان قلت ايرتفع شجرة الزقوم في القرآن قلت رفعت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة
لا تذنب لكنها لما لعن اكلتها لعنت تبعا وانما وصفت بلعن الحاملين على العجاز وقيل وصفها الله بالملعون لان اللعن الابعاد من الرحمة
وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد عنيان الشجرة الملعونة هي الكشوث التي تلتوي على الشجر والشوك يتجبى ونخوفهم
فما يزيدهم الى التخويف الا طغيانا كبيرا اي تمردا وعتوا قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال اأسجد لمن خلقت طينا اي انكر ان يسجد لمن خلق من تراب الارض من غير بقاء ولا لحاء
لمن خلق من العذب بعد سعيد ومن خلق من الملح بعد شقي قال ابو اسحاق الزجاج المعنى اخبرني
هذا الذي كرمت علي اي فضلته علي لم اخبرتني اي ما علتني لأن رأيته الخامنة لأحتنكن ذريته لأستأصلنهم
بالاغواء وقيل معناه لأقودنهم كيف شئت وقيل لأستولين عليهم بالاغواء الا قليلا يعني المعصومين الذين
استثناهم الله تعالى في قول الله تعالى اذهب اي امض لشأنك ولبئس من الذهاب الذي هو ضد المجيء فمن تبعك
منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاء اتباعك جزاء موفورا اي مكملا قوله عز وجل واستفزز اي استخف
والاستفزاز اوسع من الاستفاقة منهم اي من ذرية آدم بصوتك قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل
داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوته الغناء والمزامير واللهو واللعب واجلب عليهم
بخيلك ورجلك اي اجمع عليهم مكايدك وحيلك وحثهم على الاغواء وقيل معناه واجلب عليهم بركبان جندك
ومشاتهم فيقال ان له خيلا ورجالا من الجن والانس وكل من قاتل او مشى في معصية الله فهو من جند ابليس وقيل الخيل
منه في هذا الموضع الفرسان تغير للرجل الفارس والخيل الامر جئتني بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد
في الاموال كل مال اصيب من حرام او انفق في حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم او يحرمونه من
الحرث والنتاج والوصيلة واما المشاركة في الاولاد فروي عن ابن عباس انها الوءودة وقيل اولاد الزنا وعن ابن
عباس انها هو تسميتهم اولادهم في الاديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان
الشيطان يقعد عند ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله اصاب معها وانثى في فرجها كما يثبت الرجل وروي
في بعض الاخبار انه معها في بيت فاذا الم يقل بسم الله اصاب معها وانثى في فرجها كما يثبت الرجل وروي
استنكحت وفي ترجمة شعلة من نار فذلك من وطء الجن وعدهم اي منيهم الجميل وكاذبهم وقيل فلهم الجنة
ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد انه يقرر انها انه لا معصية في فعله البتة
وذلك لا يمكن الا اذا قال لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عنده انه لا معصية البتة
في هذه الفعال فاذا فرغ من هذا النوع تقرر عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من اللذة والسرور والحياة
للانسان في الدنيا الا انه يعده كما يفي الدعوى الى المعصية ثم يقرر عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده
ان لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدهم اي بشفاعة الاصنام عند الله ويثار العاجل على الاجل فان قلت
كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله تعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء قلت هذا على طريقة التهديد كقوله تعالى
اعملوا ما شئتم وكقول الفاجر اجتهد جهدك فستعرف ما يترتب عليك وقوله تعالى وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي يزين
لهم الباطل بما يمنيهم من الحق اعلم ان التمني لغة الوعد اراد به ما يكون زاجرا عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا

والتشبيه فيه انه انما يدعوا الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك وانه يدعوا الى معرفة ربه وتلك الاشياء التي يدعوا اليها حب الله لا حقيقة لها ولا يحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا احتملت كانت سريعة الذهاب والانفصال وينغصها الموت والحزن وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد بعباده الانبياء واهل الفضل والصلاح لا قدرة لك على اغوائهم وكفى بربك وكيلا اي حافظا والمعنى انه تعالى لما امكن ابليس ان يأتي بما يفيد جنسه من الوسوسة كان ذلك لسبب الخطور الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا بان الله تعالى اقدر منه واحكم بعباده بعهود وقع عنهم كيد الشيطان ووساوسه وبعصم من اغوائه واضلاله وفي بعض الاثار ان ابليس لما خرج الى الارض فرأى الارض خرج الى الجنة لاجل ادم ويسلطني عليه وعلى ذريته فقال انت مسلط عليه فان استطعته فلك ولذريته ولا ايمان له ولا توبة له من حيث لا يعلم فمن احسن منه فقال الهي زدني فقال التوبة معروضة عليهم والروح في الجسد فقال يا رب زدني فقال انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي فقال يا رب زدني فقال ابواب التوبة مفتوحة عليهم الى حشرجة الصدر فقال يا رب زدني فقال انا اقبل عثرات عبادي فقال يا رب زدني فقال ان لهم يوما يقومون فيه لا يقوم فيه غيرهم فقال يا رب زدني فقال انا ارحم من ارحم فقال يا رب زدني فقال ان لهم ملكا ينادي كل يوم ولد للموت وابنوا للخراب فقال يا رب حسبي ربكم الذي يزجي لكم الفلك اي يسوق ويجري لكم السفن في البحر لتبتغوا من فضله اي لتكتسبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها انه كان بكم رحيما اي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح ويسكها عليكم واذا مسكم الضر اي الشدة وخوف الغرق في البحر ضل من تدعون اي تذهب عن وهمكم وخواطركم كل من تدعون بحوائجكم من الاصنام وغيرها الا اياه اي الا الله سبحانه وحده وانكم كنتم تذكرون سواه ولا تخطر ببالكم غيره لانه القادر على اعانتكم ونجاتكم فلما نجاكم اي اجابكم واخلاكم من هول البحر وشدته واخرجكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا اي جحودا اقمتم اي بعد نجاتكم ان يخسف بكم جانب البر اي يغوره والمعنى ان الحال تحكم له وفي قدرته بذلك او لعلى ان كان الغوص في البحر في جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغيب تحت التراب كما ان الغوص يغيب تحت الماء او يرسل عليكم حاصبا اي يحصبكم بحجارة من السماء كما امكن على قوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي مانعا وقاصرا ام امنتم ان يعيدكم فيه اي في البحر تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم اي بكفرانكم النعمة والاعراض حين انجاكم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا التبيع المطالبة والمعنى انكم لا تجدون احدا يكافئنا بصنعنا فعلنا انتصارا لكم وذكر الفراء عن جماعة من البصريين ان تبيعا بمعنى الانكار علينا فزوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم قال ابن عباس هو انهم يأكلون بالايدي وغيرهم يأكل بفيه من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجل بالمعاد والبهائم بالاكل والشرب وقيل بتسليطهم على جميع ما في الارض وتسخيرها لهم وقيل بتدبيرهم امر المعاش والمعاد وقيل ان منهم جسيمة اخرجت للناس وحملناهم في البر على الخيل والبغال والحمير والبحر على السفن وهذا من موجبات انا التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر له هذه الاشياء لينتفع بها ويستعين على مصالحه ورزقناهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل السمن والزبد والتمر والحلو وجعل رزق غيرهم ما يحيى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا تغذي الانسان المجاطيب الفضيل بعد الجمع الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا الا في الانسان وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا واعلم ان الله تعالى في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم وفي اخرها وفضلناهم والتفاوت بين التفضيل والتكريم والفرق بين التكرار والتغاير ان يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بامور خلقية كهيئته مثل العقل والنطق والحكم وحسن الصورة ثم انه تعالى فضل بعض بني ادم على بعض بالكمالات المكتسبة والاخلاق الفاضلة والاول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال تعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الاية يدل على انه يفضل بني ادم على كثير ممن خلقه لا على الكل فيقال فضلوا على جميع الخلق لا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الخليلي يفضلون على الخلائق كلهم لا على كل واحد منهم فالملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وامثالهم وقيل يفضلون على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم وان [illegible] يرفع الاخير موضع الكل كقولهم لقيت الفقهاء والشعراء واكثرهم رأيت الا يكون ارادة الكل ومن السنة في الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله ادم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم

يأكلون ويشربون

يأكلون ويشربون ويتمتعون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقت بيدي ونفخت فيه من روحي كمن
قلت له كن فكان وقيل في التفضيل وهو الأول الراجح انه نوع آخر غير بني آدم وهم الأنبياء أفضل من ذرية الملائكة وسواء الملائكة
أفضل من عوام بني آدم وهذا التفضيل انما هو بين الملائكة والنبيين من بني آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله تعالى
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ۝ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين
عنده قوله عز وجل يوم ندعو كل أناس بإمامهم أي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي أنزل عليهم وقيل بكتاب أعمالهم ۝ عن
ابن عباس بإمامهم وزمامهم الذي دعاهم في الدنيا أما إلى هدى وإما إلى ضلالة وذلك أن كل قوم يجتمعون مع الذي يطيعهم في الخير والشر
وقيل بمعبودهم وقيل بأمهاتهم جمع أم يعني بأمهاتهم والحكمة فيه زيادة حق عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين
وان كان يفتح أولاد الزنا فجزاؤه لئلا يفتضح كتابه بحضرة يا أيها الذين آمنوا فلقد خص أصحاب اليمين
بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرؤون أيضا فلقد البعد وان أصحاب الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا
على مهلكات عظيمة يستولي عليهم الجهل والدهشة فلا يقدرون على إقامة حروفه فيكون قراءتهم على هذا هو أما
أصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والكبائر يقرؤونه ويعينها فلا
يظلمون فتيلا أي ولا ينقصون من ثواب أعمالهم الذي نسب وهو كان في هذه المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر
والمعنى ومن كان في هذه يعني الدنيا أعمى يعني عن هذه النعم التي قد عدها في هذه الآيات المتقدمة يعمى في الآخرة
التي لم يعاين أعمى وأخطأ سبيلا قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته
ورؤية الخلق يعمى في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا يقبل توبته وفي الآخرة لا يقبل توبته فوله تعالى وان كادوا ليفتنونك
عن الذي أوحينا إليك قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش وقالوا
ندعك حتى تلم، الهتنا وتصدقها فحدث نفسه ما على أن افعل ذلك والله يعلم إني لها كاره فبعد ان يجوز ان استلم
الحجر وقيل لما بشر الله منه ان يذكر الهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قد
وقد تقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال فإن رأيناها تنفع في الصلاة
أي لا تنفع ولا تكسر أصنامنا بأيدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان تعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما ان تكسر أصنامنا بأيدينا فذلك لكم وأما الكاعبة اللات والعزى فإني غير
ممتعكم بها فقالوا يا رسول الله انا نحب ان تسمع العرب انك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا وان خشيت ان تقول العرب
أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وطمع في قولهم وسكوته ان يعطيهم ذلك فانزل
الله وان كادوا ليفتنونك أي ليتمموا فيزلوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري أي لتختلق وتقول علينا غيره أي ما لم نقله
وإذا لو فعلت ما دعوك إليه لاتخذوك خليلا أي ولو ووصاحبوك ولولا ان تثبناك أي على العصمة منا لقد كدت تركن أي تميل إليهم شيئا قليلا أي قربت من الفعل وان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم
معصوما فكيف يجوز ان يقرب ما كان ذلك خارجا قليلا ولم يكن شيئا وقد عاتب الله تعالى حديث النفس
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تكلني إلى نفسي كرة غير الجواب الصحيح هو ان الله
تعالى قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن إليهم إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي لو فعلت
ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني اضعف لك العذاب في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك
علينا نصيرا أي ناصرا يمنعك من عذابنا قوله عز وجل وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها قيل
هذه الآية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كذبه اليهود فعاندوه حسدا فأتوه فقالوا يا أبا
القاسم لقد علمت ما لمن كذبه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام وهي الأرض المقدسة وكانها إبراهيم والأنبياء
عليهم السلام فإن كنت نبيا مثلهم فأت الشام وإنما يمنعك الخروج إليها مخافة الروم وان الله يمنعك منهم الروم
ان كنت رسوله فهم بسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وبها قرية الجرف الخليفة حتى يخرج
إليه أصحابه فينزل بأثر هذه الآية والأرض هنا أرض المدينة وقيل الأرض أرض مكة والآية وقيل الأرض أرض

مكة والاية مكية هم للمشركين ان يخرجوه منها فتخفهم الله عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه ولهذا البقي بالاية
الى ما قبلها خبر عن اهل مكة والسورة مكية وقيل الا الذين اشركوا كلهم واراد وان يستفزوه من اخر العرب باجماعهم
وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم يتلوا منه الا قليلا والاستفزاز الارجاع واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا يعني
ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله ان يعذبهم ويبعثهم ما دام نبيهم فاذا اخرج من بين اظهرهم
عذبهم ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تبديلا بما قوله عز وجل اقم الصلاة لدلوك الشمس روى ابن مسعود انه قال الدلوك الغروب
وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر هو زوال الشمس وهو قول عكرمة وقتادة ومجاهد
والحسن واكثر التابعين ومعنى اللغة يجمعهما لان اصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحمل على الزوال
اولى القولين لكثرة القائلين به وان حملناه عليه كانت الاية جامعة لمواقيت الصلاة كلها بدلوك الشمس بتناول صلاة الظهر
والعصر الى غسق الليل اي ظلمته وقال ابن عباس سدوه الليل وهذا اشارة الى المغرب والعشاء وقرآن الفجر يعني
صلاة الصبح سمي الصلاة قرآنا لانها لا تجوز الا بقرآن ان قرآن الفجر كان مشهودا اي تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار روى ابو هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجميع صلاة احدكم بخمس وعشرين جزءا ويجتمع ملائكة
الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون
واتيناهم وهم يصلون فاغفر له يوم الدين فاطلع فرأى على ان التغليس افضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من الصبح فيذلك الوقت الظلمة
الباقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء حضرت
ملائكة النهار فاذا ابتدأ بعد ذلك الصلاة في وقت الاسفار فحينئذ لم يبق احد من ملائكة الليل فالحاصل المعنى المذكور
في الاية ثبت ان قوله تعالى كان مشهودا على ان الصلاة في اول الوقت افضل قوله تعالى ومن الليل فتهجد به اي فنم بعد
نومك والتهجد لا يكون الا بعد النوم والمراد من الاية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نزل التخفيف بعد الوجوب منسوخا
في حق الامة بالصلوات الخمس وبقي في حقه على الاستحباب بدليل قوله فاغفروا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق النبي
صلى الله عليه وسلم بدليل قوله نافلة لك يزيد فريضة زائدة على سائر امته كما روي عن عائشة
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب
صار منسوخا في حقه كما في حق الامة وصار قيام الليل نافلة لان الله تعالى قال نافلة ولم يقل عليك بان فلانا ما
معنى التخفيف اذا كانت زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص ان الفرائض
كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات
فصل في الاحاديث الواردة في قيام الليل روى المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
انتفخت قدماه فقيل له اتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وروى عن زيد بن خالد الجهني
قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته او وسطها فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين
ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر وذلك ثلاث عشرة ركعة بعد ايذان بلال بالصلاة وروى عن ابي سلمة
ابن عبد الرحمان انه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على
احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل
ان توتر فقال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد ان يطلع من
صلاة العشاء احدى عشرة ركعة يسلم في كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يقرأ احدكم خمسين اية وقبل
ان يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن
حتى ياتيه المؤذن للاقامة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين
عن عمرو بن مالك الا تصلي فانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اخاف ان تفوتني السجدة فاقرأ سورة البقرة لا يمر باية رحمة الا وقف وسأل
ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة

ثم يسجد بقدر قيامه

ثم يثني بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فعل مثل ذلك ثم قام الثالثة ثم سورة اخرجه ابو داود والنسائي عن عائشة قالت
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة اخرجه الترمذي وعن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام اوله ويقوم آخره فيصلي ثم رجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت
به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج. وعن انس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة صلاة الاوابين ولا تستطيع
ان نراه قائما الا رابنا اخرجه النسائي زاد في رواية غيره وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول
لا يصوم منه شيئا وفعله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك
لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومراطماع الناس تأتي ثم حيث كان عن اراد الله اكرم من ان يطمع احدا ثم لا يحققه ما
اطمعه فيه ف والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وهي نائلة منكم ان شاء الله
من مات لا يشرك بالله شيئا رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل
ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد
من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة خ وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال حين يسمع المؤذن اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة
وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يجمع الله الناس
يوم القيامة فيلهمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون
آدم ابا البشر فيقولون انت ابو البشر خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا
من مكاننا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ايتوا نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل
الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ايتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا
فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ايتوا موسى الذي كلمه الله واعطاه
التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ايتوا عيسى روح الله وكلمته
فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ايتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقول
يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعط اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع
فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم اعود فأرجع ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع
يا محمد قل تسمع سل تعط اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فأخرجهم
من النار فأدخلهم الجنة الحديث وفي الثالثة او في الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود
وفي رواية للبخاري ثم تلى هذه الآية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعد نبيكم صلى الله
عليه وسلم فخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في
قلبه من الخير ما يزن ذرة قال ابو عبد الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في
قلبه من الخير ما يزن ذرة قال ابو عبد الله هذا في حديث شعبة ذرة وفي رواية من الايمان مكان خير وفي حديث معتمر بن هلال الصيرفي
عن انس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فأقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه ما ذني حنطة او شعيرة من خردل
من ايمان فأخرجه فانطلق وافعل ثم اقول فلم اخرج من عند انس مرورا بالحسن فحدثنا ما حدثنا به فقال لي هذا الموضع
فقال الحسن فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم مرتين فقال اعود في الرابعة فأحمد
بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن
قال لا اله الا الله فيقول لك ليس ذلك لك او قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله
قوله وهو جميع اي مجتمع الذهن قوله اي عن ابي سعيد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة
ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر

فلا يمرون الناس ثلاث فرقات فيأتون فيقولون أنا أبونا فاشفع لنا ربك فيقول إني أذنبت ذنبا فأهبطت به إلى الأرض ولكني
أيتوا نوحا فيقول إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا
إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول إني كذبت ثلاث كذبات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين
الله ولكن ايتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ايتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول إني عبدت من دون الله ولكن
ايتوا محمدا فيأتونني فيأتون معهم قال ابن جدعان قال أنس وكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة
فأقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا بأخ صالح وجاء صالح ليدخلهم الله من الثناء والحمد فيقال
لي ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه
وزن شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأثني عليه بتلك الثناء وأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق
فأخرج منها من كان في قلبه وزن برة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأثني عليه بتلك الثناء وأقول يا رب
أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه وزن ذرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأثني عليه بتلك
الثناء وأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد
وأثني عليه بتلك الثناء وأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود
فأحمده بتلك المحامد وأثني عليه بتلك الثناء وأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان
فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأثني عليه بتلك الثناء وأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه
مثقال ذرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأثني عليه بتلك الثناء وأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق
فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأثني عليه بتلك الثناء وأقول يا رب
أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأثني عليه بتلك
الثناء وأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك
المحامد وأثني عليه بتلك الثناء وأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم
أعود

قوله تعالى وقد جاء الحق يعني الاسلام والقرآن وزهق الباطل أي الشرك والشيطان ان الباطل كان زهوقا أي مضمحلا غير ثابت وذلك ان الباطل ولو كان له صولة وجولة في وقت ما لكنه يضمحل في العاقبة ويزول وعن جعفر الصادق رضي الله عنه لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت الى الثمانين وستون جعل يطعن بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قوله عز وجل وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قد مر في قوله من القرآن لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفي به من الشبهة ويتقشع به من الشك الخفي وهو الغلو بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء الامراض الظاهرة والباطنة وذلك لانه قسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة اما الاعتقادات الباطلة كالذات والصفات والتعديل والقضاء والقدر والبعث بعد الموت والقرآن كله مشتمل على ادلة هذه المذاهب الحق وابطال المذاهب الباطلة فهو لا جرم شفاء لهذا النوع من الامراض واما الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التحذير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة وثبت ان القرآن شفاء من جميع الامراض فيدخل فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في فاتحة الكتاب وما يدريك انها رقية وهذا يدل على ان الكل من جميع الامراض الباطنة والظاهرة بهذا جديرا بان يكون رحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا لان الظالم اذا تدبره وعلم انه يدعوه الى ترك الظلم فيتبع به فيكون رحمة للمؤمنين وخسارا للظالم وقيل لان كل آية تنزل يتجدد بسببها تكذيب بعضهم فيزداد خسارهم قال قتادة لم يذكر القرآن احدا الا قل عنه بزيادة او نقصان فقضى الله الذي يقضي شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا قوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اي بالصحة والسعة اعرض عن ذكرنا يعني عن شكرنا وعبادتنا ونأى بجانبه اي تباعد عنا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم واذا مسه الشر اي الشدة والجهد كان يؤوسا اي يائسا قنوطا وقيل معناه يتفرح ويدعو عند الشر والشدة فاذا اخرت الاجابة ييأس وينبغي للمؤمن ان يديم الدعاء ولا تزال الاجابة قوله عز وجل قل كل واحد يعمل على شاكلته قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكلة الحالة التي يكون عليها وقيل على طريقته التي جبل عليها وقيل على شاكلته اي على ما يشاكل حاله في الهدى والضلالة فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اوضح منهاجا واحسن مذهبا واتباعا للحق فوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي عن عبد الله بن مسعود قال بينما انا امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسئلوه لا يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وقالوا يا ابا القاسم ما الروح فمكث ساعة ينظر وعرفت انه يوحى اليه فقال يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسئلوه وفي رواية فلما انجلى عنه قال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فقالوا انا قد اوتينا علما كثيرا اوتينا التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا وقالوا انما يعلمه بشر وقالوا ان محمدا ينتظر اليوم بالمدينة واليهود وما انتم له بشيء بعد ما اتاكم به فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا كيف نعلم انك نبي فقال لهم كيف تعلمون ان جاءكم رجل في كتابكم يخبركم بعلم الغيب فقالوا نعلم ذلك فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما انصرفوا عنه بايام فقال اخبروني عن ثلاثة اشياء بان اجاب عن كلها او لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وان اجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فيسئلونه عن قصة فتية ذهبوا في الزمن الاول ما شان امرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ بلاد المشرق والمغرب ما خبره وعن الروح فيما انزل الله عليه وسلم فقال اخبركم بما سالتم عنه غدا ان شاء الله ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما او اربعين ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ذكر مكث الوحي وشق عليه ما يقوله اهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بسورة اصحاب الكهف فيها معاتبة الله اياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف وقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وتفسير الآية ما حكيت ان الحجاب الحاجب والرقيب كانوا من ايام انتاجب او نزل بمن بلغ المشرق والمغرب ويسئلونك عن الغريزة وتزاور الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه فروي عن ابن عباس انه جبريل وعن ابي العالية انه ملك له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الفا يسبح الله تعالى بتلك اللغات وقال مجاهد خلق على صورة بني آدم وليسوا بملائكة ولا من الجن كانوا يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم

بن الروح يحيى العرش لو شاء الله ان يبتلع السموات السبع والارضين بن فيهن بلقمة واحدة لفعل صورة الملائكة
وصورة وجوههم على صورة الادميين يقع الغيابة على يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله بروالفيلة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد
ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترقوا اهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا وان به حياة
القلوب وقيل هو الروح المركب في الخلق الذي به يحيى الانسان وهو العقل او كل نوع من اقامة الروح فقال بعضهم هو الدم
الا ترى ان الانسان اذا مات لا يبوت منه الا الدم وقال قوم نفس الحي بدليل انه يعبر باحتباس النفس وقال قوم جسم لطيف
يحيى به الانسان وقيل الروح اجتماع النور والكيف والعلم والعلو والبقاء الا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان مرجوا
بجميع هذه الصفات فاذا خرج منه ذهب الكل وقال ويل الحكماء والصوفية ما هية الروح كثيرة وليس هذا موضع
استقصائها وانزل الله تعالى ويسئلونك عن الروح الآية وهو قول اهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من امر ربي اي من علم ربي الذي استاثر به وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي جنب علم الله
عز وجل الخطاب عام وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقرأون في التوراة وقيل التوراة وقيل العلم الكتبي فقيل لهم ان علم التوراة
قليل في جنب الله وقيل ان القلة والكثرة يدوران مع الاضافة بوجه الشيء بالقلة مضافا الى ما يوفيه وبالكثرة مضافا الى ما
تحته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما للنبوة تموا القول الصحيح وهو
ان الله عز وجل استاثر بعلم الروح قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك معناه انا لو شئنا لرفعنا عنك
الروح وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا معناه لا تجد بعد الذهاب به من توكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا
الا رحمة من ربك معناه الا ان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير
مذهوب به وهذا امتنان من الله عز وجل بيقاء القرآن فلئن كيف يذهب بالقرآن وهو حفظ الله عز وجل
فلئن المراد منه محو ما في المصاحف واذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود انوا القرآن فان القرآن يرفع فقال
رجل كيف يعاد في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يجدون منه شيئا ثم يقيضون في الشتاء
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل يعني ويحول الغرس تذكر دون النحل فيفقد الرب مالك
فيفقد يارب آلني آلني فيعمل ان فضلك كان عليك كبيرا اي يشتد بقاء العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم واعمالك
المفاوح المحمود فلئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله اي لا يقدرون على ذلك ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا اي اعوانا فالتعجيز في المعنى كقولنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وكذبهم الله عز وجل ان القرآن معجز
في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في اعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو بين
مخلوق ولو كان مخلوقا لقدروا على ان يأتوا بمثله قوله عز وجل ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي رددنا وكررنا من كل
معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص والاخبار وقال اكثر
المفسرين الا كفورا اي جحودا قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك اي لن نصدقك حتى تجري لنا من الارض ينبوعا قال ابن اسحاق ان القرآن
وانتفت اليه معجزات اخر وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يقترحون بافتراح الايات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة
عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وابا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث بن كلدة والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد
ابن المغيرة وابا جهل بن هشام وعبد الله بن امية وامية بن خلف وعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد
غروب الشمس عند الكعبة بعد العشاء بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه بعضكم الينا ان اقترف
فوجد فاجتمعوا له ليكلموه فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدا لهم في امره بدا وكان حريصا على رشدهم
حتى جلس اليهم فقال يا محمد انا جلسنا اليك لنعذر اليك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك
لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة وما بقي من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت
جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت
تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا اموالنا في طلب الطب حتى نبريك
منه ونعذر فيك وكان يسمون التابع من الجن الرئي فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب

اموالكم

كيف ومبهم بالنعم بكم وعمى وصم وقد قال تعالى ورأى المجرمون النار وقد ادعوا انهم الطوا ثبورا وقال اسمعوا لها تغيظا
وزفيرا فاثبت لهم الرؤية والكلام والسمع فلت فيهما وجه احدها قال ابن عباس معناه عميا لا يرون ما يسرهم
بخلاف الآخرة فانهم يحشرون صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم يعادون اليهم
هذه الآية الوجه الثالث هذا حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم عميا وبكما وصما لا يبصرون ولا
ينطقون ولا يسمعون ما وليهم كلما خبت اي سكن لهبها وقيل ضعف وهدت من غير ان يوجد نقصان في الة الاعذار
لان الله تعالى لا يعتريه عجز وقيل معناه اردت الخبو زدناهم سعيرا اي وقودا وقيل المراد من خبت اي نضجت جلودهم واحترقت
اعيدوا الى ما كانوا عليه وزيد في تسعير النار لتعرفهم ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا الظاهرة الوعيد الفظيع فلذلك جزاؤهم
بما كفروا اي ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا
اجابهم الله تعالى ورد عليهم بقوله اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض اي بعظمتها وشرفها قادر على ان
يخلق مثلهم اي بمثلهم وصفهم وجعل لهم اجلا اي وقتا لعذابهم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه يأتيهم قبل الموت وقيل
يوم القيامة فابى الظالمون الا كفورا اي جحودا وعنادا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اي خزائن نعمه ورزقه وقيل
ان خزائن الله غير متناهية والمعنى انكم لو ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها اذا لامسكتم اي لبخلتم ولحبستم خشية
الانفاق اي خشية الفاقة والفقر وهذا مبالغة عظيمة بوصفهم بعد الشيء وكان الانسان قتورا ممسكا بخيلا
فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم وصفه بالبخل فالجواب الاصل في الانسان البخل
لانه خلق محتاجا والمحتاج لا بد وان يحب ما يديم به حاجته ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة مثل
ان يحب المدح او رجاء ثواب فثبت بهذا ان الاصل في الانسان البخل قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
اي دلالات وامارات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والقحط الذي كان بآل فرعون ونقص الثمرات وقيل الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض قلق البحر واليد لسنوره ونقص من الثمرات وقيل الطمس واليبس بدل
السنين والنقص فيكل الرجل منهم مع اهله في البراري وقد مارا بحر نيل والحجارة فانها تخرج ثمرا روي ان
عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات قال منها الطمس فقال عمر هذا اعجب ان يكون الغيم ثم قال يا غلام
اخرج ذلك الجراب فاخرج بازائه بيض مكسر بعضها فرخ وجوز مكسر بعضها دقوق وحمص وعدس كل واحد جزاره وقيل السبع
الآيات هي امهات الكتاب وهي احكام بدا عليه مدلول عن عثمان بن عفان ان يهوديا قال لصاحبه تعالى حتى نسأل هذا النبي
فقال الآخر لا تقل نبي فانه لو سمع صارت له اربعة اعين فاتيا فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات
بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربوا ولا تسحروا ولا
تمشوا ببريء الى سلطان ليقتله ولا تفروا من الزحف ولا تقذفوا المحصنات ولا تعدوا في السبت قبلتا يده وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال من ذريته
نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود فسأل يا محمد نبي اسرائيل يل يجوز الخطاب معه والمراد غيره ولا يجوز ان
يكون مخاطبا به وامره بالسؤال ليتبين بذلك مع قولهم انه ساحر اذ جاءهم اي يعني جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال ابن عباس مخدوعا وقيل مصروفا اي بمصروف وقيل معناه ساحر
يعلم علم السحر بفتح الجيم التي تبقى ولا تفنى قال موسى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر اي
ولكنه عاند ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر اي بينات تبصر وانا لاظنك يا فرعون مثبورا قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير فاراد ان يستفزهم من الارض
معناه فاراد فرعون ان يخرج موسى وبني اسرائيل من ارض مصر باغيا وظالما ومن معه جميعا اي اغرقنا فرعون وجنوده
ونجينا موسى وقومه وقلنا من بعده اي من بعد هلاك فرعون وجنوده لبني اسرائيل اسكنوا الارض يعني ارض مصر والشام
فاذا جاء وعد الآخرة يعني القيامة جئنا بكم لفيفا اي جميعا الى يوم القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين
من كل نوع يبهم الغوغاء والكفار والبحر والبر وقيل اراد بوعد الآخرة مرة عيسى اي اسكنوا من الشام فوله تعالى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل يعني ما اردنا انزال القرآن الا لتقرير الحق فلما اردنا هذا المعنى كذلك وقع وحصل وقيل
معناه وما انزلنا هذا القرآن الا بالحق المتضمن لانزاله ملتبسا بالحق لما تضمنه من الهداية الى كل خير

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

اللهم يا رب بجاه نبيك المصطفى ورسولك المرتضى
طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك
ومحبتك وامتنا على السنة والجماعة والشوق
الى لقايك يا ذا الجلال والاكرام اللهم صل على
سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة تدوم بدوام
ملك الله اللهم اجعل نفسي مطمينة تومن
بلقايك وترضى بقضايك اللهم ارزقني
فهم النبيين وحفظ المرسلين والهام
الملايكة المقربين اللهم عمر لساني بذكرك
وقلبي بشكرك وسر بطاعتك وصلى الله
على اله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العلمين
واخر دعوانا ان الحمد لله رب
العلمين

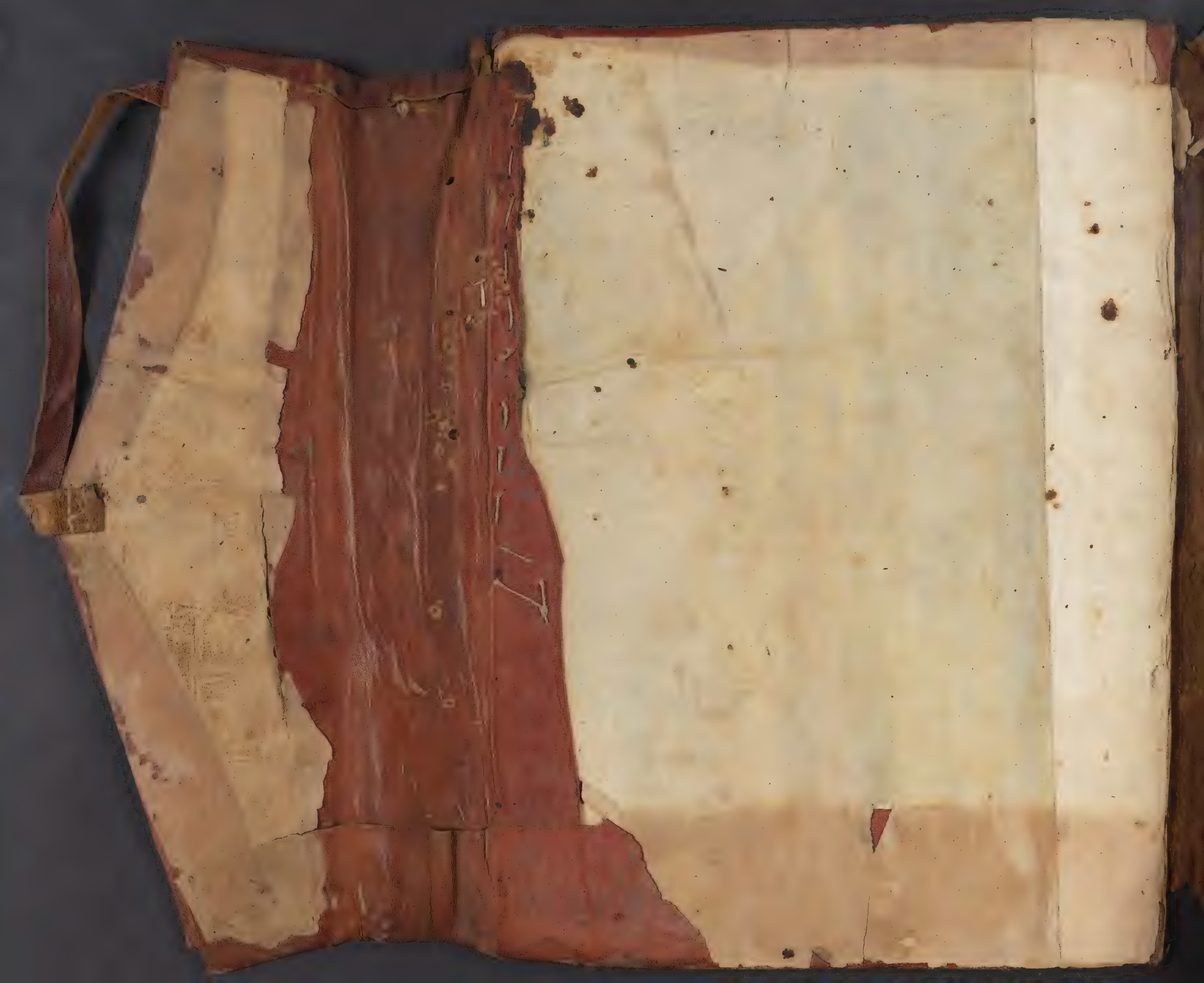

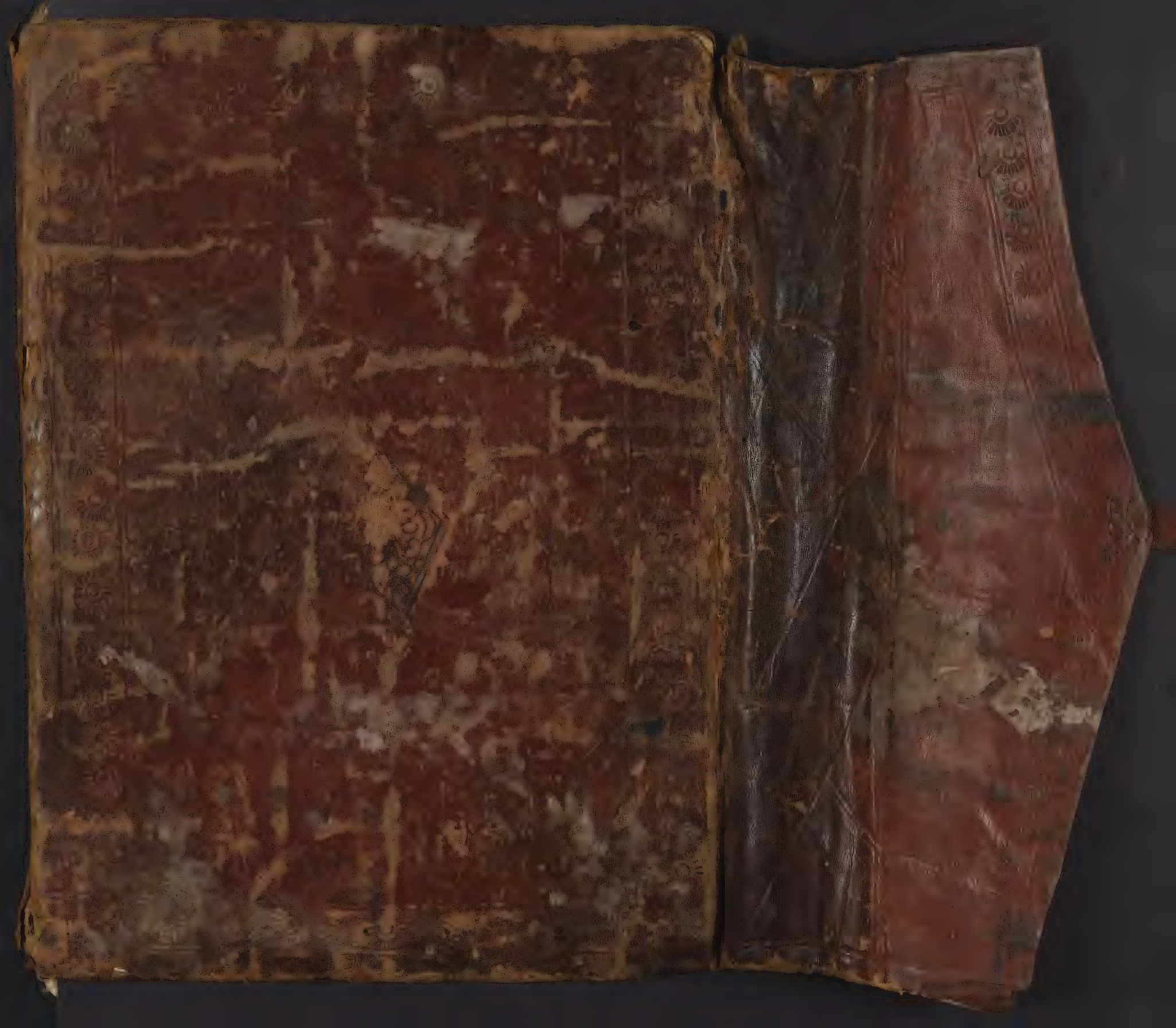

Ms
ARABE
100

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

اللهم يا رب بجاه نبيك المصطفى ورسولك المرتضى
طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك
ومحبتك وامتنا على السنة والجماعة والشوق
الى لقائك يا ذا الجلال والاكرام اللهم صل على
سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة تدوم بدوام
ملك الله اللهم اجعل نفسي مطمئنة تؤمن
بلقائك وترضى بقضائك اللهم ارزقني
فهم النبيين وحفظ المرسلين والهام
الملائكة المقربين اللهم عمر لساني بذكرك
وقلبي بشكرك وسر بطاعتك وصلى الله
على آله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العلمين
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب
العلمين